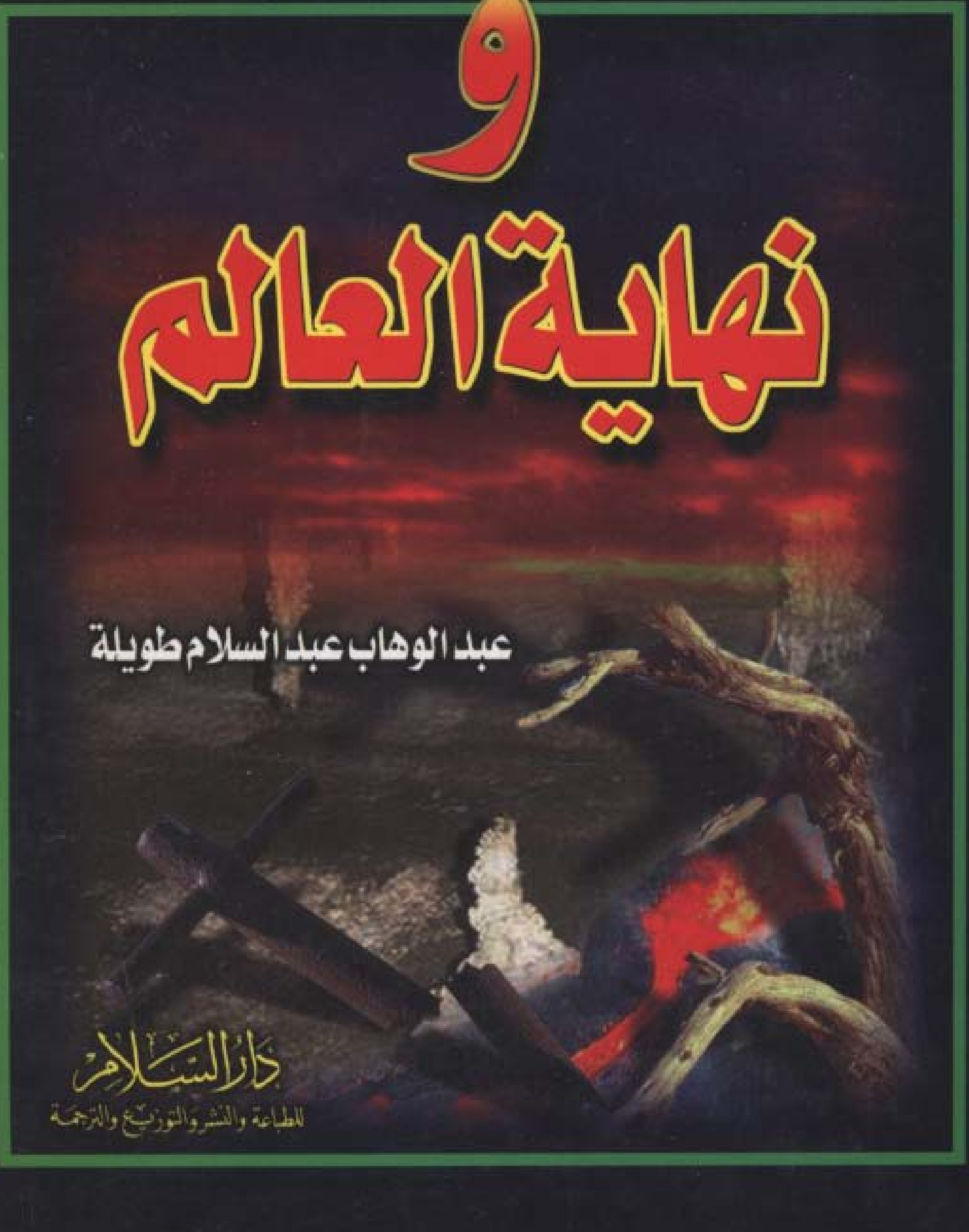
المسيح المنتظر و نهاية العالم



عبد الوهاب عبد السلام طويلة

دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

الطبعة الرابعة

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة
القاهرة - مصر ١٢٠ شارع الأزهر ص ب ١٦١ الغورية - الرمز البريدي : ١١٦٣٩
هاتف ٥٩٣٢٨٢٠ - ٢٧٤١٥٧٨ - ٢٧٠٤٢٨٠ (٢٠٢ +) فاكس ٢٧٤١٧٥٠ (٢٠٢ +)
http://www.dar-alsalam.com e-mail : info @ dar-alsalam.com

المسيح المنتظر ﷺ

ونهاية العالم

عبد الوهاب عبد السلام طويلة

دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، بديع السماوات والأرض ، خلق كل شيء فقدره تقديرًا ، وأعطى كل شيء خلقه ثم هدى ، أكرمنا بالإسلام ، وأعزنا بالإيمان ، وأنعم علينا بنبيه محمد ﷺ فهدانا من الضلال ، وجمعنا من الشتات ، بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين .

أما بعد ، فثمة ظروف ، وأحوال ، نحن مقبلون عليها ، لا نعلم عنها إلا ما أخبرنا به الله سبحانه في كتبه عن طريق أنبيائه - عليهم السلام - ومن ذلك اليوم الآخر وما فيه من أهوال ، وغيره من المغيبات التي مدارها على التسليم لنصوص الوحي ، إذا وصلت إلينا بطريق صحيح سليم ثابت ، ولا سيما إذا كان النص قطعي الثبوت كالقرآن الكريم وما تواتر من الأحاديث .

علمًا بأن الشرائع السماوية ، قد تأتي بما تحار فيه العقول ، لكنها لا تأتي بما تُحيله العقول . والعقل السليم المؤمن بالوجود الحق ، وجود خالق الأكوان والعوالم ، يؤيد الإيمان باليوم الآخر ، بل يرى ذلك ضرورة لا مندوحة عنها ؛ لأنه يرى أن العدل لا يأخذ مجراه في الدنيا ، بل كثيرًا ما يسود الظلم والبغي ، وهو يعتقد أن الله سبحانه متصف بكل كمال ، منزه عن كل نقصان ، متصف بالعدل والرحمة ، لا يرضى لعباده الظلم ، ولا يقره فيهم ، فلابد من يوم آخر ، يحقق الله فيه عدله ، فيقتص للمظلوم من الظالم ، ويأخذ لكل ذي حق حقه ، قال تعالى : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ [المؤمنون / 115] فالإنسان لا ينتهي بالموت ، بل ثمة يوم آخر للحساب والجزاء نحن مقبلون عليه ، ألا وهو يوم الدين ، وقد أخبرت الأنبياء جميعًا أممها بذلك اليوم ، وحذرتهم منه ، وبينت لهم أن حياة الخلائق الحالية في الدنيا سوف تنتهي بالموت وتنقطع ، فلا يبقى إلا الواحد القهار ، وأن الأكوان سوف يضطرب نظامها ويتبدل تركيبها ، غير أن ذلك الوقت ، أو تلك الساعة ، غَيْب استأثر الله بعلمه ، فلم يطلع عليه ملكًا مقربًا ، ولا نبيًّا مرسلًا . قال سبحانه : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف / 187] .

وقال تعالى : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۝٤٢ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ۝٤٣ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ۝٤٤ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ۝٤٥ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴾ [النازعات / 42 - 46] .

- وعن ابن مسعود - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال : لقيت ليلة أسري بي إبراهيم وموسى وعيسى ، قال : فتذاكروا في أمر الساعة ، فردوا أمرهم إلى إبراهيم ، فقال : لا علم لي بها ، فردوا الأمر إلى موسى ، فقال : لا علم لي بها ، فردوا الأمر إلى عيسى فقال : أمّا وَجْبتُها فلا يعلمها أحد إلا الله ، ذلك ، وفيما عهد إلي ربي أن الدجال خارج ، قال : ومعي قضيبان ، فإذا رآني ذاب كما يذوب الرصاص ، قال : فيهلكه الله . [أخرجه أحمد وابن ماجه والحاكم وصححه ، ووافقه الذهبي] (1) .

- وعن عمر - رضي الله عنه - قال : بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر .. قال : فأَخْبِرني عن الساعة ؟ قال : ما المسؤول عنها بأعلم من السائل ، قال : فأخبرني عن أماراتها ؟ قال : أن تلد الأمة ربتها ، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان .. الحديث [أخرجه مسلم] .

وكان ﷺ ينهى أمته عن السؤال عن وقت الساعة ، ويطلب منهم الإعداد لها ، ومع ذلك فقد أخبر أمته بما كان وما سيكون إلى أن تقوم الساعة ، ونالت أشراط الساعة النصيب الأوفر من تلك الأخبار .

وللإخبار بالغيب صورة كثيرة ، بعضها صريح مباشر ، وبعضها رمزي إشاري ، وما يذكره أهل الكتاب في كتبهم المقدسة ، إنما هو رموز غامضة ؛ ولذلك اختلفوا في تفسيرها اختلافًا كبيرًا ، أما نحن المسلمين ، فقد بين لنا النبي ﷺ بصراحة ووضوح ما سيكون بين يدي الساعة من أحداث ، صغرى وكبرى ، بعيدة عنها وقريبة منها ، بعضها مضى وانقضى ولم يبق منه إلا الخبر ، وبعضها ظهر ولا يزال يتتابع ، وبعضها لما يظهر ، وهذا من معجزاته المتجددة على مَرّ القرون ، فما من عصر إلا ولرسول الله ﷺ فيه إخبار عن غيب تراه الأمة ، فيكون معجزة له ، وعاملًا لها من عوامل زيادة الإيمان والتمسك بالإسلام .

- عن حذيفة بن اليمان - رضي اللّه عنه - قال : لقد خطبنا النبي ﷺ خُطبة ما

(1) وقال البوصيري في الزوائد : هذا إسناد صحيح رجاله ثقات . وقال أحمد شاكر : إسناده صحيح .

ترك فيها شيئًا إلى قيام الساعة إلا ذكره ، عَلِمَه من علمه ، وجَهِلَه من جهله ، إن كنت لأرى الشيء قد نسيت ، فأعرفه كما يعرف الرجل الرجل إذا غاب عنه ، فرآه فعرفه . [أخرجه الشيخان وأبو داود ، واللفظ للبخاري] .

وعند مسلم : والله إني لأعلم الناس بكل فتنة فيما بيني وبين الساعة ، وما بي أن يكون رسول الله ﷺ أسر إلي في ذلك شيئًا لم يحدثه غيري ، ولكن رسول الله ﷺ قال يومًا وهو يتحدث عن الفتن ويعدهن : منها ثلاث لا يكدن يذرن شيئًا ، ومنها فتن كرياح الصيف ، منها صغار ، ومنها كبار ، فذهب أؤلئك الرهط الذين سمعوه معي كلهم غيري .

وعند أحمد قال : أخبرني رسول الله ﷺ بما هو كائن إلى أن تقوم الساعة ، فما من شيء إلا قد سألته ، إلا أني لم أسأله ما يخرج أهل المدينة من المدينة .

وعند أبي داود (1) : قال : والله ، ما أدري أنسي أصحابي أم تناسوا ، والله ما ترك رسول الله ﷺ من قائد فتنة إلى انقضاء الدنيا يبلغ معه ثلاثمائة فصاعدًا ، إلا قد سماه لنا باسمه واسم أبيه واسم قبيلته .

- وعن عمرو بن أخطب الأنصاري - رضي اللّه عنه - قال : صلى بنا رسول الله ﷺ الفجر ، ثم صعد المنبر ، فخطبنا حتى حضرت الظهر ، فنزل ثم صلى ، ثم صعد المنبر ، فخطبنا حتى حضر العصر ، ثم نزل فصلى ، ثم صعد المنبر ، فخطبنا حتى غربت الشمس ، فأخبرنا بما كان ، وبما هو كائن ، فأعلمنا أحفظنا . [أخرجه مسلم وأحمد] .

- وعن عمر - رضي الله عنه - قال : قام فينا رسول الله ﷺ مقامًا ، فأخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم ، وأهل النار منازلهم ، حفظ ذلك من حفظه ، ونسيه من نسيه . [أخرجه البخاري تعليقًا ، ووصله الطبراني وأبو نعيم] .

وعن الطبراني في الكبير : قال رسول الله ﷺ : إن الله عز وجل قد رفع لي الدنيا ، فأنا أنظر إليها وإلى ما هو كائن فيها إلى يوم القيامة ، كأنما أنظر إلى كفي (2) .

- وعن أسامة بن زيد - رضي الله عنه - قال : أشرف النبي ﷺ على أُطُم من

(1) قال المعلق على جامع الأصول 29/10 : وإسناده حسن .

(2) وأخرجه نعيم بن حماد في الفتن برقم 2 عن ابن عمر - رضي الله عنهما - وزاد فيه : إلى كفي هذه ، جَلْيان من الله ، جلاه لنبيه ، كما جلا للنبيين قبله .

آطام[1] المدينة فقال : هل ترون ما أرى ؟ قالوا : لا ، قال : فإني لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر . [أخرجه الشيخان ونعيم بن حماد في الفتن] .

إن قيام الساعة الذي يعني نهاية نظام هذا العالم هو من أعظم الأحداث بعد خلق العالم ، بل إن تغيير النظام الكوني وإيجاد نظام آخر ، حدث يعدل خلق العالم أول مرة ؛ ولذلك تسبقه أحداث كبرى خارقة للعادة ، تكون كالمقدمة له . والإيمان بأشراط الساعة داخل ضمن الإيمان باليوم الآخر ، فهي من الإيمان بالغيب ، وهي قسمان : صغرى تؤذن بقرب الساعة ، وكبرى تؤذن بوقوع الساعة ، وقد اختلف العلماء في عددها وترتيبها ، واختلافهم في العدد يعود إلى سببين :

الأول : اختلافهم في صحة سند الحديث ، فمن تساهل زاد في عددها ، ومن تشدد ودقق وجدها أقل .

الثاني : اختلافهم في تصنيف بعض الأشراط بين الصغرى والكبرى ؛ فظهور المهدي مثلًا ، عده بعضهم من الصغرى ، ورآه آخرون من الكبرى ، كما ذهب قوم إلى أن طلوع الشمس من مغربها أول الأمارات الكبرى ، ورأى آخرون أن أولها الدجال .

وكثيرًا ما يحدث لدى الكلام عن الساعة وأشراطها ، وعما يكون بعدها أن يطوي بعض الرواة بعض المشاهد ، أو يفهم بعضهم عمن حدثه فهمًا خاصًا ، فيصوغه بعبارته ، فيحدث لبس أو وهم .

أما اختلافهم في تسلسل وقوع بعضها ، فسببه أنه ليس ثمة نص صريح يبين ترتيبها حسب وقوعها ، ولا سيما الكبرى ، وقد جاء ذكرها في الأحاديث مجتمعة بدون ترتيب غالبًا ، فقد عطفت بالواو أو بأو ، وكلاهما لا يفيد الترتيب ، بل إن الحديث الواحد ليختلف ترتيبه بين رواية ورواية ، فحديث حذيفة بن أَسِيد الغفاري – رضي الله عنه – رواه مسلم عنه بلفظين مختلفين في الترتيب ، وكذلك حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – ، وإحدى الروايتين بالواو ، والأخرى بأو ، وهما لا يدلان على الترتيب . إلا أن تسلسل بعضها يقيني ، فقد ذكرت بعض الروايات الأشراط مرتبة حسب وقوعها ، كما في حديث النواس بن سمعان – رضي الله عنه – ومن ناحية أخرى ، فإن بعض الروايات ذكرت أن أول الآيات كذا ، وبعضها ذكر أن أول الآيات غير ذلك ، وقد

---

(1) الأُطُم : بناء مرتفع .

حاول العلماء الجمع والتوفيق بين الروايات ، فأجادوا وأصابوا في كثير منها ؛ لأن الأولية بينها نسبية ، أو من ناحية مخصوصة ؛ ففي حديث عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - « إن أول الآيات خروجًا طلوع الشمس من مغربها ، وخروج الدابة على الناس ضحى .. الحديث » أي أول الآيات التي ليست مألوفة ، وهي مخالفة للعادات المستقرة، فطلوع الشمس من مغربها أول الآيات السماوية ، وخروج الدابة أول الآيات الأرضية ، وهما العلامة الأولى لتغيير أحوال الكون ، وقرب قيام الساعة . وأكثر الخلاف إنما هو في الأشراط الكبرى ، أما الصغرى ، فأكثرها يُعرف ترتيبه من خلال حدوث بعضها إثر بعض .

ومن الجدير بالذكر أن كون الشيء من أشراط الساعة ، لا يعني أنه حرام أو ممنوع ، فإن أشراط الساعة تشتمل على المحرم والواجب والمباح والخير والشر ، فالحكم يؤخذ من دليل آخر .

وفي عصرنا الحاضر استولى اليأس على بعض المسلمين ، نتيجةً لما يشعرون به من الظلم والمضايقات وعدم الإنصاف عمومًا وخصوصًا ، فجعلوا قضية المهدي المنتظر أملهم الوحيد ، وقد استأنس بعض المعاصرين بمفهوم بعض الروايات ، فرأى أن أيامه قريبة ، بل رأى بعضهم أن النصوص تؤكد أننا أصبحنا على مقربة من ظهور الدجال ونزول عيسى ابن مريم - عليه السلام - فسيطرة اليهود على أكثر حكام الأرض ، وتمكنهم من رقاب النصارى والمجوس ، وتسخيرهم لمصلحتهم في تسلطهم على المسلمين ، أكدت عندهم ذلك ، بل إن بعضهم حدد أسماء بعض الزعماء المعاصرين ، وفسر النصوص بها معتمدًا على أحاديث ضعيفة ، أو على روايات أهل الكتاب المفتقرة إلى التوثيق والأسانيد .

هذا ولم يثبت في تحديد عمر الدنيا أو عمر أمة من الأمم حديث صريح صحيح ، فالصحيح غير صريح ، والصريح غير صحيح ، ولعل كتاب الفتن للحافظ نعيم بن حماد المروزي خير شاهد على ذلك . فمؤلف الكتاب مختلَف فيه بين أهل العلم ، والذي يترجح لدى أكثرهم أنه ضعيف لا تقوم به حجة وحده ، وقد روى البخاري عنه مقرونًا ، وعَلّق له ، وقال عنه النسائي : قد كثر تفرده عن الأئمة المعروفين بأحاديث كثيرة ، فصار في حد من لا يحتج به . وقال عنه مسلمة بن القاسم : له أحاديث منكرة في الملاحم ، انفرد بها . وقال الذهبي : « نعيم من كبار أوعية العلم ، لكن لا تركن

النفس إلى رواياته ، لا يجوز لأحد أن يحتج به ، وقد صنف كتاب الفتن ، فأتى به بعجائب ومناكير » . ولذلك لم آخذ برواياته مالم يكن لها شواهد من الأحاديث الصحيحة ، أما إذا انفرد بإيضاح ، ولم يخالف الأحاديث الصحيحة ، كترتيب لبعض الأحداث ، أو تفصيل لبعض المعارك ، فكنت أستأنس برواياته التي لم يصل سندها إلى الضعف الفاحش استئناسًا ، وأذكر سندها في الحاشية إبراء للذمة . وأكثر ما نهلت منه من دواوين السنة كتاب جامع الأصول لابن الأثير والجامع الصغير للسيوطي ، كنت آخذ لفظ الحديث في الغالب من جامع الأصول ، وأكتفي بعزو الحديث إلى من أخرجه ، مع ذكر من صححه إن لم يكن في أحد الصحيحين ؛ اختصارًا للوقت ، فإن الأستاذ عبد القادر الأرناؤوط قد خرج أحاديثه وذكر مكانها بالجزء والصفحة في الكتب التي أخرجتها ، وذكر درجة كل حديث ، وكذلك فعل المناوي في الفيض وغيره ممن جمع أحاديث المهدي والمسيح وأشراط الساعة ، فقد كفونا مؤونة ذلك .

وإذا كان كان بعض المسلمين وقع في متاهات تحديد عمر الدنيا أو عمر الأمة ، فحدث ولا حرج عن أهل الكتاب ، فإن كلًّا من اليهود والنصارى والمسلمين ، ينتظر المسيح الذي يأتي في آخر الزمان ليدمر أعداء الله ، ويُعلي كلمته ، ويتفق المسلمون والنصارى على أنه هو المسيح عيسى ابن مريم – عليه السلام – وسوف ينزل من السماء ، غير أن للنصارى نظرياتٍ كثيرةً مختلفةً في نزوله ، وهو ما يسمونه الرجاء المبارك ، وقد قام كثير من البلبلة والاضطرابات حول عودته ، فمنذ أن رفع إلىالسماء وهم يحددون عودته بنهاية القرن الأول تارة ، وبالعصر الألفي أخرى ، مع أن ذلك اليوم قد اختص الله بعلمه ، فلم يُطلع عليه أحدًا من خلقه كما تذكر نصوص إنجيلي متى ومرقس .

ولما شارف هذا القرن على الانتهاء بدأت الدعوات إلى التحديد تظهر من جديد ، فقد ذكر كثير منهم أنه سينزل في آخر القرن العشرين أو في مطلع القرن الحادي والعشرين ، ويرى أهل الكتاب أن معركة عالمية عنيفة كبرى ستقع على أرض فلسطين في الأيام الأخيرة التي تسبق عودة المسيح ، سماها العهد الجديد (معركة اليوم العظيم يوم الله القدير) ، ويروق للكثيرين منهم أن يسموها (معركة هرمجدّون) ، وقد ربطوا عودته بتلك المعركة ، وعلقوا آمالهم عليها من جديد ، فحددوا وقت تلك المعركة وظهور الدجال ونزول المسيح ، وألفوا في ذلك الكتب وأقاموا الندوات والمحاضرات ، ومن الطريف أن بعضهم حدد بدء المعركة وظهور الدجال والرجاء المبارك ونزول المسيح

واختطاف قديسيه إلى السماء بشهر نيسان عام 1998 م ، وها نحن الآن في نهاية هذا العام وبَداءة عام 1999 م ولم يحدث شيء مما ذكروه . ولذلك التمست شبكة المعلومات العالمية (الإنترنت INTERNET)http://www.cgi.org/ فأجابتني بمقالة عنوانها « هل أرماجدّون على وشك الوقوع ؟ » مكونة من ثلاثَ عشرةَ صفحة ، بقلم كاهن كنيسة الإله العالمية بولاية تكساس الأمريكية ، وهو مبشر كهنوتي إعلامي ، ينشر مواعظه وأفكاره عن طريق الإذاعة والتلفاز ، خريج كلية إمبسادور ، يُدعى أرمسترونج ، وكان والده كاهنًا أيضًا . فكانت لي بمثابة أحد المراجع .

والكلام عن معركة هرمجدون وعودة المسيح الذي تنتظره ثلاث الملل ، يؤدي إلى البحث عن حقيقة المسيح ومهامه ، قبل رفعه إلى السماء وبعد عودته إلى الأرض ، فإن في ذلك تباينًا كبيرًا بين ثلاثة الأديان التي تنتظره . وقد حاولتُ أن أعرض وجهة نظر كل ملة من المصادر والمراجع المعتمدة ، وربما أغراني البحث بعد عرض الأفكار بإجراء موازنة بينها ؛ تتميمًا للفائدة .

عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام ، فقال رسول الله ﷺ : لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ، وقولوا : آمنا بالله وما أنزل إلينا . [أخرجه البخاري] .

أي لا تصدقوهم ولا تكذبوهم فيما لا يخالف ما عندكم من النصوص ، ولا يخالف العقل ولا الفطرة ، فربما كان من بقايا الوحي التي سلمت من التحريف .

أسأل الله العظيم أن يتقبل مني هذا الجهد ، وأن ينفع به ، إنه سميع مجيب ، وصلى الله على خاتم النبيين ، وعلى آله وأصحابه أجمعين ، والحمد لله رب العالمين .

توطئة في معنى الساعة وأشراطها

إن الساعة التي تنتهي فيها حياة المخلوقات ، ويتغير فيها نظام الكون فيضطرب كله ، غيب من جملة الغيوب التي استأثر الله بعلمها . قال سبحانه : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴾ [النازعات / 42 – 46] غير أن الله سبحانه وضع لنا أمارات تدل على اقترابها أو قرب وقوعها ، والحكمة في تقدم الأشراط إيقاظ الغافلين ، وحثهم على التوبة والاستعداد .

معنى الساعة :

الساعة لغة : جزء من أجزاء الليل أو النهار ، وتجمع على ساعٍ وساعات .

واصطلاحًا : الوقت الذي تنتهى فيه حياة المخلوقات ، ويضطرب الكون .

وقد أصبح هذا اللفظ علمًا لقيامها ، فإنها تقع بغتة ، ويموت الناس جميعًا في لحظة واحدة ، حتى إن من تناول لقمة لا يمهل حتى يبتلعها ، والرَّجلين يكون بينهما الثوب ، فلا يتبايعانه ولا يطويانه ؛ لأنها تفجؤهم ، فيموتون كلهم بصيحة واحدة ، ووصفها بالقيام ؛ لأنها اليوم ساكنة .

وما بقي من الدنيا بالنسبة إلى ما مضى يسير جدًّا ، لكن لا يعلم مقداره إلا الله ، والبشرية الآن تقضي فترة العد التنازلي ، غير أن الساعة لا تأتي إلا بغتة [1] .

معنى الأمارات :

الأمارات لغة : العلامات الدالة على الشيء ، مفردها أمارة .

---

(1) ساعة الصفر في اصطلاح العسكريين ونحوهم ؛ الوقت السري المحدد لبدء عمل ما ،والساعة في الكتاب والسنة هي نقطة الصفر بالنسبة لليوم الآخر ؛ إذ فيها تنتهي الحياة بجميع أشكالها ، وتبدأ القيامة بكل أهوالها . سميت بذلك ؛ لوقوعها بغتة ، أو لقربها ، أو لسرعة الحساب فيها ، أو لأنها تمر على المؤمنين كساعة ،وإن كانت طويلة على الكفار . وتطلق أيضًا على اليوم الآخر ، كما تطلق في الاصطلاح على ما دون ذلك ، فالساعة الصغرى موت الإنسان ، فمن مات فقد قامت قيامته ؛ لدخوله في عالم البرزخ ، والساعة الوسطى موت أهل القرن أهل القرن الواحد ، لكن إذا أطلق لفظ الساعة ، فالمراد الساعة الكبرى ، وهي موت الناس أجمعين بالنفخة ، ثم قيامهم من قبورهم للحساب .

واصطلاحًا : الأحداث التي أخبر الله ورسوله ﷺ بوقوعها في آخر الزمان ، تسبق الساعة ، وتدل على قدومها .

ويطلق عليها أيضًا الأشراط ، جمع شرط ، وهو العلامة أيضًا ، وأشراط الشيء أوائله التي تدل عليه .

فالأمارات والأشراط هي الأمور التي تسبق الساعة ، وتكون علامات دالة على قرب وقوعها ، وإنما يقصد بها أن تكون بمثابة إنذار أخير .

أقسامها :

تقسم الأمارات التي تسبق الساعة إلى قسمين رئيسين :

أ – **الأمارات الصغرى** ؛ وهي التي تتقدم الساعة بأزمان بعيدة نسبيًا ، وتكون في أصلها معتادة الوقوع ، مثل : قبض العلم ، وإضاعة الأمانة ، وانتشار الخمر ، ونحو ذلك .

ب – **الأمارات الكبرى** ؛ وهي التي تقارب قيام الساعة ، وتكون في ذاتها غير معتادة الوقوع ، مثل : خروج الدجال ، ونزول عيسى – عليه السلام – وظهور يأجوج ومأجوج ، وغير ذلك .

القسم الأول

الأمارات الصغرى

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : الأمارات الصغرى التي ظهرت وانقضت .

الفصل الثاني : الأمارات الصغرى التي ظهرت ولا زالت تتابع .

الفصل الثالث : الأمارات الصغرى التي لما تظهر .

الفصل الأول

الأمارات الصغرى التي مضت وانقضت

1 - بعثة محمد ﷺ ووفاته

لا ريب أن بعثة النبي محمد ﷺ من علامات الساعة ؛ لأنه خاتم النبيين ، وشريعته خاتمة الشرائع ، فلا نبي بعده ، ولا ناسخ لشريعته ، كما أن رسالته عالمية ؛ فقد بعث إلى الناس كافة .

عن سهل بن سعد - رضي الله عنه - قال : رأيت رسول الله ﷺ قال بأصبعيه هكذا ، الوسطى والتي تلي الإبهام ، وقال : بعثت أنا والساعة كهاتين . [أخرجه الشيخان] [1] وفي رواية أخرى لهما بزيادة : ويشير بأصبعيه يمدها .

وذلك لأنه نبي آخر الزمان ، ليس بينه وبين الساعة نبي ، فهي تليه كما تلي السبابة الوسطى ، وليس بينهما أصبع أخرى .

وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : بعثت أنا والساعة كهاتين كفضل إحداهما على الأخرى ، وضم السبابة والوسطى . [أخرجه الشيخان والترمذي] .

أي كما تفضل إحداهما الأخرى . ويدل على ذلك رواية الترمذي قال : بعثت أنا والساعة كهاتين - وأشار أبو داود ، بالسبابة والوسطى - فما فضل إحداهما على الأخرى ؟ .

وعن أبي جبيرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : بعثت في نَسَم الساعة . [أخرجه الحاكم والدولابي في الكنى وابن منده في المعرفة] .

ونسم الساعة من النسيم ، وهو أول هبوب الريح الضعيفة ، أي بعثت في أول أشراط الساعة . وفي رواية الترمذي لحديث أنس - رضي الله عنه - قال : بعثت في نَفَس الساعة ، فسَبقتُها كفضل هذه على الأخرى [2] .

وأما موته ﷺ فهو أيضًا من أمارات الساعة .

عن عوف بن مالك - رضي الله عنه - قال : أتيت النبي ﷺ في غزوة تبوك ، وهو في قبة أدم ، فقال : اعدد ستًا بين يدي الساعة : موتي ، ثم فتح بيت المقدس ، ثم مُوتان

---

(1) وروى البخاري نحوه عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(2) وروى الترمذي نحوه عن المستورد بن شداد - رضي الله عنه - وقال : « حديث غريب ؛ لا نعرفه إلا من هذا الوجه » . فهو ضعيف ، لكن له شواهد بمعناه يقوى بها - جامع الأصول 385/10 .

يأخذ فيكم كقعاص الغنم ، ثم استفاضة المال ، حتى يُعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطًا ، ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته ، ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر ، فيغدرون ، فيأتونكم تحت ثمانين غاية ، تحت كل غاية اثنا عشر ألفًا . [أخرجه البخاري وأحمد في المسند والبغوي في شرح السنة والطبراني] .

وكان موته - رضي الله عنه - من أعظم المصائب التي حلت بالمسلمين ؛ حيث انقطع الوحي ، وارتد كثير من العرب .

- وعن معاذ بن جبل - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : ست من أشراط الساعة : موتي ، وفتح بيت المقدس ، وأن يعطى الرجل ألف دينار فيتسخطها ، وفتنة يدخل حرها بيت كل مسلم ، وموت يأخذ في الناس كقعاص الغنم ، وأن يغدر الروم ، فيسيرون بثمانين بندًا ، تحت كل بند اثنا عشر ألفًا . [أخرجه أحمد والطبراني] (1) .

2 - فتح بيت المقدس

بشر الصادق المصدوق ﷺ أمته بفتح بيت المقدس ، وجعل ذلك أمارة من أمارات الساعة .

ففي حديث عوف بن مالك - رضي الله عنه - السابق : اعدد ستًّا بين يدي الساعة : موتي ، ثم فتح بيت القدس .. الحديث .

وقد تم ذلك للمرة الأولى سنة 16 هـ - 636 م في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فبعد أن حاصر المسلمون المدينة طلب أهلها الصلح ، واشترطوا أن يقدم عليهم عمر بن الخطاب بنفسه ليُبرموا معه الاتفاق ، فاستجاب لهم وسار إليهم ، وصالحهم ، وكان على رأسهم البطريرك صفر نيوس ، فأمَّنهم على كنائسهم وصلبانهم وأموالهم ، واشترطوا عليه ألا يدخلها أحد من اليهود ، فوافق وكتب لهم كتابًا بذلك ، وأشهد على ذلك قادة جيشه . وكان النصارى يلقون القمامات قرب الصخرة نكاية باليهود الذين اشتدت الوطأة عليهم ، ولما دخل عمر - رضي الله عنه - المدينة جاء إلى الصخرة ، فأزال عنها الأوساخ والأتربة ، ثم أقام المسجد في قبلي بيت المقدس ، وهو العمري اليوم . وفي عهد الخليفة الأموي عبد الملك ابن مروان بُني المسجد الأقصى من جديد ، وبُني مسجد الصخرة (2) .

(1) قال الهيثمي : في سنده النهاش بن فهم ، وهو ضعيف . انظر فيض القدير 95/5 لكن يشهد له ما قبله .
(2) البداية والنهاية في التاريخ لابن كثير 55/7 .

عن طارق بن شهاب قال : لما قدم عمر – رضي الله عنه – الشام ، لقيه الجنود وعليه عمامة ، وقد خلع خفيه ، وهو يخوض الماء آخذًا بزمام راحلته ، وخفاه تحت إبطه ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ، الآن تلقاك الأمراء وبطارقة الشام ، وأنت هكذا ؟! فقال : إنا قوم أعزنا الله بالإسلام ، فمهما طلبنا العز بغيره ، أذلنا الله [1] .

3 - موت الكثير من المسلمين

أخبر النبي ﷺ أصحابه – رضي الله عنهم – بموت الكثيرين منهم ومن غيرهم من المسلمين بداء يصيبهم بعد موته .

ففي حديث عوف بن مالك – رضي الله عنه – السابق : « اعدد ستًّا بين يدي الساعة : موتي ، ثم فتح بيت المقدس ، ثم مُوتان يأخذ فيكم ، كقعاص الغنم .. الحديث . والموتان – بضم الميم – موت يقع في الماشية فيهلكها . والقعاص – بضم القاف وتخفيف العين ، وبعضهم يقدم العين على القاف – داء يأخذ الغنم ، لا يُلبثها أن تموت فجأة [2] .

وقد وقع ذلك في بلاد الشام بعد فتح بيت المقدس ؛ حيث انتشر مرض الطاعون سنة 18 هـ على المشهور في خلافة عمر – رضي الله عنه – وهو المعروف بطاعون عَمَواس . ومات فيه من الصحابة وغيرهم خلق كثير ، بلغ عددهم قرابة خمسةٍ وعشرين ألفًا ، وكان ذلك أول طاعون في الإسلام ، فأخذهم كقعاص الغنم ، وممن مات فيه من الصحابة معاذ بن جبل وأبو عبيدة بن الجراح . رضي الله عنهم أجمعين [3] .

4 - استفاضة المال والاستغناء عن الصدقة

أخبر النبي ﷺ أمته بأن المال سيكثر بين أيديهم بحيث لا يبقى في ذلك الوقت أحد من المسلمين بحاجة إلى الصدقة .

– حديث عوف بن مالك – رضي الله عنه – السابق : اعدد ستًّا بين يدي الساعة .. ثم استفاضة المال ، حتى يعطى الرجل مائة دينار ، فيظل ساخطًا .. الحديث .

– وعن عدي بن حاتم – رضي الله عنه – أن النبي ﷺ قال له : .. ولئن طالت بك

(1) مختصر السيرة لعبد الله بن عبد الوهاب ص 483 .

(2) وقيل : هو داء يأخذ في الصدر ، كأنه يكسر العنق .

(3) التذكرة ص 667 – 668 ، وعَمَواس – بفتح العين والميم – قرية بين الرملة وبيت المقدس .

حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة ، يطلب من يقبله منه ، فلا يجد أحدًا يقبله منه ... [أخرجه البخاري] .

- وعن أبي موسى - رضي اللّه عنه - قال : رسول الله ﷺ : ليأتين على الناس زمان ، يطوف الرجل بالصدقة من الذهب ، ثم لا يجد أحدًا يأخذها منه . [أخرجه مسلم] .

- وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : لا تقوم الساعة حتى يكثر فيكم المال ويفيض ، وحتى يَخْرجَ الرجل بزكاة ماله ، فلا يجدُ أحدًا يقبلها منه . [رواه الشيخان ، واللفظ لمسلم] .

وفي رواية أخرى لهما : ويفيض ، حتى يُهِمَّ ربَّ المال ، من يقبل منه صدقةً ، ويدعو إليه الرجل ، فيقول : لا أَرَبَ لي فيه .

وقد تحققت هذه العلامات في خلافة عثمان - رضي الله عنه - ثم في خلافة عمر ابن عبد العزيز ، حيث استفاض المال ، حتى إن الرجل ليُعطى الدنانير الكثيرة من الذهب فيسخطها ويعرض عنها ، وإن صاحب المال يعرض صدقته على الناس ، فيقول الذي عرض عليه : لا أرب لي فيه ، فيصاب صاحب المال بالهم . وهذا يدل أيضًا على عفة الناس وبعدهم عن الجشع ؛ لما في صدورهم من إيمان .

5 - ظهور الفتن واقتتال المسلمين

أخبر النبي ﷺ عن فتن (1) وحروب تقع بين المسلمين .

- حديث عوف بن مالك - رضي الله عنه - السابق : ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته .

وكان أول فتنة ظهرت قتل الخليفة الراشد عثمان بن عفان - رضي الله عنه - فقد ابتلي قبل أن يقتل بما لم يُبتل به من كان قبله ؛ من تسلط الغوغاء عليه ، ومانسبوه إليه من الجور والظلم ، ثم حاصروه في داره ومنعوه الصلاة في المسجد . وكان في الدار جماعة يريدون الدفع عنه .

---

(1) الفتنة هي الابتلاء والامتحان ، ثم كثر استعمالها فيما أخرجه الامتحان من مكروه ، ثم أطلقت على كل مكروه أو آيل إليه .

وفي الاستيعاب : روى سعيد المقبري عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أنه قال : إني لمحصور مع عثمان – رضي الله عنه – في الدار ، قال : فَرُمي رجلٌ منا ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، الآن طاب الضرب ، قتلوا منا رجلًا ، فقال عثمان – رضي الله عنه – عزمت عليك يا أبا هريرة لما رميت نفسك ، فإنما يراد نفسي ، وسأقي المسلمين بنفسي . قال أبو هريرة – رضي الله عنه – فرميت بسيفي ، فلا أدري أين هو الساعة .

ثم تسوروا من دار رجل من الأنصار حتى دخلوا على عثمان – رضي الله عنه – وما يعلم أحد ممن كان معه ، فقتلوه وخرجوا هاربين من حيث دخلوا . وكان ذلك في ذي الحجة سنة 35 هـ ..

– عن عبد الله بن حِوالة – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال : من نجا من ثلاث فقد نجا – ثلاث مرات – : موتي ، والدجال ، وقتل خليفة مصطَبِر بالحق يعطيه . [أخرجه أحمد في المسند ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه أحمد والطبراني ، ورجال أحمد رجال الصحيح ، غير ربيعة بن لقيط وهو ثقة] .

وفي مسند أحمد أن عثمان – رضي الله عنه – قال يوم الدار حين حصر : إن النبي ﷺ عهد إلي عهدًا ، فأنا صابر عليه .

وبقتله – رضي الله عنه – فتح باب الفتنة ، فانتشرت الأهواء ، وكثر الاختلاف ، وتشعبت الآراء ، وماج الناس واقتتلوا .

– عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال : لا تقوم الساعة حتى يقتتل فئتان عظيمتان ، يكون بينهما مقتلة عظيمة ، دعواهما واحدة . [أخرجه البخاري ومسلم والترمذي] وقد حدث ذلك ، فلما علم الناس بذلك استرجعوا ، وقال علي – رضي الله عنه – لأولاده : كيف قتل أمير المؤمنين وأنتم على الباب ؟ ورفع يده فلطم الحسن ، وضرب صدر الحسين ، وشتم محمد بن طلحة ، وشتم عبد الله بن الزبير – رضي الله عنهم – ثم أتى منزله ، وجاء الناس إليه ليبايعوه ، فقال : ليس هذا إليكم ، إنما هو إلى أهل بدر ، فمن رضي به أهل بدر فهو الخليفة ، فلم يبق أحد من أهل بدر إلا قال : ما نرى أحق بها منك .

وروى أحمد في المناقب عن محمد ابن الحنفية أن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا له : إن هذا الرجل قد قتل ، ولابد للناس من إمام ، ولا نجد اليوم أحدًا أحق بهذا الأمر ، ولا

أقدم سابقة ، ولا أقرب من رسول الله ﷺ منك . قال : لا تفعلوا ، فإني وزيرًا خير من أن أكون أميرًا . قالوا : لا والله ما نحن بفاعلين حتى نبايعك . قال : ففي المسجد ، فإن بيعتي لا تكون خفية ، ولا تكون إلا عن رضى المسلمين . فدخل المهاجرون والأنصار فبايعوه ، ثم بايع الناس وذهب قوم إلى الشام فلم يبايعوه .

وطارت الأخبار بقتل الشهيد عثمان - رضي الله عنه - فحزن عليه المسلمون ،ولا سيما أهل دمشق ، وأتي البريد بثوبه بالدم ، فنصب على منبر دمشق ، ونعاه معاوية - رضي الله عنه - إلى أهلها فبكوا ،وتعاقدوا على الطلب بدمه ، وكانوا ستين ألفًا .

وخرجت عائشة - رضي الله عنها - تركب الجمل ، وتنادي بالثأر لعثمان - رضي الله عنه - وكان معها طلحة والزبير - رضي الله عنهما - واجتمع حولها الناس .

ووقع القتال أول الأمر بين علي - رضي الله عنه -من جهة ، وبين عائشة - رضي الله عنها - من جهة ثانية ، في موقعة الجمل ، وانتصر علي - رضي الله عنه - وصلى وبكى على القتلى من الطرفين . ثم وقع القتال أيضًا بين علي - رضي الله عنه - من جهة ، وبين معاوية وعمرو بن العاص - رضي الله عنهما - من جهة ثانية ، في معركة صفين التي انتهت بالتحكيم ، واتفق الحكمان على ترك أمر الإمامة لكبار الصحابة .

ولم يكن القتال أول الأمر في حسبانهم ، ولم تكن تريده أية جهة منهم ، بل كان كل منهم حريص على نُصْرة الحق والاقتصاص ممن قتل عثمان . وإنما حدث ذلك بسبب فتنة خفية دبرها المرجفون ، ذهب ضحيتها قرابة تسعين ألفًا .

وتخلف جماعة من سادات الصحابة عن القتال في الفتنة ، منهم : سعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد ، وزيد بن ثابت ، ومحمد بن مسلمة ، وعبد الله بن عمر ، وأسامة بن زيد ، وصهيب الرومي ، وأبو موسى الأشعري - رضي الله عنهم - ورأوا السلامة في العزلة وقالوا : إذا كان غزو الكفار قاتلنا .

فكل منهم مجتهد دعواه نصرة الحق ، ولو علم أنه مخطئ لما تلكأ في الرجوع عن موقفه ، غير أن الصواب كان مع أمير المؤمنين علي ، رضي الله عنه [1] .

(1) روى نعيم بن حماد في الفتن رقم 173 ، ثنا ابن المبارك عن معمر عن علي بن زيد بن جُدعان عن الحسن عن قيس بن عُباد قال : قلت لعلي - رضي الله عنه - : أعهد إليك رسول الله ﷺ في هذا الأمر شيئًا ؟ فقال : ما عهد إلي في ذلك عهدًا لم يعهده إلى الناس ، ولكن الناس وثبوا على عثمان - رضي الله عنه - فقتلوه ، فكانوا فيه أسوأ صنيعًا ، وأسوأ فعلًا مني ، فرأيت أني أحق بها ، فوثبت عليها ، فالله أعلم أخطأنا أو أصبنا .

ثم ظهر أمر الخوارج الذين فتنوا أنفسهم ، وفتنوا المؤمنين ، ثم حدثت موقعة الحرة في عهد يزيد بن معاوية ، فاستُبيحت المدينة ، وقُتل فيها كثير من الصحابة ، رضي الله عنهم .

روى البخاري عن سعيد بن المسيب أنه قال : وقعت الفتنة الأولى - يعني بعد مقتل عثمان - فلم يبق من أصحاب بدر أحد ، ثم وقعت الفتنة الثانية - يعني الحرة - فلم يبق من أصحاب الحديبية أحد ، ثم وقعت الفتنة الثالثة ، فلم ترتفع وبالناس طباخ .

وهكذا وقع كما أخبر النبي ﷺ : لم يبق بيت من العرب إلا دخلته تلك الفتنة ، ولا سيما بعد اقتتال الفئتين العظيمتين من المسلمين بعد مقتل عثمان ، فإن دعواهما واحدة [1] .

6 - خروج نار من أرض الحجاز

أخبر النبي ﷺ عن حوادث طبيعية تكون من بعده ، فجاءت كما أخبر ، ومن ذلك البركان الشديد الذي وقع قرب المدينة المنورة .

- عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز ، تضيء لها أعناق الإبل ببُصرى . [أخرجه الشيخان] .

- وعن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : لا تقوم الساعة حتى يسيل وادٍ من أودية الحجاز بالنار ، تضيء له أعناق الإبل ببصرى . [أخرجه ابن عدي في الكامل] [2] .

وعن حذيفة بن أَسِيد - رضي الله عنه - أن رسول اللّه ﷺ قال : لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من رومان - أو ركوبة - تضيء منها أعناق الإبل ببصرى [3] [أخرجه الطبراني] .

وقد خرجت هذه النار سنة 654 هـ من جانب المدينة المنورة الشرقي على بعد مرحلة

---

(1) مختصر السيرة لعبد الله بن عبد الوهاب ص 489 - 498 .
وقد شهد عوف بن مالك - رضي الله عنه - راوي الحديث الأول موت النبي ﷺ وحضر فتح بيت المقدس مع أمير المؤمنين عمر - رضي الله عنه - وشاهد الموتان الذي كان بالشام ، وشاهد قتال الجمل وصفين، وعاش إلى زمن عبد الملك بن مروان سنة 73 هـ [التذكرة ص 667 - 668] .

(2) من طريق عمر بن سعيد التنوخي ، وعمر هذا ، ذكره ابن حبان في الثقات ، ولينه ابن عدي والدارقطني ، وأخرج الحديث أيضًا الديلمي في الفردوس .

(3) ركوبة : ثنية صعبة المرتقى في طريق المدينة إلى الشام . وبصرى : مدينة من أعمال حوران ، تبعد عن دمشق ثلاث مراحل . تضيء لها أعناق الإبل : أي يبلغ ضوءها إلى أعناق الإبل التي تكون ببصرى .

منها ، كما ذكر المؤرخون وأفاضوا في وصفها ، وقد تقدمها زلازل مهولة ، كان ابتداؤها يوم الأحد مستهل جُمادى الآخرة ، وكانت خفيفة إلى ليلة الثلاثاء ، وفي يوم الأربعاء ظهرت ظهورًا شديدًا ، فلما كان يوم الجمعة نصف النهار ، ثار في الجو دخان متراكم ، ثم شاعت النار ، وعلا ضوؤها حتى غشي الأبصار ، وكانت ترى في صورة سيل عظيم من النار إلى جهة الوادي ، له دوي كدوي الرعد ، وأهل المدينة يشاهدونها من دورهم .

قال ابن كثير : أخبرني القاضي صدر الدين الحنفي قال : أخبرني والدي صفي الدين مدرس مدرسة بصرى أنه أخبره غير واحد من الأعراب صبيحة الليلة التي ظهرت فيها النار ، أنهم رأوا صفحات أعناق إبلهم في ضوء تلك النار .

وقال القسطلاني : جاء من أخبر أنه أبصرها بتيماء وبصرى .

وذكر القرطبي أنه بلغه أنها رؤيت من جبال بصرى .

واستمرت هذه النار تسيل سيلًا ذريعًا في الوادي إلى أن انطفأت في السابع والعشرين من شهر رجب ،وقد تركت الأرض من الحجر الأسود قدر ارتفاع رمح [1] .

7 - قتال الترك (التتار والمغول)

أخبر النبي ﷺ بوقوع قتال كبير ومتعدد بين المسلمين وقبائل من الترك [2] ، ووصفهم لأمته بدقة ، ولو كلف من رآهم بعينه أن يصفهم لما أتى بأحسن من تلك الأوصاف . وقد وقعت هذه الحروب إبان هجوم المغول والتتار على البلاد الإسلامية

---

(1) وفاء الوفا للسمهودي 141/1 – 151 ، البداية والنهاية 191/13 ، شرح مسلم للنووي 28/18 ، الجواب الصحيح 17/4 النهاية في الفتن 11/1 .

(2) ذكر المؤرخون أن لنوح – عليه السلام – ثلاثة أولاد ذكور : حام وهو أبو الحبش ، وسام وهو أبو العرب والفرس والروم ، ويافث وهو أبو الترك والصقالبة .

والمراد بالترك الشعوب المتعددة التي تقطن وراء جبال تركستان والقفقاس ، وهم قبائل من الرحل كانت تقيم في آسيا الوسطى ، بين بحر آرال وجبال التائي ، وتقسم إلى ثلاثة فروع : الويغور والكرلوك والأغوز – أو الغز – نزح بعضها شرقًا ، وبعضها غربًا إلى ما وراء النهر ، قضت على الغزنويين في القرن الحادي عشر ، واستقر بعضهم في تركستان وبعضهم في الأناضول ، وهم العثمانيون كما سيأتي إن شاء الله ومن الترك التتار والمغول ، ظهر منهم دولتان : إحداهما في آسيا الوسطى أسسها جنكيز خان . وتعرف سلالته بالمغول العظماء، والثانية في الهند ، أسسها بابر ، وهو من أحفاد تيمور لنك ، وعرفت بمغول الهند – المنجد .

واجتياحهم لها .

– عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن النبي ﷺ قال : لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قومًا ، نعالهم الشعر ، ولا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قومًا ، كأن وجوههم المَجَانُّ المُطْرَقة . [أخرجه الستة إلا ابن ماجه] .

قال سفيان : زاد في رواية : صغار الأعين ، ذُلْف الأنوف .

وفي رواية للبخاري ومسلم : تقاتلون بين يدي الساعة قومًا نعالهم الشعر ، كأن وجوههم المجان المطرقة ، حمر الوجوه ، صغار الأعين .

ولمسلم : لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون الترك ، قومًا وجوهُهم كالمجان المطرقة ، يلبسون الشعر ، ويمشون في الشعر .

– عن عمرو بن تغلب – رضي الله عنه – قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن من أشراط الساعة ، أن تقاتلوا قومًا ينتعلون نعال الشعر ، وإن من أشراط الساعة أن تقاتلوا قومًا عِراض الوجوه ، كأن وجوههم المجان المطرقة – رواه البخاري وأحمد [1] .

– وعن عبد الله بن بريدة ، عن أبيه – رضي الله عنه – قال : كنت جالسًا عند النبي ﷺ فَسِمْعناه يقول : إن أمتي يسوقها قوم عِراض الوجوه ، صغار الأعين ، كأن وجوههم الجُحَف ، ثلاث مرات ، حتى يلحقوهم بجزيرة العرب ؛ أما السائقة الأولى فينجو من هرب منهم ، وأما الثانية ، فيهلك بعض ، وينجو بعض ، وأما الثالثة ، فيصطلمون من بقي منهم . قالوا : يا نبي الله ، من هم ؟ قال : هم الترك ، قال : أما والذي نفسي بيده ليربِطُن خيولهم إلى سواري مساجد المسلمين – أخرجه أحمد – [2] .

– وعن ابن مسعود – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : أول من يسلب أمتي ملكهم وما خولهم الله ، بنو قنطوراء – أخرجه الطبراني في الأوسط والكبير [3] .

---

(1) رواه البخاري من حديث جرير بن حازم .

(2) قال أبو الخطاب عمر بن دحية : هذا سند صحيح ا هـ ، ورواه أبو داود رقم 4305 في الملاحم ، باب في قتال الترك ، وفي إسناده بشير بن المهاجر الغنوي الكوفي ، وهو صدوق لين الحديث ، وباقي رجاله ثقات . انظر جامع الأصول بتعليق عبد القادر الأرناؤوط 377/10 والتذكرة ص 676 .

(3) رواه الطبراني عن معاوية مرفوعًا بطرق يشهد بعضها لبعض . وذكره الحافظ في الفتح 609/6 بلفظ إن بني قنطوراء أول من يسلب أمتي ملكهم .

– وعن أبي بكرة – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال : ينزل أناس من أمتي بغائط يسمونه البصرة ، عند نهر يقال دجلة ، يكون عليه جسر ـ يكثر أهلها ، وتكون أمصار المهاجرين – وفي رواية : من المسلمين – فإذا كان آخر الزمان جاء بنو قَنطوراء ، عِراض الوجوه ، صغار الأعين ، حتى ينزلوا على شط النهر ، فيتفرق أهلها ثلاث فرق : فرقة يأخذون أذناب البقر والبرية ، وهلكوا ، وفرقة يأخذون لأنفسهم ، وكفروا ، وفرقة يجعلون ذراريهم خلف ظهورهم ، ويقاتلونهم ، وهم الشهداء – أخرجه أبو داود (1) –

وقد جمعت الروايات الصفات التالية :

1 - « وجوههم كالمجان المطرقة » ، « وجوههم الجُحف ، عِراض الوجوه » .

والمجَان : جمع مِجَنّ ، وهو الترس . والجُحَف : جمع جُحْفة ، وهي أيضًا الترس .

المُطْرَقَة – بإسكان الطاء ، وتخفيف الراء المفتوحة ، من أطرق – هي التي عُليت بطارق ، وهو الجلد الذي يغشى المجن ، ومنه طارق النعل ، إذا صيرها طاقًا فوق طاق ، وركب بعضها فوق بعض . فشبه وجوههم في عرضها ، ونتوء وجناتها بالترس ، وقد أُلبست الأطرقة .

2 – حمر الوجوه . 3 – صغار الأعين .

4 – ذُلْف الأنوف . الذَلَف في الأنف : استواء في طرفه ، وليس بالغليظ الكبير .

5 – يلبسون الشعر .

6 – نعالهم من الشعر ، ولطوله وغلظته ، كأنهم يمشون فيه .

وقد حدث هذا القتال في القرن السابع الهجري عندما اجتاح المغول والتتار البلاد الإسلامية ، وعاثوا فيها مفسدين ، وقد وجدوا بتلك الصفات .

قال النووي (2) – وهو ممن عاش في الفترة التي ظهروا فيها – : « وقد وجد قتال هؤلاء الترك بجميع صفاتهم التي ذكرها النبي ﷺ في زماننا ، وقاتلهم المسلمون مرات » .

وقوله ﷺ في حديث بريدة – رضي الله عنه – « فيصطلمون من بقي » أي

(1) قال عبد القادر في تعليقه على الجامع 25/10 : رقم 4306 ، باب في ذكر البصرة ، وإسناده حسن اهـ والغائط : المطمئن من الأرض ، والبصرة : الحجارة البيض الرخوة ، وبها سميت البصرة . وانظر التذكرة ص 679 ، 682 .

(2) انظر شرح مسلم 37/18 ، وذكر نحو ذلك ابن تيمية الذي عاصرهم وحاربهم – الجواب الصحيح 4/135–136 وانظر التذكرة ص 677 – 678 .

فيحصدون من بقي في المرة الثالثة . والاصطلام : افتعال من الصلم ، وهو القطع .

وقوله ﷺ : « أول من يسلب أمتي ملكهم وما خولهم الله بنو قنطوراء » قد تحقق ، فبنو قنطوراء هم الترك . يقال : إن قنطوراء اسم جارية كانت لإبراهيم – عليه السلام – ولدت له أولادًا ، جاء من نسلهم الترك . فبعد أن هاجم المغول والتتار البلاد الإسلامية ، قضوا على الخلافة العباسية ، فدمروا بغداد ، وألقوا الكتب العلمية في نهر دجلة حتى اسود ماؤه ، وقتلوا آخر خلفاء بني العباس عام 656 هـ ، وهو المستعصم بالله ، ثم تابعوا هجومهم ، وربطوا خيولهم إلى سواري مساجد المسلمين كما أخبر النبي ﷺ تمامًا .

ذكر القرطبي في التذكرة : أن الترك خرجوا ثلاث مرات على المسلمين ، وكان خروجهم الأخير تدمير بغداد وقتلهم الخليفة والعلماء والفضلاء ثم أوغلوا في البلاد حتى ملكوا الشام مدة يسيرة ودخل رعبهم البلاد المصرية ، إلى أن تصدى لهم الملك المظفر الملقب بـ (قطز) في معركة عين جالوت ، فتفرقت جموعهم ، وكفى الله المؤمنين شرهم .

8 - فتح القسطنطينية الأول

بشر النبي ﷺ أمته بفتح القسطنطينية عاصمة البيزنطيين ، وهي مدينة بناها الملك قسطنطين ، فنسبت إليه ، وتعرف أيضًا بمدينة قيصر ، ثم بفتح رومية عاصمة إيطاليا ، ومقر بابا الكاثوليك .

– عن أبي قبيل قال : كنا عند عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – وسئل : أي المدينتين تفتح أولًا ، القسطنطينية أو رومية ؟ فدعا عبد الله بصندوق له حلق ، قال : فأخرج منه كتابًا . قال : فقال عبد الله : بينما نحن حول رسول الله ﷺ نكتب ؛ إذ سئل رسول اللّه ﷺ أي المدينتين تفتح أولًا ؟ أقسطنطينية أو رومية ؟ ، فقال رسول اللّه ﷺ : مدينة هرقل تفتح أولًا . يعني قسطنطينية – أخرجه أحمد وابن أبي شيبة والدارمي والمقدسي في كتاب العلم ، وقال حسن الإسناد ، والحاكم وصححه ، ووافقه الذهبي .

– وعن أم حرام بنت ملحان – رضي الله عنها – أن النبي ﷺ قال : أول جيش من أمتي يركبون البحر قد أوجبوا ، وأول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم . [أخرجه البخاري] .

ولم يقل ﷺ : ينتصرون أو نحو ذلك ، وإنما بشرهم بالمغفرة . وغزا المسلمون القسطنطينية في خلافة معاوية – رضي الله عنه – وكان أميرهم يزيد بن معاوية ، وكان

في العسكر أبو أيوب الأنصاري – رضي الله عنه – فاستشهد ودفن هناك ، ولم يتمكن المسلمون من فتحها ، وفي خلافة عبد الملك بن مروان غزاها المسلمون ثانية بقيادة ابنه مسيلمة ، وحاصروها عدة سنين ، فلم يتمكنوا من فتحها ؛ لقوة تحصينها ومناعة أسوارها .

عن بشر الغنوي – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : لتُفْتَحَن القسطنطينية ، ولنعم الأمير أميرها ، ولنعم الجيش ذلك الجيش . [أخرجه أحمد ، والحاكم وقال : صحيح على شرطيهما ، وأقره الذهبي ، ورمز السيوطي في الصغير لصحته] .

وقد تم فتح القسطنطينية عام 857 هـ – 1453 م على يد السلطان العثماني (1) محمد الثاني ، المعروف بالفاتح ، فنال مع جنوده البشارة الكريمة من النبي ﷺ وسماها (إسلام بول) أي مدينة الإسلام .

وهذا الفتح تهيئة للفتح العظيم الآخر ، قبل ظهور الدجال ، كما سيأتي إن شاء الله .

(1) يرجع أصل العثمانيين إلى قبيلة تركيه اسمها (قاي خان) هاجرت من موطنها بقيادة زعيمها سليمان شاه ، ثم تولى الزعامة بعد وفاته ابنه أرطغرل ، فسار بمن معه إلى الأناضول ، حيث السلاجقة يحكمون ، فجاهدوا معهم ضد البيزنطيين ، ولما توفي أرطغرل سنة 687 هـ خلفه ابنه عثمان ، ثم فتح مدينة (قرة صو) في الأناضول واتخذها عاصمة له ، ثم بويع بالخلافة ، وإليه تنسب الدولة وسلاطينها ، وقد استمرت قرونًا عديدة .

الفصل الثاني

الأمارات الصغرى التي ظهرت ولا زالت تتابع

1 - ظهور المتنبئين

حذر النبي ﷺ أمته من كذابين مضللين ، يدعون النبوة ، ويدعون إلى أهواء فاسدة أو اعتقادات باطلة .

- عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : لا تقوم الساعة حتى يقتتل فئتان .. وحتى يُبعث كذابون دجالون قريبًا من ثلاثين ، كلهم يزعم أنه رسول الله .. الحديث [أخرجه الشيخان وأحمد وأبو داود والترمذي وقال : حسن صحيح] [1] .

- وعن جابر بن سمرة - رضي الله عنه - قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن بين يدي الساعة كذابين . [أخرجه مسلم] وفي رواية أخرى : قال جابر - رضي الله عنه - : فاحذروهم .

- وعن ثوبان - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : وإنه يكون في أمتي كذابون ثلاثون ، كلهم يزعم أنه نبي ، وأنا خاتم الأنبياء ، لا نبي بعدي .. الحديث [أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي وقال : صحيح] .

- وعن سمرة بن جندب - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال في خطبته يوم كسفت الشمس على عهده : والله لقد رأيت منذ قمت أصلي ما أنتم لاقون في دنياكم وآخرتكم ، وإنه والله ، لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذابًا ، آخرهم الأعور الكذاب . [أخرجه أحمد واللفظ له ، والبخاري والترمذي والنسائي] .

- وعن أبي بكرة - رضي الله عنه - قال : أكثر الناس في شأن مسيلمة قبل أن يقول رسول الله ﷺ فيه شيئًا ، فقام رسول الله ﷺ خطيبًا فقال : أما بعد ، ففي شأن هذا الرجل الذي قد أكثرتم فيه ، وإنه كذاب من ثلاثين كذابًا ، يخرجون بين يدي الساعة ، وإنه ليس بلد إلا يبلغها رعب المسيح . [أخرجه أحمد والطبراني . قال الهيثمي : وأحد أسانيد أحمد والطبراني رجاله رجال الصحيح] .

---

(1) وعند أحمد « بين يدي الساعة قريب من ثلاثين دجالًا ، كلهم يقول أنا نبي » قال ابن كثير في النهاية 49/1 : وهذا إسناد جيد تفرد به أحمد اهـ . وعند أبي داود وابن عدي : حتى يخرج ثلاثون كذابًا دجالًا ، كلهم يكذب على الله وعلى رسوله . ولأبي داود في رواية عبيدة السلماني . فقلت له : أترى هذا منهم ؟ - يعني المختار - فقال عبيدة : أما إنه من الرؤوس .

وقوله (يبعث) أي يخرج ويظهر . ففي رواية لمسلم : حتى يخرج قريب من ثلاثين كذابين دجالين .

- وعن حذيفة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : في أمتي كذابون دجالون ، سبعة وعشرون ، منهم أربع نسوة ، وإني خاتم النبيين ، لا نبي بعدي - أخرجه أحمد والبزار والطبراني (1) .

- وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن بين يدي الساعة ثلاثين دجالًا كذابًا [أخرجه أحمد] .

- وعن أبي الجلاس قال : سمعت عليًا - رضي الله عنه - يقول لعبد الله بن سبأ : ويلك ، والله ما أفضى - أي رسول الله ﷺ - إلي بشيء كتمه أحدًا من الناس ، ولكن سمعته يقول : إن بين يدي الساعة ثلاثين كذابًا ، وإنك لأحدهم . [عزاه ابن كثير في النهاية لابن ماجه ، وقال الهيثمي : رواه أبو يعلى ورجاله ثقات] .

وقد ظهر دجاجلة كثيرون ومتنبئون كذبة وأصحاب أهواء وضلالات ، والمراد من قامت لهم شوكة ، وكثر أتباعهم ، واشتهروا بين الناس . وقد ظهر بعضهم في زمن النبوة ثم في عهد الصحابة - رضي الله عنهم - ولا يزالون يظهرون حتى عصرنا هذا . أولهم مسيلمة الكذاب باليمامة ظهر في زمن النبي ﷺ ثم قتل في خلافة أبي بكر - رضي الله عنه - وآخرهم المسيح الدجال ، وهو أشدهم فتنة . وممن ظهر في زمن النبي ﷺ أيضًا الأسود العنسي في اليمن ، وقد قتل قبل أن يموت النبي ﷺ ، وممن ظهر في زمن الصحابة - رضي الله عنهم - طليحة بن خويلد الأسدي وسجاح التميمية ، ثم خرج المختار بن أبي عبيد الثقفي ، وغلب على الكوفة في خلافة ابن الزبير - رضي الله عنه - وأظهر في أول أمره محبة أهل البيت ، ثم ادعى النبوة ، وزعم أن جبريل يأتيه . وظهر الحارث الكذاب في خلافة عبد الملك بن مروان ، فقتل ، وخرج جماعة في خلافة بني العباس .

وممن ظهر في عصرنا الشقي ميرزا غلام أحمد القادياني في الهند ، فإنه ادعى النبوة والمهدوية ، ثم ادعى أنه عيسى ، وصدق دعوته طائفة سموا بالقاديانية ، نسبة إلى قريته بالهند قاديان ، وسموا بالأحمدية أيضًا نسبة إليه ؛ لأنه سمى نفسه أحمد .

---

(1) قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط والبزار ، ورجال البزار رجال الصحيح . وقد وقع هنا (سبعة وعشرون) ، وفي أكثر الروايات (ثلاثون) فلعلها على طريقة جبر الكسر ، بدليل أن في بعضها (قريب من ثلاثين) .

وليس المراد من كان كذابًا ودعا إلى ضلالة من غير ادعاء النبوة ، فإنهم لا يحصون ، ولا من ادعى النبوة مطلقًا ، بل المراد من ادعى النبوة وعُرف واتبعته جماعة .

ومن ظهر أيضًا المرزا علي محمد رضا الشيرازي الذي أسس الحركة البابية سنة 1260هـ 1488 م تحت رعاية اليهودية العالمية والاستعمار الروسي والاستعمار الإنجليزي بهدف تفكيك وحدة المسلمين ، وأعلن أنه الباب ، ولما مات قام بالأمر من بعده المرزا حسين علي ، الملقب بالبهاء ، وسمى الحركة بالبهائية ، وله كتاب اسمه الأقدس [1] .

2 - تطاول فقراء الأعراب في البنيان

أخبر النبي ﷺ أن أهل البوادي وأشباههم من أهل الحاجة والفاقة سوف تبسط لهم الدنيا ، فيبنون أبنية متعددة الأدوار ، ويتباهون في ارتفاعها ، ويتنافسون في ذلك ، فكل من بنى يريد أن يكون ارتفاع بنائه أعلى من ارتفاع الآخر .

- عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال : بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر .. قال : فأخبرني عن الساعة ؟ قال : ما المسؤول عنها بأعلم من السائل ، قال : فأخبرني عن أمارتها ؟ قال : أن تلد الأمة ربتها [2] ، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء ، يتطاولون في البنيان - الحديث [أخرجه مسلم] .

- وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال للسائل عن وقت قيام الساعة : ولكن سأحدثك عن أشراطها .. وإذا تطاول رعاء البهائم في البنيان .. الحديث - أخرجه البخاري - وفي رواية لهما : لا تقوم الساعة .. وحتى يتطاول الناس في البنيان .

- وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال : يا رسول الله ، ومن أصحاب الشاء والحفاة الجياع العالة ؟ قال : العرب . [أخرجه أحمد ، وصححه أحمد محمد شاكر] .

فالحفاة : الذين لا نعل بأرجلهم ، والعراة : الذين لا ثوب يستر أجسادهم ، ورعاء

---

(1) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ، إصدار الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، الرياض ، ص 63 - 64 .

(2) وقوله : « أن تلد الأمة ربتها » وفي رواية : ربها ، إخبار عن كثرة التسري ، فتلد الأمة ولدًا يكون بمنزلة سيدها ؛ لأن مال الإنسان يصير إلى ولده ، وقد يتصرف فيه حال حياة أبيه تصرف المالكين ، وعندئذ تكون قد ولدت سيدها أو سيدتها . وقيل : معناه يلدن الملوك ، فتكون أمه من جملة رعيته .

وقيل : أن يبيع السادة أمهات أولادهم ، ويكثر ذلك فتتردد الأمة بين المشترين فيشتريها ابنها - وهو لا يدري فيكون سيدها ، وتقع الاستهانة بالأحكام الشرعية . وقد حدث هذا كله .

وقيل هو كناية عن كثرة العقوق ، فيعامل الولد أمه بجفاء ، كأنه سيدها . وقيل : كناية عن قلب الموازين .

الشاء : حراس الغنم ، وهم أشد الناس فقرًا . والتطاول في البنيان ؛ هو التفاخر بالعمارات الشاهقة والتنافس فيها مع زخرفتها داخلًا وخارجًا ، بعد أن كان أصحابها يعيشون في خيام الشعر ، ويرعون الشاء حفاة عراة لشدة فقرهم .

وقد حدث ولا زال يحدث ، حيث بسطت الدنيا للأعراب ، فزادت أدوار بعض أبنيتهم عن الثلاثين . وفي ذلك معجزة رأيناها نحن ، ولم يرها أهل القرن السالف .

3 - انتشار الفواحش

أخبر النبي ﷺ بوقوع فواحش تضيع منها شخصية الأمة وشهامتها وكرامتها ، ومن ذلك ما يلي :

أ - ظهور الكاسيات العاريات :

- عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : صنفان من أهل النار لم أرهما ؛ قوم معهم سياط كأذناب البقر ، يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات ، مميلات مائلات ، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة ، لا يدخلن الجنة ، ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا . [أخرجه مسلم وأحمد] .

فالصنف الأول أعوان الظلمة الذين يلازمون أدوات التعذيب ، ويتفننون فيه وفيها ، وقد نزعت الرحمة من قلوبهم ، فإذا وقع بين أيديهم متهم أو من التبس أمره ، فعلوا فيه العجائب ، بل ربما أفضى بهم ما جبلوا عليه من القسوة إلى إهلاكه أو تعطيل أحد مرافق جسمه .

- عن أبي أمامة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : سيكون في آخر الزمان شرطة ، يغدون في غضب الله ، ويروحون في سخط الله ، فإياك أن تكون من بطانتهم . [أخرجه الطبراني في الكبير ، وعزاه في الفردوس إلى مسلم وأحمد] (1) .

وأما الصنف الثاني فهن اللائي يسترن بعض أبدانهن ، ويكشفن بعضها الآخر ؛ ابتغاء الفتنة ، أو يلبسن ثيابًا رقيقة ضيقة أو شفافة تصف ما تحتها ، ويتكلفن في مشيتهن ، فيملن أكتافهن وأكفالهن .. وقد صففن شعر رؤوسهن بأنواع من الترجيلات ، بحيث

---

(1) فيض القدير 129/4 ، وعند أحمد : يكون في هذه الأمة - أو قال : يخرج من هذه الأمة - في آخر الزمان رجال معهم سياط كأذناب البقر ، يغدون في سخط الله ، ويروحون في سخط الله .

تغدو رؤوسهن كأسنمة الأبعرة البختية ، وذلك عن طريق تصفيفه بالوسائل والمواد الحديثة ، أو وصله بشعر مستعار (الباروكة) . وقد رأينا هذا كله ، ولا سيما مع وجود محلات كبيرة لتصفيف شعر النساء ، يقوم عليها رجال مختصون ، تدربوا في الغرب ، واستوردوا أدواتهم منهم .

ب – التقليد الأعمى :

عن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال : لتتبعن سَنَن من كان قبلكم ، شِبرًا بشبر ، وذراعًا بذراع ، حتى لو دخلوا جُحر ضب لتبعتموهم ، قلنا : يا رسول الله ، اليهود والنصارى ؟ قال : فمن ؟ [أخرجه الشيخان] .

– عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال : قال رسول الله ﷺ : لتركبن سَنن من كان قبلكم شبرًا بشبر ، وذراعًا بذراع ، حتى لو أن أحدهم دخل جحر ضب لدخلتم ، وحتى لو أن أحدهم جامع امرأته بالطريق لفعلتموه . [أخرجه الحاكم وقال : على شرط مسلم ، وأقره الذهبي ، ورواه عنه أيضًا البزار . قال الهيثمي : ورجاله ثقات] .

– وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها ، شبرًا بشبر ، وذراعًا بذراع ، قيل له : يا رسول الله ، كفارس والروم ؟ قال : من الناس إلا أولئك ؟ . [أخرجه البخاري] .

ومن الفتن العظيمة اتباع طرق اليهود والنصارى والفرس والروم وسائر الكفار في المخالفات والمعاصي . وهذا من معجزاته ﷺ فقد تشبه كثير من أمته بالغرب ، وتخلقوا بأخلاقهم ، وتعودوا بعاداتهم ، واقتفوا آثارهم ، واتبعوا مناهجهم ، بدون تفكير ، وذلك نتيجة الإعجاب والتقليد الأعمى ؛ من الذي يبتكر لنا اليوم طراز الملابس وتسريحات الشعور ؟ ولمن نقلد في طريقة أفراحنا وولائمنا . لقد تشبه كثير من رجالنا برجالهم ، وكثير من نسائنا بنسائهم ، وافتتن الكثيرون بهم ، حتى أدى الأمر ببعضهم إلى الاعتقاد بأنه لا يتم لنا تقدم وحضارة إلا بنبذ كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، ويعبرون عن ذلك تَقِيَّة بنبذ العادات الموروثة ، ولو أنهم أخذوا منهم ما ينفعهم في دنياهم مع المحافظة على الدين والخلق اللذين هما قوام شخصية الفرد والأمة ، لما كان عليهم من سبيل .

وخَصَّ ﷺ جحر الضب ؛ لشدة ضيقه ؛ وإمعانًا في وصف من يدخل مكانًا لا يتسع له ، فيزاحم صاحبه ، فهم لحرصهم على تقليدهم لو دخلوا في مثل ذلك المكان

الضيق الرديء لوافقوهم .

جـ - انتشار الزنا ودواعيه :

- عن عبد الرحمن بن غَنم الأشعري قال : حدثني أبو عامر - أو أبو مالك - الأشعري - رضي الله عنه - والله ما كذبني ، سمع النبي ﷺ يقول : ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحِرّ والحرير والخمر والمعازفَ - أخرجه البخاري تعليقًا ، وأبو داود والطبراني والبيهقي [1] .

فالحِرّ : الفروج ، وهي جمع ، مفردها حِر - بكسر الحاء - والمراد من الحديث انتشار الزنا وداوعيه من شرب خمر وآلات عزف ونحو ذلك ، ولكثرتها وانتشارها يألفها الناس ، فتصبح كأنها مباحة .

- عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : لا تقوم الساعة - أو إن من أشراط الساعة - أن يرفع العلم ، ويظهر الجهل ، ويُشرب الخمر ، ويفشو الزنا ، ويذهب الرجال ، ويبقى النساء ، حتى يكون لخمسين امرأة قيم واحد [2] . [أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه] وفي رواية : يظهر الزنا ، ويقل الرجال ، ويكثر النساء .

- عن عمران بن حصين - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ في هذه الأمة خسف ومسخ وقذف ، إذا ظهرت القيان والمعازف ، وشربت الخمور . [أخرجه الترمذي وقال : حديث غريب] [3] .

- عن أبي مالك الأشعري - رضي الله عنه - أنه سمع رسول الله ﷺ يقول :

---

(1) ضعف ابن حزم في المحلى وغيره هذا الحديث بالانقطاع ؛ لأن البخاري لم يذكر من حدثه به ، وإنما قال : وقال هشام بن عمار . ورد عليه العلماء من وجوه : أحدها : أن البخاري لقي هشامًا وسمع منه ، فإذا روى عنه معنعنًا حمل على الاتصال . الثاني : أن الثقات رووه عنه موصولًا ، فقد وصله أبو داود دون قوله « والمعازف » ووصله الطبراني والبيهقي بمثل لفظ البخاري . الثالث : قد صح الحديث من غير طريق هشام أيضًا كما نبه الإسماعيلي . انظر تهذيب السنن 270/5 - 272 ، إغاثة اللهفان 258/1 - 260 ، فتح الباري 52/10 - 57 جامع الأصول مع التعليق 10 /42 - 43 و 417 .

(2) أي من يقوم بأمرها وتأمين ما تحتاج إليه من نفقة وغيرها .

(3) ويشهد له ما أخرجه الترمذي أيضًا بمعناه عن عائشة - رضي الله عنها - فيصبح كل منهما حسنًا - جامع الأصول 415/10 - وقد رمز السيوطي لحسنه - فيض القدير 460/4 - والقينات ، جمع قينة ، وهي المغنية .

ليشربن أناس من أمتي الخمر ، يسمونها بغير اسمها . [أخرجه أحمد وأبو داود والنسائي والدارمي] [1] .

ورواه ابن ماجه وابن حبان والطبراني والبيهقي عنه بلفظ : ليشربن أناس من أمتي الخمر ، يسمونها بغير اسمها ، ويضرب على رؤوسهم بالمعازف والقينات ، يخسف الله بهم الأرض ، ويجعل منهم قردة وخنازير - وقال ابن القيم : إسناده صحيح ، ورمز السيوطي لصحته .

- عن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : لتَستَحِلِنّ طائفة من أمتي الخمر باسم يسمونها إياه . [أخرجه أحمد وابن ماجه] [2] .

- عن علي - رضي الله عنه - قال : قال رسول اللّه ﷺ : إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء ، قيل : وما هي يا رسول اللّه ؟ قال : إذا كان المغنم دولًا ، والأمانة مغنمًا ، والزكاة مغرمًا ، وأطاع الرجل زوجته وعق أمه ، وبر صديقه وجفا أباه ، وارتفعت الأصوات في المساجد ، وكان زعيم القوم أرذلهم ، وأكرم الرجل مخافة شره ، وشرب الخمر ، ولبس الحرير ، واتخذت القيان والمعازف ، ولعن آخر هذه الأمة أولها ، فليرتقبوا عند ذلك ريحًا حمراء ، أو خسفًا أو مسخًا - الترمذي [3] .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : إذا اتخذ الفيء دولًا ، والأمانة مغنمًا ، والزكاة مغرمًا ، وتُعلم العلم لغير الدين ، وأطاع الرجل امرأته وعقّ أمه ، وأدنى صديقه وأقصى أباه ، وظهرت الأصوات في المساجد ، وساد القبيلة فاسقهم ، وكان زعيم القوم أرذلهم ، وأكرم الرجل مخافة شره ، وظهرت القينات والمعازف ، وشربت الخمور ، ولعن آخر هذه الأمة أولها ، فليرتقبوا عند ذلك ريحًا حمراء ، وزلزلة وخسفًا ومسخًا وقذفًا ، وآيات تتتابع كنظام بال قطع سلكه فتتابع - الترمذي [4] .

---

(1) رمز السيوطي لصحته . قال المناوي في الفيض 391/5 : ورواه عنه أيضًا ابن ماجه . وفيه حاتم بن حريث الطائي الحمصي ، قال ابن معين : لا أعرفه ، وقال ابن حجر : صححه ابن حبان وله شواهد كثيرة .

(2) وقال ابن حجر في الفتح : سنده جيد .

(3) وقال : حديث غريب ، لا نعرفه من حديث علي إلا من هذا الوجه اهـ . وفي سنده ضعف وانقطاع - جامع الأصول 410/10 .

(4) وقال : حديث غريب اهـ . وإسناده ضعيف أيضًا - جامع الأصول 10/ 411 - وهذان الحديثان يشهد كل منهما للآخر .

وهذه العلامات قد وجد منها شيء كثير ، وهي في ازدياد مستمر ، ظهرت الحانات وبيوت اللهو ، وتعددت الآلات الموسيقية وتنوعت ، وكثر المغنّون والمغنّيات ، وشُربت الخمور المتنوعة ، وما أكثر أصنافها وأنواعها وأسماءها ، وقامت الراقصة وسط ذلك . بل تفشى شرب المخدرات المصنفة التي تفتك بالعقول والأبدان في مدة يسيرة ، أكثر مما تفتك به المسكرات بسنين طويلة . أضف إلى ذلك فتنة التلفاز وقنواته العالمية وما يُعرض فيها من أفلام وأغان مثيرة للشهوة . فكيف لا يكثر الزنا وتنتشر الفواحش !

4 - إضاعة الأمانة

الأمانة والأمان معنى يحصل في القلب ، فيأمن به المرء من الردى في الدنيا والآخرة ، وحفظ الأمانة أثر كمال الإيمان ، فإذا ضعف بحب الدنيا ، ونقص نوره بالمعاصي ، اضمحلّت الأمانة وظهرت الخيانة .

– عن حذيفة بن اليمان – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : تُرفع الأمانة ، فينام الرجل ، ثم يستيقظ وقد رفعت الأمانة من قلبه ، ويبقى أثرها مثل الوَكْت ، ثم ينام النومة ، فتقبض الأمانة من قلبه .. الحديث . [أخرجه الشيخان] .

والأمانة كل حق لزمك حفظه وأداؤه لله سبحانه أو لخلقه ، سواء كان ماديًّا ؛ كالوديعة واللقطة والرهن والعارية ونحو ذلك ، أو معنويًّا ؛ كالبعد عن النفاق والرياء والمداهنة ونحو ذلك ، وسواء كان قولًا ؛ كالاعتراف بالحق وأداء الشهادة على وجهها ونحو ذلك ، أو فعلًا ؛ كنصرة المظلوم وتفضيل أهل الفضل ونحو ذلك .

– عن شداد بن أوس – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : أول ما تنقدون من دينكم الأمانة . [أخرجه الطبراني] (1) .

وقد ذكر النبي ﷺ أن إضاعة الأمانة من علامات الساعة ، وقصد بذلك ما هو أكبر

---

(1) رمز السيوطي لحسنه . قال الهيثمي : فيه المهلب بن العلاء لم أجد من ترجم له ، وبقية رجاله ثقات اهـ . وروى الحكيم الترمذي عن زيد بن ثابت بسند ضعيف جدًّا ، والبيهقي في الشعب من حديث ابن عمر وغيره ، والطبراني في الصغير من حديث عمر : « أول ما يرفع من الناس الأمانة ، وآخر ما يبقى من دينهم الصلاة ، ورب مصل لا خلاق له عند الله تعالى » ورمز السيوطي لضعفه . وروى القضاعي في مسند الشهاب ، وأبو يعلى وأبو الشيخ من حديث أبي هريرة : « أول ما يرفع من هذه الأمة الحياء والأمانة » قال الهيثمي : وفيه أشعث بن نزار متروك [الفيض 87/3 – 90] وأخرج نعيم بن حماد في الفتن عن ابن مسعود موقوفًا : إن أول ما تفقدون من دينكم الأمانة ، وآخر ما يبقى الصلاة .. الحديث .

خطرًا وأكثر أثرًا في الأمة ، ومنه ما يلي :

أ – إسناد الأمر إلى غير أهله :

عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : بينا رسول الله ﷺ في مجلس يحدث القوم ، إذ جاء أعرابي ، فقال : متى الساعة ؟ فمضى رسول الله ﷺ في حديثه .. حتى إذا قضى حديثه قال : أين السائل عن الساعة ؟ قال : هأنذا يا رسول الله ، قال : إذا ضُيعت الأمانة فانتظر الساعة . قال : وكيف إضاعتها ؟ قال : إذا وُسِّد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة – أخرجه البخاري .

فمن مظاهر إضاعة الأمانة إسناد الأمور المتعلقة بالآخرة أو بالدنيا أو بهما معًا إلى غير مستحقيها ، كالقضاء والإفتاء والتدريس والإدارات والقيادات وسائر الوظائف العامة . وإنما دل ذلك على دنو الساعة ؛ لما فيه من خيانة للرعاة والرعية ، ينتج عنها تفويت الحقوق وإضاعة المصلحة ، مما يؤدي إلى إيغار الصدور والفتنة .

ب – تخوين الأمين وائتمان الخائن :

ومن آثار تفويض الأمور إلى غير أهلها الذين يستطيعون تسييرها بكفاءة أكثر من غيرهم ، انعدام الثقة بين الناس وظهور الخداع ، ولاسيما بين أصحاب المناصب .

– عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : إنها ستأتي على الناس سنون خَدَّاعة ، يصدق فيها الكاذب ، ويكذب فيها الصادق ، ويؤتمن الخائن ، ويخون الأمين ، وينطق فيها الرويبضة . قيل : وما الرويبضة ؟ قال السفيه يتكلم في أمر العامة . [أخرجه أحمد والطبراني ، وقال أحمد محمد شاكر : إسناده حسن ومتنه صحيح] .

وفي رواية : بين يدي الساعة سنون خداعة .

– عن ابن عمر – رضي الله عنهما – قال : قال رسول الله ﷺ : من أشراط الساعة الفحش والتفحش وقطيعة الرحم ، وتخوين الأمين وائتمان الخائن . [أخرجه أحمد والبزار] .

– عن عمرو بن عوف – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال : إن بين يدي الساعة سنين خداعة ، يصدق فيها الكاذب ، ويكذب الصادق ، ويؤتمن فيها الخائن ، ويخون فيها الأمين ، وينطق فيها الرويبضة . قيل : يا رسول الله ، وما الرويبضة ؟ قال : المرء التافه يتكلم في أمر العامة – أخرجه البزار [1] .

(1) قال الهيثمي : وقد صرح ابن إسحاق بالسماع من عبد الله بن دينار ، وبقية رجاله ثقات .

– عن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : إن أمام الناس سنين خداعة ، يكذب فيها الصادق ، ويصدق فيها الكاذب ، فيخون فيها الأمين ، ويؤتمن الخائن ، ويتكلم الرويبضة . قيل : وما الرويبضة ؟ قال : الفويسق يتكلم في أمر العامة . [أخرجه أحمد] [1] .

– وعن أم سلمة – رضي الله عنها – قالت : قال رسول الله ﷺ : ليأتين على الناس زمان يكذب فيه الصادق ، ويصدق فيه الكاذب ، ويخون الأمين ، ويؤتمن الخؤون ، ويشهد المرء ولم يُستشهد ، ويحلف وإن لم يستحلف ، ويكون أسعد الناس بالدنيا لكع بن لكع ، لا يؤمن بالله ورسوله . [أخرجه الطبراني في الكبير والأوسط ، قال الهيثمي : فيه عبد الله بن صالح كاتب الليث ، وهو ضعيف وقد وثق . وقد رمز السيوطي لحسنه] .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – قال : بينما نحن حول رسول الله ﷺ إذ ذكر الفتنة – أو ذكرت الفتنة – فقال : ورأيتم الناس قد مرجت عهودهم ، وخفت أماناتهم ، وكانوا هكذا ، وشبك بين أصابعه . قال : فقلت : كيف أفعل عند ذلك ، جعلني الله فداك ؟ قال : الزم بيتك ، واملك عليك لسانك ، وخذ بما تعرف ، ودع ما تنكر ، وعليك بأمر خاصة نفسك ، ودع عنك أمر العامة . [أخرجه أحمد] .

جـ – تصدر السفهاء :

وينتج عما سلف ارتفاع الأسافل على الأخيار ، واستئثارهم بالأمور دونهم ، فيكون أمر العامة بيد سفهائهم ولئامهم .

عن عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – أن رسول الله ﷺ قال : من اقتراب الساعة أن تُرفع الأشرار ، ويوضع الأخيار ، ويَفْتَح القول ، ويَخْزُن العمل ، وتتلى في القوم المثناة .

قلت : وما المثناة ؟ قال : ما كتب سوى كتاب الله . [أخرجه الطبراني] .

---

(1) قال ابن كثير في النهاية 51/1 : وهذا إسناد جيد اهـ . وعند الطبراني في الأوسط : « من أشراط الساعة الفحش والتفحش وقطيعة الرحم وتخوين الأمين وائتمان الخائن » رمز السيوطي لحسنه . وقال الهيثمي : رجاله ثقات ، وفي بعضهم خلاف .

وذكره في مجمع الزوائد [1] بلفظ : ويحسن العمل ، وتُفرى في القوم المساءة . قلت : وما المساءة ؟ قال : ما كتب سوى كتاب الله .

وما أكثر الكتب والصحف والإذاعات ووسائل المعلومات المضللة اليوم .

وعن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : من أشراط الساعة أن يغلب على الدنيا لكع بن لكع ، فخير الناس يومئذ بين كريمتين . [أخرجه الطبراني في الأوسط ، وقال الهيثمي : بإسنادين ، رجال أحدهما ثقات] .

واللكع : اللئيم . وقيل : الوسخ القذر . وإنما ينتج تسويد أو تشريف من لا يستحق السيادة والشرف عن ضعف الإيمان في النفوس ، وعجز أهل الحق عن القيام بنصرته ؛ ولذلك كان من علامات الساعة .

5 - رفع العلم وظهور الجهل

المراد بالعلم هنا علم الكتاب والسنة وما يتفرع عنهما ، وهو الموروث عن الأنبياء – عليهم السلام – وبخاصة رسول الله ﷺ وكلما بعد الزمان عن عصر النبوة قل العلم وكثر الجهل بصورة عامة .

– عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال : لا تقوم الساعة .. حتى يقبض العلم .. الحديث . [أخرجه الشيخان وأحمد وابن ماجه] .

– وعنه – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : إن من أشراط الساعة أن يتقارب الزمان ، وينقص العلم .. الحديث . [أخرجه الشيخان وأبو داود] .

وفي رواية لهما : أن يرفع العلم ويثبت الجهل . أو قال : يظهر الجهل .

– وعن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ، ويظهر الجهل ، ويفشو الزنا ، ويشرب الخمر ، ويذهب الرجال ، وتبقى النساء ، حتى يكون لخمسين امرأة قيم واحد . [أخرجه أحمد والشيخان والترمذي والنسائي وابن ماجه] وعند البخاري : القيم الواحد .

---

(1) وقال : رجاله رجال الصحيح .

وأخرج أبو داود عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال : « تلك أيام الهَرْج ، حيث لا يأمن الرجل جليسه » . وفيه إشارة إلى فتن تأكل الأخلاق حتى لا يأمن الرجل جليسه . وقد حدث هذا .

- وعن عبد الله بن مسعود وأبي موسى الأشعري - رضي الله عنهما - قالا : قال رسول الله ﷺ : إن بين يدي الساعة أيامًا ، ينزل فيها الجهل ، ويرفع العلم ، ويكثر فيها الهرج ، والهرج القتل . [أخرجه الشيخان وأحمد والترمذي] .

والمراد استحكام ذلك حتى لا يبقى مما يقابله إلا النادر ، ولا يمنع من ذلك وجود طائفة قليلة من أهل العلم ، فإنهم سيكونون مغمورين في أولئك . ويظهر ذلك فيما يلي :

أ - التماس العلم عند الأصاغر :

عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يُبقِ عالمًا ، اتخذ الناس رؤوسًا جهالًا ، فسئلوا فأفتوا بغير علم ، فضلوا وأضلوا . [أخرجه الشيخان وأحمد والترمذي وابن ماجه] .

- وعن أبي أمية الجمحي - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : إن من أشراط الساعة - وفي رواية : ثلاثًا ، إحداهن - أن يُلتمس العلم عند الأصاغر . [أخرجه الطبراني في الكبير والأوسط ، قال الهيثمي : فيه ابن لهيعة ضعيف] .

وهم طلبة العلم غير المتمكنين ، يُسألون فيفتون بغير علم ، بل برأيهم ؛ أنفة منهم واستكبارًا عن أن يقولوا : لا نعلم . وبذلك ينتشر الشر ، ويقع بين الناس التباغض ، وتكثر البدع .

- وعن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال : لا يزال الناس صالحين متماسكين ما أتاهم العلم من أصحاب محمد ﷺ ومن أكابرهم ، فإذا أتاهم من أصاغرهم هلكوا . [أخرجه الطبراني] وفي زماننا غلب اليأس على كثير من العلماء ، فأصبحوا مغمورين ، ونشط للدعوة كثير من الشباب ، غلبت عليهم الحماسة ، فأصبحوا يتصدرون لمجالس التعليم والإفتاء ، دون أن يرجعوا إلى العلماء ، فوقعت الأخطاء .

- وعن عمر - رضي الله عنه - قال : فساد الناس إذا جاء العلم من قبل الصغير ، استعصى عليه الكبير ، وصلاح الناس إذا جاء العلم من قبل الكبير ، تابعه عليه الصغير (1) .

ومما يؤدي إلى اغترار الأصاغر وتجرُّئهم على الفتوى تلك الشهادات والألقاب العلمية

(1) قال ابن حجر : صح عن عمر - رضي الله عنه - أنه قال : وذكره . فيض القدير 533/1 .

الخُلَّبية التي تمنحها كثير من المؤسسات العلمية لخريجها .

ب - كثرة الكتابة وانتشارها :

- عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : إن بين يدي الساعة .. وظهور القلم . [أخرجه أحمد والبزار والحاكم في المستدرك ، وصححه أحمد محمد شاكر] .

- روى المبارك بن فضالة عن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ : لا تقوم الساعة حتى يرفع العلم ، ويفيض المال ، ويظهر القلم ، ويكثر التجار [1] .

والمراد ظهور الكتابة وانتشار الكتب وما أشبهها من صحف ومجلات ، وقد ظهرت في زماننا وسائل حديثة للطباعة والنشر ، فما أسرع طبعها وما أسهل نقلها غدوًا وعشيًا بين أقطار الأرض .

نصيحة النووي لطلاب العلم :

ليس المقصود ذم الكتابة مطلقًا ، بل المراد ذم مالا نفع فيه ، أو ما يكتب للتفاخر وحب الظهور ممن يسمون بالكتاب ، وإنما يريدون حظ النفس . وللإمام النووي رحمه الله ضوابط في ذلك ، حيث قال في مقدمة المجموع ، باب آداب المعلم [2] ما يلي :

ينبغي ألا يزال مجتهدًا في الاشتغال بالعلم ، قراءة وإقراءً ، ومطالعة وتعليقًا ، ومباحثة ومذاكرة وتصنيفًا ، ولا يستنكف من التعلم ممن هو دونه في سن أو نسب أو شهرة أو دين ، أو في علم آخر ، بل يحرص على الفائدة ممن كانت عنده ، وينبغي أن يعتني بالتصنيف إذا تأهل له ، ففيه يطلع على حقائق العلم ودقائقه ، ويثبت معه ، لأنه يضطره إلى كثرة التفتيش والمطالعة والتحقيق والمراجعة والاطلاع على مختلف كلام الأئمة ، وليحذر كل الحذر أن يشرع في تصنيف ما لم يتأهل له ، فإن ذلك يضره في دينه وعلمه وعرضه ، وليحذر أيضًا من إخراج تصنيفه من يده إلا بعد تهذيبه ، وترداد نظره فيه وتكريره ، وليحرص على إيضاح العبارة ، وإيجازها ، فلا يوضح إيضاحًا ينتهي إلى الركاكة ، ولا يوجز إيجازًا يفضي إلى المحق والاستغلاق ، وينبغي أن يكون اعتناؤه من

---

(1) التمهيد 297/17 ، وهو مرسل .

(2) مقدمة المجموع شرح المهذب ص 55 ، بتصرف .

التصنيف بما لم يسبق إليه ، والمراد ألا يكون هناك مصنف يغني عن مصنفه في جميع أساليبه ، فإن أغنى في بعضها فليصنف من جنسه ما يزيد فيه زيادات يحتفل بها مع ضم ما فاته من الأساليب ، وليكن تصنيفه فيما يعم الانتفاع به ، ويكثر الاحتياج إليه .

6 - ظهور الفتن وانتشار الفساد

أخبر النبي ﷺ أمته أن الفتن في آخر الزمان تكثر وتتنوع ، فينتشر الفساد بين العباد ، وتسوء الأخلاق ويكثر الشقاق ، وتتفشى العادات الذميمة ، وتنقطع المروءة ، وتعبد المصلحة ، ويعم البلاء ، فيغبط الأحياء الأموات .

– عن أنس – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : يأتي على الناس زمان ، الصابر فيهم على دينه ، كالقابض على الجمر . [أخرجه الترمذي ، ورمز السيوطي لحسنه] .

– وعن حذيفة – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : يأتي على الناس زمان ، يتمنون فيه الدجال ، قلت : يا رسول الله ، بأبي أنت وأمي ، مم ذاك ؟ قال : مما يلقون من العناء . [أخرجه الطبراني في الأوسط والبزار بنحوه ، قال الهيثمي : ورجالهما ثقات] .

– وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل ، فيقول : يا ليتني مكانه . [أخرجه الشيخان ومالك وأحمد] .

أي يا ليتني ميتًا حتى أنجو من الكرب ، ولا أرى ما رأيت من المحن والفتن .

وفي رواية لهما عنه : والذي نفسي بيده ، لا تذهب الدنيا حتى يمر الرجل بالقبر ، فيتمرغ عليه ، ويقول : يا ليتني مكان صاحب هذا القبر ، وليس به الدِّين ، ما به إلا البلاء .

وكثرة البلاء والمحن تظهر من النواحي التالية .

أ – ظهور الفحش والتفحش :

– عن عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – قال : قال رسول الله ﷺ : لا تقوم الساعة حتى يظهر الفحش والتفاحش [1] ، وقطيعة الرحم وسوء المجاورة .

(1) الفحش : كل ما يشتد قبحه من الذنوب والمعاصي ، وكثيرًا ما ترد الفاحشة بمعنى الزنا . والتفاحش : تبادل الفحش أو إظهاره .

[أخرجه أحمد وصححه أحمد شاكر ، وأخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي] .

– وعن أنس – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : من أشراط الساعة الفحش وقطيعة الرحم ، وتخوين الأمين وائتمان الخائن . [أخرجه الطبراني في الأوسط ، وقال الهيثمي : رجاله ثقات ، وفي بعضهم خلاف] .

وقد انتشر الفحش مع بذاءة اللسان بين الناس ، فأصبحوا يتحدثون في مجالسهم بما يرتكبون من المعاصي غير مبالين ، بل يتباهون بما يستحى من ذكره ، أما سوء الجوار فحدث ولا حرج .

ب – قطيعة الرحم والتسليم على الخاصة :

عن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : إن بين يدي الساعة التسليم على الخاصة ، وفشو التجارة ، حتى تعين المرأة زوجها على التجارة ، وقطع الأرحام ، وفشو القلم ، وظهور شهادة الزور ، وكتمان شهادة الحق . [أخرجه أحمد والبزار . قال الهيثمي : « ورجالهما رجال الصحيح » وأخرجه الحاكم في المستدرك ، وصححه أحمد محمد شاكر] .

وفي رواية لأحمد : إن من أشراط الساعة إذا كانت التحية على المعرفة .

وعند الطبراني : لا تقوم الساعة حتى يكون السلام على المعرفة .

– حديث عبد الله بن عمرو – رضي الله عنهما – السابق : لا تقوم الساعة حتى يظهر الفحش والتفاحش وقطيعة الرحم .. الحديث .

– حديث أنس – رضي الله عنه – السابق : من أشراط الساعة الفحش وقطيعة الرحم . والمراد بالتسليم على الخاصة : اقتصار الرجل بسلامه على معارفه . وهذا خلاف السنة التي دعت إلى إفشاء السلام وإلقائه على من عرفت ومن لم تعرف .

جـ – اتخاذ المساجد طرقًا :

– عن ابن مسعود – رضي الله عنه – قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن من أشراط الساعة أن يمر الرجل بالمسجد ، لا يصلي فيه ركعتين . [أخرجه ابن خزيمة] .

وفي رواية : أن يجتاز الرجل بالمسجد ، فلا يصلي فيه .

وعند الطبراني : .. وحتى تتخذ المساجد طرقًا ، فلا يُسجد لله فيها .

– وعن أنس – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : إن من أشراط الساعة أن تتخذ المساجد طرقًا ، وأن يظهر موت الفجأة . [أخرجه الطيالسي ، وصححه الحاكم ، وقال الذهبي : موقوف] .

وقد كثر هذا الأمر ، بل إن المساجد الكبيرة في كثير من البلدان الإسلامية أصبحت آثارًا يرتادها السياح ومجالس للكبار وملاعب للصغار .

د – كثرة القتل :

– عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال : لا تقوم الساعة حتى يكثر الهَرْج ، قالوا : وما الهرج يا رسول الله ؟ قال : القتل ، القتل . [أخرجه مسلم] .

– عن عبد الله بن مسعود وأبي موسى الأشعري – رضي الله عنهما – قالا : قال رسول الله ﷺ : إن بين يدي الساعة أيامًا ينزل فيها الجهل ، ويرفع العلم ، ويكثر فيها الهرج ، والهرج القتل . [أخرجه الشيخان وأحمد والترمذي] وعند البخاري : بين يدي الساعة أيام الهرج ، يزول فيها العلم ، ويظهر فيها الجهل .

– عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : إن من أشراط الساعة أن يتقارب الزمان ، وينقص العلم ، وتظهر الفتن ، ويُلقى الشح ، ويكثر الهرج . قالوا : يا رسول الله ، وما الهرج ؟ قال : القتل ، القتل [أخرجه الشيخان وأبو داود] .

وعند البخاري وأحمد وابن ماجه قال : لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم ، وتكثر الزلازل ، وتظهر الفتن ، ويكثر الهرج ، وهو القتل .

وعند أحمد : لا تقوم الساعة حتى تظهر الفتن ، ويكثر الكذب ، وتتقارب الأسواق .

– وعنه – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : والذي نفسي بيده ، لا تذهب الدنيا حتى يأتي على الناس زمان ، لا يدري القاتل فيم قَتَل ، ولا المقتول فيم قُتل ، فقيل : كيف يكون ذلك ؟ قال : الهرج ، القاتل والمقتول في النار [أخرجه مسلم] .

والهرج : الفتنة والاختلاط ، وفسره النبي ﷺ بالقتل .

– وعن أبي موسى – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : إن بين يدي الساعة الهرج ، قالوا : وما الهرج ؟ قال : القتل ، قالوا : أكثر مما نَقْتُل ؟ إنما نقتل في

العام الواحد أكثر من سبعين ألفًا ، قال : إنه ليس بقتل المشركين ، ولكن قتل بعضكم بعضًا ، قالوا : ومعنا عقولنا يومئذ ؟ قال : إنه لينزع عقول أكثر أهل ذلك الزمان ، ويتخلف له هباء من الناس ، يحسب أكثرهم أنه على شيء ، وليسوا على شيء - أخرجه أحمد وابن ماجه - .

وقد بدأت كثرة القتل بمقتل عثمان - رضي الله عنه - واستمرت إلى زماننا ، غير أن الهرج يكثر في أماكن ، ويقل في أخرى ، كما يتفاوت بين زمان وآخر ، والحروب الحديثة بأسلحتها الفتاكة ، ونظام التجنيد الإجباري والطاعة العمياء خير شاهد على ذلك .

7 - فشو التجارة وعدم تحري الحلال

- عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : إن بين يدي الساعة التسليم على الخاصة ، وفشو التجارة ، حتى تعين المرأة زوجها على التجارة ، وقطع الأرحام ، وفشو القلم ، وظهور شهادة الزور ، وكتمان شهادة الحق . [أخرجه أحمد والبزار والحاكم ، قال الهيثمي : ورجال أحمد والبزار رجال الصحيح اهـ . وصححه أحمد شاكر] .

- وعن عمرو بن تغلب - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : إن من أشراط الساعة أن يفشو المال ويكثر ، وتفشو التجارة ، ويظهر الجهل ، ويبيع الرجل البيع ، فيقول : إلا حتى أستأمر تاجر بني فلان ، ويلتمس في الحي العظيم الكاتب فلا يوجد . [أخرجه النسائي] (1) .

- روى المبارك بن فضالة عن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ : لا تقوم الساعة حتى يرفع العلم ، ويفيض المال ، ويظهر القلم ، ويكثر التجار (2) .

وقد انتشرت التجارة ، وصار اهتمام الناس بجمع المال فقط ، والمرأة إلى جانب زوجها ، والولد إلى جانب أبيه ، كل منهم يلهث وراء المال ، مع كثرة المزالق ، وضعف الوازع الديني . بل أصبح شعارهم (التجارة شطارة) ،وقد وقع في براثن هذا المبدأ كثير ممن كانوا يرون أصحاب خلق ودين ، فأصبحوا يحتكرون ويكيدون ، مما أدى إلى تضحية الصديق بصديقه ، والقريب بقريبه ، والأخ بأخيه . ولم لا ما دام همه جمع

---

(1) الحديث من رواية الحسن عن عمرو بن تغلب ، والحسن مدلس ، وقد عنعن هنا ؛ ولذلك قال المعلق على جامع الأصول 415/10 : « وإسناده ضعيف » . لكن صرح بالتحديث عنه في رواية أحمد .

(2) التمهيد 297/17 .

المال وتوسعة مشاريعه ورصيده .

- عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : ليأتين على الناس زمان ، لا يبالي المرء بما أخذ المال ، أمن حلال أم من حرام . [أخرجه البخاري وأحمد والدارمي] .

- وعنه - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : لا تقوم الساعة حتى تظهر الفتن ، ويكثر الكذب ، وتتقارب الأسواق . [أخرجه أحمد] .

وهذا كناية عن كثرة التجارة وفشوها ، ويصدق هذا على ما وقع في زماننا من كثرة المحلات التجارية وكثرة مكاتب الاستيراد والتصدير ، وسرعة وسائل الاتصال وعقد الصفقات الشفوية والكتابية بين المدن والدول والقارات ، مع سرعة وضخامة وسائل الاتصال البرية والبحرية والجوية . بحيث لا يقع تغير في الأسعار في مكان ما إلا ويعلم به جميع أهل الأرض ، فيزيدون إن زاد ، وينقصون إن نقص ، بل يتواطأ بعضهم مع بعض لضرب بعض آخر عن طريق احتكار بضاعة أو طرحها بكثرة في الأسواق ، مما أدى إلى وجود متحكمين في الاقتصاد العالمي .

8 - تقارب الزمان

- عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : إن من أشراط الساعة أن يتقارب الزمان ، وينقص العلم ، وتظهر الفتن ، ويلقى الشح .. الحديث - أخرجه الشيخان . وفي رواية أبي داود : يتقارب الزمان ، وينقص العلم ، وتظهر الفتن ، ويلقى الشح .. وعند البخاري : لا تقوم الساعة حتى يقتتل فئتان عظيمتان .. ويتقارب الزمان ، وتظهر الفتن ، ويكثر الهرج .. الحديث .

وهل هو كناية عن قصر الأعمار أو قلة البركة ؟ أو هو على الحقيقة ؟

أ - اختار النووي تبعًا للقاضي عياض ، وأيدهما ابن حجر أن المراد نزع البركة من كل شيء ، حتى من الزمان ، وأن الانتفاع باليوم يصير بقدر الانتفاع بالساعة الواحدة .

ب - وقيل : بل هو على الحقيقة . ويشهد لذلك ما يلي :

- عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان ، فتكون السنة كالشهر ، ويكون الشهر كالجمعة ، وتكون الجمعة

كاليوم ، ويكون اليوم كالساعة ، وتكون الساعة كاحتراق السَّعفة [أخرجه أحمد وابن حبان ، وصححه الهيثمي] .

- وعن أنس - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان ، فتكون السنة كالشهر ، والشهر كالجمعة ، وتكون الجمعة كاليوم ، ويكون اليوم كالساعة ، وتكون الساعة كالضَرْمة من النار . [أخرجه الترمذي] (1) .

ولعل حقيقة التقارب تظهر في أيام الدجال ، حيث تكون الخوارق كما سيأتي إن شاء الله . أما في زماننا ، فإن كثيرًا من الناس يرون أن أحدهم لا يقدر أن يبلغ من العمل قدر ما كان يعمل قبل ذلك ، ويشكو من ذلك ، ويرى أن الوقت يمضي بسرعة ، ولا يدري ما العلة ؟ ولعل السبب كثرة المخالفات والمعاصي ، فإن البركة في الوقت والرزق والعمر وغيرها إنما تكون بالإيمان والطاعة ، ولا سيما صلة الرحم .

وينطبق أيضًا على عكس ذلك ، كما نرى في زماننا ، فإن الإنسان بسبب تقدم وسائل النقل والاتصالات المسموعة والمرئية والمكتوبة ، ليقضي في الزمن القصير ما كان يقضيه في أزمنة متطاولة .

9 - ضعف المسلمين وتداعي الأمم عليهم

عن ثوبان - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها ، فقال قائل : من قلة نحن يومئذ ؟ قال : بل أنتم يومئذ كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله من صدوركم المهابة منكم ، وليقذفن في قلوبكم الوَهْن ، قيل : وما الوهن يا رسول الله ؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت . [أخرجه أبو داود وأبو نعيم في الحلية] (2) .

ورواه أحمد عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول لثوبان : كيف أنت يا ثوبان إذا تداعت عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها ؟. فقال : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، أمن قلة بنا ؟ قال : لا ، بل أنتم يومئذ كثير ،

(1) وقال « هذا حديث غريب » . وقال عبد القادر في تعليقه على جامع الأصول 400/10 : وإسناده ضعيف اهـ لكن يشهد له ما قبله ، ورواه نعيم بن حماد في الفتن برقم 1793 .

(2) وفي سنده صالح بن رستم الهاشمي ، وهو مجهول ، لكن يتقوى من الطريق الآخر الذي رواه أحمد في المسند ، وسنده قوي ، فيتقوى بالمتابعة [جامع الأصول 28/10] .

ولكن يُلقى في قلوبكم الوهن ، قال : وما الوهن يا رسول الله ؟ قال : حبكم الدنيا وكراهيتكم القتال .

فيه تصريح بما سيكون من تجمع الأمم ضد المسلمين استضعافًا لهم وطمعًا فيهم ، مع كثرة عددهم . والتداعي التتابع ، أي يدعو بعضهم بعضًا ، فتجيب المدعوة ، كما في دعوة الولائم .

وقد ظهر هذا واضحًا قبيل الحرب العالمية الأولى وبعدها ، فقد كان الأوروبيون يسمون الدولة العثمانية بالرجل المريض ، وينصبون لها المؤامرات والمكائد من الداخل والخارج ، وفي الحرب العالمية شقوا المسلمين شقين ، فضربوا الأتراك بالعرب ، والعرب بالأتراك ، وزرعوا بينهما العداوة ، وبعد انتهاء الحرب وانتصار الحلفاء ، تداعوا إلى تقسيم التركة ، وتمت معاهدة (سايكس بيكو) بين بريطانيا وفرنسا . ولا يزال تقاسم النفوذ على العالم الثالث ، ولا سيما المسلمون ، قائمًا حتى اليوم .

الفصل الثالث

الأمارات الصغرى التي لما تظهر

وفيه ثلاثة فروع :

الفرع الأول : عودة الخلافة الراشدة

الفرع الثاني : ظهور المهدي ، وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : التعريف بالمهدي

المبحث الثاني : ما يسبقه من الفتن

المبحث الثالث : غزواته

المبحث الرابع : الملاحم والفتوح

الفرع الثالث : القحطاني

1 - عودة الخلافة الراشدة

- عن حذيفة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ، فتكون ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون ملكًا عاضًا ، فيكون ما شاء الله أن يكون ، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون ملكًا جبريًّا ، فتكون ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ، ثم سكت . [أخرجه أحمد ، وصححه العراقي من طريقه ، وأخرجه البزار والطيالسي بأتم منه ، وروى الطبراني في الأوسط بعضه . قال الهيثمي : ورجاله ثقات] (1) .

- وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال : أول هذا الأمر نبوة ورحمة ، ثم تكون خلافة ورحمة ، ثم تكون ملكًا ورحمة ، ثم تكون إمارة ورحمة ، ثم يتكادمون عليها تكادم الحمير (2) ، فعليكم بالجهاد ، وإن أفضل جهادكم الرباط ، وإن أفضل رباطكم عسقلان . [أخرجه الطبراني في الكبير] .

وقد حدث ما ذكره النبي ﷺ ونحن الآن في زمن الملك الجبري - كما في حديث حذيفة - وفي عصر التكادم - كما في حديث ابن عباس - وننتظر عودة الخلافة الراشدة .

والحديث يدل على استقلالية الأقطار الإسلامية بعضها عن بعض ، غير أنه لا يحدد عدد الخلفاء الراشدين المنتظرين ، فإن كلمة خلافة لا تعني خليفة واحدًا ، بل تعني المرحلة المتصفة بذلك ، بدليل أن الخلافة الراشدة الأولى كانت من أربعة خلفاء ، والملك العاض والجبري كانا بمن لاحصر لهم .

وهل المقصود بها خلافة المهدي ومن بعده ؟ أو ستكون قبل ظهوره ، ثم يأتي هو في أعقابها ؟

الظاهر من النصوص أنه إذا كان المهدي هو الخليفة الذي يصلي المسيح خلفه - وهو الراجح كما سيأتي - فإن هناك خلافة تسبق ذلك ، وتنزل الأرض المقدسة ، وتكون عاصمتها القدس ، ثم يظهر المهدي ، والله أعلم .

---

(1) وروى نعيم بن حماد في الفتن برقم 81 عنه - رضي الله عنه - مرفوعًا : تكون فتنة ، ثم تكون جماعة ، ثم فتنة ، ثم تكون جماعة ، ثم فتنة تعوجّ فيها عقول الرجال .

(2) الكدْم : العض بأدنى الفم ، وهو فعل الحمير ، وقد شبههم بها . وبابه ضرب ونصر .

– عن أم سلمة – رضي الله عنها – قالت : قال رسول الله ﷺ : يكون اختلاف عند موت خليفة ، فيخرج رجل من أهل المدينة هاربًا إلى مكة ، فيأتيه ناس من أهل مكة ، فيخرجون وهو كاره ، فيبايعونه بين الركن والمقام .. الحديث [أخرجه أبو داود] [1] .

فلا شك أن المبايع بين الركن والمقام هو المهدي – كما سيأتي – وقد نص الحديث على وجود اختلاف بعد موت خليفة ، فدل على وجود خلافة قبله ، يكون في نهايتها خصام ونزاع ، ثم يأتي هو في أعقابها ، فيملأ الدنيا عدلًا ، كما فعل عمر بن عبد العزيز بعد أن صَحَّت بيعته ، فسمي خامس الراشدين .

– عن عبد الله بن حوالة الأزدي – رضي الله عنه – قال : وضع رسول الله ﷺ يده على رأسي – أو قال على هامتي – ثم قال : يا ابن حوالة ، إذا رأيت الخلافة نزلت الأرض المقدسة ، فقد دنت الزلازل والبلابل والأمور العظام ، والساعة يومئذ أقرب من الناس ، من يدي هذه إلى رأسك . [أخرجه أبو داود] [2] .

فدل على خلافة عاصمتها القدس ، وقاعدتها أرض فلسطين ؛ لأن الأرض المقدسة هي فلسطين – كما في سورة المائدة / 21 – والبركة مقرها المسجد الأقصى – كما في سورة الإسراء / 2 – وهذه الخلافة لما توجد .

– عن معاذ بن جبل – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : عمران بيت المقدس خراب يثرب ، وخراب يثرب [خروج] الملحمة ، وخروج الملحمة فتح القسطنطينية ، وفتح القسطنطينية خروج الدجال ، كما أنك قاعد ههنا – أو كما أنك قاعد – يعني معاذ بن جبل رضي الله عنه . [أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه] [3] .

فجعل كل واحدة منهن عين الأخرى . وعمران بيت المقدس يكون بجعله عاصمة الخلافة الإسلامية ، وعندما يخرج الدجال ، وينزل المسيح – عليه السلام – لقتله ، يكون المهدي حاضرًا ، فيصلي المسيح خلفه .

– عن محمد ابن الحنفية أنه قال : ينزل خليفة من بني هاشم بيت المقدس ، يملأ الأرض عدلًا ، يبني بيت المقدس بناء لم ين مثله ، يملك أربعين سنة ، ثم تكون هدنة

---

(1) قال عبد القادر في تعليقه على جامع الأصول 27/10 : وهو حديث حسن .
(2) ذكر المعلق على جامع الأصول 402/10 أن الحافظ قال في التهذيب : والإسناد لا بأس به .
(3) قال المعلق على جامع الأصول 414/10 : وإسناده ضعيف .

الروم على يديه في سبع سنين بقين من خلافته ، ثم يغدرون به ، ثم يجمعون له بالعمق ، فيموت فيها غمًّا ، ثم يلي من بعده رجل من بني هاشم ، ثم تكون هزيمتهم وفتح القسطنطينية على يديه ، ثم يسير إلى رومية فيفتحها ، ويستخرج كنوزها فينزلها ، ويخرج الدجال في زمانه ، وينزل عيسى ابن مريم فيصلى خلفه . [أخرجه نعيم بن حماد في الفتن] (1) .

فظواهر هذه النصوص تشير إلى أن بيننا وبين المهدي الذي يصلي المسيح خلفه أمدًا نسبيًّا . وهذا يدل على أن دولة الصهاينة الحالية سوف تسقط بإذن الله ، وتكون القدس عاصمة للخلافة الراشدة المنتظرة ، وأن اليهود سوف يتفرقون ، ثم يعودون مع الدجال ، ليقتلوا معه .

- عن المقداد بن الأسود - رضي الله عنه - قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : لا يبقى على ظهر الأرض بيت مدر ولا وبر ، إلا أدخله الله كلمة الإسلام ، بعز عزيز أو ذل ذليل ، إما يعزهم الله عز وجل ، فيجعلهم من أهلها ، أو يذلهم فيدينون لها . [أخرجه أحمد] ففيه إشارة إلى الجزية ، وإشارة أخرى إلى أن هذا إنما يكون قبل نزول المسيح - عليه السلام - لأنه لا يقبل الجزية من أحد .

2 - ظهور المهدي

أخبر النبي ﷺ أمته بظهور رجل صالح في آخر الزمان ، يلي أمرها ، ويجدد لها دينها ، يملأ الأرض عدلًا كما ملئت جورًا ، تنعم الأمة في عهده بنعمة لم ترها من قبل ، ألا وهو المهدي (2) .

اسمه ونسبه :

اسمه كاسم نبينا ﷺ محمد بن عبد الله ، أو أحمد بن عبد الله ، وهو من ذريته من نسل فاطمة البتول - رضي الله عنها - بنت الرسول ﷺ ومن صلب الحسن بن علي - رضي الله عنهما - فهو من بيت النبوة (3) .

---

(1) رقم 1200 ثنا الوليد عن أبي عبد الله مولى بني أمية عن محمد ابن الحنفية .

(2 ، 3) الأحاديث التي ذكرت ذلك ، بعضها أخبر بظهور خليفة عادل ، وبعضها وصفه بالمهدي ، ولما كان بينهما تشابه في الموضوع والأعمال ، ذهب العلماء من المحدثين وغيرهم إلى أن المراد بالخليفة العادل فيهما إنما هو المهدي ، كما سيأتي إن شاء الله ، والأحاديث التي تبشر بالمهدي على اختلاف رواياتها كثيرة جدًّا ، وهي =

- عن ابن مسعود - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد ، لطوَّل الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلًا مني - أو من أهل بيتي - يواطئ اسمه اسمي ، واسم أبيه اسم أبي ، يملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما ملئت ظلمًا وجورًا . [أخرجه الترمذي وقال : حسن صحيح ، وأبو داود وابن ماجه وأحمد] [1] .

وفي رواية ثانية أخرجها أحمد : لا تذهب - أو لا تنقضي - الدنيا حتى يملك العربَ رجل من أهل بيتي ، يواطئ اسمه اسمي [2] .

- عن أم سلمة - رضي الله عنها - قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : المهدي من عِتْرتي من ولد فاطمة . [أخرجه أبو داود وابن ماجه والحاكم في المستدرك والبيهقي والداني] [3] .

- عن علي - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : لو لم يبق من الدهر إلا

= مبثوثة في السنن والمسانيد والمعاجم وغيرها من دواوين الإسلام ، وكذلك الآثار عن الصحابة - رضي الله عنهم - المصرحة باسم المهدي ولها حكم الرفع ، فأعلام الأئمة وحملة السنة المتقدمون اعتنوا بجمعها بما يتحصل منه مجلدات ، ولا سيما ابن شيبة وابن خزيمة وأبو داود وابن حبيب وابن دريد وجمع لا يحصون من علماء الرواية والدراية ، وقد أفردت أخباره بتآليف عشرة أو تزيد ، وجاء ابن بريدة ، فجمع زُبدها في مجلد حافل ، سماه العواصم عن الفتن القواصم . والصحيح من الأحاديث والآثار كثير جدًّا ، غير أن تلك الدواوين لا تخلو من روايات ضعيفة وموضوعة ، خلا الصحيحين ، وقد نص عدد من الأئمة أنها بلغت حد التواتر ، وإنما يريدون التواتر المعنوي [فيض القدير 363/1] بتصرف وزيادة .

تنبيه : ادعى كثير من الأشخاص أنه المهدي المنتظر ، وأدت هذه الدعوات إلى سفك الدماء وهتك الأعراض وتفشي الظلم ، ولعل إخفاق هذه الحركات كان من أهم الأسباب التي دعت بعض العلماء إلى القول بتضعيف الأحاديث التي تذكر أو تشير إلى المهدي ، غير أن معرفة الحديث الصحيح من الضعيف شيء ، وإساءة فهم الحديث والادعاء شيء آخر .

(1) رمز السيوطي إلى حسنه ، وذكره بلفظ : حتى يُبعث فيه رجل من أهل بيتي - الفيض 332/5 - وأخرج نعيم بن حماد في الفتن 1077 عن عبد الله - رضي الله عنه - بلفظ : المهدي يواطئ اسمه اسمي ، واسم أبيه اسم أبي .

(2) وصححه أحمد محمد شاكر ، وأخرج نحوه أحمد عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال الطيبي : لم يذكر في هذه الرواية العجم ، وهم مرادون أيضًا ؛ لأنه إذا ملك العربَ ، واتفقت كلمتهم وكانوا يدًا واحدة ، قهروا سائر الأمم .

(3) رمز السيوطي لصحته ، وقال المناوي في الفيض 278/6 : فيه علي بن نفيل ، قال في الميزان عن العقيلي : لا يتابع عليه ، ولا يعرف إلا به ، وقال أبو حاتم : لا بأس به اهـ . وحسنه المعلق على جامع الأصول 331/10 والعِترة : نسل الإنسان ، أو ولد الرجل وعقبه من صلبه .

يوم ، لبعث الله رجلًا من أهل بيتي ، يملؤها عدلًا ، كما ملئت جورًا . [أخرجه أحمد وأبو داود] (1) .

– وعنه – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : المهدي منا أهل البيت ، يصلحه الله في ليلة واحدة . [أخرجه أحمد وابن ماجه] (2) .

– عن عائشة – رضي الله عنها – قالت : قال رسول الله ﷺ : هو رجل من عترتي ، يقاتل على سنتي ، كما قاتلت أنا على الوحي . [أخرجه نعيم بن حماد] .

– عن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : لتُملأن الأرض ظلمًا وعدوانًا ، ثم ليخرجن رجل من أهل بيتي ، حتى يملأها قسطًا وعدلًا ، كما ملئت ظلمًا وعدوانًا . [أخرجه الحارث بن أبي أسامة] .

– عن عمرو بن عبد الله السبيعي قال : قال علي – رضي الله عنه – ونظر إلى ابنه الحسن : إن ابني هذا سيد ، كما سماه رسول الله ﷺ وسيخرج من صلبه رجل ، يسمى باسم نبيكم ، يشبهه في الخُلُق ، ولا يشبهه في الخَلْق . [أخرجه أبو داود] (3) .

قال السمهودي : ويتحصل مما ثبت في الأخبار أنه من ولد فاطمة البتول – رضي الله عنها – وفي سنن أبي داود أنه من ولد الحسن – رضي الله عنه – والسر فيه ترك الحسن الخلافة لله ؛ شفقةً على الأمة ، فجعل القائم بالخلافة بالحق عند شدة الحاجة ، وامتلاء الأرض ظلمًا من ولده ، وهذه سنة الله في عباده ، يعطي لمن ترك شيئًا من أجله أفضل مما ترك ، أو ذريتَه من بعده . وقد بالغ الحسن في ترك الخلافة ، ونهى أخاه عنها ، وتذكر ذلك ليلة مقتله ، فترحم على أخيه (4) .

صفاته :

عن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : المهدي مني ، أجلى الجبهة ، أقنى الأنف ، يملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما مُلئت جورًا وظلمًا ،

(1) وصححه أحمد محمد شاكر ، وحسنه المعلق على جامع الأصول 330/10 .

(2) رمز السيوطي لحسنه ، وجاء في الفيض 278/6 : فيه ياسين العجلي ، قال في الميزان عن البخاري : فيه نظر ، ثم ساق له هذا الخبر اهـ . وصححه أحمد محمد شاكر : ورواه نعيم بن حماد في الفتن عنه – رضي الله عنه – بلفظين منفصلين : « المهدي منا أهل البيت » وبسند آخر « المهدي يصلحه الله في ليلة واحدة » .

(3) قال المعلق على جامع الأصول 332/10 : وإسناده ضعيف ، لكن لأكثره شواهد .

(4) قال السمهودي : وما روي من كونه من ولد الحسين فواهٍ جدًا – انظر فيض القدير 279/6 .

ويملك سبع سنين . [أخرجه أبو داود وابن ماجه والحاكم وصححه] [1] .

فهو أجلى الجبهة ، أي واسعها ، وشعره منحسرٌ عن مقدم رأسه إلى النصف . وهو أقنى الأنف ، أي طويله مع انحناء في وسطه ، ورقة أرنبته .

مكان ظهوره :

اقتصرت النصوص الصحيحة على ذكر المكان الذي يظهر منه المهدي ، والمكان الذي يبايع فيه ، وليس ثمة نص صحيح صريح في تحديد المكان الذي كان يعيش فيه قبل ذلك .

- عن أم سلمة - رضي الله عنها - قالت : قال رسول الله ﷺ : يكون اختلاف عند موت خليفة ، فيخرج رجل من أهل المدينة هاربًا إلى مكة ، فيأتيه ناس من أهل مكة ، فيخرجون وهو كاره ، فيبايعونه بين الركن والمقام .

ويُبعث إليه بعث من الشام ، فيخسف بهم بالبيداء بين مكة والمدينة ، فإذا رأى الناس ذلك ، أتاه أبدال الشام وعصائب أهل العِراق فيبايعونه .

ثم ينشأ رجل من قريش ، أخواله كلب ، فيبعث إليه بعثًا ، فيظهرون عليهم ، وذلك بعث كلب ، والخيبة لمن لم يشهد غنيمة كلب ، فيَقْسِمُ المال ، ويعمل في الناس بسنة نبيهم ﷺ ويُلقي الإسلام بجِرانه إلى الأرض [2] ، فيلبث سبع سنين - وقال بعض الرواه عن هشام : تسع سنين - ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون [أخرجه أبو داود] [3] .

---

(1) ورده الذهبي بأن فيه عمران القطان ضعيف . وقال المنذري : مختلف فيه ، استشهد به البخاري ، ووثقه عطاء بن مسلم ، وأحسن الثناء عليه يحيى بن سعيد القطان ، وضعفه يحيى بن معين والنسائي . وقد جَوَّد الحديث ابن القيم ورمز السيوطي في الصغير 279/6 لصحته ، وحسنه المعلق على جامع الأصول 331/10 ، وأخرج أبو داود والبيهقي نحوه عن عبد الله بن مسعود ، رضي الله عنه .

(2) الجِران : باطن العنق ، والجمع جُرُن ،والمعنى أن الإسلام قد قَرَّ قراره واستقام ، وطبقت أحكامه ، كما أن البعير إذا برك واستراح مدّ جِرانه على الأرض .

(3) وحسنه المعلق على جامع الأصول 27/10 . ورواه أحمد والطبراني في الأوسط وابن أبي شيبة عنها بلفظ « يكون اختلاف عند موت خليفة ، فيخرج .. فيأتي مكة ، فيستخرجه الناس من بيته ، فيبايعونه بين الركن والمقام ، فيجهز إليه جيش .. فيهزمهم الله ، فتكون الدائرة عليهم ، فذلك يوم كلب ، الخائب من خاب من غنيمة كلب ، فيستفتح الكنوز ، ويقسم الأموال ،. ويلقي الإسلام بجرانه إلى الأرض ، فيعيشون بذلك سبع سنين ، أو قال تسع » . قال الهيثمي « رجاله رجال الصحيح » وحسن ابن القيم إسناده ، لكن فيه راوٍ ضعفه وتكلم فيه غير واحد ، غير أن للحديث متابعات . ورواه أيضًا أحمد وأبو يعلى بلفظ « جيش من أمتي ، يجيئون من قبل الشام ، يؤمّون البيت لرجل يمنعه الله منهم » قال الهيثمي : فيه علي بن زيد ، حسن الحديث ، وفيه ضعف .

ورواه مسلم والترمذي عنها – رضي الله عنها – بلفظ : يعوذ عائذ بالبيت ، فيبعث إليه بعث ، فإذا كانوا ببيداء من الأرض خسف بهم . فقلت : يا رسول اللّه ، فكيف بمن كان كارهًا ؟ قال : يخسف به معهم ، ولكنه يبعث يوم القيامة على نيته .

علامات لمعرفته : .

ليس ثمة روايات صحيحة صريحة تدل على الزمان الذي يظهر فيه المهدي ، غير أنها تصف زمان ظهوره ، والأحداث التي تسبقه ، والأحداث التي تعقبه . ومنها ما يلي :

1 – يأتي في زمن ساد فيه الجور وعمه الظلم ، فيقيم الحق والعدل بأمر الله ، وينشر الله به الخير على الأمة . كما سبق في الأحاديث [1] .

وعن قرة بن إياس المزني – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال : لتملأن الأرض جورًا وظلمًا ، فإذا ملئت جورًا وظلمًا ، يبعث الله رجلًا مني ، اسمه اسمي ، واسم أبيه اسم أبي ، فيملؤها عدلًا وقسطًا ، كما ملئت جورًا وظلمًا ، فلا تمنع السماء شيئًا من قطرها ، ولا الأرض شيئًا من نباتها ، يمكث فيكم سبعًا أو ثمانيًا ، فإن أكثر فتسعًا . [أخرجه الطبراني في الكبير والأوسط ، والبزار وأبو نعيم في الحلية] [2] .

2 – يأتي في زمن اختلاف بعد موت خليفة ، وصراع على السلطة كما في حديث أم سلمة . وعن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – قال : قال رسول اللّه ﷺ : أبشركم بالمهدي ، يبعث على اختلاف من الناس وزلازل ، فيملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما ملئت جورًا وظلما ، يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض .. الحديث . [أخرجه أحمد بأسانيد وأبو يعلى والترمذي باختصار . قال الهيثمي : ورجال أحمد وأبي يعلى ثقات] .

3 – إن ظهوره ليس أمرًا كسبيًّا بطلب منه ؛ إذ لم يكن معروفًا بين الناس من قبل ، بل إنه يخرج من المدينة هاربًا إلى مكة ، ولا يعلم بذلك أصلًا ، فيُصلحه الله في ليلة واحدة ، كما سبق في حديث علي ، رضي الله عنه [3] .

---

(1) حديث ابن مسعود وحديث علي وحديث أبي سعيد ، رضي الله عنهم .

(2) قال الهيثمي : رواه الطبراني من طريق داود بن المجر عن أبيه ، وكلاهما ضعيف اهـ . وَرَمَز السيوطي لضعفه – فيض القدير 262/5 – ولمعناه شواهد .

(3) ومعنى يصلحه الله في ليلة : أي يتوب عليه ويوفقه ، ويلهمه رشده ، بعد أن لم يكن كذلك . ويمكن أن يكون معنى ذلك أن الله يُصلحه ، ويعده للخلافة والقيادة في تلك الأيام العصيبة .

والعرب تستعمل كلمة (أصلحه الله) للمدح والدعاء ، فكانوا يبدأون خطاب الأمراء بكلمة (أصلح الله =

4 – يستخرجه ناس من بيته وهو كاره ، كما في حديث أم سلمة – رضي الله عنها – برواياته ، ويبايعه بين الركن والمقام قوم ضعفاء قليلون .

عن حفصة – رضي الله عنها – قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : سيعوذ بهذا البيت – يعني الكعبة – قوم ليست لديهم منَعَة [1] ولا عدد ولا عدة ، يُبعث إليهم جيش ، حتى إذا كانوا ببيداء من الأرض خُسف بهم [2] . [أخرجه مسلم] .

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : في ذي القعدة تَحازُبُ القبائل ، وعامئذ ينتهي الحاج ، فتكون ملحمة بمنى ، فيكثر فيها القتلى ، وتسفك فيها الدماء ، حتى تسيل دماؤهم على عقبة الجمرة ، حتى يهرب صاحبهم ، فيؤتى به بين الركن والمقام ، فيبايع وهو كاره ، ويقال له : إن أبيت ضربنا عنقك ، فيبايعه مثل عدة أهل بدر ، يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض . [أخرجه نعيم بن حماد في الفتن] [3] .

5 – يأتي جيش من الشام لمحاربته ، فيخسف الله بهم بالبيداء التي بين مكة والمدينة ، كما في حديث أم سلمة رضي الله عنها .

وعن حفصة – رضي الله عنها – قالت : قال رسول الله ﷺ : ليؤمن هذا البيت جيش يغزونه ، حتى إذا كانوا ببيداء من الأرض ، يخسف بأوسطهم ، وينادي أولُهم آخرهم ، ثم يخسف بهم ، ولا يبقى إلا الشريد الذي يخبر عنهم . [أخرجه مسلم وأحمد والنسائي وابن ماجه] .

وعن صفية – رضي الله عنها – قالت : قال رسول الله ﷺ : لا ينتهى الناس عن غزو هذا البيت حتى يغزو جيش ، حتى إذا كانوا بالبيداء – أو ببيداء من الأرض – خسف بأولهم وآخرهم ، ولم ينج أوسطهم . قلت : يا رسول الله ، فمن كره منهم ؟

= الأمير) أي وفقه وسدد خطاه وأصلح شأنه . وانظر النهاية في الفتن والملاحم 26/1 .

(1) يقال : فلان في عز ومنَعَة – بفتح النون ، وقد تسكن – إذا كان له من يمنعه عمَّن يريده ، ويعزه عمن يريد هوانه . وقيل : المنعة : جمع مانع ، مثل كفرة وكافر .

(2) البيداء : المفازة ، وهي الأرض القفر الواسعة . وقد جاء في بعض الروايات عند مسلم عن زهير عن عبد العزيز بن رُفيع قال : فلقيت أبا جعفر فقلت : إنها [إنما] قالت : ببيداء من الأرض . فقال أبو جعفر : كلا والله ، إنها لبيداء المدينة اهـ . وهي معروفة بالقرب من ذي الحليفة إلى جهة مكة .

(3) رقم 986 : ثنا أبو يوسف المقدسي عن عبد الملك بن أبي سليمان عن عمر بن شعيب .

قال : يبعثهم الله على ما في أنفسهم . [أخرجه الترمذي وقال : حسن صحيح] .

وعن عائشة – رضي الله عنها – قالت : عبِث رسول الله ﷺ في منامه ، فقلنا : يا رسول الله ، صنعت شيئًا في منامك ، لم تكن تفعله ؟ فقال : العجب أن ناسًا من أمتي يؤمّون هذا البيت لرجل من قريش ، قد لجأ بالبيت ، حتى إذا كانوا بالبيداء خُسف بهم . فقلنا : يا رسول الله ! إن الطريق قد تجمع الناس ؟ فقال : نعم ، فيهم المستبصر والمجبور وابن السبيل ، يهلكون مهلكًا واحدًا ، ويصدرون مصادر شتى [1] ، يبعثهم الله عز وجل على نياتهم . [أخرجه الشيخان ، واللفظ لمسلم] وعند البخاري : يغزو جيش الكعبة ، فإذا كانوا ببيداء من الأرض ، يُخسف بأولهم وآخرهم ، قالت : قلت : يا رسول الله ! كيف يخسف بأولهم وآخرهم ، وفيهم أسواقهم ، ومن ليس منهم ؟ قال : يخسف بأولهم وآخرهم ، ويبعثون على نياتهم .

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : يغزو البيت جيش ، فيخسف بهم بالبيداء . [أخرجه النسائي] [2] .

وفي رواية أخرى : لا ينتهي عن غزو بيت الله حتى يخسف بجيش منهم .

وعن قتادة – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : يبعث إلى مكة جيش من الشام ، حتى إذا كانوا بالبيداء ، خسف بهم . [أخرجه نعيم بن حماد في الفتن] [3] .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – قال : علامة خروج المهدي ، إذا خسف بجيش في البيداء . [أخرجه نعيم بن حماد في الفتن] .

وجوب بيعته :

بعد ظهور تلك الكرامة وشيوعها ؛ يعلم الناس أنه المهدي ، فيأتيه أبدال الشام – وهم الأولياء والعباد – وعصائب العراق – أي خيارهم – لمبايعته ، كما في حديث أم سلمة – رضي الله عنها – ثم يسارع الناس إلى مبايعته . وعلى كل مسلم أن يبايعه بنفسه بعد تحقق ظهوره ، فإن عَجَزَ فبقلبه .

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده – رضي الله عنه – قال : يحج الناس معًا ،

(1) أي يوم القيامة .

(2) قال المعلق على جامع الأصول 280/9 : وإسناده حسن .

(3) رقم 939 ثنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة .

ويعرفون معًا على غير إمام ، فبينما هم نزول بمنى ، إذ أخذهم كالكلب ، فثارت القبائل بعضهم إلى بعض ، فاقتتلوا حتى تسيل العقبة دمًا ، فيفزعون إلى خيرهم ، فيأتونه وهو ملصق وجهه إلى الكعبة يبكي ، كأني أنظر إليه وإلى دموعه ، فيقولون : هلم فلنبايعك ، فيقول : ويحكم ، كم من عهد قد نقضتموه ؟ وكم من دم قد سفكتموه ؟ فيبايع كرهًا ، فإن أدركتموه فبايعوه ؛ فإنه المهدي في الأرض والمهدي في السماء . [أخرجه نعيم بن حماد في الفتن] (1) .

وعن ثوبان – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : يقتتل عند كنزكم (2) ثلاثة ، كلهم ابن خليفة ، ثم لا يصير إلى واحد منهم ، ثم تطلع الرايات السود من قبل المشرق ، فيقاتلونكم قتالًا لم يقاتله قوم .. ثم ذكر شيئًا لا أحفظه فقال : فإذا رأيتموه فبايعوه ، ولو حبوًا على الثلج ، فإنه خليفة الله المهدي . [أخرجه ابن ماجه والحاكم ، وقال : على شرطيهما ، ووافقه الذهبي] (3) .

وأخرجه أحمد والحاكم بلفظ : إذا رأيتم الرايات السود قد جاءت من قبل خراسان فأتوها – زاد نعيم بن حماد في روايته : ولو حبوًا على الثلج – فإن فيها خليفةَ الله المهدي (4) .

وعن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ جاء فتية من بني هاشم ، فتغير لونه ، فقلنا : يا رسول الله ، ما نزل نرى في وجهك شيئًا نكرهه ؟ فقال : إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا ، وإن أهل بيتي هؤلاء سيقتلون بعدي ، بلاءً وتطريدًا وتشريدًا ، حتى يأتي قوم من ههنا من نحو المشرق ،

(1) رقم 987 وقال أبو يوسف : ثني محمد بن عبيد الله عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده .

(2) قال ابن كثير في الفتن والملاحم « والمراد بالكنز ، كنز الكعبة » . قلت : وباب الكعبة المشرفة أضخم كتلة ذهب في العالم ، طوله 3,06 م ، وعرضه 1,68 م ، تم صنعه من الذهب الخالص ، مقدار الذهب المستخدم فيه للمصواعين 280كغ – مجلة الفراشة السنة الثانية العدد الخامس 1998 م .

(3) وقال ابن كثير في الفتن والملاحم « هذا إسناد قوي صحيح » غير أن الألباني قال : صحيح المعنى دون قوله « خليفة الله المهدي » فقد أخرجه ابن ماجه من طريق علقمة عن ابن مسعود ، وإسناده حسن ، وليس فيه خليفة الله .

(4) رمز السيوطي لصحته ، وجاء في الفيض 363/1 : وفيه على بن زيد بن جذعان ، نقل في الميزان عن أحمد وغيره تضعيفه ، ثم قال الذهبي : أراه حديثًا منكرًا ، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات . قال الحافظ : ولم يصب إذ ليس فيه متهم بالكذب اهـ . ورواه نعيم بن حماد في الفتن 896 ثنا أبو نصر الخفاف عن خالد عن أبي قلابة عن ثوبان رضي الله عنه .

أصحاب رايات سود ، يسألون الحق فلا يعطونه ، مرتين أو ثلاثًا ، فيقاتلون فينصرون ، فيعطون ما سألوا ، فلا يقبلوها حتى يدفعوها إلى رجل من أهل بيتي ، فيملؤها عدلًا كما ملؤوها ظلمًا ، فمن أدرك ذلك منكم ، فليأتهم ولوحبوًا على الثلج ، فإنه المهدي . [أخرجه نعيم بن حماد في الفتن] (1) .

وأخرجه ابن ماجه بلفظ قريب ، وليس في آخره (فإنه المهدي) .

وصفوة القول : المهدي رجل من أهل البيت ، اسمه محمد بن عبد الله ، من ذرية فاطمة بنت رسول الله ﷺ - ورضي الله عنها - ثم من ولد الحسن بن علي - رضي الله عنهما - فهو علوي فاطمي حسني ، يصلحه الله في ليلة ، فيوفقه ويفهمه ويرشده ، ويعطيه بسطة في العلم واقتدارًا على تحقيق العدل ، بعد أن لم يكن كذلك .

يظهر حين يطغى الفساد ، يبايعه الناس بالإمارة بين الركن والمقام عند البيت ؛ رجاء أن يكون صلاح الحال على يديه ، فيقبلها عن كره . وهو لا يعلم ، وهم لا يعلمون أنه المهدي المنتظر ، فلا يسبق توليتَه ادعاؤه أنه هو المهدي ، بل إنه لا يعرف نفسه ، وإنما يختاره الله فيختاره الناس فجأة . حتى إذا تمت البيعة ومارس مهمته ، جاء جيش من الشام لمحاربته ، وما إن يصل الجيش إلى البيداء ، حتى يخسف الله بهم ، وآنئذ يعرف القاصي والداني أنه المهدي المنتظر ، فتأتي الوفود لمبايعته ، ويؤيده الله بناس من المشرق ينصرونه ، ويقيمون سلطانه ويشدون أركانه ، راياتهم سوداء ، وهو زيُّ الوقار ، فيتغلب على قوى الشر المحيطة به ، ويملأ الأرض عدلًا كما ملئت جورًا (2) .

وفي زمانه تكون الثمار كثيرة ، والزروع غزيرة ، والمال وافرًا ، والسلطان قاهرًا ، والدين قائمًا ، والعدو راغمًا ، والخير في أيامه دائمًا كما سيأتي (3) .

---

(1) رقم 895 : ثنا محمد بن فضيل وعبد الله بن إدريس وجرير عن يزيد بن أبي زياد عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله .

(2) عن عبد الله بن الحارث بن جز الزبيدي قال : قال رسول الله ﷺ : يخرج ناس من المشرق ، فيوطئون للمهدي . يعني سلطانه [أخرجه ابن ماجه] .

وعن علي - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : يخرج رجل من وراء النهر ، يقال له الحارث بن حراث ، على مقدمة رجل يقال له منصور ، يوطئ - أو يمكن لآل محمد ﷺ كما مكنت قريش للنبي ﷺ وجبت على كل مؤمن نصرته . أو قال : إعانته . [أخرجه أبو داود] وانظر التذكرة ص 699 .

(3) النهاية في الفتن والملاحم 1/ 25 - 27 .

المهدي وعيسى :

لم تذكر تلك الأحاديث أن ذلك الرجل الذي يبايع بين الركن والمقام هو المهدي المصرح باسمه في الأحاديث السابقة ، غير أن العلماء حملوها عليه ، ورأوا أن الأحاديث التي في السنن والمسانيد وغيرها تفسر الأحاديث التي في الصحيحين وغيرهما ، وتدل على أن ذلك الرجل الصالح هو المهدي الذي يُسمّى محمد بن عبد الله ، ويصلي عيسى - عليه السلام - خلفه ، وذلك لقرائن كثيرة ، منها ما يلي .

- عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة [1] ، فينزل عيسى ، فيقول أميرهم : تعالى صلّ لنا ، فيقول : لا ، إن بعضكم على بعض أمراء ، تكرمة الله لهذه الأمة . [أخرجه مسلم وأحمد] .

- وعنه - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : ينزل عيسى ابن مريم ، فيقول أميرهم المهدي : تعال صل بنا ، فيقول : لا ، إن بعضكم على بعض أمراء ، تكرمة الله لهذه الأمة . [أخرجه أبو نعيم والحارث بن أسامة في مسنده] [2] .

فدل على أن ظهوره يكون قبل عودة المسيح - عليه السلام - ثم ينزل المسيح - عليه السلام - فيصلي خلفه ، ثم يتعاضدان في المهام .

- عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : منا الذي يصلي عيسى خلفه . [أخرجه أبو نعيم في أخبار المهدي] [3] .

- وعن حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : يلتفت المهدي ، وقد نزل عيسى ابن مريم ، كأنما يقطر من شعره الماء ، فيقول المهدي ، تقدم صل بالناس ، فيقول عيسى : إنما أقيمت الصلاة لك ، فيصلي خلف رجل من ولدي ..

---

(1) قال النووي : هذه العصابة عامة مفرقة بين أنواع المؤمنين ؛ فمنهم محدثون ، ومنهم فقهاء ، ومنهم زهاد ، ومنهم مجاهدون مقاتلون ، ومنهم قائمون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، إلى غير ذلك من أنواع الخير ، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين في بلد واحد ، أو قطر واحد .

(2) أورده السيوطي في الحاوي 2 / 64 ، وعزاه لأبي نعيم في أخبار المهدي ، وأورده ابن القيم في المنار المنيف وعزاه إلى الحارث بن أسامة في مسنده ثم قال : وهذا إسناد جيد .

(3) كما قال السيوطي في الحاوي ، ورمز له في الجامع الصغير بالضعف كما في الفيض 13/5 ، وحسنه بعضهم لشواهده أي منا أهل البيت .

الحديث [أخرجه أبو عمر الداني في سننه] .

- عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قال : المهدي ينزل عليه عيسى ابن مريم ، ويصلي خلفه عيسى . [أخرجه نعيم بن حماد في الفتن] .

- عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : المهدي منا ، يدفعها إلى عيسى ابن مريم . [أخرجه نعيم بن حماد في الفتن] (1) .

- وعنه - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال : لن تهلك أمة ، أنا في أولها ، وعيسى ابن مريم في آخرها ، والمهدي في وسطها . [أخرجه النسائي] (2) .

والمراد بالوسط ما قبل الآخر .

2 - ما يسبقه من الفتن

1 - انحسار الفرات عن كنز من ذهب :

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : لا تقوم الساعة حتى يَحْسِر الفرات - عن جبل من ذهب ، يقتتل عليه الناس ، فَيُقتل من كل مائة تسعة وتسعون ، فيقول كل رجل منهم : لعلي أكون أنا أنجو . [أخرجه الشيخان] .

وفي رواية لهما ، أخرجها أيضًا أبو داود والترمذي : يوشك الفرات أن يحسِر عن

---

(1) رقم 1088 ثنا الوليد وغيره عن عبد الملك بن أبي غَنِيَّةَ عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ، رضي الله عنهما .

وروى ابن أبي شيبة عن ابن سيرين أنه قال : المهدي من هذه الأمة ، وهو الذي يؤم عيسى ابن مريم .

(2) أورده السيوطي في الجامع الصغير ، وعزاه لأبي نعيم في كتاب أخبار المهدي ، وأشار إلى ضعفه ، وعزاه المناوي في الفيض 301/5 إلى النسائي ، وأورده المتقي في الكنز .

وأورد السيوطي في الدر المنثور ، و المتقي الهندي في كنز العمال ، وابن حجر في الفتح عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - مرفوعًا : كيف تهلك أمة ، أنا أولها ، وعيسى ابن مريم آخرها . وأورد التبريزي في مشكاة المصابيح 293/3 عن زين العابدين علي بن الحسن بن علي - رضي الله عنهم - مرسلًا : قال : قال رسول الله ﷺ : كيف تهلك أمة ، أنا أولها ، والمهدي وسطها ، والمسيح آخرها ؟ ولكن بين ذلك فيج أعوج ، ليسوا مني ، ولا أنا منهم .

وأورد الحاكم في المستدرك والترمذي في نوادر الأصول ، والسيوطي في الدر عن التابعي جُبير بن نفير مرفوعًا : لن يخزي الله أمة ، أنا في أولها ، وعيسى في آخرها . وحسنه الحافظ في الفتح ، ورمز السيوطي في الصغير إلى صحته .

كنز من ذهب فمن حضره ، فلا يأخذ منه شيئًا .

– وعنه – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : تقيء الأرض أفلاذ كبدها ، مثل الأسطوان من الذهب والفضة ، فيجيء القاتل فيقول : في هذا قتلت ! ويجيء القاطع فيقول : في هذا قطعت رحمي ! ويجيء السارق فيقول : في هذا قطعت يدي ! ثم يَدَعونه ، فلا يأخذون منه شيئًا . [أخرجه مسلم] .

– وعن عبد الله بن الحارث بن نوفل – رضي الله عنه – قال : كنت واقفًا مع أبي ابن كعب – رضي الله عنه – فقال : لا يزال الناس مختلفة أعناقهم في طلب الدنيا . قلت : أجل ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : يوشك الفرات أن يَحسِر عن جبل من ذهب ، فإذا سمع به الناس ساروا إليه ، فيقول من عنده : لئن تركنا الناس يأخذون منه ليَذهبَنَّ به كله ، قال : فيقتتلون عليه ، فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون . [أخرجه مسلم] .

– وعن أبي بن كعب – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : يوشك الفرات أن يحسر عن جبل من ذهب ، فمن حضره فلا يأخذ منه شيئًا . [أخرجه مسلم] .

فانحساره هو انكشافه لذهاب مائه بسبب ما ، وقد يكون بسبب تحول مجراه ، وآنئذ يظهر هذا الكنز أو هذا الجبل غير المعروف الآن ، ويمكن أن تتنازع عليه الدول التي يمر فيها . وقد نهى النبي ﷺ من حضر من أمته ذلك الموقف أن يأخذ منه شيئًا ؛ وذلك لما ينشأ عنه من اقتتال [1] .

فتنة الأحلاس والسراء والدهيماء

– عن عبد الله بن عمر بن الخطاب – رضي الله عنهما – قال : كنا قعودًا عند رسول الله ﷺ فذكر الفتن ، فأكثر في ذكرها حتى ذكر فتنة الأحلاس [2] ، فقال قائل : يا رسول الله ، وما فتنة الأحلاس ؟ قال : هي هَرَب وحَرَب . ثم ذكر فتنة

(1) فتح الباري 41/13 . ولعل من بقايا الوحي المختلطة بالشوائب ما جاء في رؤيا يوحنا 12/16 : وسكب الملاك السادس كأسه على نهر الفرات الكبير ، فجف ماؤه ، ليكون ممرًا لملوك الشرق .

(2) الأحلاس : جمع حِلْس بكسر الحاء وسكون اللام وهو الكساء الذي يلي ظهر البعير تحت القتب ، شبهت به الفتنة ؛ لملازمتها الناس ، كما يلازم الحلس ظهر البعير .وقال الخطابي : يحتمل أن تكون شبهت بالأحلاس لسواد لونها وظلمتها .

السراء ، دَخَنُها من تحت قَدَمَيْ رجلٍ من أهل بيتي ، يزعم أنه مني ، وليس مني ، وإنما أوليائي المتقون ، ثم يصطلح الناس على رجلٍ ، كوَرِك على ضِلَع ، ثم فتنة الدهيماء ، لا تدع أحدًا من هذه الأمة إلا لطمته لطمة ، فإذا قيل انقضت تمادت ، يصبح الرجل فيها مؤمنًا ، ويمسي كافرًا ، حتى يصير الناس إلى فسطاطين ؛ فسطاط إيمان لا نفاق فيه ، وفسطاط نفاق لا إيمان فيه ، فإذا كان ذاكم ، فانتظروا الدجال من يومه أو غده . [أخرجه أبو داود والحاكم في المستدرك وصححه ، ووافقه الذهبي] (1) .

– عن عمير بن هانئ – رضي اللّه عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : فتنة الأحلاس فيها حَرَب وهَرَب ؛ وفتنة السراء ، يخرج دخنها من تحت قدمي رجل ، يزعم أنه مني ، وليس مني ، إنما أوليائي المتقون ، ثم يصطلح الناس على رجل ، ثم تكون فتنة الدهيماء ، كلما انقطعت تمادت ، حتى لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته ، يُقاتل فيها ، ولا يدري على حق يقاتل أم على باطل ؟ فلا يزالون كذلك حتى يصيروا إلى فسطاطين ، فسطاط إيمان لانفاق فيه ، وفسطاط نفاق لا إيمان فيه ، فإذا اجتمعا ، فأبصر الدجال اليوم أو غدًا . [أخرجه نعيم بن حماد في الفتن] (2) ذكر النبي ﷺ ثلاث فتن تسبق الدجال .

أ – فتنة الأحلاس ، وهي فتنة مظلمة قائمة كالسواد ، تدوم طويلًا ، ويذهب فيها الأموال والأهل ، فإن الحَرَب – بفتح الراء – ذهاب المال والأهل .

ب – فتنة السراء ، أي النعم التي تسر الناس من وفرة المال والعافية ، حيث يبتلى الناس بشتى أنواع الخيرات ، غالبًا ما تكون الفتنة بالنعمة أضر على الدين من الفتنة بالمال والأهل .

وقوله ﷺ : « دخَنَها من تحت قدمي رجل .. » أي إثارتها وهيجها وأصل ظهورها من هذا الرجل . فشَبَّهها بالدخان الذي يرتفع ويثور . وفي بعض الروايات « دَخَلها أو دَخَنها » والدخل – بفتح الدال والخاء – الغش والعيب والفساد .

وقوله ﷺ : « كورك على ضلع » مثلٌ يضرب للأمر الذي لا يثبت ولا يستقيم . يريد أن هذا الرجل غير خليق بالملك ، فلا يلائمه ، ولا يستقيم به ، كما أن الورك لا تلائم الضلع ؛ لأن الضلع لا يقوم بالورك ولا يحمله .

---

(1) وصححه المعلق على الجامع 24/10 ، وقد رواه أحمد في المسند عن أبي المنيرة بمثله .

(2) بسنده : ثنا الوليد بن مسلم عن عبد الرحمن بن يزيد عن جابر عن عمير بن هانئ .

جـ - فتنة الدُّهيماء ، أي السوداء المظلمة ، التي تدهم الناس بشرورها [1] .

وبعد ذلك ينقسم الناس إلى قسمين أو معسكرين [2] : إيمان خالص ، وكفر محض ، وآنئذ فليتوقعوا خروج الدجال بين عشية وضحاها [3] .

3 - غزوات المهدي

ما إن يخسف الله بالجيش الذي يجيء من الشام لمحاربة المهدي ، حتى يشتهر أمره ، فتأتيه وفود المبايعين من كل جهة ، تبايعه على إعلاء كلمة الله جل جلاله ، فيجتمع له جيش من المسلمين لا يجد وقتًا للراحة . وأهم الغزوات التي يقوم بها قبل نزول المسيح - عليه السلام - : غزو جزيرة العرب ، ثم فارس ، ثم الروم - الملحمة الكبرى - ثم فتح القسطنطينية ، ثم رومية ، ثم يقاتل الدجال مع المسيح ابن مريم - عليه السلام - بعد نزوله .

عن نافع بن عتبة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : تغزون جزيرة العرب ، فيفتحها الله ، ثم فارس ، فيفتحها الله ، ثم تغزون الروم ، فيفتحها الله ، ثم تغزون الدجال ، فيفتحه الله .

قال : فقال نافع : يا جابر - هو جابر بن سمرة - لا نُرى الدجال يخرج حتى تفتح الروم [4] . [أخرجه الشيخان وأحمد وابن ماجه ، واللفظ لمسلم] .

---

(1) الدُهيماء : تصغير الدهماء ، وهي الداهية التي تدهم الناس بشرها ، وهو تصغير تعظيم وتهويل ، لشدة ما فيها من شرور .
وقيل : أراد بذلك الداهية يذهب بهم إلى الدهيم ،وهو في زعم العرب اسم ناقة ، كان من قصتها أنه غزا عليها سبعة إخوة ، فقُتلوا عن آخرهم ، وحملوا على الدهيم ، حتى رجعت بهم . فصارت مثلًا في كل داهية .

(2) وعبر النبي ﷺ عن الجماعة بالفَسْطاط ، وهو في الأصل المدينة التي يجتمع فيها الناس . وقال الزمخشري : « هو ضرب من الأبنية يتخذ في السفر دون السرادق » . وجمعه فساطيط .

(3) وثمة حديث آخر ، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : لا تذهب الليالي والأيام حتى يملك رجل يقال له : الجهجاه [أخرجه مسلم] .
وعن أحمد : لا يذهب الليل والنهار حتى يملك رجل من الموالي يقال له : جهجاه .
وهو غير القحطاني ، لأن هذا من الموالي ، وذلك منسوب إلى قحطان الذي تنتهي إليه أنساب أهل اليمن من حمير وكندة وهمذان وغيرهم .

(4) وهل يكون فتح رومية (روما) على يديه بعد فتح القسطنطينية ، قبل خروج الدجال ونزول المسيح - عليه السلام - أو بعد نزوله ؟ لعل كلام نافع - رضي الله عنه - يشير إلى الأول ، والله أعلم .

أ - غزو جزيرة العرب

أول جيش يخرج لقتال المهدي بعد أن يخسف الله بالجيش الأول هو جيش من جزيرة العرب ، بدعوة رجل من قريش ، هو السفياني على الراجح [1] ، فيجهز جيشًا ، ويستعين بأخواله من قبيلة كلب ، فيحاصرونه .

عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ : يوشك المسلمون أن يحاصروا إلى المدينة ، حتى يكون أبعد مسالحهم سلاح قريب من خيبر [2] . [أخرجه أبو داود] .

ثم يسيرون لقتاله ، فيهزمهم الله ، ويغنم المهدي وجيشه منهم غنائم عظيمة .

عن أم سلمة - رضي الله عنه - في حديثها السابق : .. ثم ينشأ رجل من قريش ، أخواله كلب ، فيبعث إليه بعثًا ، فيظهرون عليهم ، وذلك بعث كلب ، والخيبة لمن لم يشهد غنيمة كلب ، فيقسم المال .. الحديث .

وعن علي - رضي الله عنه - أنه قال : ستكون فتنة ، يُحَصَّل الناس منها كما يحصل الذهب في المعدن ، فلا تسبوا أهل الشام ، وسبوا ظلمتهم ، فإن فيهم الأبدال ، وسيرسل الله إليهم سيبًا من السماء فيفرقهم ، حتى لو قاتلهم الثعالب غلبتهم ، ثم يبعث الله عند ذلك رجلًا من عترة الرسول ﷺ في اثني عشر ألفًا إن قلوا ، أو خمسة عشر

---

(1) ذكر القرطبي في التذكرة ص 702 أن المهدي يقاتل السفياني ومن معه من كلب ، فينطبق عليه أنه ذلك الرجل القرشي . وذكر بعضهم أن اسمه عروة بن محمد ، وكنيته أبو عتبة . وانظر منه أيضًا ص 693 - 694 وروى الحاكم عن علي - رضي الله عنه - موقوفًا ، وصححه وقال على شرطيهما : السفياني من ولد خالد بن يزيد بن أبي سفيان ، رجل ضخم الهامة ، بوجهه أثر جدري ، بعينه نكتة بياض ، يخرج من ناحية دمشق ، وعامة من يتبعه من كلب ، فيقتل ، حتى يبقر بطون النساء ، ويقتل الصبيان ، ويخرج إليه رجل من أهل بيتي في الحرم ، فيبلغ السفياني ، فيبعث إليه جندًا فيهزمهم ، فيسير إليه السفياني بمن معه ، حتى إذا جاز ببيداء من الأرض خسف بهم ، فلا ينجو إلا المخبر عنهم .

غير أن آخر هذا الأثر يخالف حديث أم سلمة - رضي الله عنه - المرفوع ، فإنه يذكر أن هذا الجيش يأتي بعد الخسف بالجيش الأول ، وأن المهدي يظهر عليه . وقد روى نعيم بن حماد أحاديث تدل على أن السفياني أخواله من كلب ، ويكونون معه في المعركة بعد الخسف ، ويغنم المهدي منهم ، غير أنها ضعيفة السند ، وهي رقم 1012 و 1013 و 1014 .

(2) المسالح : جمع مسلحة ، وهم قوم ذو سلاح . والمسلحة أيضًا كالثغر والمرقَب ، يكون فيه أقوام يرصدون العدو ؛ لئلا يطرقهم ، فإذا رأوه أعلموا أصحابهم ليتأهبوا .

ألفًا إن كثروا ، أمارتهم - أو علامتهم - أمِت أمت ، على ثلاث رايات ، يقاتلهم أهل سبع رايات ، ليس من صاحب راية إلا وهو يطمع بالملك ، فيقتتلون ويهزمون ، ثم يظهر الهاشمي [1] ، فيرد الله إلى الناس ألفتهم ونعمتهم ، فيكونون على ذلك حتى يخرج الدجال . [أخرجه الحاكم موقوفًا وصححه ، ووافقه الذهبي] [2] .

وبذلك تفتح جزيرة العرب أبوابها للمهدي فيملكها ، ويتحقق قول النبي ﷺ في حديث نافع - رضي الله عنه - : « تغزون جزيرة العرب ، فيفتحها الله » ،وقوله في حديث ابن مسعود - رضي الله عنه - السابق : لا تنقضي الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي ، يواطئ اسمه اسمي .

ب - غزو فارس

ثم يخرج من بلاد فارس (إيران) جيش لقتال المهدي ، فيهزمهم الله شر هزيمة ، ويتحقق قوله ﷺ : في حديث نافع - رضي الله عنه - : « ثم فارس فيفتحها الله » [3] .

- عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا خُوزًا وكِرْمانَ من الأعاجم ، حمر الوجوه ، فُطس الأنوف ، صغار الأعين ، وجوههم المجان المطرقة [4] ، نعالهم الشعر . [أخرجه البخاري] .

وللبخاري عن قيس بن أبي حازم قال : أتينا أبا هريرة - رضي الله عنه - فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول - وقال هكذا بيده - : بين يدي الساعة تقاتلون قومًا نعالهم الشعر ، وهم البارز . قال سفيان مرة : وهم أهل البارز ، ويعني بأهل البارز أهل فارس ، كذا هو بلغتهم .

---

(1) قد يكون هو المهدي نفسه ؛ لأنه هاشمي ، أو لعله هاشمي آخر يقاتل في جيش المهدي .

(2) وهو في حكم المرفوع .

(3) روى نعيم بن حماد في الفتن برقم 897 : ثنا عبد الله بن إسماعيل البصري عن أبيه الحسن قال : يخرج بالري رجل ربعة أسمر ، يكون على مقدمة المهدي ، لا يلقاه أحد إلا فله .

904 ثنا عبد الله بن مروان عن العلاء بن عتبة عن الحسن أن رسول الله ﷺ ذكر بلاء يلقاه أهل بيته ، حتى يبعث الله راية من المشرق سوداء ، من نصرها نصره الله ، ومن خذلها خذله الله حتى يأتوا رجلًا اسمه كاسمي ، فيولونه أمرهم ، فيؤيده الله وينصره .

وروى الترمذي بسند غريب عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : تخرج من خراسان رايات سود ، لا يردها شيء ، حتى تنصب بإيلياء .

(4) يشبه هذا الوصف أهل الصين واليابان وكوريا ومن حولهم ، فهم فطس الأنوف صغار الأعين ، وجوههم عريضة مستديرة . والله أعلم .

– عن بريدة بن الحصيب – رضي الله عنه – أن النبي ﷺ قال : يقاتلكم قوم صغار الأعين – يعني الترك – قال : تسوقونهم ثلاث مِرار ، حتى تلحقوهم بجزيرة العرب ، فأما في السياقة الأولى ، فينجو من هرب منهم ، وأما في الثانية ، فينجو بعض ويهلك بعض ، وأما في الثالثة فيُصطلمون . [أخرجه أبو داود] [1] .

تنبيه : من الملاحظ أن النصوص التي تتحدث عن خوز وكرمان وعن الترك ، تذكر أقوامًا لهم صفات واحدة ، وهي تقريبًا الصفات التي ذكرت في قتال المغول والتتار ؛ وذلك لأنه جرت العادة أن يطلق اسم الترك على الشعوب التي تقطن وراء جبل القفقاس . وقد قاتل المسلمون بعض هذه الشعوب ، كالمغول والتتار ، ودخل بعضهم في الإسلام كبني عثمان وبعض المغول ، كما قاتلوا زنادقة انطلقوا من بلاد فارس .

قال ابن حجر : ويقال : لبابك : (الخُرَّمي) ، وكان من الزنادقة الذين استباحوا الحرمات ، وقامت لهم شوكة كبيرة أيام المأمون ، إلى أن قتل في أيام المعتصم ، وكان خروجه سنة إحدى ومائتين ، أو قبلها ، وقتله سنة اثنين وعشرين .

جـ - غزو الروم

1 - الصلح الآمن وغدر الروم

– عن عوف بن مالك – رضي الله عنه – في حديثه السابق : أتيت النبي ﷺ في غزوة تبوك ، وهو في قبة من أدم ، فقال : اعدد ستًّا بين يدي الساعة .. ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر [2] ، فيغدرون ، فيأتونكم تحت ثمانين غاية ، كل غاية اثنا عشر ألفًا .

– وعن ذي مِخْمَر – رضي الله عنه – قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ستصالحون الروم صلحًا آمنًا ، فتغزون أنتم وهم عدوًّا من ورائكم ، فتنصرون وتغنمون

---

(1) قال المعلق على جامع الأصول 377/10 : وفي إسناده بشير بن المهاجر الغنوي الكوفي ، وهو صدوق لين الحديث ، وباقي رجاله ثقات اهـ .

وهل هذه الحروب ستكون في زمن المهدي قبل نزول عيسى – عليه السلام – أو بعد نزول عيسى ، فيقوم بها الاثنان معًا ؟ الله أعلم .

(2) الهدنة : الصلح الذي ينعقد بين الكفار والمسلمين ، وهو في الأصل السكون ، كأنهم سكنوا عن القتال ، وقد يكون بين كل طائفتين اقتتلتا ، إذا تركتا القتال عن صلح ، وهادنه صالحه ، ومنه قولهم : هدنة على دَخَن ، أي سكون غل . وأصل الدخَن أن يكون في لون الدابة كَدورة إلى سواد . وبنو الأُصفر هم الروم ، نسبوا إلى الأصفر بن عيصو . والغاية الراية ، كما في بعض الروايات [التذكرة ص 670] .

وتسلمون ، ثم ترجعون حتى تنزلوا بمرج ذي تُلول ، فيرفع رجل من أهل النصرانية الصليب فيقول : غلب الصليب ، فيغضب رجل من المسلمين فيدقه ، فعند ذلك تغدِر الروم ، وتجتمع للملحمة . [أخرجه أبو داود وابن ماجه وابن حبان وأحمد وغيرهم] [1] .

وزاد أبو داود في أخرى : ويثور المسلمون إلى أسلحتهم ، فيقتتلون ، فيكرم الله تلك العصابة بالشهادة .

وعند أحمد : تصالحون الروم صلحًا آمنًا ، فتغزون أنتم وهم عدوًّا من ورائهم .. ثم تنزلون بمرج ذي تلول ، فيقوم رجل من الروم فيرفع الصليب .. فيغدر الروم ، وتكون الملاحم ، فيجتمعون لكم في ثمانين غاية ، مع كل غاية اثنا عشر ألفًا .

وأخرجه نعيم بن حماد في الفتن عنه [2] - رضي الله عنه - بلفظ : تصالحون الروم صلحًا آمنًا ، حتى تفروا أنتم وهم عدوًا من ورائهم ، فتنصرون ، وقد نصرتم وغنمتم ، فينزلون بمرج ذي تلول ، فيقول قائلهم : غلب الصليب ، ويقول مسلم : بلِ الله غلب ، فيتداولونها ساعة ، فيثب المسلم إلى صليبهم ، وهو منه غير بعيد ، فيدقه ، ويثورون إليه فيقتلونه ، فيثور المسلمون إلى سلاحهم ، فيكرم الله عز وجل تلك العصابة من المسلمين بالشهادة ، فيأتون ملكهم فيقولون : كفيناك حد العرب ، فيغدرون فيجمعون للملحمة .

وأخرج عنه أيضًا من طريق آخر [3] بلفظ : تصالحون الروم عشر سنين صلحًا آمنًا ، يوفون لكم سنتين ، ويغدرون في الثالثة - أو يوفون أربعًا ، ويغدرون في الخامسة - فينزل جيش منكم في مدينتهم ، فتنفرون أنتم وهم إلى عدو من ورائهم ، فيفتح الله لكم ، فتنصرون بما أصبتم من أجر وغنيمة ، فينزلون في مرج ذي تلول ، فيقول قائلكم : غلب الله ، ويقول قائلهم : الصليب غلب ، فيتداولونها ساعة ، فيغضب المسلمون ، وصليبهم منهم غير بعيد ، فيثور المسلم إلى صليبهم فيدقه ، فيثورون إلى كاسر صليبهم فيضربون عنقه ، فتثور تلك العصابة من المسلمين إلى أسلحتهم ، ويثور الروم إلى أسلحتهم ، فيقتتلون ، فيكرم الله تلك العصابة من المسلمين فيستشهدون ، فيأتون

---

(1) وصححه المعلق على جامع الأصول 26/10 .

(2) برقم 1260 و 1262 ، وهما حديثان بسند واحد : ثنا الوليد عن الأوزاعي عن حسان بن عطية عن خالد بن معدان عن جبير بن نفير عن ذي مِخمر قال : سمعت النبي ﷺ يقول .

(3) رقم 1376 : ثنا ضمرة بن ربيعة عن يحيي بن أبي عمرو السيباني عن ذي مخبر - رضي الله عنه - قال سمعت النبي ﷺ يقول :

ملكهم فيقولون : قد كفيناك حد العرب وبأسهم ، فماذا تنتظر ؟ فيجمع لكم حمل امرأة ، ثم يأتيكم في ثمانين غاية ، تحت كل غاية اثنا عشر ألفًا .

وعن أبي قبيل عن غير واحد من أصحاب النبي ﷺ قال : يكون بين المسلمين والروم هدنة ، على أن يبعث المسلمون إليهم بجيش يكون بالقسطنطينية غوثًا لهم ، فيأتيهم عدو من ورائهم يقاتلونهم ، فيخرج إليه المسلمون والروم معهم ، فينصرهم الله عليهم ، ويهزمونهم ويقتلونهم ، فيقول قائل من الروم : غلب الصليب ، ويقول قائل من المسلمين : بل الله غلب ، فيتراجع القوم ذلك بينهم ، فيقوم المسلم إلى الرومي فيضرب عنقه ، فتنكث الروم ، حتى إذا رجعوا إلى القسطنطينية وأمنوا قتلوهم وهم آمنون ، فإذا قتلوهم عرفوا أن المسلمين سيطلبونهم بدمائهم ، فيخرج الروم على ثمانين غاية ، تحت كل غاية اثنا عشر ألفًا . قال أبو قبيل : فإذا جاءت الروم لم يكن للناس بعدهم قوام ، ومعهم يومئذ الترك وبرجان والسقالبة . [أخرجه نعيم بن حماد في الفتن] [1] .

ذكرت الأحاديث ما يلي :

1 – هدنة على دَخَن أو صلح ظاهره الأمان بين المسلمين والروم ، ينتج عنه تحالف بين الفريقين .

2 – يقاتلون معًا عدوًّا مشتركًا ، ذكرت أكثر الروايات أنه من وراء الروم ، وفي حديث ذي مخمر أنه من وراء المسلمين . ويمكن أن يكون من وراء كليهما كما في حديث أبي قبيل عن غير واحد من الصحابة – رضي الله عنهم – .

3 – لم تحدد الروايات الصحيحة هذا العدو ، غير أن نعيم بن حماد روى أثرًا عن يونس بن سيف الخولاني [2] أنه قال : تصالحون الروم صلحًا آمنًا ، حتى تغزوا أنتم وهم الترك وكرمان ، فيفتح الله لكم ، فتقول الروم : غلب الصليب ، فيغضب المسلمون ، فينحازون وينحازون ، فيقتتلون قتالًا شديدًا عند مرج ذي تلول ، ثم يفتح الله لكم عليهم ، ثم تكون الملاحم بعد ذلك .

4 – انتصار المسلمين والروم على العدوّ المشترك مع غنائم كثيرة يغنمونها ، ثم نزول الفريقين عند مرج ذي تلول .

---

(1) رقم 1322 : ثنا رشدين عن ابن لهيعة والليث بن سعد عن أبي قبيل . وسنده ضعيف .

(2) في الفتن برقم 1375 : ثنا أبو المغيرة عن ابن عياش عن عقيل بن مدرك عن يونس بن سيف .

5 – غدر الروم بالمسلمين وقتلهم جماعة منهم ، ثم استعداد الفريقين للملحمة الكبرى .

6 – لم تذكر تلك الروايات أن المعركة ضد العدو المشترك ستكون قبل المهدي أو في زمانه ؟

ظاهر حديث عوف بن مالك – رضي الله عنه – « ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر ، فيغدرون فيأتونكم » وحديث ذي مخمر – رضي الله عنه – ولا سيما رواية أحمد « فيغدر الروم وتكون الملاحم » يدلان على أنها تكون في زمنه . ويؤيد ذلك ما رواه نعيم بن حماد في الفتن [1] عن أرطاة قال : يكون بين المهدي وبين طاغية الروم صلح بعد قتله السفياني ونهب كلب ، حتى تختلف تجاركم إليهم ، وتجارهم إليكم ، ويأخذون في صنعة سفنهم ثلاث سنين ..

ويعكر ذلك ما رواه أبو داود عن حذيفة – رضي الله عنه – أنه قال : يا رسول الله ، هل بعد هذا الخير من شر ؟ قال : فتنة وشر . قال : قلت : يا رسول الله ، هل بعد هذا الشر خير ؟ قال : هدنة على دخن ، وجماعة على أقذاء فيها – أو فيهم – ، قلت : يا رسول اللّٰه ، الهدنة على الدخن ما هي ؟ قال : لا ترجع قلوب أقوام عن الذي كانت عليه .. قال : قلت : يا رسول الله ، ثم ماذا ؟ قال : إن كان لله خليفة في الأرض ، فضرب ظهرك ، وأخذ مالك ، فأطعه ، وإلا فمت وأنت عاض بأصل شجرة . قلت : ثم ماذا ؟ قال : يخرج الدجال .. الحديث .

وروى نعيم بن حماد في الفتن نحوه عنه – رضي الله عنه [2] – وروى عن محمد ابن الحنفية [3] أنه قال : ينزل خليفة من بني هاشم بيت المقدس .. يملك أربعين سنة ، ثم تكون هدنة الروم على يديه في سبع سنين بقين من خلافته ، ثم يغدرون به ، ثم يجمعون له بالعمق ، فيموت فيها غمًّا ، ثم يلي من بعده رجل من بني هاشم ، ثم تكون هزيمتهم وفتح القسطنطينية على يديه ، ثم يسير إلى رومية .. ويخرج في زمانه الدجال ، وينزل عيسى .. الأثر . والله أعلم .

2 - الملحمة الكبرى [4]

بعد غدر الروم بالمسلمين في ذلك المكان واقتتالهم ، وإكرام تلك الجماعة المسلمة

---

(1) برقم 1428 : ثنا الحكم بن نافع عن جراح عن أرطاة . وسبق ذكر الأثر في آخر بحث الصلح الآمن في الحاشية .

(2) برقم 24 و 29 و 32 .　　(3) سبق ذكر الأثر في آخر بحث عودة الخلافة الراشدة .

(4) الملحمة – بفتح الميمين – الحرب والقتال ، جمعها ملاحم ، كأنها من اشتباك الناس واختلاطهم أو من اللحم ؛ لكثرة لحوم القتلى .

بالشهادة ، يحشد الطرفان قواتهما ، وتكون الملحمة الكبرى .

– عن عوف بن مالك – رضي الله عنه – في حديثه السابق : ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر فيغدرون ، فيأتونكم تحت ثمانين غاية [1] ، تحت كل غاية اثنا عشر ألفًا . وعند نعيم بن حماد في الفتن : والسادسة هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر ، ثم يسيرون إليكم فيقاتلونكم ، والمسلمون يومئذ في أرض يقال لها الغوطة ، في مدينة يقال لها دمشق .

– حديث ذي مِخْمَر – رضي الله عنه – السابق ، ففي رواية لأحمد : .. فيرفع الرجل بين أهل الصليب فيقول : غلب الصليب .. فعند ذلك يغدر الروم ، ويجتمعون للملحمة ، فيأتون تحت ثمانين راية ، تحت كل راية اثنا عشر ألفًا .

– عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال : لا تقوم الساعة حتى تنزل الروم بالأعماق – أو بدابق [2] – فيخرج إليهم جيش من المدينة ، من خيار أهل الأرض يومئذ ، فإذا تصافوا ، قالت الروم : خلوا بيننا وبين الذين سُبوا منا نقاتلْهم ، فيقول المسلمون : لا والله ، كيف نخلي بينكم وبين إخواننا ؟ فيقاتلونهم ، فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبدًا ، ويقتل ثلثهم ، أفضل الشهداء عند الله ، ويفتتح الثلث ، لا يفتنون أبدًا ، فيفتحون قسطنطينية .. الحديث [أخرجه مسلم وابن ماجه والحاكم وصححه ووافقه الذهبي] .

– عن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – أنه قال : إن الساعة لا تقوم حتى لا يقسم ميراث ، ولا يُفرح بغنيمة ، ثم قال بيده هكذا ، ونحاها نحو الشام ، فقال : عدو يجمعون لأهل الإسلام ، ويجمع لهم أهل الإسلام . قلت : الروم تعني ؟ قال : نعم ، ويكون عند ذلكم القتال ردة شديدة ، فيتشرَّط المسلمون شُرْطة للموت [3] ، لا ترجع إلا غالبة ، فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل ، فيفيء هؤلاء وهؤلاء ، كلٌّ غير غالب ،

---

(1) الغاية – بالغين والياء – : الراية ، كما سيأتي في رواية أحمد ، ومنه غاية الخمار ، وهي خرقة يرفعها على بابه . وسميت الراية بالغاية ؛ لأنها غاية المتبع ، إذا وقفت وقف . ومن رواه بالباء ، فإنه أراد الأجمة ، شبه كثرة رماح العسكر بها .

(2) الأعماق : قال ياقوت : جاء بلفظ الجمع ، والمراد العَمْق ، وهو ناحية قرب دابق ، ودابق قرية قرب حلب من أعمال عَزَاز ، بينها وبين حلب أربعة فراسخ .

(3) الشرطة : أول طائفة من الجيش تشهد الواقعة ، أو تتقدم للقتال . والتشرط ؛ تفعُّل منه .

وتفنى الشرطة ، ثم يشترط المسلمون شرطة للموت ، لا ترجع إلا غالبة ، فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل ، فيفيء هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب ، وتفنى الشرطة ، ثم يتشرط المسلمون شرطة للموت ، لا ترجع إلا غالبة ، فيقتتلون حتى يُمسوا ، فيفيء هؤلاء وهؤلاء ، كل غير غالب ، وتفنى الشرطة ، فإذا كان اليوم الرابع ، نَهَدَ [1] إليهم بقية أهل الإسلام ، فيجعل الله الدائرة – وفي بعض النسخ الدَبَرة [2] – عليهم ، فيقتتلون مقتلة – إما قال : لا يرى مثلها ، وإما قال : لم ير مثلها – حتى إن الطائر بجنباتهم ، فما يُخلِّفُهم حتى يخر ميتًا ، فيتعادُّ بنو الأم – وفي نسخ مسلم المطبوعة : بنو الأب – كانوا مائة ، فلا يجدون بقي منهم إلا الرجل الواحد ، فبأي غنيمة يُفرح ؟ أو أي ميراث يقسم ؟ فبينما هم كذلك إذ سمعوا ببأس [3] هو أكبر من ذلك ، فجاءهم الصريخ : إن الدجال قد خلفهم في ذراريهم ، فيرفضون ما بأيديهم ، ويقبلون فيبعثون عشرة فوارس طليعة . قال رسول الله ﷺ : إني لأعرف أسماءهم وأسماء آبائهم ، وألوان خيولهم ، هم خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ . أو قال : من خير فوارس . [أخرجه مسلم] .

– عن عبد الرحمن بن سنة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : .. فاقتتلوا هم والروم ، فتتقلب بهم الحروب حتى يردوا عَمْق أنطاكية [4] ، فيقتتلون بها ثلاث ليال ، فيرفع الله النصر عن كلا الفريقين .. فيُستشهد ثلث ، ويصبر ثلث ، ويرجع ثلث شاكًا ، فيخسف بهم .

قال : فتقول الروم : لن ندعكم إلا أن تخرجوا إلينا من كان أصله منا ، فيقول العرب للعجم : الحقوا بالروم . فتقول العجم : أنكفر بعد الإيمان ، فيغضبون عند ذلك ، فيحملون على الروم ، فيقتتلون ، فيغضب الله عند ذلك ، فيضرب بسيفه ويطعن برمحه . قيل : يا عبد الله بن عمر : ما سيف الله ورمحه ؟ قال : سيف الله ورمحه المؤمن ، حتى يُهلِكوا الروم جميعًا ، فما يفلت إلا مخبر ، ثم ينطلقون إلى أرض الروم .. الحديث [أخرجه نعيم بن حماد في الفتن] [5] .

---

(1) نَهَدَ الجيش : أي نهض لقتال العدو . (2) الدبَرَة : أي جعل الله الهزيمة عليهم .

(3) البأس : الخوف والشدة .

(4) العَمقْ : قال : يا قوت كورة – أي ناحية – قرب دابق بين حلب وأنطاكية .

(5) رقم 1379 ثنا الوليد وأبو المغيرة عن ابن عياش عن إسحاق بن أبي فروة عن يوسف بن سليمان عن جدته ميمونة عن عبد الرحمن بن سنة – رضي الله عنه – .

– وعن كعب قال : ذكر رسول الله ﷺ الملحمة ، فسمى الملحمة من عدد القوم ، وأنا أفسرها لكم : إنه يحضرها اثنا عشر ملكًا [1] ؛ ملك الروم أصغرهم وأقلهم مقاتِلة ، ولكنهم كانوا هم الدعاة ، هم دعوا تلك الأمم واستمدوا بهم . وحرام على أحد يرى عليه حقًّا للإسلام ألّا ينصر الإسلام يومئذ ، وليبلغن مدد المسلمين يومئذ صَنعاء الجند ، وحرام على أحد يرى عليه حقًّا للنصرانية ألا ينصرها يومئذ ، ولتمدنهم الجزيرة بثلاثين ألف نصراني ، فيترك الرجل فدانه يقول : أذهب أنصر النصرانية ، ويسلط الحديد بعضه على بعض ، فما يضر رجلًا يومئذ كان معه سيف لا يجدع الأنف ألا يكون مكانه الصمصامة ، لا يضع سيفه يومئذ على درع ولا غيره إلا قطعته ، وحرام على جيش أن يترك النصر ويلقي الصبر على هؤلاء و هؤلاء ، ويُسلط الحديد بعضه على بعض ، ليشتد البلاء ، فيقتل يومئذ من المسلمين ثلث ، ويفر ثلث ، فيقعدون في مهيل من الأرض يعني هويّ – لا يرون الجنة ، ولا يرون أهليهم أبدًا ، ويصبر ثلث ، فيحرسونهم ثلاثة أيام ، لا يفرون فر أصحابهم ، فإذا كان اليوم الثالث قال رجل منهم : يا أهل الإسلام ما تنتظرون ؟ قوموا فادخلوا الجنة كما دخلها إخوانكم ،. فيومئذ يُنزل الله تعالى نصره ، ويغضب لدينه ، ويضرب بسيفه ، ويطعن برمحه ، ويرمي بسهمه ، لا يحل لنصراني أن يحمل بعد ذلك اليوم سلاحًا حتى تقوم الساعة ، ويضرب المسلمون أقفاهم مدبرين ، لا يمرون بحصن إلا فتح .. الحديث [أخرجه نعيم بن حماد] [2] .

– عن أبي الدرداء – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : إن فسطاط [3] المسلمين يوم الملحمة بالغوطة ، إلى جانب مدينة يقال لها دمشق ، من خير مدائن الشام [أخرجه أبو داود والحاكم] [4] .

وعند أحمد : فسطاط المسلمين يوم الملحمة الكبرى بأرض يقال لها الغوطة ، فيها مدينة يقال لها دمشق ، خير منازل المسلمين يومئذ .

– عن مكحول أن رسول الله ﷺ قال : موضع فسطاط المسلمين في الملاحم أرض

---

(1) سبق قول أبي قبيل : فإذا جاءت الروم لم يكن للناس بعدهم قوام ، ومعهم الترك وبرجان والسقالبة : في بحث الصلح الآمن .

(2) في الفتن رقم 1352 ثنا ابن وهب عن عاصم بن حكيم عن عمرو بن عبد الله عن كعب .

(3) الفسطاط : الخيمة الكبيرة ، وأراد هنا البلدة الجامعة للناس ، ومنه سميت مصر الفسطاط وكل مدينة فسطاط .

(4) وصححه المعلق على جامع الأصول 351/9 ، وذكر في فيض القدير 463/2 أنه روي أيضًا من طرق أخرى .

يقال لها الغوطة [أخرجه أبو داود مرسلًا] [1] .

وفي رواية عنه موقوفًا قال : ليَمْخَرَنّ الروم الشام أربعين صباحًا ، لا يمتنع فيها إلا دمشق وعمان . [أخرجه أبو داود] .

أراد أن الروم تدخل الشام وتجوس خلاله وتطوفه .

وقد دلت الأحاديث على ما يلي :

1 - حشد الطرفين قواتهما ووقوع الملحمة الكبرى . ويكون حشد الروم قرابة مليون جندي ، 12 × 80000 = 960000 ، يتمركزون بالأعماق (دابق) قرب مدينة حلب . أما جيش المسلمين ، فينطلق من المدينة المنورة ، كما في حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - وتلتحق به الجموع ، كما في حديث ابن مسعود ، رضي الله عنه .

2 - بلاد الشام هي أرض المعركة الكبرى وما يعقبها من معارك ، ومركز قيادة المسلمين في الغوطة قرب دمشق كما في حديث أبي الدرداء ومكحول .

3 - دل حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - « خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم » ، وحديث عبد الرحمن بن سنة - رضي الله عنه - « فتقول الروم : لن ندعكم إلا أن تخرجوا إلينا من كان أصله منا » على أن كثيرًا من الروم يدخلون في الإسلام قبل الملحمة الكبرى .

4 - هذه الملحمة تكون بحضور المهدي ، بدليل حديث نافع بن عتبة - رضي الله عنه - « ثم تغزون الروم فيفتحها الله ، ثم تغزون الدجال ، فيفتحه الله » وحديث أبي هريرة - رضي الله عنه - : « فيخرج إليهم جيش من المدينة ، من خيار أهل الأرض يومئذ » [2] .

5 - يكون انتصار المسلمين المرير على الروم تهيئة لفتح القسطنطينية الأخير وغيرها ، كما سيأتي إن شاء الله .

---

(1) قال المعلق على جامع الأصول 352/9 : وهو صحيح بشواهده .

(2) ولا يعكر ذلك ما رواه نعيم بن حماد في الفتن برقم 1428 : ثنا الحكم بن نافع عن جراح عن أرطاة قال : يكون بين المهدي وبين طاغية الروم صلح بعد قتله السفياني ونهب كلب ، حتى تختلف تجاركم إليهم وتجارهم إليكم ، ويأخذون في صنعة سفنهم ثلاث سنين ، ثم يهلك المهدي ، فيملك رجل من أهل بيته قليلًا ، ثم يجوز فيقتتل قتلًا ، ولا ينطفئ ذكره حتى ترسى الروم فيما بين صور إلى عكا ، فهي الملاحم . لا يعكر ذلك ؛ لأنه يعارض ما هو أقوى منه .

3 - فتح القسطنطينية الأخير

فتحت القسطنطينية لأول مرة في زمن السلطان العثماني محمد الثاني ، المعروف بالفاتح - رحمه الله - فحاز بذلك مع جيشه بشارة النبي ﷺ ومديحه كما سلف ، غير أن الضعف حل بالمسلمين بعد الحرب العالمية الأولى ، وتداعت عليهم الأمم بسبب ابتعادهم عن دينهم الذي أعزهم الله به ، فأصبحت القسطنطينية تحت حكم الملحد مصطفى كمال ، صنيعة الصهيونية والاستعمار ، ولا زالت الأمور في تركيا تسير من سيئ إلى أسوأ ، حتى إنهم حالفوا اليهود وفتحوا لهم بلادهم ، وتوددوا إليهم ، وهم أيضًا يخطبون ود الأوربيين بتضييق الخناق على المسلمين ، ومحو كل ما يمت إلى الإسلام بصلة ، والأوربيون لا يعبأون بهم ، بل يحتقرونهم . وربما يطرأ تغيير على الوضع الدولي قبل ظهور المهدي وخروج الدجال ، فتصبح القسطنطينية تحت حوزة النصارى ، أو حلفائهم .

والفتح الأخير لها لن يكون بقتال ، وإنما بالتكبير والتهليل تسقط المدينة ، مكافأة للمسلمين الذين أبلوا بلاء حسنًا لدي قتال الروم في الملحمة الكبرى .

- عن أبي هريرة - رضي الله عنه - في حديثه السابق : .. ويفتتح الثلث ، لا يفتنون أبدًا ، فيفتتحون قسطنطينية ، فبينما هم يقتسمون الغنائم ، قد علقوا سيوفهم بالزيتون ، إذ صاح فيهم الشيطان : إن المسيح الدجال قد خلفكم في أهاليكم ، فيخرجون وذلك باطل .. الحديث .

- وعنه - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : سمعتم بمدينة جانب منها في البر ، وجانب منها في البحر [1] ؟ قالوا : نعم يا رسول الله ، قال : لا تقوم الساعة حتى يغزوها سبعون ألفًا من بني إسحاق ، فإذا جاءوها نزلوا ، فلم يقاتلوا بسلاح ، ولم يرموا بسهم ، وإنما قالوا : لا إله إلا الله والله أكبر ، فيسقط أحد جانبيها - قال ثور بن يزيد : لا أعلمه إلا قال الذي في البحر - ثم يقولوا [2] الثانية : لا إله إلا الله والله أكبر ، فيسقط جانبها الآخر ، ثم يقولون الثالثة : لا إله إلا الله والله أكبر ، فيُفَرَّج لهم ، فيدخلونها فيغنمون ، فبينما هم يقتسمون الغنائم ، إذ جاءهم الصريخ فقال : إن الدجال

---

(1) القسطنطينية مدينة بناها الملك قسطنطين ، وهي مثلثة الشكل ، جانبان منها في البحر ، وجانب في البر .

(2) هكذا الرواية بحذف النون عطفًا على فلم يرموا .

قد خرج ، فيتركون كل شيء ويرجعون [أخرجه مسلم] .

– وعنه – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : إنكم ستفتحون مدينة هرقل – أو قال : قيصر – وتقتسمون أموالها بالتُّرَسة ، ويُسمعهم الصريخ أن الدجال قد خَلَفهم في أهاليهم ، فيلقون ما معهم ويخرجون فيقاتلون . [أخرجه الطبراني في الأوسط] [1] .

– عن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال : فتح القسطنطينية مع قيام الساعة . [أخرجه الترمذي] [2] .

– عن عبد الرحمن بن سنة – رضي الله عنه – في حديثه السابق : .. ثم ينطلقون إلى أرض الروم ، فيفتحون حصونها ومدائنها بالتكبير ، حتى يأتوا مدينة هرقل ، فيجدون خليجها بطحاء ، ثم يفتتحونها بالتكبير ، يكبرون تكبيرة ، فيسقط أحد جدرها ، ثم يكبرون أخرى ، فيسقط جدار آخر ، ويبقى جدارها البحري لا يسقط .. الحديث [أخرجه نعيم بن حماد] .

– وعن كعب في أثره السابق قال : .. ويضرب المسلمون أقفاهم مدبرين ، لا يمرون بحصن إلا فتح ولا مدينة إلا فتحت ، حتى يردوا القسطنطينية ، فيكبرون الله ، ويقدسونه ويحمدونه ، فيهدم ما بين اثني عشر برجًا ، ويدخلها المسلمون ، فيومئذ يقتل مقاتلتها ، وتفتض عذارها ويأمرها الله ، فيظهر كنوزها ، فآخذ وتارك ، فيندم الآخذ ، ويندم التارك . قالوا : وكيف يجتمع ندامتهما ؟ قال : يندم الآخذ ألا يكون ازداد ، ويندم التارك ألا يكون أخذ . قالوا : إنك لترغبنا في الدنيا في آخر الزمان ؟! قال : إنه يكون ما أصابوا منها عونًا لهم على سنين شداد وسنين الدجال ، قال : ويأتيهم آت ، وهم فيها فيقول : خرج الدجال في بلادكم . قال : فينصرفون حيارى ، فلا يجدونه خرج ، فلا يلبث إلا قليلًا حتى يخرج . [أخرجه نعيم بن حماد] [3] .

(1) قال الهيثمي : ورجاله ثقات اهـ . والتُّرَسة : اسم مكان ، وفي رواية ضعيفة عند ابن ماجه بالأترسة . وخَلَفهم: قام مقامهم ، وخلفهم العدو ؛ إذا طرقهم وهم غائبون .

(2) من حديث محمود بن غيلان عن أبي داود الطيالسي ، وقال : هذا حديث غريب . جامع الأصول بتعليق عبد القادر 403/10 .

(3) وأخرج نعيم بن حماد في الفتن برقم 1320 : ثنا بقية وأبو المغيرة عن بشير بن عبد الله بن يسار قال : أخذ عبد الله بن بسر المزني صاحب رسول الله ﷺ بأذني فقال : يا ابن أخي ، لعلك تدرك فتح قسطنطينية ، فإياك إن أدركت فتحها أن تترك غنيمتك ، فإن بين فتحها وبين خروج الدجال سبع سنين .

وعند مسلم عنه رضي الله عنه : إذا أتاكم خبر الدجال وأنتم فيها ، فلا تدعوا غنائمكم فيها ، فإن الدجال لم يخرج .

كثرة الروم :

جاء في حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – عن فتح القسطنطينية الأخير : « يغزوها سبعون ألفًا من بني إسحاق » [1] .

وبنو إسحاق هم الروم ، وهم من سلالة العيص بن إسحاق بن إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – فإن لإسحاق أكثر من ولد [2] . ويظهر – والله أعلم – أن كثيرًا من الروم يعتنقون الإسلام في آخر الزمان قبل الملحمة الكبرى وبعدها ، أما قبلها فيدل عليه حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – : حيث يقول الروم للجيش الآتي من المدينة المنورة : « خلوا بيننا وبين الذين سُبوا منا نقاتلهم ، فيقول المسلمون : لا والله ، كيف نخلي بينكم وبين إخواننا » ، وحديث عبد الرحمن بن سنة : « فتقول الروم : لن ندعكم إلا أن تخرجوا إلينا من كان أصله منا » . وأما بعد الملحمة ، فتتزعزع عقيدتهم ، فيدخل كثير منهم في الإسلام ، ويكونون جميعًا في الجيش الذي يفتح القسطنطينية .

عن المستورد بن شداد – رضي الله عنه – قال عند عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – : سمعت رسول الله ﷺ يقول : تقوم الساعة والروم أكثر الناس . فقال له عمرو : أبْصِر ما تقول ! قال : أقول ما سمعت من رسول الله ﷺ قال : لئن قلت ذلك ، إن فيهم لخصالًا أربعًا ؛ إنهم لأحلم الناس عند فتنة ، وأسرعهم إفاقة عند مصيبة ، وأوشكهم كرة بعد فرة ، وخيرهم لمسكين ويتيم وضعيف ،وخامسة حسنة جميلة ، وأمنعهم من ظلم الملوك . [أخرجه مسلم] .

وفي رواية قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : تقوم الساعة والروم أكثر الناس . قال : فبلغ ذلك عمرو بن العاص – رضي الله عنه – فقال : ما هذه الأحاديث التي تذكر عنك أنك تقولها عن رسول الله ﷺ ؟ فقال له المستورد – رضي الله عنه – : قلت الذي سمعته من رسول الله ﷺ ، فقال عمرو – رضي الله عنه – : لئن قلت ذلك ، إنهم لأحلم الناس عند فتنة ، وأصبر الناس عند مصيبة ، وخير الناس لمساكينهم وضعفائهم [3] .

---

(1) ذكر النووي في شرح مسلم أن القاضي عياضًا قال : كذا هو في جميع أصول مسلم « من بني إسحاق » وقال بعضهم : المعروف المحفوظ من بني إسماعيل . وهو الذي يدل عليه الحديث وسياقه ؛ لأنه أراد العرب .

(2) النهاية في الفتن 46/1 .

(3) وأخرج هذه الرواية نعيم بن حماد في الفتن برقم 1349 .

وبذلك يكون فتح القسطنطينية في المرتين على أيدي المسلمين من غير العرب ، ففي المرة الأولى على أيدي العثمانيين ، وفي الأخيرة على أيدي الروم والعرب ، غير أن الروم أكثر .

عن جابر بن عبد الله – رضي الله عنه – قال : أخبرتني أم شَريك – رضي الله عنها – أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول : ليفرن الناس من الدجال في الجبال . قالت أم شريك : قلت : يا رسول الله ، فأين العرب يومئذ ؟ قال : هم قليل . [أخرجه مسلم والترمذي] .

وعن طلحة بن مالك – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال : إن من اقتراب الساعة هلاك العرب . [أخرجه الترمذي] [1] .

فالروم يكونون في آخر الزمان خيرًا من أولاد عمهم بني إسرائيل الذين يتبعون الدجال .

4 - فتح رومية (روما)

بعد انتصار المسلمين في الملحمة الكبرى ، وفتحهم القسطنطينية ، يتقدمون نحو روما عاصمة إيطاليا اليوم ، ومقر بابا الكاثوليك ، فيفتحونها بالتكبير أيضًا .

---

(1) قال الزين العراقي : حسن . ورمز السيوطي لحسنه – فيض القدير 10/5 .

ولعل من بقايا الوحي المختلطة بالشوائب ما جاء في سفر رؤيا يوحنا عن القسطنطينية وما يحل بها وبغيرها على يد الأمين الصادق :

19/16 : وانقسمت المدينة العظمى ثلاثة أقسام ، وانهارت مدن الأمم .

1/17 : وجاءني أحد الملائكة السبعة ، الذين معهم الكؤوس السبع وقال لي : تعال فأريك عقاب الزانية العظيمة القائمة على جانب المياه الكثيرة .

2/17 : زنى بها ملوك الأرض ، وسكر سكان الأرض من خمر كأس زناها .

17/18 - 18 : وربابنة السفن وركابها وبحارتها وجميع الذين يرتزقون في البحر ، وقفوا من بعيد ، وصاحوا وهم ينظرون إلى دخان لهيبها : أي مدينة تشبه المدينة العظيمة ؟

19/18 : وأخذوا يبكون ويندبون ويصيحون : الويل الويل أيتها المدينة العظيمة ، من نفائسها اغتنى أصحاب السفن في البحر ، في ساعة واحدة تبدد كل شيء فيها .

11/19 : فرأيت السماء مفتوحة ، وإذا فرس أبيض ، وعليه راكب يدعى الأمين والصادق ، يحكم ويحارب بالعدل .

12/19 : عيناه كلهيب نار ، وعلى رأسه تيجان كثيرة ،وعليه اسم مكتوب ، لا يعرفه أحد سواه .

– عن عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – قال : بينما نحن حول رسول الله ﷺ نكتب ، إذ سئل رسول الله ﷺ : أي المدينتين تفتح أولًا ؟ أقسطنطينية أو رومية ؟ فقال رسول الله ﷺ : مدينة هرقل تفتح أولًا . يعني قسطنطينية . [أخرجه أحمد وابن أبي شيبة والدارمي والحاكم وصححه ، ووافقه الذهبي ، وأخرجه المقدسي وحسنه] .

وأخرج نعيم بن حماد في الفتن عنه [1] – رضي الله عنه – أنه قال : تفتح القسطنطينية قبل رومية ، ثم تغزون رومية بعد القسطنطينية فتفتحونها .

– وعن عبد الرحمن بن سنة – رضي الله عنه – في حديثه السابق : .. ثم يستجيزون إلى رومية ، فيفتحونها بالتكبير ، ويتكايلون غنائمها كيلًا بالغرائز . [أخرجه نعيم بن حماد في الفتن] .

– عن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال : ستقاتلون بني الأصفر ، ويقاتلهم من بعدكم من المؤمنين أهل الحجاز ، حتى يفتح الله عليهم القسطنطينية ورومية بالتسبيح والتكبير ، فيتهدم حصنها ، فيصيبون مالم يصيبوا مثله قط ، حتى إنهم يقتسمون بالأترسة ، ثم يصرخ صارخ : يا أهل الإسلام ، المسيح الدجال في بلادكم وذراريكم ، فينفض الناس عن المال ، منهم الآخذ ومنهم التارك ، الآخذ نادم والتارك نادم ، يقولون : من هذا الصارخ ؟ ولا يعلمون من هو ، فيقولون : ابعثوا طليعة إلى إيلياء ، فإن يكن المسيح قد خرج يأتوكم بعلمه ، فيأتون فينظرون ، ولا يرون شيئًا ، ويرون الناس ساكنين ، ويقولون : ما صرخ الصارخ إلا لنبأ عظيم ، فاعزموا ، ثم ارفضّوا ، فيعزمون أن نخرج بأجمعنا إلى إيلياء ، فإن يكن الدجال خرج نقاتله حتى يحكم الله بيننا وبينه ، وإن تكن الأخرى فإنها بلادكم وعشائركم إن رجعتم إليها . [أخرجه ابن ماجه] [2] .

وأخرج البزار وابن ماجه عن عمرو بن عوف [3] – رضي الله عنه – قال : قال

---

(1) برقم 1354 : ثنا ابن وهب عن ابن لهيعة عن أبي قبيل عن عمير بن مالك . وابن لهيعة ضعيف .

(2) وهو ضعيف السند كما في النهاية لابن كثير مع التعليق عليه 45/1 – 46 .
وذكر القرطبي في التذكرة ص 704 أنهم يقتحمون القسطنطينية ورومية .

(3) رمز السيوطي في الجامع الصغير إلى ضعفه ، وفيه بقية وسويد بن سعيد ، فيهما مقال . انظر فيض القدير 280/3 ، وأخرجه أيضًا نعيم بن حماد في الفتن ، وسيأتي الحديث بتمامه لدى الكلام عن زمان خروج الدجال إن شاء الله .

رسول الله ﷺ : لا تذهب الدنيا حتى تكون رابطة من المسلمين بموضع يقال له : بولان ، حتى يقاتلوا بني الأصفر ، يجاهدون في سبيل الله ، لا يأخذهم في الله لومة لائم ، حتى يفتح الله عليهم قسطنطينية ورومية بالتسبيح والتكبير ، فيهدم حصنها .. الحديث .

فظاهر هذه الأحاديث أن المسلمين ينطلقون بعد فتح القسطنطينية إلى روما [1] ، والله أعلم .

5 - غزو الهند

بعد فتح القسطنطينية ورومية (روما) تمهد الأرض للمهدي ، ويدخل في طاعته أكثر الأمم ، فيبعث الجيوش إلى الهند وغيرها .

- عن صفوان بن عمرو عمن حدثه عن رسول الله ﷺ قال : يغزو قوم من أمتي الهند ، فيفتح الله عليهم ، حتى يلقوا بملوك الهند مغلولين في السلاسل ، يغفر الله لهم ذنوبهم ، فينصرفون إلى الشام ، فيجدون عيسى ابن مريم . [أخرجه نعيم بن حماد في الفتن] [2] .

- وعن ثوبان - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : عصابتان من أمتي أحرزهما الله تعالى من النار ، عصابة تغزو الهند ، وعصابة تكون مع عيسى ابن مريم . [أخرجه أحمد والنسائي] [3] .

- وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول ﷺ قال : لو لم يبق من الدنيا يوم

---

(1) ويعكر ذلك أن تلك الأحاديث حاشا الأول ، لا تخلو من ضعف ، ويعكر ذلك أيضًا ظاهر حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - السابق .. فيفتحون قسطنطينية ، فبينما هم يقتسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون ، إذ صاح فيهم الشيطان : إن المسيح الدجال قد خلفكم في أهاليكم ، فيخرجون ، وذلك باطل ، فإذا جاءوا الشام خرج .. الحديث أي : إذا جاءوا من القسطنطينية إلى بلاد الشام ودخلوا القدس - كما في رواية - خرج الدجال حينئذ . لكن يشهد لذلك ما رواه مسلم وأحمد عن جابر - رضي الله عنه - مرفوعًا « لا نرى الدجال يخرج حتى تفتح الروم » وما رواه ابن عساكر مرفوعًا : « وما يجدون خلقًا يحول بينهم وبين القسطنطينية ، ولا رومية » والله أعلم .

(2) برقم 1202 : ثنا الوليد عن صفوان بن عمرو عمن حدثه عن رسول الله ﷺ وظاهر ذلك أنه صحابي .

(3) ورواه الديلمي والطبراني والضياء في المختارة من حديث محمد بن الوليد الزبيدي عن الجراح ، وقال : لا يُروى عن ثوبان إلا بهذا الإسناد ، تفرد به الزبيدي . والجراح ، قال الذهبي في الضعفاء عن الدارقطني : ليس بشيء - فيض القدير 317/4 .

لطوله الله تعالى ، حتى يملك رجل من أهل بيتي جبل الديلم والقسطنطينية . [أخرجه ابن ماجه] [1] .

وظاهر ذلك – والله أعلم – أن المهدي يرسل تلك الجيوش بعد فتح القسطنطينية وروميه ، ثم يظهر الدجال بعد ذلك ، وينزل عيسى ابن مريم – عليه السلام – فيقتله ، ويعود بعض هذه الجيوش إلى الشام ، فيجدون عيسى ، عليه السلام .

6 - النعمة والرخاء في زمن المهدي

وفي زمن المهدي ينتشر العدل ، ويعم الرخاء ، فتمطر السماء قطرها ، وتخرج الأرض نباتها ، فتكون الثمار كثيرة ، والزروع غزيرة ، والمال وافر ، والدين قائم ، والإعطاء بغير عد ، يحثى المال حثيًا [2] ، ويمشي الرجل بصدقته ، فلا يجد من يقبلها منه .

– عن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : يكون خليفة من خلفائكم في آخر الزمان ، يحثو المال ، ولا يعده . [أخرجه مسلم ونعيم بن حماد في الفتن واللفظ لمسلم] .

وفي رواية : يعطي الناس بغير عدد .

وفي ثالثة : من خلفائكم خليفة ، يحثي المال حثيًا ، لا يعده عدًّا .

وفي أخرى : يكون آخر الزمان خليفة ، يحثو المال حثوًا .

– وعن أبي سعيد – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : يخرج في آخر أمتي المهدي ، يقيه الله الغيث ، وتُخرج الأرض نباتها ، ويُعطي المال صَحاحًا ، وتكثر الماشية ، وتعظم الأمة ، يعيش سبعًا أو ثمانيًا . يعني حججًا . [أخرجه الحاكم ، وقال : على شرطيهما ، ووافقه الذهبي] .

وعند الطبراني والبزار وأبي نعيم في الحلية : .. فيملؤها عدلًا وقسطًا كما ملئت جورًا وظلمًا ، فلا تمنع السماء شيئًا من قطرها ، ولا الأرض شيئًا من نباتها ، يمكث فيكم سبعًا أو ثمانيًا ، فإن أكثر فتسعًا ، ويجيء الرجل إليه ، فيقول : يا مهدي أعطني ،

---

(1) رمز السيوطي لحسنه – فيض القدير 332/5 .

(2) الحثو أو الحثي : الحفن باليدين – من باب عدا ورمى – وذلك لكثرة الأموال والغنائم .

فيحثي في ثوبه ما استطاع أن يحمل .

وأخرج الترمذي عنه [1] - رضي الله عنه - قال : خشينا أن يكون بعد نبينا حدث ، فسألنا نبي الله ﷺ فقال : إن في أمتي المهدي ، يخرج يعيش خمسًا أو سبعًا أو تسعًا - زيد العمّي الشاك - قال : قلنا : وما ذلك ؟ قال : سنين . قال : فيجيء إليه الرجل فيقول : يا مهدي أعطني أعطني . قال : فيحثي له في ثوبه ما استطاع أن يحمله .

- وعنه - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : أبشركم بالمهدي ، يبعث على اختلاف من الناس وزلازل ، يقسم المال صَحاحًا ، فقال له رجل : ما صَحاحًا ؟ قال : بالسوية بين الناس . قال : ويملأ الله قلوب أمة محمد ﷺ زهدًا ، ويسعهم عدله ، حتى يأمر مناديًا فينادي فيقول : من له في مال حاجة ؟ فما يقوم من الناس إلا رجل فيقول : ائت السدان - يعني الخازن - فقل له : إن المهدي يأمرك أن تعطيني مالًا . فيقول له : احث ، حتى إذا حجره وأبرزه ندم ، فيقول : كنت أجشع أمة محمد ﷺ نفسًا ! أوَ عجز عني ما وسعهم ؟ قال : فيرده ، فلا يقبل منه ، فيقال : إنا لا نأخذ شيئًا أعطيناه ، فيكون كذلك سبع سنين ، أوثمان سنين أو تسع سنين ، ثم لا خير في العيش بعده ، أو قال : لا خير في الحياة بعده . [أخرجه أحمد بأسانيد ، وأبو يعلى] [2] .

- وعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : يكون في آخر أمتي خليفة يحثي المال حثيًا ، لا يعده عدًّا . قال : قلت لأبي نضرة وأبي العلاء : أتُريان أنه عمر بن عبد العزيز ؟ قالا : لا . [أخرجه مسلم وأحمد والبغوي في شرح السنة ونعيم بن حماد في الفتن] .

- وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : يكون في أمتي المهدي ، إن قصر فسبع ، وإلا فثمان ، وإلا فتسع ، تنعم أمتي فيه نعمة لم ينعموا مثلها ،

---

(1) وقال « حديث حسن » . وقد روي من غير وجه عنه - رضي الله عنه - فقد رواه أحمد وابن ماجه . وفي سنده زيد بن الحواري العمي ، وهو ضعيف - جامع الأصول بتعليق عبد القادر 331/10 .
وأخرج نعيم بن حماد في الفتن : ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن عطية العوفي عن أبي سعيد مرفوعًا : يخرج رجل [من أهل بيتي] في انقطاع من الزمان ، وظهور الفتن ، يكون عطاؤه حثيًا .

(2) وأخرج نعيم بن حماد في الفتن برقم 1038 : قال معمر : أخبرنا أبو هارون عن معاوية عن أبي الصديق الناجي عن أبي سعيد عن النبي ﷺ : قال : يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض ، لا تدع السماء من قطرها شيئًا إلا صبته ، ولا الأرض من نباتها شيئًا إلا أخرجته ، حتى يتمنى الأحياء أن لاموات .

ترسل السماء عليهم مدرارًا ، ولا تدخر الأرض شيئًا من النبات ، والمال مكدوس ، يقوم الرجل يقول : يا مهدي أعطني ، فيقول : خذ . [أخرجه الطبراني في الأوسط ، وقال الهيثمي : رجاله ثقات] (1) .

– وعنه – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : لا تقوم الساعة حتى يكثر فيكم المال ويفيض ، وحتى يخرج الرجل بزكاة ماله ، فلا يجد أحدًا يقبلها ، وحتى تعود أرض العرب مروجًا وأنهارًا . [أخرجه مسلم وأحمد] .

– وعن حارثة بن وهب – رضي الله عنه – أن النبي ﷺ قال : تصدقوا ، فسيأتي عليكم زمان ، يمشي الرجل بصدقته ، فيقول الذي يأتيه بها : لو جئت بالأمس لقبلتها ، فأما الآن فلا حاجة لي فيها ، فلا يجد من يقبلها . [أخرجه الشيخان وأحمد والنسائي] .

وهذا كله يدل على إفاضة المال والنعمة والرخاء مع التقوى التي ينتج عنها الكرم والقناعة والحياء ، وظاهر الأحاديث أن هذا الرخاء يكون بعد غنيمة كلب وفتح فارس والروم والقسطنطينية ورومية والهند وغيرها ، لكن قبل خروج الدجال تمر ثلاث سنوات عجاف ، كما سيأتي ، والله أعلم .

مدة خلافته :

اختلفت الروايات في مدة خلافة المهدي :

– ففي حديث أبي سعيد – رضي الله عنه – السابق في صفة المهدي عند أبي داود وابن ماجه والحاكم ونعيم بن حماد ، وإسناده حسن : « ويملك سبع سنين » .

وعند الطبراني والبزار وأبي نعيم في الحلية : « يمكث فيكم سبعًا أو ثمانيًا ، فإن أكثر فتسعا » وعند الترمذي : « يعيش – أي في الخلافة – خمسًا أو سبعًا أوتسعا – زيد العمي هو الشاك – قلنا : وما ذاك ؟ قال : سنين » .

وفي رواية لأحمد وأبي يعلى « فيكون كذلك سبع سنين أو ثمان سنين أو تسع سنين » .

---

(1) وأخرج نعيم بن حماد في الفتن برقم 1048 ثنا محمد بن مروان عن عُمارة بن أبي حفصة عن زيد العمي عن أبي الصديق عن أبي سعيد – رضي الله عنه – نحوه .

وأخرج برقم 1037 ثنا عبد الرازق عن معمر عن قتادة قال : قال رسول الله ﷺ : إنه يستخرج الكنوز ويقسم المال ، ويلقي الإسلام بجِرانه .

– وفي حديث أم سلمة – رضي الله عنها – السابق في مكان ظهوره ، عند أبي داود : « فيلبث سبع سنين » . وقال بعض الرواة عن هشام : تسع سنين ، ثم يتوفى ، ويصلي عليه المسلمون .

وعند أحمد والطبراني في الأوسط وابن أبي شيبة : « ويلقي الإسلام بجرانه ، فيعيشون بذلك سبع سنين » أو قال : « تسع » .

– وفي حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – السابق ، عند الطبراني في الأوسط : « يكون في أمتي المهدي إن قصر فسبع ، وإلا فثمان ، وإلا فتسع » .

– حديث قرة بن إياس المزني – رضي الله عنه – السابق : عند الطبراني في الكبير والأوسط وعند البزار : « يمكث فيكم سبعًا أو ثمانيًا ، فإن أكثر فتسعا » .

– وروى نعيم بن حماد في الفتن : قال معمر : وقال قتادة : بلغني أن النبي ﷺ قال : « يعيش في ذلك سبع سنين » فهل هذه السبع أو الثمان أو التسع تحسب من وقت مبايعته ؟ أو هي أيام النعمة والرخاء فقط ؟ أو أن الغزوات تستغرق سنتين ، ثم يكون الرخاء سبع سنين ؟

يبدو لي أن الاحتمال الأخير هو الأرجح ، وبه يجمع بين تلك الروايات (1) .

القحطاني

عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : لا تقوم الساعة حتى يقوم رجل من قحطان ، يسوق الناس بعصاه . [أخرجه الشيخان وأحمد ونعيم بن حماد في الفتن] .

(1) وعن عبد الله بن بسر – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال : بين الملحمة وفتح القسطنطينية ست سنين ، يخرج المسيح الدجال في السابعة [أخرجه أبو داود وابن ماجه وأحمد] قال المعلق على جامع الأصول 414/10 : وإسناده ضعيف اهـ . ورمز أيضًا السيوطي لضعفه ، وجاء في الفيض 210/3 : فيه بقية وسويد بن سعيد ، فيهما مقال ، وأخرجه نعيم بن حماد في الفتن برقم 1462 و 1478 من طريق بقية أيضًا .
وعن معاذ بن جبل – رضي الله عنه – مرفوعًا : الملحمة الكبرى وفتح القسطنطينية وخروج الدجال في سبعة أشهر . [أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي واستغربه ، وابن ماجه والحاكم] قال المناوي : فيه أبو بكر بن أبي مريم الغساني الشامي ، قال الذهبي : ضعفوه . واستشكل ابن كثير في النهاية في الفتن والملاحم 48/1 معنى هذين الخبرين ، ثم قال : إلا أن يكون بين أول الملحمة وآخرها ست سنين ، وبين آخرها وفتح القسطنطينية مدة قريبة ، تكون مع خروج الدجال في سبعة أشهر .

وأخرج نعيم بن حماد [1] أيضًا عنه بلفظ : لا تذهب الأيام والليالي حتى يسوق الناس رجل من قحطان .

أي يغلب على الناس ، ولفظ العصا يدل على خشونته عليهم ، فينقادون له بالطاعة ، ويرضخون لأمره . لكن هل هذه الكناية تدل على ظلمه الناس وعسفه بهم ؛ أو أنه يقسو على أهل المعصية ، وهو رجل صالح يحكم بالعدل ؟

أشار البخاري في ترتيبه لهذا الحديث إلى أن ملك القحطاني يقع في آخر الزمان عند قبض أهل الإيمان . ويظهر من كلام القرطبي أنه رجل صالح ، يقسو على أهل المعصية . ويؤيده ما يلي : عن قيس بن جابر عن أبيه عن جده – رضي الله عنه – أن النبي ﷺ قال : سيكون من بعدي خلفاء ومن بعد الخلفاء أمراء ، ومن بعد الأمراء ملوك جبابرة ، ثم يخرج من أهل بيتى المهدي ، يملأ الأرض عدلًا كما ملئت جورًا ، ثم يؤمر بعده القحطاني ، فوالذي بعثني بالحق ما هو دونه . [أخرجه الطبراني في الكبير وابن منده وأبو نعيم وابن عساكر] [2] .

وأخرجه الطبراني عن جاحل الصدقي مرفوعًا بلفظ : ثم يخرج رجل من أهل بيتي يملأ الأرض عدلًا ، كما ملئت جورًا ، ثم يؤمَّر بعْد القحطاني .

وهل يكون القحطاني قبل المهدي أو بعده ؟

ظاهر الحديث السابق أنه بعده . لكن يعكره ما يلي :

عن أرطاة قال : بعد المهدي رجل من قحطان مثقوب الأذنين ، على سيرة المهدي ، حياته عشرون سنة ، ثم يموت قتلًا بالسلاح ، ثم يخرج رجل من أهل بيت أحمد – وفي رواية : من أهل بيت النبي ، مهدي – حسن السيرة ، يفتح مدينة قيصر ، وهو آخر ملك أو أمير من أمة أحمد ، ويخرج في زمانه الدجال ، وينزل عيسى ابن مريم . عليه السلام . [أخرجه نعيم بن حماد في الفتن] [3] وذكره السيوطي في الحاوي عازيًا إياه لنعيم بن حماد بلفظ : بلغني أن المهدي يعيش أربعين عامًا ، ثم يموت على فراشه ، ثم يخرج رجل من قحطان ، مثقوب الأذنين على سيرة المهدي ، بقاؤه عشرون سنة ، ثم

---

(1) في الفتن برقم 1139 : ثنا عبد الرزاق عن معمر عن ابن أبي ذئب عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عنه .
(2) قال الهيثمي : وفيه جماعة لم أعرفهم – فيض القدير 128/5 .
(3) برقم 1234 : ثنا الحكم بن نافع عن جرّاح عن أرطاة .

يموت قتلًا بالسلاح ، ثم يخرج رجل من أهل بيت النبي ﷺ حسن السيرة ، يغزو مدينة قيصر ، وهو آخر أمير من أمة محمد ﷺ ثم يخرج في زمانه الدجال ، وينزل في زمانه عيسى ابن مريم . عليه السلام .

فإن كان هذا الأثر صحيحًا حمل على أن القحطاني أحد الخلفاء في الخلافة الراشدة المنتظرة ، التي تسبق المهدي ، وأطلق لفظ المهدي على من قبله تجاوزًا ؛ لأن المهدي الذي يظهر الدجال في زمانه ، ويصلي عيسى خلفه هو وحده الذي يحمل هذا الاسم . والله أعلم .

القسم الثاني

الأمارات الكبرى

الأمارات الكبرى

وهي التي تقارب قيام الساعة ، واختلف العلماء أيضًا في عددها وتحديدها ، ثم إن بعضهم يرى أن أولها ظهور المهدي ، وبعضهم يرى أن أولها خروج الدجال . وعلى كل حال ، فإن المهدي يمثل حلقة الوصل بين العلامات الصغرى والكبرى [1] .

أقسامها :

وتقسم إلى قسمين :

1 - أمارات قريبة من قيام الساعة .

2 - أمارات مؤذنة بقيامها الوشيك .

تتابع الأمارات بعد ظهور أولها :

- عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : خروج الآيات ، بعضها على إثر بعض ، تتتابعن كما تتابع الخرز في النظام . [أخرجه الطبراني في الأوسط] [2] .

- وعن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال : الآيات خرزات منظومات في سلك فانقطع السلك ، فتبع بعضها بعضًا . [أخرجه أحمد والحاكم] [3] .

فالمراد بهذه الآيات علامات الساعة الكبرى ، وظاهر الحديث يدل على تقارب ظهورها تقاربًا شديدًا .

- وعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : قال عيسى

---

(1) قال الحافظ في الفتح 353/11 : الذي يترجح من مجموع الأخبار أن خروج الدجال أول الآيات العظام المؤذنة بتغير الأحوال العامة في معظم الأرض [أي من حيث ما يجري على يديه من الفتن] وينتهي ذلك بموت عيسى ، وأن طلوع الشمس من المغرب هو أول الآيات العظام المؤذنة بتغير أحوال العالم العلوي . وقال الطيبي : الآيات أمارات للساعة إما على قربها وإما على حصولها ، فمن الأول الدجال ونزول عيسى ويأجوج ومأجوج والخسف ، ومن الثاني الدخان وطلوع الشمس من المغرب والدابة والنار التي تحشر الناس .

(2) قال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن أحمد وداود الزهراني وكلاهما ثقة اهـ . والنظام العقد من الخرز ونحوه .

(3) قال الهيثمي : وفيه علي بن زيد وهو حسن الحديث اهـ . وقد ضعف عامة العلماء عليًا ، إلا أن معنى الحديث له شاهد ، فالمعنى صحيح ، والحديث حسن بشاهده .

ابن مريم – عليه السلام : .. ففيما عهد إلي ربي عز وجل أن ذلك كذلك ، فإن الساعة كالحامل المتم ، لا يدري أهلها متى تفجؤهم بولادتها ليلًا أو نهارًا . [أخرجه أحمد ، وصححه أحمد شاكر] .

الأمارة الأولى

المسيح الدجال

وفيها ستة فروع :

الفرع الأول : التعريف به والتحذير من فتنته .

الفرع الثاني : أوصافه وأحواله .

الفرع الثالث : مكانه وزمانه .

الفرع الرابع : ما معه من الفتن .

الفرع الخامس : مسيرته في الأرض .

الفرع السادس : مدة لبثه بعد خروجه .

التعريف به والتحذير من فتنته

التعريف به :

ثمة دجاجلة كثيرون في تاريخ البشرية بعامة ، وفي تاريخ الأمة الإسلامية بخاصة ، غير أن الدجال الأكبر ، الذي يعد خروجه من العلامات الكبرى للساعة ، هو أعظم فتنة تحدث على وجه الأرض ، فهو شخص يبتلي الله الناس به ، يمكنه من خوارق كثيرة ، يضل بها الناس ، فيرسل معه الخِصب وزهرة الدنيا ، وغير ذلك مما يقع بمشيئة الله وقدرته ، حتى إنه يمنحه قدرة على قتل رجل ثم إحيائه ؛ استدراجًا له وامتحانًا لغيره ؛ ولذلك سمي مسيح الضلالة ، ثم يعجزه الله سبحانه ، فلا يقدر على قتل ذلك الرجل ثانية ولا على غيره ، ثم يبطل أمره ، ويقتله مسيح الهدى عيسى ابن مريم ، عليه السلام .

وهو يتدرج في دعواه ، فيدَّعي الصلاح ، فالنبوة ، ثم الإلهية ، ويُظهر الخوارق ، وقد اقتضت حكمة الله أن يكون تكذيب دعواه بحالته ونقص صورته ، وعجزه عن إزالة العيب الذي في عينيه كلتيهما ، لتقوم الحجة على العامة والخاصة بأنه كذاب .

وفتنته عظيمة جدًّا تدهش العقول ، وتحير الألباب ، مع سرعة مروره في الأرض ، فيغتر به رعاع الناس ، وهو لا يمكث بينهم بحيث يتأمَّلون حاله ، ويطّلعون على العيب الذي فيه ، ولهذا حذرت الأنبياء أممها من فتنته ، ولا سيما محمد ﷺ فإنه خارج في أمته لا محالة (1) .

معنى المسيح الدجال :

تطلق كلمة (المسيح) على نبي الله عيسى ابن مريم – عليه السلام – وتطلق أيضًا على الدجال ، فإذا أريد بها مسيح الضلالة الدجال ، قُيدت به ، وجميع الروايات والأخبار تذكر أن اسمه المسيح الدجال ، أو الأعور الدجال ، أو الدجال بدون إضافة ، وكل هذه الأسماء تدل على صفات قامت به كما سيأتي إن شاء الله ؛ أما إذا أطلق لفظ المسيح ، فإنما يدل على مسيح الهدى عيسى ابن مريم ، عليه السلام (2) .

وسمي هذا الكذاب مسيحًا ؛ لأن عينه اليمنى ممسوحة مع حاجبها ، فلا يبصر بها ،

(1) شرح مسلم للنووي 58/18 .

(2) لم يرد حديث صحيح في اسم الدجال واسم أبيه ونسبه ومولده كما سيأتي .

والمسيح : هو الذي أحد شقي وجهه ممسوح ، لا عين له ولا حاجب ، فهو فعيل بمعنى مفعول مثل جريح بمعنى مجروح .

وقيل : لأنه يمسح الأرض ويقطعها ، فهو فعيل بمعنى فاعل ، مثل كريم .

ومع اتصافه بتلك الأمور كلها ، فلعل سبب إطلاق هذا اللفظ عليه مقابلته بالمسيح ابن مريم ، ولهذا فرق النبي ﷺ بينهما بقوله في الدجال مسيح الضلالة .

ولفظ الدجال - بوزن فعال ، صيغة مبالغة - مشتق من الدجل ، وهو التغطية أو الخلط ، يقال : دجل البعيرَ بالقطران ؛ إذا غطاه به ، والإناءَ بالذهب إذا طلاه به ومَوَّهه ، وسُمِّي الكذاب دجالًا ؛ لأنه يغطي الحق بالباطل ، وجمعه دجالون ودجاجلة ، ودجَلة ، بسكون الجيم وفتحها .

أما المسيح الكذاب فسمي دجالًا ؛ لما يلي :

- لأنه يغطي الحق ويستره بسحره وشره ، ويُلَبِّسه على الناس بادعائه وكذبه .

- ولأنه يغطي الأرض بجموعه ، ويضرب في نواحيها . والدجالة : الدفعة العظيمة .

- وقد أصبح هذا اللفظ علمًا عليه ، فإذا أطلق لا يتبادر إلى الذهن غيره (1) .

التحذير من فتنته :

المسيح الدجال آخر الدجاجلة ، غير أنه أعظمهم فتنة وأشدهم خطرًا ، بل هو ينبوع الفتن كما سلف . وقد أشار إليه القرآن الكريم في عدة أماكن ، دون أن ينص على اسمه ، وقد تكفل النبي ﷺ ببيانها والتحذير من خطره . ومن ذلك ما يلي :

1 - قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾ [الأنعام /158] .

(1) انظر جامع الأصول 338/10 - 339 ، التمهيد 187/14 - 188 ، فتح الباري 13 /91 ، طبعة دار الفكر . وقال ابن عبد البر في التمهيد : قال الأزهري ، وسماه بعضهم مسِّيحًا - بالتشديد على وزن فعّيل - فرقًا بينه وبين عيسى - عليه السلام - وأنكره الهروي وجعله تصحيفًا . قال ابن عبد البر : وكان بعض رواة الحديث يقول في الدجال المِسِّيح - بكسر الميم والسين المشددة - للتفرقة ، ومنهم من قال ذلك بالخاء . وذلك كله عند أهل العلم خطأ ا هـ وانظر التذكرة ص 766 - 769 وسيأتي إن شاء الله سبب تسمية عيسى بالمسيح لدى الكلام عن نزوله .

عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : ثلاث إذا خرجن ، لا ينفع نفسًا إيمانها ، لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا : طلوع الشمس من مغربها ، والدجال ، ودابة الأرض [1] . [أخرجه مسلم والترمذي وقال : حديث حسن صحيح] .

2 – عن هشام بن عامر – رضي الله عنهما – قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة ، خلق أكبر من الدجال . [أخرجه مسلم وأحمد] .

وفي رواية لمسلم : أمر أكبر من الدجال . وعند أحمد : فتنة أكبر من فتنة الدجال .

3 – عن ابن عمر – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ لما قام في حجة الوداع ، حمد الله ، وأثنى عليه ، ثم ذكر المسيح الدجال ، فأطنب في ذكره وقال : ما بعث الله من نبي إلا أنذره أمته ، أنذره نوح والنبيون من بعده ، وإنه يخرج فيكم ، فما خفي عليكم من شأنه ، فليس يخفى عليكم ، إن ربكم ليس بأعور ، وإنه أعور عين اليمنى ، كأن عينه عنبة طافية .. [أخرجه الشيخان [2]] .

وفي رواية لهما في خبر ابن صياد ، وهي عند أبي داود والترمذي أيضًا ؛ قال عبد الله ابن عمر – رضي الله عنهما – : فقام رسول الله ﷺ في الناس ، فأثنى على الله بما هو له أهل ، ثم ذكر الدجال فقال : إني لأنذركموه ، ما من نبي إلا قد أنذره قومه ، لقد أنذره نوح قومه ، ولكن أقول لكم فيه قولًا لم يقله نبي لقومه : تَعلَّموا أنه أعور ، وأن الله ليس بأعور .

وعند أبي داود والترمذي : تعلمون أنه أعور ، وأن الله ليس بأعور .

---

(1) جاء العطف هنا بالواو ، وهي لمطلق الجمع لا تفيد الترتيب ، ثم إن باب التوبة لا يغلق بخروج الدجال ، وإنما بطلوع الشمس من مغربها ، ثم تخرج الدابة كما سيأتي إن شاء الله .
ومن المواضع التي أشار فيها القرآن إلى الدجال قوله تعالى في نزول عيسى – عليه السلام – : ﴿ وإنه لعلم للساعة ﴾ ، وقد صح أنه هو الذي يقتل الدجال ، فاكتفى بذكر أحد الضدين عن الآخر ، احتقارًا له . كما نبه سبحانه إلى بطلان أمره بقوله : ﴿ لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ﴾ ، وفي تفسير البغوي أن المراد بالناس هنا الدجال ، وهو من إطلاق الكل على الجزء . وقد استقرى الإمام البلقيني أسماء المفسدين الذين ذكروا في القرآن ، فوجدهم ممن مضى ، ولم يُذكر فيه اسم فاسد لما يأت .
فتح الباري 92/13 ، النهاية في الفتن والملاحم 85/1 – 86 .
(2) وفي جامع الأصول 359/10 عن جابر بن عبد الله بمثل هذا اللفظ ، ولم يَعْزُه لأحد ، لكن قال المعلق : وفي المطبوعة أخرجه رزين ، وهو حديث صحيح .

وكان وقت خروجه خافيا على الأنبياء قبل محمد ﷺ إذ لم يذكر لهم ، فحذر كل نبي قومه من فتنته ، وخص نوح - عليه السلام - بالذكر ؛ لأنه مقدم مشاهير الأنبياء .

4 - وعن أبي أمامة الباهلي - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : يا أيها الناس ، إنه لم تكن فتنة في الأرض منذ ذرأ الله ذرية آدم أعظم فتنة من الدجال ، وإن الله عز وجل ، لم يبعث نبيًا إلا حذر أمته الدجال ، وأنا آخر الأنبياء ، وأنتم آخر الأمم ، وهو خارج فيكم لا محالة ، وإن يخرج وأنا بين ظهرانيكم ، فأنا حجيج لكل مسلم ، وإن يخرج بعدي فكل حجيج نفسه ، والله خليفتي على كل مسلم ، وإنه يخرج من خُلَّة بين الشام والعراق ، فيعيث يمينًا ، ويعيث شمالًا ، يا عباد الله فاثبتوا .. الحديث [أخرجه أبو داود وابن ماجه والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي] [1] .

5 - عن عبد الله بن مغفل - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : ما أهبط الله عز وجل إلى الأرض ، منذ خلق آدم إلى أن تقوم الساعة ، فتنة أعظم من فتنة الدجال . [أخرجه الطبراني في الكبير والأوسط] [2] .

6 - عن حذيفة بن أَسِيد الغفاري - رضي الله عنه - قال : اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر فقال : ما تذاكرون ؟ قالوا : الساعة . قال : إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات ؛ فذكر الدخان ، والدجال ، والدابة ، وطلوع الشمس من مغربها ، ونزول عيسى ابن مريم ، ويأجوج ومأجوج ، وثلاث خسوف ؛ خسف بالمشرق ، وخسف بالمغرب ، وخسف بجزيرة العرب ، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن ، تطرد الناس إلى محشرهم . [أخرجه مسلم وأحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه] .

وفي رواية أخرى لهم : كان النبي ﷺ في غرفة ونحن أسفل منه ، فاطلع إلينا فقال : ما تذكرون ؟ قلنا : الساعة . قال : إن الساعة لا تكون حتى تكون عشر آيات ؛ خسف بالمشرق ، وخسف بالمغرب ، وخسف في جزيرة العرب ، والدخان ، والدجال ، ودابة الأرض ، ويأجوج ومأجوج ، وطلوع الشمس من مغربها ، ونار تخرج من قعر عدن . قال شعبة : وأحسبه قال : تنزل معهم إذا نزلوا ، وتقيل معهم حيث قالوا .

(1) ورمز السيوطي لصحته ، وزاد عزوه إلى ابن خزيمة والضياء في المختارة .
(2) قال الهيثمي : رجاله ثقات ، وفي بعضهم ضعف لا يضر .

التحذير من المسيح الدجال في العهد الجديد :

يعتقد النصارى أن المسيح الكذاب سيظهر قُبَيْل نهاية الأرض ، ويبررون ذلك بأن حكمة الله تسمح للشر أن يتكامل أولًا ، وينضج إلى جميع الشرور الممكنة ، حتى يجيء المسيح الصالح ، ويظهر ملء محبته [1] . ولعل من بقايا الوحي المختلط بالشوائب ما جاء في العهد الجديد من التحذير من المسيح الدجال وفتنته ، والبعد عنه .

ففي متى 3/24 – 8 : وبينما يسوع جالس في جبل الزيتون سأله تلاميذه على انفراد : أخبرنا متى يحدث هذا الخراب ؟ وما هي علامة مجيئك وانقضاء الدهر ؟

فأجابهم يسوع : انتبهوا لئلا يضلكم أحد ، سيجيء كثير من الناس منتحلين اسمي ، فيقولون : أنا هو المسيح ، ويخدعون كثيرًا من الناس ، وستسمعون بالحروب وبأخبار الحروب ، فإياكم أن تفزعوا ، فهذا لابد منه ، ولكنها لا تكون الآخرة ، ستقوم أمة على أمة ، ومملكة على ملكة ، وتحدث مجاعات وزلازل في أماكن كثيرة ، وهذا بدء الأوجاع .

23/24 – 26 : فإذا قال لكم أحد : ها هو المسيح هنا ، أو ها هو هناك ، فلا تصدقوه ، فيسظهر مسحاء دجالون ، وأنبياء كذابون ، يصنعون الآيات والعجائب العظيمة ، ليضللوا – إن أمكن – حتى الذين اختارهم الله . ها أنا أنذركم ، فإن قالوا لكم : ها هو في البرية ، فلا تخرجوا إلى هناك ، أو ها هو في داخل البيوت ، فلا تصدقوا .

وفي مرقس 3/13 – 8 : وبينما هو جالس في جبل الزيتون تجاه الهيكل ، سأله بطرس ويعقوب ويوحنا وأندراوس على انفراد : أخبرنا متى يحدث هذا الخراب ؟ وما هي العلامة التي تدل على قرب حدوثه ؟

فأجابهم يسوع : إياكم أن يضللكم أحد ، سيجيء كثيرٌ من الناس منتحلين اسمي ، فيقولون : أنا هو المسيح ، ويخدعون أناسًا كثيرين ، فإذا سمعتم بالحروب وبأخبار الحروب ، فلا ترتعبوا ؛ لأن هذا لابد أن يحدث ، ولكن لا تكون هي الآخرة ، ستقوم أمة على أمة ، ومملكة على مملكة ، وتقع الزلازل في أماكن كثيرة ، وتحدث مجاعات

(1) هذه عقائدنا ص 154 – 155 .

واضطرابات ، وهذا كله بدء الأوجاع .

21/13 – 23 : فإذا قال لكم أحد : ها هو المسيح هنا ، أو ها هو هناك ، فلا تصدقوه ، فسيظهر مسحاء دجالون ، وأنبياء كذابون ، يعملون آيات ومعجزات ، ولو أمكنهم لضللوا الذين اختارهم الله ، فكونوا أنتم على حذر ، ها أنا أنبأتكم بكل شيء .

وفي لوقا 7/21 – 12 : فسألوه : متى يحدث هذا يا معلم ؟ وما هي العلامة التي تدل على قرب حدوثه ؟ . فأجاب : انتبهوا لئلا يضللكم أحد ، سيجيء كثير من الناس منتحلين اسمي ، فيقولون : أنا هو المسيح ، وحان الوقت ، فلا تتبعوهم ، وإذا سمعتم بأخبار الحروب والثورات فلا تفزعوا ؛ لأن هذا لابد أن يحدث في أول الأمر ، ولكن لا تكون الآخرة بعد . وقال يسوع : ستقوم أمة على أمة ، ومملكة على مملكة ، وتقع زلازل شديدة ، وتحدث مجاعات وأوبئة في أماكن كثيرة ، وتجري أحداث مخيفة ، وتظهر علامات هائلة في السماء .

وفي تسالونيكي الثانية 3/2 – 4 : فيوم الرب لا يجيء إلا بعد أن يسود الكفر ، ويظهر رجل المعصية ابن الهلاك ، والعدو الذي يرفع نفسه فوق كل ما يدعوه الناس إلهًا أو معبودًا ، فيجلس في هيكل الله ، ويحاول أن يثبت نفسه أنه إله .

6/2 – 12 : وأنتم الآن تعرفون العائق الذي يمنعه عن الظهور إلا في حينه ، فسِرُّ المعصية يعمل الآن عمله ، ويكفي أن ينزاح العائق حتى ينكشف رجل المعصية ، فيقضي عليه الرب بنَفَس فمه ، وبيده بِضياء مجيئه ، ويكون مجيء رجل المعصية بقدرة الشيطان على جميع المعجزات والآيات والعجائب الكاذبة ، وعلى جميع ما يُغري بالشر أولئك الذين مصيرهم إلى الهلاك ؛ لأنهم رفضوا محبة الحق الذي يمنحهم الخلاص ؛ لذلك يرسل الله إليهم قوة الضلال حتى يصدقوا الكذب ، فيدين جميع الذين رفضوا أن يؤمنوا بالحق ورغبوا في الباطل .

وفي يوحنا الأولى 18/2 : سمعتم أن مسيحًا دجالًا سيجيء ، وهنا الآن كثر المسحاء الدجالون . والنصارى يطلقون عليه اسم (المسيح الكذاب) أو (معصية الخراب) أو (رجة الخراب ANTI CHRIST) ويقولون : إنه بادعائه الربوبية سيكون سببًا في خراب العالم .

أوصاف الدجال وأحواله

لم يرد في اسم الدجال واسم أبيه ونسبه ومولده حديث صحيح [1] ، غير أن النبي ﷺ ذكر كثيرًا من أوصافه وأحواله ، بحيث يعرفه كل من رآه أو سمع به . ومما ذكره ما يلي :

1 - هو رجل من بني آدم يهودي ، عقيم لا يولد له ولد .

عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال : صحبت ابن صياد [2] إلى مكة فقال لي : أما قد لقيتَ من الناس ؟ يزعمون أني الدجال ، ألستَ سمعت رسول الله ﷺ يقول : إنه لا يولد له ، قال : قلت : بلى .. الحديث [أخرجه مسلم] .

وفي رواية ثانية : ما لكم ولي يا أصحاب محمد ﷺ ؟ ألم يقل نبي الله : إنه يهودي ، وقد أسلمت ؟ وقال : لا يولد له ، وقد ولد لي ؟

وفي ثالثة ، ورواها الترمذي أيضًا : أو ليس قد قال رسول الله ﷺ : هو عقيم لا

---

(1) روى الترمذي وأبو داود الطيالسي عن أبي بكرة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال : يمكث أبو الدجال وأمه ثلاثين عامًا ، لا يولد لهما ولد ، ثم يولد لهما غلام أعور ، أضر شيء وأقله منفعة ، تنام عيناه ولا ينام قلبه ، ثم نعت لنا رسول الله ﷺ أبويه فقال : أبوه طُوال ضَرْب اللحم ، كأن أنفه منقار ، وأمه فِرضاخيَّة طويلة الثديين .. الحديث . وقال الترمذي : حسن غريب ، لا نعرفه إلا من حديث حماد بن سلمة . وقال البيهقي : تفرد به على بن زيد بن جدعان ، وليس بالقوي . وقال الحافظ : ويوهيه أن أبا بكرة إنما أسلم لما نزل من الطائف حين حوصرت سنة ثمان من الهجرة اهـ . ولفظ طُوال أبلغ من طويل ، وضرب اللحم ، أي خفيفه ، والفرضاخية : الضخمة العظيمة . وانظر جامع الأصول 361/10 .

(2) قال الخطابي : اختلف الناس في أمر ابن صياد اختلافًا شديدًا ، وأشكل عليهم أمره ، والذي عندي أن هذه القصة - أي امتحان النبي ﷺ لابن صياد بما خبأ له من آية الدخان ، ثم قال له : اخسأ ، فلن تعدو قدرك - إنما جرت معه أيام مهادنته ﷺ اليهودَ وحلفاءهم ،وكان ابن صياد منهم أو دخيلًا في جملتهم ، وكان يبلغ رسولَ الله ﷺ خبره وما يدعيه من الكهانة ، ويتعاطاه من الغيب ، فامتحنه بذلك . وقد اختلفت الروايات في كفره ، وفيما كان من شأنه بعد كبره ، فروي أنه تاب عن ذلك القول ، ثم مات بالمدينة ، وروي غير ذلك ، وأنه فقد يوم الحرة ، فلم يجدوه . فكان فتنة امتحن الله به المؤمنين ، كما امتحن قوم موسى - عليه السلام - بالعجل . وانظر جامع الأصول 363/10 - 364 والتذكرة ص 778 و 790 - 791 .

وقال ابن كثير في النهاية 88/1 : كان ابن صياد من يهود المدينة ، ولقبه عبد الله ، ويقال له صاف ، وله ولد اسمه عمارة بن عبد الله ، من سادات التابعين ، روى عنه مالك وغيره ، والصحيح أن الدجال غير ابن صياد ، وأن ابن صياد كان دجالًا ، ثم تاب فأظهر الإسلام ، والله أعلم بضميره وسريرته .

يولد له ولد ؟ وقد تركت ولدي بالمدينة .

2 – وهو شاب عظيم الخلقة ضخم الجسم .

عن فاطمة – رضي الله عنها – في قصة تميم – رضي الله عنه – قال : فانطلقنا سراعًا حتى دخلنا الدير ، فإذا فيه أعظم إنسان رأيناه ، وأشده وثاقًا .. الحديث [أخرجه مسلم] .

أي أكبره جثة ، أو أهيبه هيئة .

وعن النواس بن سمعان – رضي الله عنه – في حديثه السابق : .. إنه شاب قطط ، عينه طافئة ، كأني أشبهه بعبد العزى بن قطن .. الحديث [أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه وأحمد والحاكم في المستدرك] .

وعن ابن عباس – رضي الله عنهما – أن رسول الله ﷺ قال : رأيت الدجال هجانًا ضخمًا فيلمانيًا .. أشبه بعبد العزى بن قطن ، رجل من خزاعة . [أخرجه الطبراني في الكبير ، قال الهيثمي : ورجاله رجال الصحيح] (1) . والفيلم : العظيم الجثة ، والفيلماني منسوب إليه بزيادة الألف والنون للمبالغة .

وعن أبي أمامة – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : إنه عظيم الخلقة ، طويل القامة ، جسيم .. الحديث [أخرجه ابن ماجه بهذا اللفظ] (2) .

وعن عبادة بن الصامت – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : إني حدثتكم عن الدجال ، حتى خشيت ألا تعقلوا ، إن المسيح الدجال قصير أفحج .. الحديث [أخرجه أبو داود وأحمد] (3) .

فهو طويل ضخم بالنسبة إلى غيره من بني آدم ، وقصير بالنسبة إلى ضخامة جسمه (4) .

---

(1) ورواه أحمد وأبو يعلى بألفاظ أخرى ، وصححه ابن كثير في التفسير .

(2) وأخرجه ابن ماجه والحاكم في المستدرك بألفاظ أخرى ، وإسناده قوي ، ساقه أبو داود .

(3) وحسنه عبد القادر في تعليقه على جامع الأصول 358/10 .

(4) جاء في الفتح 97/13 : قال ابن القيم : قوله قصير ، يدل على قصر قامته ، وقد ورد في حديث تميم أنه أعظم إنسان . ووجه الجمع أنه لا يبعد أن يكون قصيرًا بطينًا عظيم الخلقة اهـ . وورد أيضًا في حديث أبي أمامة أنه طويل القامة ، ولعل ذلك لعدم التناسب بين ضخامة جسمه وطوله ، وهذا عيب في خلقته ، ملفت للانتباه .

3 – عظيم الرأس عريض النحر :

– عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أن النبي ﷺ قال في الدجال : .. كأن رأسه أَصَلة ، أشبه بعبد العزى بن قطن .. الحديث [أخرجه أحمد والطبراني ، وقال الهيثمي : رجالهما رجال الصحيح] .

والأَصَلة : أخبث أنواع الأفاعي : وقيل : هي الحية العظيمة الضخمة القصيرة . والعرب تشبه الرأس الكثير الحركة برأس الحية .

– وعن الفلتان بن عاصم – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : أُريت ليلة القدر ، ثم أُنسيتها ، ورأيت مسيح الضلالة .. وأما مسيح الضلالة ، فرجل أجلى الجبهة ممسوح العين اليسرى ، عريض النحر ، كأنه عبد العزى بن قطن . [أخرجه البزار ، قال الهيثمي : ورجاله ثقات] .

– وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : وأما مسيح الضلالة ، فإنه أعور العين ، أجلى الجبهة عريض النحر ، فيه دفا . [أخرجه أحمد ، وحسنه ابن كثير ، وصححه أحمد محمد شاكر] .

فالنَّحْر والمنحر : موضع القلادة في أعلى الصدر .

والدفا : إشراف الكاهل على الصدر ، أي فيه ميل وانحناء .

4 – بشرته سمراء صافية ، ووجنته محمرة :

عن ابن عمر – رضي الله عنهما – أن رسول الله ﷺ قال : .. فذهبت ألتفت ، فإذا رجل أحمر جسيم .. الحديث [أخرجه الشيخان ومالك في الموطأ] وعند الطبراني : آدم جعد .

وعن ابن عباس – رضي الله عنه – أن النبي ﷺ قال في الدجال : أعور هجان .. الحديث . [أخرجه أحمد والطبراني في الكبير ، وقال الهيثمي رجالهما رجال الصحيح] .

وفي رواية للطبراني : رأيت الدجال هجانًا ضخمًا فيلمانيًا ..

والهجان : الأبيض الذي فيه حمرة ، أي أبيض أزهر .

وعن عبد الله بن مغفل – رضي الله عنه – أن النبي ﷺ قال عن الدجال : آدم جعد .. الحديث [أخرجه الطبراني] والأُدمة : السُّمرة ، والآدم من الناس : الأسمر ، وهو من كان لونه بين السواد والبياض [1] .

5 – شعره كثيف أجعد :

عن النواس بن سمعان – رضي الله عنه – في الحديث السابق : إنه شاب قطط .. الحديث . [أخرجه مسلم وأحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه والحاكم في المستدرك] .

أي أجعد .

– وعن ابن عمر – رضي الله عنهما – أن رسول الله ﷺ : قال فذهبتُ ألتفت ، فإذا رجل أحمر جسيم ، جعد الرأس .. الحديث . [أخرجه الشيخان ومالك] .

وزاد مالك في روايته : جعد قطط . أي شديد الجعودة ، مباعد للجعودة المحبوبة . وفي رواية لهم : ورأيت وراءه – أي عيسى – رجلًا جعدًا قططًا ..

وعند الطبراني : آدم جعد .

– وعن حذيفة بن اليمان – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال : الدجال أعور العين اليسرى ، جُفال الشعر . [أخرجه مسلم] .

أي كثير الشعر .

– وعن أبي أمامة – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال : إنه عظيم الخلقة طويل القامة جسيم ، أجعد قطط .. الحديث . [أخرجه ابن ماجه] .

– وعن أبي قِلابة عن رجل من الصحابة – رضي الله عنهم – أن رسول الله ﷺ قال : إن بعدكم الكذاب المضل ، وإن رأسه من ورائه حُبُك حبك حبك .. الحديث [أخرجه أحمد ، وقال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح] .

---

(1) والآدم من الإبل الشديد البياض . قال الحافظ في الفتح 97/13 : فيمكن أن تكون أدمته صافية ، ولا ينافي أنه يوصف مع ذلك بالحمرة ؛ لأن كثيرًا من الأدم ، تحمر معه الوجنتان .

أي كثير ملتف ، أو منكر من الجعودة .

- وعن هشام بن عامر - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : إن رأس الدجال من ورائه حبك حبك .. الحديث [أخرجه أحمد والطبراني ، قال الهيثمي : ورجاله رجال الصحيح] .

- وعن ابن عباس - رضي الله عنه - في حديثه السابق ، كأن شعره أغصان شجرة [أخرجه الطبراني وأبو يعلى ، وصححه ابن كثير في التفسير ، قال الهيثمي : ورجاله رجال الصحيح] .

أي شعر رأسه كثير متفرق قائم .

- وعن عبد الله بن مغفل - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : .. إنه آدم جعد .. الحديث [أخرجه الطبراني في الكبير والأوسط ، قال الهيثمي ، رجاله ثقات ، وفي بعضهم ضعف لا يضر] .

6 - شعر ناصيته منحسر :

عن الفلتان بن عاصم - رضي الله عنه - في حديثه السابق : .. وأما مسيح الضلالة ، فرجل أجلى الجبهة ، ممسوح العين .. الحديث .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - في حديثه السابق : وأما مسيح الضلالة ، فإنه أعور العين ، أجلى الجبهة ..

7 - عيناه معيبتان :

فعينه اليمنى مطموسة ممسوحة ، كأنها عنبة طافئة - بالهمز - أي ذهب ضوءها ، فلا يبصر بها ، وهي ليست بناتئة - أي عالية - ولا جحراء - أي عميقة - وهذه صفة حبة العنب ، إذا ذهب ماؤها ، وبقيت القشرة ، فكأنها لم تخلق .

وأما عينه اليسرى التي يرى بها ، فمتقدة خضراء ، كأنها كوكب من شدة توقدها ، غير أنها جاحظة ، كأنها زجاجة خضراء بارزة ، أو عنبة طافية - بلا همز - أي ناتئة كنتوء حبة العنب من بين أخواتها ، أو كأنها نخاعة في جدار مجصص ، وفيها أيضًا جليدة أو لحيمة نابتة عند الموق ، كأنها ممزوجة بالدم .

فهو أعور العينين معًا ؛ لأن العور هو العيب ، والأعور من كل شيء : المعيب . غير أن كل عين عوراء من وجه ؛ فاليمنى عوراء حقيقة لذهابها وذهاب ضوئها ، فإنها ممسوحة مطموسة ، واليسرى عوراء بعيبها اللازم من كونها جاحظة ، وعليها ظَفَرة . فكل واحدة منهما ، يصح وصفها بالعور ، بحقيقة العرف ، أو بمعنى العور الأصلي .

– عن النواس بن سمعان – رضي الله عنه – في حديثه السابق : إنه شاب قطط عينه طافئة .. وعند الترمذي : عينه قائمة .

والحبة الطافئة من العنب ، هي التي خرجت عن حد نبات أخواتها في العنقود ونتأت .

– وعن حذيفة بن اليمان – رضي الله عنه – في حديثه السابق : وإن الدجال ممسوح العين ، عليها ظفرة [غليظة] .. الحديث [أخرجه مسلم] وفي رواية : الدجال أعور العين اليسرى .

وعند ابن عساكر والحاكم وقال : على شرط مسلم : وإن إحدى عينيه مسموحة ، عليها ظَفَرة .

والظفَرة – بالتحريك – جُليدة تغشى العين ناتئة على بياض العين من الجانب الذي يلي الأنف ، وهو الموق ، وقد تمتد إلى سواد العين فتُغشيه .

– عن ابن عمر – رضي الله عنهما – أن رسول الله ﷺ ذكر الدجال بين ظهراني الناس فقال : إن الله ليس بأعور ، ألا إن المسيح الدجال أعور العين اليمنى ، كأن عينه عنبة طافئة . [أخرجه مسلم ، واللفظ له والبخاري وأبو داود والترمذي] .

وعنه – رضي الله عنه – أن النبي ﷺ قال : .. فذهبتُ ألتفت ، فإذا رجل أحمر جسيم جعد الرأس ، أعور عينه اليمنى ، كأن عينه عنبة طافية .. الحديث . [أخرجه الشيخان ومالك] .

– وعن عبادة بن الصامت – رضي الله عنه – في حديثه السابق : .. إن المسيح الدجال قصير أفحج ، جعد أعور ، مطموس العين ، ليست بناتئة ، ولا جحراء ، فإن التبس عليكم ، فاعلموا أن ربكم ليس بأعور .

- وعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : ما بُعث نبي يُتبع إلا قد حذر أمته الدجال ، وإني قد بُين لي من أمره ما لم يُبين لأحد ، وإنه أعور ، وإن ربكم ليس بأعور ، وإن عينه اليمنى عوراء جاحظة ، ولا تخفى ، كأنها نخامة في حائط مجصص ، وعينه اليسرى ، كأنها كوكب دري ، معه من كل لسان .. الحديث [أخرجه أحمد] (1) .

وفي رواية أخرجها رزين : وإني أعهد إليكم فيه عهدًا ، لم يعهده نبي إلى أمته ، إن عينه اليمنى ممسوحة جاحظة لا حدَقَةَ لها ، كأنها نخاعة في حائط ، وعينه اليسرى كأنها كوكب دري (2) .

- وعن أبي بن كعب - رضي الله عنه - قال : ذكر الدجال عند النبي ﷺ - أو قال : ذكر النبي ﷺ الدجال - فقال : إحدى عينيه ، كأنها زجاجة خضراء ، وتعوذوا بالله من عذاب القبر . [أخرجه أبو داود الطيالسي وأحمد] (3) .

- وعن أبي أمامة - رضي الله عنه - في حديثه السابق : .. أعور العين اليمنى ، كأنها لم تخلق ، وعينه الأخرى ممزوجة بالدم .. الحديث [أخرجه ابن ماجه] .

- وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ قال في الدجال : أعور هجان .. فإما هلك الهُلّك ، فإن ربكم تبارك وتعالى ليس بأعور . [أخرجه أحمد والطبراني في الكبير ، قال الهيثمي « ورجاله رجال الصحيح » وأخرجه أبو يعلى ، وصححه ابن كثير في التفسير] .

وفي رواية للطبراني في الكبير : أعور ، كأن عينه كوكب الصبح ..

- وعن سمرة بن جندب - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : والله ، لقد رأيت مذ قمت أُصلي ، ما أنتم لاقون في دنياكم وآخرتكم ، وإنه لا تقوم الساعة ، حتى يخرج ثلاثون كذابًا ، آخرهم الأعور الدجال ، ممسوح العين

(1) قال الهيثمي : رواه أحمد ، وفيه مجالد بن سعيد ، وثقه في رواية ، وقال في أخرى : ليس بالقوى . وضعفه جماعة .

(2) أي في شدة اتقادها . قال المعلق على جامع الأصول 359/10 : وله شواهد .

(3) وذكره البخاري في تاريخه عن أبي هريرة - رضي الله عنه - مرفوعًا .

اليسرى ، كأنها عين أبي تحيى ، لشيخ من الأنصار . [أخرجه البخاري وأحمد والترمذي والنسائي والحاكم في المستدرك والبيهقي في السنن الكبرى والطحاوي في معاني الآثار] .

– وعن جابر – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال : .. فما خفي عليكم من شأنه ، فليس يخفى عليكم ، إن ربكم ليس بأعور ، وإنه أعور العين اليمنى ، كأن عينه عنبة طافئة [أخرجه رزين] .

– وعن عبد الله بن مغفل – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال : .. وقد قلت فيه قولًا لم يقله أحد قبلي : إنه آدم أجعد ، ممسوح عين اليسار ، على عينه ظفرة غليظة .. الحديث . [أخرجه الطبراني في الكبير والأوسط ، قال الهيثمي : رجاله ثقات ، وفي بعضهم ضعف لا يضر] .

– وعن سفينة مولى رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : ألا إنه لم يكن نبي قبلي إلا قد حذر الدجال أمته ، وهو أعور عينه اليسرى ، بعينه اليمنى ظفرة غليظة ، مكتوب بين عينيه كافر . [أخرجه أحمد والطبراني ، قال الهيثمي : رجاله ثقات] [1] .

---

(1) تنبيه : من تتبع تلك الروايات ، وجد أن بعضها ذكر العيب ،ولم يحدد العين المعيبة ، وأكثرها حدد ، غير أن بعض الروايات وصفت إحدى العينين بما وصف به غيرها العين الأخرى . ولذلك شمر العلماء للتحقيق والتدقيق ، وعلى رأسهم القاضي عياض والنووي في شرح مسلم ، والقرطبي في التذكرة ، والحافظ في الفتح . ويظهر ذلك في النواحي التالية :

أ – ورد في بعض الروايات « كأن عينه عنبة طافئة » بالهمز ، أي ذهب ضوءها ونورها ، فلا يبصر بها ، وورد في بعضها طافية ، بدون همز ، أي ناتئة بارزة ، كنتوء حبة العنب من بين أخواتها في العنقود – يقال : طفا الشيء فوق الماء ؛ أي علا ولم يرسب ، وبابه عدا وسما – وقد جاء في أحاديث أنه ممسوح العين ، ليست بجحراء ، ولا ناتئة ، بل مطموسة ، وهذه صفة حبة العنب إذا سال منها ماؤها ، فهي تصحح رواية الهمزة ، وجاء في أخرى أنه جاحظ العين ، كأنها كوكب دري ، لها حدقة جاحظة ، كأنها نخاعه أو نخامة ، فهي تصحح رواية ترك الهمزة أيضًا . ويجمع بين الأحاديث ، وتصح الروايات جميعًا بأن تكون المطموسة والممسوحة والتي ليست بجحراء ولا ناتئة ، هي العوراء الطافئة بالهمزة ، وهي اليمنى ، وتكون الجاحظة التي كأنها كوكب ونخاعة ، هي الطافية بغير همز ، وهي اليسرى .

ب – في حديث سفينة أن بعينه اليمنى ظفرة . وفي حديث عبد الله بن مغفل « ممسوح عين اليسار ، على عينه ظفرة غليظة » . وفي حديث حذيفة « ممسوح العين عليها ظفرة غليظة » بدون تحديد .

قال الحافظ : وأما الظفرة ، فجائز أن تكون في كلا عينيه ؛ لأنها لا تضاد الطمس ولا النتوء ، وتشبيهها =

8 - مكتوب بين عينيه كافر (ك ف ر) :

- عن حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه - في حديثه السابق : .. مكتوب بين عينيه كافر ، يقرؤه كل مؤمن ، كاتب وغير كاتب . [أخرجه مسلم] .

وروى ابن عساكر والحاكم ، وقال على شرط مسلم ، عنه - رضي الله عنه - : .. واعلموا أنه مكتوب بين عينيه كافر ، يقرؤه من يكتب ومن لا يكتب ..

- عن عمر بن ثابت الأنصاري عن بعض الصحابة - رضي الله عنهم - أن النبي - ﷺ قال يوم حذر الناس الدجال : إنه مكتوب بين عينيه كافر ، يقرؤه كل من كره عمله - أو يقرؤه كل مؤمن - وقال : تعلموا : إنه لن يرى أحد منكم ربه حتى يموت . [أخرجه مسلم] (1) .

- وعن أنس - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال : ما من نبي إلا وقد أنذر أمته الأعور الكذاب ، ألا إنه أعور ، وإن ربكم عز وجل ليس بأعور ، مكتوب بين عينيه (ك ف ر) [أخرجه الشيخان ، وأبو داود والترمذي] .

وفي رواية لمسلم : الدجال مكتوب بين عينيه (ك ف ر) أي كافر .

وفي أخرى له : الدجال ممسوح العين ، مكتوب بين عينيه كافر ، ثم تهجاها (ك ف ر) يقرؤه كل مسلم .

= بالزجاجة الخضراء وبالكوكب المضيء لا ينافي ذلك ، فإن كثيرًا ممن يحدث في عينه نتوء ، يبقى معه الإدراك ، فيكون الدجال من هذا القبيل .

وقال القرطبي : وإذا كانت الممسوحة عليها ظفرة غليظة ، فالتي ليست كذلك أولى ، فتتفق الأحاديث .

جـ - وقع في حديث الفلقان بن عاصم وحديث سمرة بن جندب وحديث أبي بكرة - رضي الله عنهم - أنه ممسوح العين اليسرى . والطافية غير الممسوحة . وفي حديث أبي سعيد أن عينه اليمنى ممسوحة جاحظة لا حدقة لها . انظر فتح الباري 86/13 و 97 - 98 والتذكرة ص 749 - 751 والنهاية 84/1 .

وقال ملا على القاري في المرقاة 192/5 : فالجمع أن يقال : إحدى عينيه ذاهبة ، والأخرى معيبة ، فقوم يرونه أعور العين اليمنى ، وقوم يرونه أعور العين اليسرى ، للدلالة على بطلان أمره . ويحتمل أن يكون أحدهما من سهو الراوي .

(1) هذه الرواية من زيادة مسلم في حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - : قال ابن شهاب : وأخبرني عمر بن ثابت الأنصاري ، أنه أخبره بعض أصحاب النبي ﷺ . وروى الترمذي - وقال حسن صحيح - عن الزهري أنه قال : فأخبرني عمر بن ثابت الأنصاري أنه أخبره بعض الصحابة أن النبي ﷺ قال محذرًا : تعلمون أنه ليس يرى أحد منكم ربه حتى يموت ، وإنه مكتوب بين عينيه كافر ، يقرؤه كل من كره عمله .

- وعن أبي أمامة - رضي الله عنه - في حديثه السابق : .. وبين عينيه مكتوب كافر ، يقرؤه كل مؤمن بالله ، فإذا خرج ، يصيح ثلاث صيحات ، ليسمع أهل الشرق والغرب [أخرجه ابن ماجه] .

وفي رواية : .. يا عباد الله ، أيها الناس ، فاثبتوا ، فإني سأصفه لكم صفة لم يصفها نبي قبلي .. يقول : أنا ربكم ، ولا ترون ربكم حتى تموتوا ، وإنه أعور ، وإن ربكم ليس بأعور ، وإنه مكتوب بين عينيه كافر ، يقرؤه كل مؤمن كاتب أو غير كاتب .. الحديث .

- وعن سفينة - رضي الله عنه - في حديثه السابق : .. بعينه اليمنى ظفرة غليظة ، مكتوب بين عينيه كافر . [أخرجه أحمد والطبراني ، وقال الهيثمي : رجاله ثقات] .

- وعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : يخرج الدجال في خفة من الدين ، وإدبار من العلم .. فيقول للناس : أنا ربكم ، وهو أعور ، وإن ربكم ليس بأعور ، مكتوب بين عينيه كافر (ك ف ر) مهجاة ، يقرؤه كل مؤمن ، كاتب وغير كاتب .. الحديث [أخرجه أحمد والحاكم في المستدرك] [1] .

وهي كتابة حقيقية ، جعلها الله سبحانه من جملة العلامات الدالة على كذبه ، يظهرها الله لكل مسلم كاتب وغير كاتب ، ويخفيها عن الكافر بسبب شقاوته وإعراضه ، فإن الإدراك في البصر يخلقه الله للعبد متى شاء ، وكيف شاء ، فيراه المؤمن بغير بصره ، وإن كان لا يعرف الكتابة ، ولا يراه الكافر ، ولو كان يعرف الكتابة ، كما يرى المؤمن الأدلة بعين بصيرته ، ولا يراها الكافر ، فيخلق الله للمؤمن الذي يكره عمل الدجال الإدراك دون تعلم ، فيقرأ ما بين عينيه ؛ لأن ذلك الزمن تنخرق فيه العادات [2] .

---

(1) وقال : على شرط مسلم ، وأقره الذهبي ، وقال الهيثمي : رواه أحمد بإسنادين ، رجال أحدهما رجال الصحيح .

(2) شرح مسلم للنووي 60/18 ، فتح الباري 100/13 - 101 .

9 – أفحج الرجلين :

عن عبادة بن الصامت – رضي الله عنه – في حديثه السابق : .. إن المسيح الدجال قصير أفحج .

والفحج : تباعد ما بين الساقين . وقيل : هو تداني صدور القدمين ، مع تباعد العقبين ، وقيل : هو الاعوجاج في الرجل مطلقًا .

10 – يشبه عبد العزى بن قطن :

– عن ابن عمر – رضي الله عنهما – في حديثه السابق : .. قلت : من هذا ؟ قالوا : الدجال . وأقرب الناس به شبهًا ابن قطن . [أخرجه الشيخان ومالك] .

وفي رواية أخرى لهم : كأشبه من رأيت من الناس بابن قطن .

– وعن الفلتان بن عاصم – رضي الله عنه – في حديثه السابق : .. كأنه عبد العزى ابن قطن . [أخرجه البزار ، قال الهيثمي : ورجاله ثقات] .

– وعن ابن عباس – رضي الله عنه – في حديثه السابق : .. أشبه بعبد العزى بن قطن ، رجل من خزاعة . [أخرجه الطبراني في الكبير وأبو يعلى ، قال الهيثمي : ورجاله رجال الصحيح] .

– وعن النواس بن سمعان – رضي الله عنه – في حديثه السابق : .. كأني أشبهه بعبد العزى بن قطن .. الحديث [أخرجه مسلم وأحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه والحاكم في المستدرك] فشبهه النبي ﷺ للصحابة – رضي الله عنهم – برجل يعرفه أكثرهم ، وهو عبد العزى بن قطن بن عمرو الخزاعي – وقيل : من بني المصطلق من خزاعة ، هلك في الجاهلية (1) ، وهو يهودي ، ولعله مشرك ؛ لأن العزى اسم صنم .

ولم يكن النبي ﷺ جازمًا في تشبيهه به ؛ لأنه قال : « كأني أشبهه بعبد العزى بن قطن » – كما في حديث النواس – رضي الله عنه – « وأقرب الناس به شبهًا ابن قطن »

---

(1) كما قال الزهري . وما رواه أحمد أنه قطن بن عبد العزى ، وأنه قال : يا رسول الله ، هل يضرني شبهه ؟ قال : لا ، أنت مؤمن وهو كافر ، فضعيف ؛ لأن في السند المسعودي ، وقد اختلط عليه بحديث آخر كما ذكر ابن حجر وأحمد محمد شاكر .

- كما في حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - وفي رواية : « كأشبه من رأيت من الناس بابن قطن » .

11 - يركب حمارًا قويًّا سريعًا :

- عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - في حديثه السابق : .. وله حمار يركبه ، عرض ما بين أذنيه أربعون ذراعًا . [أخرجه أحمد والحاكم وقال على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي ، وقال الهيثمي : رواه أحمد بإسنادين ، رجال أحدهما رجال الصحيح] .

- وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : يخرج الدجال على حمار أقمر ، ما بين أذنيه سبعون باعًا . [أخرجه البيهقي في كتاب البعث والنشور] .

وقوله أقمر : أي شديد البياض . فوجهه أحسن حالًا من وجه راكبه .

والسبعون تستعمل في لغة العرب للدلالة على الكثرة . والباع : طول ذراعي الإنسان وما بينهما .

- وعن حذيفة بن أسيد - رضي الله عنه - أنه قال : فيه - أي الدجال - ثلاث علامات : هو أعور ، وربكم ليس بأعور ، ومكتوب بين عينيه كافر ، يقرؤه كل مؤمن ، أمي وكاتب ، ولا يُسَخَّر له من المطايا إلا الحمار ، فهو رجس على رجس . [أخرجه الحاكم وصححه ، وأقره الذهبي] .

- وعن أبي الطفيل عن بعض الصحابة - رضي الله عنهم - أنه قال : يخرج الدجال على حمار رجس . [أخرجه ابن أبي شيبة] .

وعند الديلمي : مع حمار أقمر أهلب .

والأهلب : الكثير الشعر .

12 - معه شياطين تكلم الناس بكل لغة :

- عن أبي سعيد - رضي الله عنه - في حديثه السابق : .. معه من كل لسان ، ومعه صورة الجنة خضراء ، يجري فيها الماء ، وصورة النار سوداء تُدخّن . [أخرجه

أحمد] [1] .

– وعن جابر بن عبد الله – رضي الله عنه – في حديثه السابق : ويبعث الله معه شياطين تكلم الناس . [أخرجه أحمد والحاكم وصححه ، وأقره الذهبي] .

واللسان : اللغة ، والجمع ألسن .

13 – يتقدمه رجلان ينذران الناس :

– عن أبي سعيد – رضي الله عنه – في حديثه السابق : .. وبين يديه رجلان ينذران أهل القرى ، كلما خرجا من قرية دخل أوائله [أخرجه أبو يعلى والبزار] .

وعند رزين : ألا وبين يديه رجلان ، ينذران أهل القرى ، فإذا خرجا من القرية ، دخلها أول أصحاب الدجال .

14 – أكثر أتباعه اليهود وأخلاط الناس :

– عن أنس – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : يتبع الدجال من يهود أصفهان سبعون ألفًا عليهم الطيالسة . [أخرجه مسلم] .

والطيالسة : جمع طيلسان ، وهو ثوب يلبس على الكتف ، يحيط بالبدن ، ينسج للبس ، لكنه خال من التفصيل والخياطة .

– وعن جابر – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ ذكر الدجال فقال : يكون معه سبعون ألفًا من اليهود ، على كل رجل منهم ساج وسيف . [أخرجه أحمد] .

والساج : الطيلسان ، والجمع سيجان ، وهو لباس اليهود والعجم قديمًا ، والعرب تسميه ساجًا [2] .

فاليهود الذين ارتدوا عن الحق ، فلم يؤمنوا برسالة عيسى – عليه السلام – ولا برسالة محمد ﷺ بل هموا بقتلهما ، سوف يتبعون الدجال عندما يخرج ، ويكونون

(1) وفيه مجالد بن سعيد كما سبق .

(2) والمراد الطيلسان المقور – أي المدور ، تشبيهًا بتقوير البِطيخ – ينسج مدورًا كهيئة السفرة ، وهو مقور الطرفين مكفوف الجانبين ، يرسل من وراء الظهر والجانبين ، من غير إدارة تحت الحنك ، ولا إلقاء طرفيه تحت الكتفين . وهذا ما كانت العرب تعرفه ، وهو لباس اليهود والعجم قديمًا . أما الطيلسان المربع الذي يدار من تحت الحنك ، ويغطي الرأس وبعض الوجه ، ويجعل طرفاه على الكتفين ، فلا بأس به .

جنده ؛ لأنه يأتي موافقًا لأهوائهم ، فيظنون المسيح المنتظر في آخر الزمان كما سيأتي إن شاء الله .

ويتبع الدجال أيضًا أخلاط الناس من عجم وترك وأعراب ونساء .

– عن أبي بكر الصديق – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : الدجال يخرج من أرض بالمشرق ، يقال لها خراسان ، يتبعه قوم ، كأن وجوههم المجان المُطْرقة [أخرجه الترمذي] [1] .

والظاهر أن المراد الترك وبعض الأعاجم [2] .

– وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : لينزلن الدجال بخُوران وكِرمان ، في سبعين ألفًا ، وجوههم كالمجان المطرقة . [أخرجه أحمد ، قال ابن كثير في النهاية : إسناده جيد قوي] .

– وعنه – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : ينزل الدجال المدينة ، ولكنه بين الخندق ، وعلى كل نقب منها ملائكة يحرسونها ، فأول من يتبعه النساء .. الحديث [أخرجه الطبراني في الأوسط ، قال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح ، غير عقبة بن مكرم بن عقبة الضبي ، وهو ثقة] .

– وعن ابن عمر – رضي الله عنهما – أنه قال : ينزل الدجال هذه السبخة ، بمرقناة ، فيكون أكثر من يخرج إليه النساء ، حتى إن الرجل يرجع إلى حميمه وإلى أمه وابنته وأخته وعمته ، فيوثقها رباطًا ، مخافة أن تخرج إليه . [أخرجه أحمد ، وصححه أحمد شاكر] .

– وعن أبي أمامة – رضي الله عنه في حديثه : .. وإن من فتنته أن يقول للأعرابي : أرأيت إن بعثت لك أباك وأمك ، أتشهد أني ربك .. الحديث . [أخرجه ابن ماجه] .

(1) وقال حسن غريب . وحسنه المعلق على جامع الأصول 360/10 .

(2) أي قبائل الترك ، ومنهم المغول والتتار كما سلف ، والعثمانيون المسلمون جزء من تلك القبائل .

مكان الدجال وزمانه

يعيش الدجال الآن في هذا العالم ، محبوس في دير بجزيرة لا يعلمها إلا الله ، وعندما يحين الوقت الذي أجَّل الله سبحانه خروجه إليه ، سوف يخرج ويظهر ، وقد قَدَّر الله لرجل نصراني أن يصل إلى مكانه ويتحدث معه ، تصديقًا للنبي ﷺ .

عن فاطمة بنت قيس - رضي الله عنها - قالت : سمعت منادي رسول الله ﷺ ينادي : الصلاة جامعة ، فخرجت إلى المسجد ، فصليت مع رسول الله ﷺ فكنت في النساء التي تلي ظهور القوم ، فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته جلس على المنبر ، وهو يضحك ، فقال : ليلزم كل إنسان مصلاه ، ثم قال : أتدرون لم جمعتكم ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : إني والله ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة ، ولكن جمعتكم لأن تميمًا الداري كان رجلًا نصرانيًا ، فجاء فبايع وأسلم ، وحدثني حديثًا وافق الذي كنت أحدثكم عن المسيح الدجال ، حدثني أنه ركب في سفينة بحرية مع ثلاثين رجلًا من لَخم وجُذام ، فلعب بهم الموج شهرًا في البحر ، ثم أرفؤوا إلى جزيرة في البحر حتى مغرب الشمس ، فجلسوا في أقرب السفينة ، فدخلوا الجزيرة ، فلقيتهم دابة أهلب ، كثير الشعر ، لا يدرون ما قُبله من دبره ، فقالوا : ويْلكِ ، ما أنتِ ؟ قالت : أنا الجساسة ، قالوا : وما الجساسة ؟ قالت : أيها القوم ، انطلقوا إلى هذا الرجل الذي في الدير ، فإنه إلى خبركم بالأشواق ، قال : لما سَمَّت لنا رجلًا ، فَرِقنا منها أن تكون شيطانة ، قال : فانطلقنا سِراعًا حتى دخلنا الدير ، فإذا فيه أعظم إنسان رأيناه قط خَلْقًا ، وأشده وَثاقًا ، مجموعة يداه إلى عنقه ، ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد ، قلنا : ويلك ما أنت ؟ قال : قد قدرتم على خبري ، فأخبروني ، ما أنتم ؟ قالوا : نحن أناس من العرب ، ركبنا في سفينة بحرية ، فصادفنا البحر حين اغتلم ، فلعب بنا الموج شهرًا ، ثم أرفأنا إلى جزيرتك هذه فجلسنا في أقربها فدخلنا الجزيرة ، فلقيتنا دابة أهلب ، كثير الشعر ، لا ندري ما قبله من دبره من كثرة الشعر ، فقلنا : ويلك ما أنت . فقالت : أنا الجساسة ، قلنا : وما الجساسة ؟ قالت : اعمدوا إلى هذا الرجل الذي في الدير ، فإنه إلى خبركم بالأشواق ، فأقبلنا إليك سِراعًا ، وفزعنا منها ، ولم نأمن أن تكون شيطانة ، فقال : أخبروني عن نخل بيسان ؟ قلنا : عن أي شأنها تستخبر ؟ قال : أسألكم عن نخلها هل يثمر ؟ قلنا له : نعم ، قال : أما إنه يوشك أن

لا يثمر ، قال : أخبروني عن بحيرة الطبرية ؟ قلنا : عن أي شأنها تستخبر ؟ قال : هل فيها ماء ؟ قالوا : هي كثيرة الماء ، قال : أما إن ماءها يوشك أن يذهب ، قال : أخبروني عن عين زُغَر ؟ قالوا : عن أي شأنها تستخبر ؟ قال : هل في العين ماء ؟ وهل يزرع أهلها بماء العين ؟ قلنا له : نعم ، هي كثيرة الماء ، وأهلها يزرعون من مائها ، قال : أخبروني عن نبي الأميين ، ما فعل ؟ قالوا : قد خرج من مكة ونزل يثرب ، قال : أقاتله العرب ؟ قلنا : نعم ، قال : كيف صنع بهم ؟ فأخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العرب ، وأطاعوه ، قال لهم : قد كان ذلك ؟ قلنا : نعم ، قال : أما إن ذاك خير لهم أن يطيعوه ، وإني مخبركم عني ، أنا المسيح ، وإني أوشك أن يؤذن لي في الخروج ، فأخرجَ فأسير في الأرض ، فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة ، غير مكة وطيبة ، فهما محرمتان عليَّ كلتاهما ، كلما أردت أن أدخل واحدة - أو واحدًا - منها استقبلني ملك بيده السيف صَلْتًا يصدني عنها ، وإن على كل نَقْب منها ملائكة يحرسونها . قالت : قال رسول الله ﷺ وطعن بِمخصرته في المنبر : هذه طيبة ، هذه طيبة - يعني المدينة - ألا هل كنت حدثتكم عن ذلك ؟ فقال الناس : نعم ، قال : فإنه أعجبني حديث تميم ، أنه وافق الذي كنت أحدثكم عنه وعن المدينة ومكة ، ألا إنه في بحر الشام أو بحر اليمن ، لابل من قبل المشرق ، ما ، هو من قبل المشرق ، ما هو ؟ وأومأ بيده إلى المشرق [1] . قالت : فحفظت هذا من رسول الله ﷺ . [أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي [2]] .

ويؤخذ من الحديث أن الدجال حي يرزق ، موجود الآن في جزيرة ، محبوس في دير . وتميم الداري - رضي الله عنه - صحابي أسلم عام 9 هـ ، مع أنه كان قبل إسلامه راهبَ عصره ، وعابد أهل فلسطين ، مات سنة 40 هـ .

وقد أخفى الله الجزيرة عن عيون الناس ، فلا يهتدون إليها ولا يطؤونها ، أو أَخفى مكان الدجال عن عيونهم ، فلا يرونه ولو وطئوا الجزيرة . ومن يزعم أنهم الآن مسحوا الأرض ، واكتشفوا كل شبر فيها ، فقد تسرع في الحكم ، وعليه أن يتريث ويتعلم ، فما

---

(1) ذكر النووي في شرح مسلم 83/18 أن القاضي عياضًا قال في قوله « من قبل المشرق ما هو .. » : لفظه (ما) زائدة صلة للكلام ، ليست بنافية ، والمراد إثبات أنه من قبل المشرق ، أي من جهات المشرق .

(2) ورواه أحمد عن أبي هريرة وعائشة - رضي الله عنهما - وأبو داود عن جابر بسند حسن . ورواه أبو يعلى عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أيضًا .

أمر مثلث برمودا ببعيد ، وأينما كانت رؤية تميم للدجال ، فإنها شهادة على صدق محمد ﷺ ومعجزة له .

الجهة التي يخرج منها :

أفادت السنة النبوية أنه يخرج من جهة المشرق جزمًا ، ومن بلاد خراسان [1] .

– ففي حديث فاطمة بنت قيس – رضي الله عنها – السابق : .. ألا إنه في بحر الشام ، أو بحر اليمن ، لابل من قبل المشرق ، ما ، هو من قبل المشرق ، ما هو وأومأ بيده نحو المشرق .. الحديث [أخرجه مسلم] .

وما هنا زائدة ، وليست نافية ، والمراد إثبات أنه في جهة المشرق ، بدليل أنه ﷺ أومأ بيده نحو المشرق ، فهي صلة للكلام .

– وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : يخرج أعور الدجال ، مسيح الضلالة من قبل المشرق ، في زمن اختلاف من الناس .. الحديث [أخرجه البزار ، قال الهيثمي : ورجاله رجال الصحيح ، غير علي بن المنذر ، وهو ثقة] .

– وعنه – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال : يأتي المسيح من قبل المشرق ، وهمته المدينة ، حتى ينزل دُبُرَ أُحُد ، ثم تصرف الملائكة وجهه قبل الشام ، وهناك يهلك . [أخرجه مسلم] .

– وعنه – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ أتاكم أهل اليمن ، أرق أفئدة ، وألين قلوبًا ، الإيمان يمان ، والحكمة يمانية ، ورأس الكفر قبل المشرق ،

---

(1) فتح الباري 79/13 و 91 . وخراسان كلمة مركبة ، معناها مشرق الشمس ، وهي بلاد واسعة جدًّا ، تشمل مساحات كبيرة من بلاد فارس وأفغانستان وتركستان ، وتمتد في آسيا بين نهر أمودَريا شمالًا وشرقًا ، وجبال هندوكوش جنوبًا ؛ و مناطق فارس غربًا ، وامتدت في بعض الأحيان إلى بلاد الصفد (ما وراء النهر) وإلى سجستان جنوبًا ، لذلك نسبت إليها بلدان كثيرة مثل بخارى وخوارزم وغزنة وأصفهان . وتتقاسمها اليوم أفغانستان الشمالية ، وأهم مدنها هراة وبلخ ، وكان يطلق على هراة اسم خراسان ، كتسمية دمشق بالشام ، وإيران الشرقية الشمالية ، وأهم مدنها نيسابور ومشهد . أما خراسان المعروفة اليوم ، فهي بلاد فارسية ، تقع في الشرق والشمال الشرقي من إيران ، وهي أهم الأقاليم ، أكثر سكانها من الشيعة ، أما غير المسلمين ، وهم قلة ، فهم من نصارى الأرمن ، وثمة جالية يهودية . [معجم البلدان لياقوت والمنجد] .

والفخر والخيلاء في أصحاب الإبل ، والسكينة والوقار في أهل الغنم . [أخرجه الشيخان] .

وفي رواية الترمذي : الإيمان يمان ، والكفر قبل المشرق ، والسكينة لأهل الغنم ، والفخر والرياء في الفدادين ، أهل الخيل والوبر ، يأتي المسيح ، حتى إذا جاء دُبُر أُحُد ، صرفت الملائكة وجهه قبل الشام ، وهناك يهلك .

– وعن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول ، وهو على المنبر : إلا إن الفتنة ههنا ، يشير إلى المشرق ، من حيث يطلع قرن الشيطان [أخرجه الشيخان ومالك في الموطأ والترمذي] .

– وعن أبي مسعود البدري – رضي الله عنه – أن النبي ﷺ قال : من ههنا جاءت الفتن ، نحو المشرق ، والجفاء والقسوة وغِلظ القلوب في الفدادين ، أهل الوبر ، عند أصول أذناب الإبل والبقر ، في ربيعة ومضر [أخرجه البخاري] .

– وعن الصديق – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال : يخرج من أرض بالمشرق ، يقال لها خراسان ، يتبعه أقوام ، كأن وجوههم المجان المطرقة [أخرجه الترمذي وقال : حسن غريب ، وأخرجه أحمد وابن ماجه والحاكم وقال على شرطيهما ، ووافقه الذهبي] وعند نعيم بن حماد في الفتن (1) : يخرج الدجال من قبل المشرق ، من أرض يقال لها خراسان .

مكان خروجه وظهوره :

اختلفت الروايات في تحديد المكان الذي يخرج أو يظهر منه :

– عن عائشة – رضي الله عنها – قالت : دخل علي رسول الله ﷺ وأنا أبكي ، فقال : ما يبكيك ؟ قلت : يا رسول الله ، ذكرتُ الدجال فبكيت ، فقال : إن يخرج وأنا فيكم كفيتموه ، وإن يخرج بعدي ، فإن ربكم عز وجل ليس بأعور ، إنه يخرج من يهودية أصفهان ، حتى يأتي المدينة ، فينزل ناحيتها ولها يومئذ سبعة أبواب على كل نقب منها ملكان ، فيخرج إليه شرار أهلها حتى يأْتي الشام – مدينة فلسطين ، بباب لد – فينزل عيسى ابن مريم – عليه السلام – فيقتله ، ويمكث عيسى في الأرض أربعين سنة ،

(1) برقم 1508 : ثنا أبو إسحاق الأقرع عن همام عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس عن أبي بكر . رضي الله عنهم .

إمامًا عدلًا وحكمًا مقسطًا [أخرجه أحمد ، وقال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح ، غير الحضرمي ، وهو ثقة] .

- وعن أنس - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : يخرج الدجال من يهودية أصبهان [1] ، معه سبعون ألفًا من اليهود [أخرجه أحمد ، وصححه الحافظ في الفتح] .

وعند مسلم : يتبع الدجال من يهود أصفهان سبعون ألفًا ، عليهم الطيالسة .

- وعن النواس بن سمعان - رضي الله عنه - قال : ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة .. فقال : إنه خارج خُلَّة بين الشام والعراق [2] ، فعاث يمينًا ، وعاث شمالًا ، يا عباد الله فاثبتوا .. الحديث [أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه والحاكم في المستدرك] .

- وعن أبي أمامة - رضي الله عنه - في حديثه السابق : .. وإنه يخرج من خلة بين الشام والعراق .. الحديث [أخرجه أبو داود وابن ماجه وابن خزيمة والحاكم في المستدرك] .

- وعن أبي بكر - رضي الله عنه - قال : يخرج الدجال من مرو ، من يهوديتها [أخرجه نعيم بن حماد في الفتن] [3] وهو في حكم المرفوع .

---

(1) أصبهان وأصفهان اسم واحد لبلدة فارسية معروفة في إيران ، تقع بين شيراز وطهران . قال ياقوت : مدينة أصبهان بالموضع المعروف بـ (جي) ، وهو الآن يعرف بشهرستان وبالمدينة ، ولما سار بختنصر ، وأخذ بيت المقدس ، وسبى أهلها ، حمل معه يهودها ، وأنزلهم أصبهان ، فبنوا في طرف مدينة (جي) محلة نزلوها ، وسميت اليهودية .. فمدينة أصبهان اليوم هي اليهودية .

وقال أبو نعيم : كانت اليهودية من جملة قرى أصبهان ، وإنما سميت اليهودية ؛ لأنها كانت تختص بسكنى اليهود ، ولم تزل كذلك إلى زمن أيوب بن زياد ، أمير مصر في زمن المهدي بن منصور العباسي ، فسكنها المسلمون ، وبقي لليهود منها قطعة .

(2) ومعناه أنه يخرج بين الجهتين ، والتخلل : الدخول في الشيء . وذكر النووي في شرح مسلم 65/18 أن القاضي عياض قال : والمشهور حلة - بالحاء المهملة ، ونصب التاء دون تنوين - (خارجٌ حلةَ) قيل : معناه سَمْت ذلك وقبالته . ورواه بعضهم « حَلَّةُ بين الشام والعراق » أي نزوله وحلوله . ومعناه الطريق بينهما ، أو ما بين البلدين ، وانظر التذكرة ص 769 - 770 وقال منلا علي القاري في مرقاة المفاتيح 194/5 : والمناسب أن يكون هي الحِلة ، قرية بناحية دجلة من بغداد ، أهلها شر من في البلاد من العباد .

(3) برقم 1495 ثنا علي بن عاصم عن يحي أبي زكريا عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن الصديق رضي الله عنه .

- عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - أنه قال لرجل من العراق : بأرضكم أرض يقال لها كوثى [1] ، ذات سباخ ونخيل ؟ قلنا : نعم . قال : منها يخرج الدجال [أخرجه الطبراني ، وقال الهيثمي : رجاله ثقات] .

وروى عبد الرزاق في مصنفه عن العريان بن الهيثم أنه قال في حديث طويل : ثم قال لي عبد الله : ممن أنت ؟ قال : قلت : من أهل العراق - أو قال من أهل الكوفة - قال : تعرف كوثى ؟ قال : قلت : نعم . قال منها يخرج الدجال [2] .

ذكرت الروايات أربعة أمكنة ارتبطت بخروج الدجال وظهوره ، وهي أصبهان ، وخلة بين الشام والعراق ، ومرو ، وكوثى . ويجمع بينها بأنه يخرج من جهة المشرق من بلاد خراسان - كما سبق - ومن مدينة مرو التي يقال لها أم خراسان لأداء مهمته وتحقيق مآربه ، ثم يظهر أمره في أصبهان ، ولا سيما في يهوديتها ، حيث يخرج اليهود لاستقباله ومناصرته ، ثم ينحدر على أرض إيران فالعراق ، مارًّا بمدينة الكوت ، ثم يسلك طريقًا بين الشام والعراق قاصدًا الحجاز ، ثم الخروج على العالم أجمع ليعيث فسادًا [3] .

---

(1) وهي مدينة الكوت ، تقع على نهر دجلة جنوب بغداد ، شرقي الكوفة والنجف .

(2) وروى نعيم بن حماد في الفتن برقم 1504 : ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي قيس عن الهيثم بن الأسود قال : قال لي عبد الله بن عمرو : تعرفون أرضًا قبلكم يقال لها كوثى - بالمثلثة - كثيرة السباخ ؟ قلت نعم . قال : منها يخرج الدجال .

وروى ابن أبي شيبة ونعيم بن حماد في الفتن من عدة طرق عنه - رضي الله عنه - أنه قال : يخرج الدجال من كوثى . وزاد ابن أبي شيبة : بأرض العراق .

وأخرج ابن أبي شيبة عن ابن مسعود - رضي الله عنه - أنه قال : يخرج الدجال من كوثى بأرض العراق .

وأخرج نعيم بن حماد في الفتن برقم 1507 عن كعب أنه قال : أول ماء يرده الدجال سنام جبل مشرف على البصرة ، وماء إلى جنبه ، كثير الساق . يعنى الرمل .

وأخرج برقم 1513 : ثنا عبد الرزاق وابن مهدي عن سفيان عن سلمة بن كهيل عن أبي صادق عن عبد الله ابن عمرو - رضي الله عنهما - أنه قال : أول بيت يغزوهم الدجال أهل الكوفة .

(3) انظر النهاية في الفتن والملاحم 128/1 لابن كثير والتذكرة للقرطبي ص 770 ، فإنهما ذكرا بعض هذا الجمع .



مصور يمثل خراسان الكبرى وأهم مدنها ، ويظهر خط سير الدجال من مرو إلى البصرة ، فالخلة التي بين الشام والعراق .

زمان خروجه :

يخرج الدجال بعد ظهور المهدي وفتحه الجزيرة العربية وفارس والروم - أي القسطنطينية ورومية - وبعد أن يسبقه من الفتن ما يسبقه كما سيأتي .

- عن نافع بن عتبة - رضي الله عنه - في حديثه السابق : « تغزون جزيرة العرب ، فيفتحها الله ، ثم فارس ، فيفتحها الله ، ثم تغزون الروم ، فيفتحها الله ، ثم تغزون الدجال ، فيفتحه الله » .

قال : فقال نافع : يا جابر - هو جابر بن سمرة - ؛ لا نُرى الدجال يخرج حتى تفتح الروم . [أخرجه الشيخان ، واللفظ لمسلم] .

- عن أبي هريرة - رضي الله عنه - في حديثه السابق : « لا تقوم الساعة حتى تنزل الروم بالأعماق .. فيفتحون قسطنطينية ، فبينما هم يقتسمون الغنائم ، قد علقوا سيوفهم بالزيتون ، إذ صاح فيهم الشيطان : إن المسيح الدجال قد خلفكم في أهاليكم . فيخرجون ، وذلك باطل ، فإذا جاؤوا الشام خرج .. الحديث .

- وعنه - رضي الله عنه - في حديثه السابق : « سمعتم بمدينة جانب منها في البر ، وجانب منها في البحر .. فبينما هم يقتسمون المغانم ، إذ جاءهم الصريخ فقال : إن الدجال قد خرج . فيتركون كل شيء ويرجعون » .

- وعنه - رضي الله عنه - في حديثه السابق : « إنكم ستفتحون مدينة هرقل - أو قيصر - وتقتسمون أموالها بالتَّرَسة ، ويسمعهم الصريخ أن الدجال قد خلفهم في أهاليهم ، فيلقون ما معهم ، ويخرجون فيقاتلون » .

- وعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - في حديثه السابق : « إن الساعة لا تقوم حتى لا يُقسم ميراث .. فبينما هم كذلك ، إذ سمعوا ببأس هو أكبر من ذلك ، فجاءهم الصريخ : إن الدجال قد خلفهم في ذراريهم ، فيرفضون ما بأيديهم ويقبلون » .. الحديث .

- وعن معاذ بن جبل - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : « عمران بيت المقدس خراب يثرب ، وخراب يثرب خروج الملحمة ، وخروج الملحمة فتح القسطنطينية ، وفتح القسطنطينية خروج الدجال » ، ثم ضرب بيده على فخذ الذي حدثه - أو منكبه - ثم قال : « إن هذا لحق كما أنك قاعد ههنا ، كما أنك قاعد » .

يعني معاذ بن جبل [أخرجه أحمد وأبو داود وابن أبي شيبة والحاكم وصححه والخطيب في تاريخ بغداد] [(1)] .

فقد جعل النبي كل واحدة عين ما بعدها ، وعبر بها عنها .

قال أبو داود : وليس المراد أن المدينة تخرج بالكلية قبل خروج الدجال ، وإنما ذلك في آخر الزمان ، بل تكون عمارة بيت المقدس سببًا في خراب المدينة النبوية ؛ فإنه قد ثبت في الأحاديث الصحيحة أن الدجال لا يقدر على دخولها [(2)] .

- وعن عمرو بن عوف - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تذهب الدنيا حتى تكون رابطة من المسلمين بموضع يقال له بولان ، حتى يقاتلوا بني الأصفر ، يجاهدون في سبيل الله ، لا يأخذهم في الله لومة لائم ، حتى يفتح الله عليهم قسطنطينية ورومية بالتسبيح والتكبير ، فيهدم حصنها ، وحتى يقتسموا المال بالأترسة » ، قال : « ثم يصرخ صارخ : يا أهل الإسلام ، قد خرج المسيح الدجال في بلادكم ودياركم . فيقولون : من هذا الصارخ ؟ فلا يعلمون من هو ، فيبعثون طليعة تنظر ، هل هو المسيح ؟ فيرجعون إليهم فيقولون : لم نر شيئًا ، ولم نسمعه ، فيقولون : والله إنه ، والله ما صرخ الصارخ إلا من الله ، أو من الأرض ، تعالوا نخرج بأجمعنا ، فإن يكن المسيح بها نقاتله حتى يحكم الله بيننا وبينه ، وهو خير الحاكمين ، وإن تكن الأخرى ، فإن بلادكم وعساكركم وعشائركم رجعتم إليها » . [أخرجه البزار وابن ماجه باختصار] [(3)] .

- وعن عبد الله بن بُسْر - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « بين الملحمة وفتح المدينة - وعند نعيم بن حماد : وفتح القسطنطينية - ست سنين ، ويخرج الدجال في السابعة » [أخرجه أحمد وأبو داود وابن ماجه] [(4)] . وأخرج نعيم بن حماد في الفتن عن أبي المنيرة عن بشير بن عبد الله بن يسار قال : أخذ عبد الله بن بسر المزني - رضي الله عنه - صاحب رسول الله ﷺ بأذني فقال : يا ابن أخي لعلك تدرك فتح

---

(1) قال أبو داود : وهذا إسناد جيد ، وحديث حسن ، وعليه الصدق وجلال النبوة - النهاية لابن كثير 46/1 ورمز السيوطي لضعفه ، وقال المناوي في الفيض 361/4 : فيه عبد الرحمن بن ثوبان بن صالح ، تكلم فيه غير واحد ، وأورده في الميزان من مناكيره اهـ قلت : ولعله قوي بشواهده ، وثمة نهي عن تسمية المدينة بيثرب .

(2) النهاية في الفتن 46/1 .

(3) قال الهيثمي : وفيه كثير بن عبد الله ، ضعفه الجمهور ، وحَسَّن الترمذي الحديث اهـ قلت : ويشهد له ما قبله وما بعده ، غير أنه انفرد بذكر رومية .

(4) سبق تخريجه في بحث مدة خلافة المهدي .

القسطنطينية ، فإياك إن أدركت فتحها أن تترك غنيمتك منها ، فإن بين فتحها وخروج الدجال سبع سنين .

– وعن كعب قال : لا يخرج الدجال حتى تفتح القسطنطينية [أخرجه نعيم بن حماد في الفتن] (1) وأخرج أيضًا عنه أنه قال : يأتيهم الخبر وهم يقتسمون غنائمها : إن الدجال قد خرج ، وإنما هو كذب ، فخذوا ما استطعتم ، فإنكم تمكثون ست سنين ، ثم يخرج في السابعة (2) .

– وعن كثير بن مرة قال : من حضر القسطنطينية ، فليحمل ما قَدِر ، فإن رسول الله ﷺ قال : فتحها وخروج الدجال في سبع سنين . [أخرجه نعيم بن حماد] (3) .

– وعن عمير بن هانئ أن رسول الله ﷺ قال : إذا صار الناس في فسطاطين ، فسطاط إيمان لا نفاق فيه ، وفسطاط نفاق لا إيمان فيه ، فإذا هما اجتمعا ، فانظر الدجال اليوم أو غدًا . [أخرجه نعيم بن حماد في الفتن] (4) .

ما يسبق الدجال من الشدائد :

فتنة الدجال أعظم الفتن وأخطرها على دين الناس ، منذ خلق الله آدم إلى قيام

---

(1) برقم 1463 : ثنا الوليد بن مسلم عن صفوان بن عمرو عن أبي اليمان وغيره عن كعب .

(2) برقم 1465 : قال صفوان : حدثني شريح بن عبيد عن كعب .

قال ابن كثير : ويشكل بخبر معاذ بن جبل – رضي الله عنه – مرفوعًا : « الملحمة العظمى ، وفتح القسطنطينية ، وخروج الدجال في سبعة أشهر » أخرجه الترمذي وقال : حسن لا نعرفه إلا من هذا الوجه . ورواه الحاكم – قلت : وأخرجه نعيم بن حماد في الفتن برقم 1474 : ثنا بقية وعبد القدوس عن أبي بكر بن أبي مريم عن الوليد بن سفيان بن أبي مريم عن يزيد بن قطيب السكوني عن أبي بحرية عبد الله بن قيس السكوني عنه رضي الله عنه ، وأخرج برقم 1468 عن كعب مرفوعًا . « يأتيهم الخبر أن الدجال قد خرج ، بعد فتحهم القسطنطينية فينصرفون ، فلا يجدونه ، ثم لا يلبثون إلا قليلًا حتى يخرج – قال ابن كثير : إلا أن يكون بين أول الملحمة وآخرها ست سنين ، وبين آخرها وفتح المدينة مدة قريبة تكون مع خروج الدجال في سبعة أشهر اهـ – الفيض 210/3 .

وقال المباركفوري : في رواية معاذ هذه سبعة أشهر ، وفي رواية أخرى سبع سنين ، فما وجه الجمع ؟ ثم رجح رواية سبع سنين اهـ وكذلك القاري ، فإنه رجح هذا الرأي وقال : حاصله أن بين الملحمة العظمى وخروج الدجال سبع سنين ، أصح من سبعة أشهر – تحفة الأحوذي 235/3 .

(3) برقم 1464 .

(4) برقم 1483 : ثنا الوليد بن مسلم عن عبد الرحمن بن يزيد عن عمير بن هانئ .

الساعة ، حيث يُبتلى المؤمنون بأنواع من الفتن والبلاء والمحن قبل خروجه وبعده . ومن ذلك ما يلي :

1 - يأتي على حين جدب وقحط وجوع :

عن أبي أمامة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « .. وإن قبل خروج الدجال ثلاث سنوات شداد ، يصيب الناس فيها جوع شديد ؛ يأمر الله السماء في السنة الأولى أن تحبس ثلث مطرها ، ويأمر الأرض ، فتحبس ثلث نباتها ، ثم يأمر السماء في السنة الثانية ، فتحبس ثلثي مطرها ، ويأمر الأرض ، فتحبس ثلثي نباتها ، ثم يأمر السماء في السنة الثالثة ، فتحبس مطرها كله ، فلا تقطر قطرة ، ويأمر الأرض ، فتحبس نباتها كله ، فلا تُنبِت خضراء ، فلا تبقى ذات ظِلف إلا هلكت ، إلا ما شاء الله . قيل : فما يُعيش الناس في ذلك الزمان ؟ قال : التهليل والتكبير والتسبيح والتحميد ، ويُجرى ذلك عليهم مُجرى الطعام » . [أخرجه ابن ماجه ، وساق أبو داود سنده ، وأخرجه ابن خزيمة في صحيحه ، والحاكم في المستدرك ، والضياء في المختارة] .

وعند ابن ماجه أيضًا : « وفي السنة الثالثة ، يمسك الله المطر وجميع النبات ، فما ينزل من السماء قطرة ، ولا تنبت الأرض خضرة ولا نباتًا ، حتى تكون الأرض كالنحاس ، والسماء كالزجاج ، فيبقى الناس يموتون جوعًا وجهدًا ، وتكثر الفتن والهرج ، ويقتل الناس بعضهم بعضًا ، ويخرج الناس بأنفسهم ، ويستولي البلاء على أهل الأرض ، فعند ذلك يخرج الملعون الدجال » .

- وعن أسماء بنت يزيد الأنصارية - رضي الله عنها - قالت : كنا مع النبي ﷺ في بيته فقال : « إذا كان قبل خروج الدجال بثلاث سنين ، حبست السماء ثلث قطرها ، وحبست الأرض ثلث نباتها ، فإذا كانت السنة الثانية ، حبست السماء ثلثي قطرها ، وحبست الأرض ثلثي نباتها ، فإذا كانت السنة الثالثة ، حبست السماء قطرها كله ، وحبست الأرض نباتها كله ، فلا يبقى ذو خف ولا ظلف إلا هلك » . [أخرجه أحمد والطبراني] (1) .

وأخرج نعيم بن حماد عنها - رضي الله عنها - في الفتن (2) قالت : سمعت النبي ﷺ يقول : « يجزئ المؤمنين يومئذ من الجوع ما يجزئ أهل السماء من التسبيح والتقديس » .

---

(1) وفيه شهر بن حوشب ، فيه ضعف ، وقد وثق ، ويشهد له ما قبله .

(2) برقم 1586 : قال معمر عن قتادة عن شهر بن حوشب عن أسماء ، رضي الله عنها .

وفي رواية أخرى له : فقالت أسماء : يا رسول الله ، والله إنا لنعجن عجينتنا ، فما نختبزها حتى نجوع ، فكيف بالمؤمنين يومئذ ؟ قال : « يجزيهم ما يجزي أهل السماء ؛ التسبيح والتقديس » .

– وعن عائشة – رضي الله عنهما – أن رسول الله ﷺ ذكر جَهْدًا يكون بين يدي الدجال ، فقالوا : أي المال خير يومئذ ؟ قال : « غلام شديد يسقي أهله الماء ، وأما الطعام فليس » . قالوا : فما طعام المؤمنين يومئذ ؟ قال : « التسبيح والتكبير والتهليل » . قالت عائشة – رضي الله عنها – : فأين العرب يومئذ ؟ قال : « العرب يومئذ قليل » [أخرجه أحمد ، ورواه الحاكم بألفاظ مختلفة . قال الهيثمي : ورجاله رجال الصحيح] .

– وعن ابن عمر – رضي الله عنهما – أنه قال للنبي ﷺ : فما طعام المؤمنين في زمان الدجال ؟ قال : « طعام الملائكة » . قالوا : أو تُطعم الملائكة ؟ قال : « طعامهم منطقهم بالتسبيح والتقديس ، فمن كان منطقه يومئذ التسبيح والتقديس ، أذهب الله عنه الجوع ، فلم يخش جوعًا » . [أخرجه نعيم بن حماد في الفتن] (1) .

– وعن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ : « طعام المؤمنين يومئذ التسبيح والتحميد والتهليل والتقديس والتكبير » : [أخرجه نعيم بن حماد في الفتن] (2) .

2 – يخرج والناس في غفلة وجهل :

– عن جابر بن عبد الله – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : « يخرج الدجال في خفة من الدين ، وإدبار من العلم » .. الحديث [أخرجه أحمد وابن خزيمة وأبو يعلى والحاكم وقال : على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي] .

أي في حال ضعف من الدين وقلة أهله .

– وعن الصعب بن جثامة – رضي الله عنه – قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : لا يخرج الدجال حتى يذهل الناس عن ذكره على المنابر » . [أخرجه عبد الله بن أحمد] (3) .

– وعن أبي الفضل الليثي قال : كنت بالكوفة ، فقيل : خرج الدجال ، فأتينا حذيفة

---

(1) برقم 1588 : ثنا الحاكم عن نافع عن سعيد بن سنان عن أبي الزاهرية عن كثير بن مرة عنه رضي الله عنه .
(2) برقم 1587 : ثنا محمد بن فضيل عن أبي سفيان عن الحسن .
(3) قال الهيثمي : من رواية بقية عن صفوان بن عمرو ، وهي صحيحة كما قال ابن معين ، وبقية رجاله ثقات .

ابن أسيد - رضي الله عنه - فقلت : هذا الدجال قد خرج ، فقال حذيفة : إن الدجال لو خرج في زمانكم لرمته الصبيان بالخزف ، لكنه يخرج في نقص من الناس ، وخفة من الدين ، وسوء ذات بين ، فَيَرِدُ كل منهل ، وتطوى له الأرض طيّ فروة الكبش . [أخرجه الحاكم وصححه ، ووافقه الذهبي] وهو في حكم المرفوع .

أي يخرج إبان عيب في الناس ، ويأتي موارد المياه ، حيث يكثر الناس .

ما مع الدجال من فتن

قدر العزيز العليم بحكمته ابتلاء الناس بالدجال ، فاستدرجه بأن أقدره على أشياء وخوارق مذهلة ، تدهش العقول ، وتحير الألباب ، ففي زمنه تنخرق العادات ، وتحدث أمور عظيمة ، مؤذنة بنهاية العالم وقيام الساعة ، وهو إنما يستميل بها ضعاف العقول والإيمان ، فإنه يحمل في وجهه ما يدل على أنه مبطل في دعواه ، فكلا عينيه معيبة ، وأسوأ حال من يراه من ذوي العقول أن يعلم أنه لم يكن ليسوّي خلق غيره ويحسنه ، ولا يدفع النقص عن نفسه [1] . ومن أهم الفتن التي معه ما يلي :

1 - النعم التي تكون معه في تلك المجاعة :

– عن النواس بن سمعان – رضي اللّه عنه – قال : ذكر النبي ﷺ الدجال ذات غداة ، فخفَّض فيه ورفَّع ، حتى ظنناه في طائفة النخل [2] قال : « فيأتي على القوم فيدعوهم ، فيؤمنون به ، ويستجيبون له ، فيأمر السماء فتمطر ، والأرض فتنبت ، فتروح عليهم سارحتهم [3] ، أطولَ ما كانت درًّا ، وأسبغه ضروعًا ، وأمدَّه خواصر ، ثم يأتي على القوم فيدعوهم ، فيردون عليه قوله ، فينصرف عنهم ، فيصبحون ممحلين ، ليس بأيديهم شيء من أموالهم ، ويمر بالخَرِبَة فيقول لها : أخرجي كنوزك ، فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل » [4] .. الحديث [أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه والحاكم] .

وعند الترمذي : « فيأتي القوم ، فيدعوهم فيكذبون ، ويردون عليه قوله ؛ فينصرف عنهم ، فتتبعه أموالهم ، ويصبحون ليس بأيديهم شيء ، ثم يأتي القوم ، فيدعوهم ، فيستجيبون له ويصدقونه ، فيأمر السماء أن تمطر فتمطر ، ويأمر الأرض ان تنبت فتنبت ، فتروح سارحتهم كأطول ما كانت درًّا ، وأمده خواصر ، وأدره ضروعًا ، ثم يأتي الخَرِبة ، فيقول : لها : أخرجي كنوزك ، فينصرف عنها ، فتتبعه كيعاسيب النحل » .. الحديث .

– وعن حُذَيفة بن اليمان – رضي اللّه عنه – قال : سمعت رسول اللّه ﷺ يقول : « إن مع الدجال إذا خرج ماء ونارًا ، فأما الذي يرى الناس أنه نار ، فماء بارد ، وأما

---

(1) فتح الباري 91/13-93 .

(2) طائفة النحل : ناحيته وجانبه ، والطائفة القطعة من الشيء .

(3) سارحتهم : ماشيتهم ، لأنها تسرح . درًّا : لبنًا . الممحل : الذي أجدبت أرضه وقحطت .

(4) يعاسيب : جمع يعسوب ، وهو فحل النحل ورئيسها ، فمتى طار تبعته .

الذي يرى الناس أنه ماء ، فنار تحرق ، فمن أدرك ذلك منكم ، فليقع في الذي يرى أنه نار ، فإنه ماء عذب بارد » . [أخرجه الشيخان وأبو داود] .

ولمسلم أن النبي ﷺ قال : « لأنا أعلم بما مع الدجال منه ، معه نهران يجريان ، أحدهما رأي العين ماء أبيض ، والآخر رأي العين نار تأجج ، فإما أدركَنَّ أحد [1] ، فليأت الذي يراه نارًا ، وليغمّض ، ثم ليطأطئ رأسه ، فليشرب منه ، فإنه ماء بارد » .

وعند الحاكم وقال : على شرط مسلم ، ورواه ابن عساكر وصححه الحافظ في الفتح : « معه نهران ، أحدهما نار تأجج في عين من رآه ، والآخر ماء أبيض ، فإن أدركه أحد منكم ، فليغمض وليشرب من الذي يراه نارًا ، فإنه ماء بارد ، وإياكم والآخر ، فإنه فتنة » .

وعند أبي داود : اجتمع حذيفة وأبو مسعود - رضي الله عنهما - فقال حذيفة : لأنا أعلم بما مع الدجال منه ، إن معه بحرًا من ماء ، ونهرًا من نار ، فالذي ترون أنه نار ماء ، والذي ترون أنه ماء نار ، فمن أدرك ذلك منكم ، فأراد الماء ، فليشرب من الذي يرى أنه نار ، فإنه سيجده ماء . قال أبو مسعود - رضي الله عنه - : هكذا سمعت رسول الله ﷺ يقول [2] .

- وعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « يخرج الدجال في خفة من الدين وإدبار من العلم - ومعه جبال من خبز ، والناس في جهد إلا من تبعه ، ومعه نهران ، أنا أعلم بهما منه ، نهر يقول الجنة ، ونهر يقول النار ، فمن أُدخل الذي يسميه الجنة ، فهو النار ، ومن أُدخل الذي يسميه النار ، فهو الجنة ، ويبعث الله معه شياطين تكلم الناس ، ومعه فتنة عظيمة ؛ يأمر السماء فتمطر فيما يرى الناس » . الحديث [أخرجه أحمد والحاكم في المستدرك وقال : على شرط مسلم وأقره الذهبي] .

وعن أبي أمامة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « .. وإن من فتنته أن معه جنة ونارًا ، فناره جنة ، وجنته نار ، فمن ابتلي بناره ، فليستعذ بالله ، وليقرأ فواتح الكهف فتكون عليه بردًا وسلامًا ، كما كانت النار على إبراهيم بردًا وسلامًا .. وإن من

---

(1) قال النووي في شرح مسلم 61/18 : هكذا هو في أكثر النسخ ، وفي بعضها أدركه ، وهو أظهر ، لأن أدركن غريب من حيث اللغة ، لأن هذه النون لا تدخل على الفعل الماضي .

(2) وعند الشيخين : قال : إن معه ماء ونار ، فناره ماء بارد ، وماؤه نار ، فلا تهلكوا . قال أبو مسعود - رضي الله عنه - : هكذا سمعت رسول الله ﷺ يقول .

فتنته أن يمر بالحي فيكذبونه ، فلا تبقى لهم سائمة إلا هلكت ، وإن من فتنته أن يمر بالحي فيصدقونه ، فيأمر السماء أن تمطر فتمطر ، ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت ، حتى تروح مواشيهم من يومهم ذلك أسمن ما كانت وأعظمه ، وأمده خواصر ، وأدره ضروعًا » .. الحديث [أخرجه ابن ماجه وساق أبو داود سنده وأخرجه الحاكم في المستدرك] .

– وعن جنادة بن أمية الأزدي قال : أتينا رجلًا من أصحاب النبي ﷺ فقال : خطبنا رسول اللّه ﷺ فقال : « أنذركم الدجال – ثلاثًا – فإنه لم يكن نبي قبلي إلا قد أنذر أمته ، وإنه فيكم أيتها الأمة ، وإنه جعد آدم ممسوح العين اليسرى – وفي رواية : أحسبه قال العين اليسرى – معه جنة ونار ، فناره جنة ، وجنته نار ، ومعه جبل من خبز ونهر من ماء – وفي رواية تسير معه جبال الخبز وأنهار الماء – وإنه يمطر المطر ، ولا ينبت الشجر » .. الحديث [أخرجه أحمد ، قال الهيثمي : ورجاله رجال الصحيح] .

– وعن سفينة مولى رسول اللّه ﷺ قال : قال رسول اللّه ﷺ : « .. يخرج معه واديان : أحدهما جنة ، والآخر نار ، فناره جنة ، وجنته نار ، معه ملكان من الملائكة ، يشبهان نبيين من الأنبياء ، لو شئت سميتهما بأسمائهما وأسماء آبائهما ، واحد عن يمينه ، والآخر عن شماله ، وذلك فتنة ، فيقول الدجال : ألست بربكم ؟ ألست أحيي وأميت ؟ فيقول له : أحد الملكين : كذبت ، ما يسمعه أحد من الناس إلا صاحبه ، فيقول له : صدقت ، فيسمعه الناس ، فيظنون أنما يصدق الدجال ، وذلك فتنة » . [أخرجه أحمد والطبراني ، وقال الهيثمي : رجاله ثقات] .

– وعن أبي هريرة – رضي اللّه عنه – قال : قال رسول اللّه ﷺ : « ألا أحدثكم حديثًا عن الدجال ، ما حدث به نبي قومه ؟ إنه أعور ، وإنه يجيء وبمثال الجنة والنار ، فالتي يقول إنها الجنة ، هي النار ، وإني إنذركم به ، كما أنذر به نوح قومه » . [أخرجه الشيخان] .

هل ما معه من جنة ونار حقيقة أو تخييل ؟

أ – ذهب بعض العلماء – ومنهم ابن حبان في صحيحه – إلى أن ما معه من صورة الجنة والنار ، إنما هو تخييل وتمويه ، وليس حقيقة ، واحتجوا بما يلي :

1 - عن عمران بن حصين – رضي اللّه عنه – قال : قال رسول اللّه ﷺ : « من سمع بالدجال فلينأ عنه ، فواللّه إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن ، فيتبعه مما – أو

لما - يَبْعث به من الشبهات » [أخرجه أحمد وأبو داود والحاكم] [1] .

2 - حديث حذيفة بن اليمان - رضي اللّه عنه - السابق : .. « فأما الذي يرى الناس أنه نار ، فماء بارد ، وأما الذي يرى الناس أنه ماء ، فنار تحرق ، فمن أدرك ذلك منكم ، فليقع في الذي يرى أنه نار ، فإنه ماء عذب بارد » . [أخرجه الشيخان] .

وفي رواية لمسلم : « أحدهما رأي العين ماء أبيض ، والآخر رأي العين نار تأجج » .

وعند أبي داود : « فالذي ترون أنه نار ماء ، والذي ترون أنه ماء نار ، فمن أدرك ذلك منكم ، فأراد الماء ، فليشرب من الذي يرى أنه نار ، فإنه سيجده ماء » .

3 - حديث أبي هريرة - رضي اللّه عنه - السابق : « .. وإنه يجيء بمثال الجنة والنار ، فالتي يقول إنها الجنة هي النار » .. الحديث [أخرجه الشيخان] .

فالباء زائدة ، والمعنى : يأتي بصورتيهما معه في نظر الناس ، فيسير معه مثلاهما ، ويصحبه مشكلاهما .

4 - حديث أبي سعيد الخدري - رضي اللّه عنه - السابق : « .. ومعه صورة الجنة خضراء يجري فيها الماء ، وصورة النار سوداء تدخن » [أخرجه أحمد] وعند رزين : « ومعه مثل الجنة والنار » ..

5 - عن المغيرة بن شعبة - رضي اللّه عنه - قال : ما سأل أحد رسول اللّه ﷺ عن الدجال أكثر مما سألته ، وإنه قال لي : « ما يضرك منه ؟ » قلت : إنهم يقولون : إن معه جبل خبز ونهر ماء ، قال : « هو أهون على اللّه من ذلك » . [رواه الشيخان] .

قال ابن حبان : فمعناه أنه أهون على اللّه من أن يكون معه ماء يجري حقيقة ، بل يرى ذلك ، فإن الذي معه يرى أنه ماء ، وليس بماء حقيقة ، أي أن ما ظهر من فتنته ليس له حقيقة ، وإنما تخييل منه وشعبذة كما يفعل السحرة [2] .

ب - وذهب آخرون - منهم ابن العربي - إلى أنها حقيقة ، يخلقها اللّه سبحانه ، ويجريها على يديه ، ويقدره عليها ابتلاء للعباد ، وليست خيالات ولا تمويهات ، يلبس بها على الناس .

---

(1) وسكت عنه الذهبي ، وصححه عبد القادر في تعليقه على الجامع 355/10 .

(2) فتح الباري 93/13 ، ورجح هذا الرأي البرزنجي في الإشاعة ، لقوله ﷺ في حديث حذيفة - رضي اللّه عنه - : « فليغمض ثم ليطأطئ رأسه ، فليشرب منه ، فإنه ماء بارد » .

ورأوا أن النصوص على ظاهرها ، امتحانًا من اللّه لعباده ، بدليل الأحاديث الأخرى التي تذكر ذلك ولا تشير إلى أنها شبهات .

وحملوا قوله ﷺ في حديث المغيرة – رضي اللّه عنه – : « هو أهون على اللّه من ذلك » على أنه أهون على اللّه من أن يخاف منه ، أو يضلل اللّه به من يحبه ، أو يجعله آية على صدقه . قال القاضي عياض : معناه : أهون من أن يجعل اللّه ما على يديه مضللًا للمؤمنين .

وقال ابن العربي : وكيف يُرد بحديث محتمل ما ثبت في غيره من الأحاديث الصحيحة [1] ؟!

موازنة :

قال الحافظ في الفتح [2] : وهذا كله يرجع إلى اختلاف المرئي بالنسبة إلى الآتي :

فإما أن يكون الدجال ساحرًا ، فيخيل الشيء بصورة عكسه .

وإما أن يجعل اللّه باطن الجنة التي يسخرها للدجال نارًا ، وباطن النار جنة . قال : وهذا هو الراجح .

وإما أن يكون ذلك كناية عن النعمة والرحمة بالجنة ، وعن المحنة والنقمة بالنار ، فمن أطاعه فأنعم عليه بجنته ، يؤول أمره إلى دخول نار الآخرة ، وبالعكس .

ويحتمل أن يكون ذلك من جملة المحنة والفتنة ؛ فيرى الناظر إلى ذلك من دهشته النار ، فيظنها جنة ، وبالعكس .

وقال النووي في شرح مسلم [3] : هذا من جملة فتنته ، امتحن اللّه به عباده ، ليحق الحق ، ويبطل الباطل ، ثم يفضحه .

وقال ابن القيم : قوله ﷺ : « سيجده ماء » أي في الحقيقة أو بالقلب ، بحسب المآل .

ويظهر – واللّه أعلم – أن اللّه سبحانه يقلب حقيقتهما في حق المؤمن والكافر ، فينعكسان عليهما فإنه في زمن الدجال تنخرق العادات ، وتحدث أمور عظيمة .

وقال ابن كثير في النهاية [4] : والذي يظهر من الأحاديث المتقدمة أن الدجال يمتحن

(1 ، 2) فتح الباري 93/13 .　(3) 61/18 .　(4) 84/1 .

اللّه به عباده بما يخلقه معه من الخوارق المشاهدة في زمانه .. وهذا كله ليس بمخرقة ، بل له حقيقة ، امتحن اللّه به عباده في ذلك الزمان .

2 - تدرجه في دعواه :

يخرج الدجال ، فيظهر أولًا في صورة ملِك من الملوك الجبابرة ، ثم يدعي النبوة ، ثم يدعي الربوبية مع أن حاله يكذبه (1) .

- عن أبي أمامة - رضي اللّه عنه - قال : قال رسول اللّه ﷺ : « فإني سأصفه لكم صفة لم يصفها إياه نبي قبلي ، إنه يبدأ فيقول : أنا نبي ، ولا نبي بعدي ، ثم يثني فيقول : أنا ربكم ، ولا ترون ربكم حتى تموتوا ، وإنه أعور ، وإن ربكم ليس بأعور » .. الحديث [أخرجه ابن ماجه ، وساق أبو داود إسناده ، وأخرجه الحاكم في المستدرك] .

- وعن جابر - رضي اللّه عنه - في حديثه السابق : .. « فيقول للناس : أنا ربكم ، وهو أعور ، وإن ربكم ليس بأعور » .. الحديث [أخرجه أحمد والحاكم في المستدرك] .

- وعن أبي قِلابة عن رجل من الصحابة - رضي اللّه عنهم - أن رسول اللّه ﷺ قال : « وإنه سيقول : أنا ربكم ، فمن قال : لست بربنا ، ولكن اللّه ربنا ، عليه توكلنا ، وإليه أنبنا ، نعوذ باللّه من شرك ؛ لم يكن له عليه سلطان » [أخرجه أحمد ، قال

(1) النهاية في الفتن والملاحم 88/1 . وظاهر الأحاديث أنه يبدأ في إظهار الكفر والبطلان ، لكن روى الطبراني عن عبد اللّه بن مغنم - رضي اللّه عنه - أن النبي ﷺ قال : الدجال ليس به خفاء ، إنه يجيء من قبل المشرق فيدعو إلى حق فيتبع ، ويذهب للناس ، فيقاتلهم فيظهر عليهم ، فلا يزال على ذلك حتى يقدُم الكوفة ، فيُظهر دين اللّه ، ويعمل به ، فيتبع ويُحب على ذلك ، ثم يقول بعد ذلك إني نبي ، فيفزع من ذلك كل ذي لُب ويفارقه ، ويمكث بعد ذلك ثم يقول : أنا اللّه ، فيغمس اللّه عينيه ، ويقطع أذنيه ، ويكتب بين عينيه كافر ، فلا يخفى على كل مسلم ، فيفارقه كل أحد من الخلق في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان ، ويكون من أصحابه اليهود والمجوس والنصارى وهذه الأعاجم من المشركين ، ثم يدعو برجل فيما يرون ، فيأمر به فيقتل ، ثم يُقطّع أعضاء ، كل عضو على حدة ، فيفرق بينها حتى يراها الناس ، ثم يجمع بينها ، ثم يضربه بعصاه ، فإذا هو قائم ، فيقول الدجال : أنا اللّه أحيي وأميت . وذلك سحر يسحر الناس ، ليس يصنع من ذلك شيئًا . قال الذهبي : ورواه يحيى بن موسى عن سعيد بن محمد الثقفي ، وهو واه - وانظر النهاية 90/1 والفيض 539/3 -

وأخرج نعيم بن حماد في الفتن برقم 1522 عن الهيثم بن مالك الطائي رفع الحديث قال : « يلي الدجال بالعراق سنتين يحمد فيها عدله ، وتشرئب الناس إليه ، فيصعد يومًا المنبر ، فيخطب بها ، ثم يقبل عليهم فيقول لهم : أما آن لكم أن تعرفوا ربكم ؟ فيقول قائل : من ربنا ؟ فيقول : أنا ، فينكر منكر من الناس من عباد اللّه قوله : فيأخذه فيقتله .. الحديث .

الهيثمي : رجاله رجال الصحيح] .

– وعن سمرة بن جندب – رضي اللّه عنه – قال : قال رسول اللّه ﷺ : « .. وإنه متى خرج ، فإنه يزعم أنه اللّه ، فمن آمن به وصدقه واتبعه ، فليس ينفعه صالحٌ من عمل سلف ، ومن كفر به وكذبه ، فليس يعاقب بشيء من عمل سلف » [أخرجه البخاري وأحمد والترمذي والنسائي والحاكم في المستدرك والبيهقي والطحاوي] .

3 - قتله الشاب المؤمن فإحياؤه ثم العجز :

– عن أبي سعيد الخدري – رضي اللّه عنه – قال : قال رسول اللّه ﷺ : « يأتي الدجال ، وهو محرم عليه أن يدخل نقاب المدينة ، فينتهي إلى بعض السِّباخ التي بالمدينة [1] ، فيخرج إليه يومئذ رجل ، هو خير الناس – أو من خير الناس – فيقول الدجال : أرأيتم إن قتلت هذا ثم أحييته ، هل تشكون في الأمر ؟ فيقولون : لا ، فيقتله ثم يحييه ، فيقول حين يحييه : واللّه ما كنت قط أشدّ بصيرة مني اليوم ، فيقول الدجال : أقتله ، ولا يسلط عليه » [أخرجه الشيخان] .

ولمسلم : « يخرج الدجال ، فيتوجه قبله رجل من المؤمنين ، فتلقاه المسالح ، مسالح الدجال [2] ، فيقولون له : أين تعمِد ؟ فقال : أعمد إلى هذا الذي خرج ، فيقولون له : أو ما تؤمن بربنا ؟ فيقول : ما بربنا خفاء ، فيقولون : اقتلوه ، فيقول بعضهم لبعض : أليس نهاكم ربكم أن تقتلوا أحدًا دونه ؟ قال : فينطلقون به إلى الدجال ، فإذا رآه المؤمن قال : يا أيها الناس ، هذا الدجال الذي ذكر رسول اللّه ﷺ » قال : « فيأمر الدجال به فيُشج – وفي رواية : فيشبح [3] – فيقول : خذوه وشجوه ، فيوسع ظهره وبطنه ضربًا ، قال : فيقول : أما تؤمن بي ؟ فيقول : أنت المسيح الكذاب » قال : « فيؤمر به ، فيؤشر بالمئشار ، من مَفْرِقه ، حتى يُفَرَّق بين رجليه » ، قال : « ثم يمشي الدجال بين القطعتين » ، قال : « ثم يقول له : قم ، فيستوي قائمًا » ، قال : « ثم يقول له : أتؤمن بي ؟ فيقول : ما ازددت فيك إلا بصيرة » ، قال : « ثم يقول : يا أيها الناس ، إنه لا يُفعل بعدي بأحد من الناس » ، قال : « فيأخذه الدجال ليذبحه ، فيُجعل ما بين رقبته إلى تَرقوته [4] نحاسًا ، فلا يستطيع إليه

(1) السباخ : الأراضي التي لا تنبت المرعى .
(2) المسالح : جمع مسلحة ، وهم قوم معهم سلاح ، والمسلحة ؛ كالثغر والمرقب .
(3) الشج : جرح في الرأس أو الوجه ، والمراد هنا الضرب ، ويشبح : أي يمد على بطنه .
(4) الترقُوة : العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق .

سبيلًا ، قال : فيأخذ بيديه ورجليه ، فيَقذف به ، فيحسب الناس أنما قذفه إلى النار ، وإنما أُلقي به في الجنة » . فقال رسول اللّه ﷺ : « هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين » .

وفي رواية عطية : « أنت الكذاب الذي أنذرناه رسول اللّه ﷺ » وزاد : « فيقول له الدجال : لتطيعني فيما آمرك ، أو لأشقنك شقين ، فينادي : يا أيها الناس ، هذا المسيح الكذاب » .

– وعن النواس بن سمعان – رضي اللّه عنه – قال : ذكر رسول اللّه ﷺ الدجال ذات غداة ، فخفّض فيه ورفّع ، حتى ظنناه في طائفة النخل .. فقال : ثم يدعو رجلًا ممتلئًا شبابًا ، فيضربه بالسيف فيقطعه جِزْلتين ، رمية الغَرَض (1) ، ثم يدعوه فيقبل ، ويتهلل وجهه يضحك ، فبينما هو كذلك ، إذ بعث اللّه المسيح ابن مريم عليه السلام .. الحديث [أخرجه مسلم] .

– وعن أبي أمامة الباهلي – رضي اللّه عنه – قال : قال رسول اللّه ﷺ : « .. وإن من فتنته أن يقول للأعرابي : أرأيت إن بعثت لك أباك وأمك ، أتشهد أني ربك ؟ فيقول : نعم ، فيتمثل له شيطانان في صورة أبيه وأمه ، فيقولان : يا بني اتبعه ، فإنه ربك ، وإن من فتنته أن يُسلط على نفس واحدة ، فيقتلها ، ينشرها بالمنشار ، حتى تُلقى شقين ، ثم يقول : انظروا إلى عبدي هذا ، فإني أبعثه [الآن] ثم يزعم أن له ربًّا غيري ، فيبعثه اللّه ، ويقول له الخبيث : من ربك ؟ فيقول : ربي اللّه ، وأنت عدو اللّه ، أنت الدجال ، واللّه ما كنت قط أشد بصيرة بك مني اليوم » .. الحديث [أخرجه ابن ماجه والحاكم ، وقال : على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي ، وأورده السيوطي في الصغير ، وزاد نسبته إلى ابن خزيمة والضياء في المختارة] .

– وعن جنادة بن أمية قال : أتينا رجلًا من الأنصار فقال : قام رسول اللّه ﷺ فينا فقال : أنذركم المسيح ، وهو ممسوح العين .. قال ابن عون : أحسبه قال : يسلط على رجل فيقتله ، ثم يحييه ، ولا يسلط على غيره » [أخرجه أحمد ، وقال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح] .

---

(1) الجِزلة – بكسر الجيم – القطعة . والغَرَض : الهدف الذي يُرمى بالنشاب ، أي يجعل بين القطعتين مقدار رمية الغرض .

تنبيه : في حديث النواس : فيضربه بالسيف ، وفي غيره : فينشر بالمنشار . قال الحافظ في الفتح : ورواية المنشار تُفسر رواية السيف ، فلعل السيف كان به فلول ، فصار كالمنشار ، وأراد المبالغة في تعذيبه بالقتلة المذكورة ، ويكون قوله فضربه بالسيف مفسرًا لقوله نشر بالمنشار اهـ ويقال : يؤشر وينشر ويوشر بالمنشار ، ونشر وأشر .

- وعن جابر - رضي اللّه عنه - في حديثه السابق : يخرج الدجال في خفة من الدين وإدبار من العلم .. ويقتل نفسًا ثم يحييها فيما يرى الناس ، لا يسلط على غيرها من الناس ، ويقول : يا أيها الناس هل يفعل هذا إلا الرب .. الحديث [أخرجه أحمد ، قال الهيثمي : بإسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح ، وأخرجه الحاكم في المستدرك ، وقال الذهبي صحيح على شرط مسلم] .

- عن عبد اللّه بن مغفَّل - رضي اللّه عنه - قال : قال رسول اللّه ﷺ « .. يبرئُ الأكمه والأبرص ، ويقول : أنا ربكم ، فمن قال : ربي اللّه ، : فلا فتنة عليه ، ومن قال : أنت ربي : فقد افتتن » [أخرجه الطبراني في الكبير والأوسط ، قال الهيثمي : رجاله ثقات ، وفي بعضهم ضعف لا يضر .

وإنما أقدره اللّه سبحانه على قتل الشاب ثم إحيائه فتنة للناس ، فإن عندهم ما يدل على أنه مبطل في دعواه ، ألا وهو نقص الذات ، ولا سيما العور في عينيه ، والفحج في رجليه ، ولو كان إلهًا حقًّا لأزال ذلك عن نفسه .

تنبيه : لا يسلط الدجال بالقتل والإحياء إلا على ذلك الشاب مرة واحدة ، وما ورد عن حذيفة - رضي اللّه عنه - أن مع الدجال رجالًا يقتلهم ثم يحييهم ، فإنما هم شياطين ، وقتله إياهم ثم إحياؤه لهم ، إنما هو في رأي العين ، لا على الحقيقة . ويشهد لذلك ما يلي :

- عن أبي أمامة - رضي اللّه عنه - في حديثة السابق : « .. وإن من فتنته أن يقول للأعرابي : أرأيت إن بعثت لك أباك وأمك ، أتشهد أني ربك ؟ .. »

- وعن أسماء بنت يزيد الأنصارية - رضي اللّه عنها - قالت : كان رسول اللّه ﷺ في بيتي ، فذكر الدجال فقال : إن من أشد فتنته أنه يأتي الأعرابي ، فيقول : أرأيت إن أحييت إبلك ، ألست تعلم أني ربك ؟ فيقول : نعم . قال : فتتمثل له الشياطين نحو إبله ، كأحسن ما تكون ضروعًا ، وأعظمه أسنمة ، ويأتي الرجل ، وقد مات أبوه ومات أخوه ، فيقول : أرأيت إن أحييت لك أباك وأخاك ، ألست تعلم أني ربك ؟ فيقول : بلى ، فتتمثل له الشياطين نحو أبيه وأخيه » [أخرجه نعيم بن حماد] (1) .

- وعن جنادة بن أمية الأزدي قال : ذهبت أنا ورجل من الأنصار إلى رجل من أصحاب النبي ﷺ فقلنا : حدثنا ما سمعت من رسول اللّه ﷺ يذكر الدجال .

(1) في الفتن برقم 1514 : ثنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن شهر بن حوشب عنها رضي اللّه عنها .

قال : .. وإن يسلط على نفس فيقتلها ، ولا يسلط على غيرها » .. الحديث [أخرجه أحمد ، قال الهيثمي : ورجاله رجال الصحيح] .

4 - سرعة تنقله في الأرض :

ومما أقدره اللّه عليه سرعة التنقل في الأرض لتعم فتنته ، فهو يجوب الأرض كلها بسرعة عظيمة في أربعين يومًا ، يأخذ البلاد بلدًا بلدًا ، وإقليمًا إقليمًا وحصنًا حصنًا (1) .

– ففي حديث فاطمة بنت قيس – رضي اللّه عنها – السابق أن الدجال قال لتميم – رضي اللّه عنه – : وإني أوشك أن يؤذن لي في الخروج ، فأخرج فأسير في الأرض ، فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة .. الحديث [أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي] .

– وعن النواس بن سمعان – رضي اللّه عنه – في حديثه السابق : « .. إنه خارجٌ خُلَّةً بين الشام والعراق ، فعاث يمينًا ، وعاث شمالًا ، يا عباد اللّه ، فاثبتوا » . قلنا : يا رسول اللّه ، وما لبثه في الأرض ؟ قال : « أربعون يومًا » .. قلنا : يا رسول اللّه ، وما إسراعه في الأرض ؟ قال : « كالغيث استدبرته الريح » .. الحديث [أخرجه مسلم وأحمد وأبو داود والترمذي والحاكم] .

أي كالغيم الذي تدفعه الريح .

– وعن جابر بن عبد اللّه – رضي اللّه عنه – في حديثه السابق : « .. وله أربعون يومًا يسيحها في الأرض .. يرد كل ماء ومنهل » .. الحديث [أخرجه أحمد والحاكم في المستدرك ، وقال الذهبي : على شرط مسلم ، وقال الهيثمي : رواه أحمد بسندين رجال أحدهما رجال الصحيح] .

وعند أحمد : « تطوى له الأرض في أربعين يومًا » .

وأخرجه الطبراني بلفظ : « يسيح في الأرض أربعين يومًا ، يرد كل بلدة » .

– وعن حذيفة بن أسيد – رضي اللّه عنه – في أثره السابق – : « فيرد كل منهل ، وتطوى له الأرض طي فروة الكبش » .. الأثر [أخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي] وهو في حكم المرفوع .

---

(1) النهاية 88/1 .

مسيرة الدجال في الأرض

يخرج الدجال من جهة المشرق ، من بلاد خراسان ، فيتبعه أقوام كأن وجوههم المجان المطرقة ، كما في حديث أبي بكر – رضي الله عنه – .

ثم يكون بدء ظهوره من يهودية أصفهان ، حيث يخرج سبعون ألف يهودي مطيلس ، لاستقباله ومناصرته ، كما في حديثي عائشة وأنس ، رضي الله عنهما .

ثم ينحدر على أرض إيران فالعراق ، وبعد خروجه من الخلة التي بين الشام والعراق ، يتجه مسرعًا نحو الحجاز للاستيلاء على مكة والمدينة ، ثم الخروج إلى العالم .

عن النواس بن سمعان – رضي الله عنه – في حديثه السابق – : « .. إنه خارجٌ خلةً بين الشام والعراق ، فعاث يمينًا ، وعاث شمالًا ، يا عباد الله فاثبتوا »[1] .. الحديث [أخرجه مسلم وأحمد وأبو داود والترمذي والحاكم] .

والعيث : أشد الفساد مع الإسراع فيه . يقال عاث يعيث . والمعنى يبعث سراياه يمينًا وشمالًا لتفسد في الأرض .

ويحاول جاهدًا اقتحام المدينة ، غير أن الملائكة تمنعه من دخولها ، ثم تصرف وجهه قبل الشام حتى يأتيها .

عن سفينة – رضي الله عنه – في حديثه السابق قال : .. ثم يسير حتى يأتي المدينة ، فلا يؤذن له فيها ، فيقول : هذه قرية ذلك الرجل ، ثم يسير حتى يأتي الشام ، فينزل عيسى – عليه السلام – فيقتله عند عقبة أفيق .[2] [أخرجه أحمد والطبراني ، وقال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح] .

وفي رواية أبي داود : فيقول : « هذه قرية ذاك الرجل ، فلا يؤذن له أن يدخلها ، ثم يسير حتى يأتي الشام ، فيهلكه الله عند عقبة أفيق » .

وعن حذيفة بن اليمان – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : « .. إنه يطلع من آخر أمره على بطن الأردن ، على ثنية أفيق ، وكل واحد يؤمن بالله واليوم

---

(1) أي على الإيمان ، ولا تزيغوا وإن عاقبكم . وهذا من الخطاب العام ، أراد به من يدرك الدجال من أمته ، يريد المؤمنين الموجودين في ذلك الزمن . وانظر صحيح مسلم بشرح النووي 65/18 .

(2) وهي قرية بين الفور وحوران من بلاد الشام ، وعقبتها : الأرض المرتفعة فيها .

الآخر ببطن الأردن » .. الحديث [أخرجه الحاكم في المستدرك وابن عساكر] .

البلدان التي يمنع من دخولها :

ما من مكان إلا سيطؤه الدجال ، غير أربعة : مكة والمدينة والقدس والطور .

– ففي حديث فاطمة بنت قيس – رضي اللّه عنها – السابق أن الدجال قال لتميم – رضي اللّه عنه – : « .. فأخرج فأسير في الأرض ، فلا أدع قرية إلا هبطتُها في أربعين ليلة ، غير مكة وطيبة ، فهما محرمتان عليّ كلتاهما ، كلما أردت أن أدخل واحدة – أو واحدًا – منهما ، استقبلني ملك بيده السيف صلتًا ، يصدني عنها ، وإنَّ على كل نَقْب [1] منها ملائكة يحرسونها . قالت : قال رسول اللّه ﷺ وطعن بمخصرته في المنبر : « هذه طيبة ، هذه طيبة – يعني المدينة – ألا هل كنت حدثتكم عن ذلك ؟ » فقال الناس : نعم .. الحديث [أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي] .

وعن ابن ماجه : « لم أدع أرضًا إلا وطئتها برجلي هاتين ، إلا طيبة ، ليس لي عليها سبيل » . قال النبي ﷺ : « إلى هذا ينتهي فرحي ، هذه طيبة ، والذي نفسي بيده ، ما فيها طريق ، ضيق ولا واسع ، ولا سهل ولا جبل ، إلا وعليه ملك شاهر سيفه إلى يوم القيامة » .

– وعن جابر بن عبد اللّه – رضي اللّه عنه – في حديثه السابق : .. « وله أربعون يومًا يسيحها في الأرض .. يرد كل ماء ومنهل ، إلا المدينة ومكة ، حرمهما اللّه تعالى عليه ، وقامت الملائكة بأبوابهما » .. الحديث [أخرجه أحمد والحاكم في المستدرك ، وقال الذهبي : على شرط مسلم ، وقال الهيثمي : رواه أحمد بسندين رجال أحدهما رجال الصحيح] .

وعند أحمد بسند جيد : تطوى له الأرض في أربعين يومًا ، إلا ما كان من طيبة .

وأخرجه الطبراني بلفظ : « يسيح في الأرض أربعين يومًا ، يرد كل بلدة ، غير هاتين البلدتين ، مكة والمدينة ، حرمهما اللّه تعالى عليه .. الحديث .

– وعن حذيفة بن أَسِيد – رضي اللّه عنه – في أثره السابق : .. فيرد كل منهل ، وتطوى له الأرض طي فروة الكبش ، حتى يأتي المدينة ، فيغلب على خارجها ، ويُمنع داخلَها ، ثم يأتي جبل إيلياء [2] ، فيحاصر عصابة المسلمين » .. الأثر [أخرجه الحاكم

---

(1) صلتًا : مسلولًا من غمده ، مهيئًا للضرب . النقب : وهو طريق في الجبل ، ويجمع على نِقاب وأنقاب .

(2) إيلياء : بيت المقدس .

وصححه ، ووافقه الذهبي] .

– وعن أنس – رضي اللّه عنه – قال : قال رسول اللّه ﷺ : « ليس من بلد إلاسيطؤه الدجال ، إلا مكة والمدينة ، وليس من نقب من أنقابها إلا عليه الملائكة صافين تحرسها » .. الحديث [أخرجه الشيخان] .

– وعن أبي هريرة – رضي اللّه عنه – قال : قال رسول اللّه ﷺ : « على أنقاب المدينة ملائكة ، لا يدخلها الطاعون ولا الدجال » . [متفق عليه وأخرجه مالك في الموطأ] .

– وعن أبي بكرة – رضي اللّه عنه – قال : لا يدخل المدينة رعب المسيح الدجال ، لها يومئذ سبعة أبواب ، على كل باب ملكان . [أخرجه البخاري] .

وعند الحاكم : قال : أكثر الناسُ في شأن مسيلمة ، فقال النبي ﷺ : « إنه كذاب من ثلاثين كذابًا قبل الدجال ، وإن ليس من بلد إلا يدخله رعب الدجال ، إلا المدينة ، على كل نقب من أنقابها ملكان ، يذبان رعب المسيح » .

– وعن جنادة بن أبي أمية الأزدي قال : ذهبت أنا ورجل من الأنصار إلى رجل من أصحاب النبي ﷺ فقلنا : حدثنا ما سمعت من رسول اللّه ﷺ يذكر الدجال ، ولا تحدثنا عن غيره ، وإن كنت مصدقًا . قال : خطبنا رسول اللّه ﷺ فقال : « .. وإنه يمكث في الأرض أربعين صباحًا ، يبلغ فيها كل منهل ، ولا يقرب أربعة مساجد : مسجد الحرام ، ومسجد المدينة ، ومسجد الطور ، ومسجد الأقصى » .. الحديث [أخرجه أحمد ، قال الهيثمي : ورجاله رجال الصحيح] (1) .

وأخرجه نعيم بن حماد في الفتن (2) بلفظ : إن الدجال يبلغ كل منهل إلا أربعة مساجد : مسجد الحرام ، ومسجد المدينة ، ومسجد طور سيناء ، ومسجد الأقصى » .

– وعن سمرة بن جندب – رضي اللّه عنه – قال : قال رسول اللّه ﷺ : « .. وإنه سيظهر على الأرض كلها إلا الحرمين وبيت المقدس » .. الحديث [أخرجه البخاري والترمذي والنسائي وأحمد وغيرهم] .

– وعن عبد اللّه بن عمرو – رضي اللّه عنهما – قال : قال رسول اللّه ﷺ : « .. يخرج

---

(1) ووثق الحافظ في الفتح رجال أحمد ، وأخرجه أيضًا الطحاوي .

(2) برقم 1578 ثنا جرير بن عبد الحميد عن منصور عن مجاهد عن جنادة بن أمية الدَوْسى عن أحد الصحابة .

الدجال ، فيمكث في الأرض أربعين صباحًا ، يرد كل منهل ، إلا الكعبة والمدينة وبيت المقدس » .. الحديث [أخرجه الطبراني ، قال الهيثمي : وفيه من لم أعرفهم] [1] .

منزل الدجال بناحية المدينة :

يحاول الدجال اقتحام المدينة ، غير أن الملائكة تصده عنها ، وتمنعه من دخولها – كما سلف – فينزل مع عسكره بضاحيتها الشمالية خلف جبل أحد ، وتمتد مخيماته في السباخ التي هناك شرقًا وغربًا ، ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات ، فلا يبقى منافق ولا منافقة ، ولا فاسق ولا فاسقة إلا خرج إليه ، وأكثر من يخرج إليه النساء ، فتخلص المدينة من خبثها ، ويدعى ذلك اليوم ، يوم الخلاص .

– عن عائشة – رضي اللّه عنها – قالت : قال رسول اللّه ﷺ : « يخرج من يهودية أصفهان ، حتى يأتي المدينة ، فينزل ناحيتها ، ولها يومئذ سبعة أبواب ، على كل نَقْب منها ملكان ، فيخرج إليه شرار أهلها ، حتى يأتي الشام ، مدينة فلسطين ، باب لُد ، فينزل عيسى ابن مريم – عليه السلام – فيقتله » .. الحديث [أخرجه أحمد وابن حبان] .

وعند ابن أبي شيبة : بضاحية المدينة .

– وعن أبي هريرة – رضي اللّه عنه – قال : قال رسول اللّه ﷺ : « يأتي المسيح من قبل المشرق ، وهمته المدينة ، حتى ينزل دبر أحد ، ثم تصرف الملائكة وجهه قبل الشام، وهناك يهلك » . [أخرجه مسلم والترمذي] .

– وعنه – رضي اللّه عنه – قال : ركب رسول اللّه ﷺ إلى مجمع السيول فقال : « ألا أنبئكم بمنزل الدجال من المدينة ؟ هذا منزله » .. الحديث [أخرجه أبو يعلى في مسنده، قال الهيثمي : وفيه أبو معشر ضعيف] .

– وعنه – رضي اللّه عنه – قال : قال رسول اللّه ﷺ : « لا ينزل الدجال المدينة ، ولكنه بين الخندق ، وعلى كل نقب منها ملائكة يحرسونها ، فأول من يتبعه النساء ، فيؤذونه ، فيرجع غضبان حتى ينزل الخندق ، فعند ذلك ينزل عيسى ابن مريم » .. الحديث [أخرجه الطبراني في الأوسط ، قال الهيثمي : ورجاله رجال الصحيح ، غير عقبة بن مكرم الضبي ، وهو ثقة] .

---

(1) وعزاه القرطبي في التذكرة إلى أبي جعفر الطبري .

- وعن أبي سعيد الخدري - رضي اللّه عنه - قال : قال رسول اللّه ﷺ : « يأتي الدجال وهو محرم عليه أن يدخل نقاب المدينة ، فينتهي إلى بعض السباخ التي بالمدينة ، فيخرج إليه يومئذ رجل » .. الحديث [أخرجه الشيخان] .

وفي رواية لمسلم : « فينتهي إلى بعض السباخ التي تلي المدينة » .

- وعن أنس بن مالك - رضي اللّه عنه - قال : قال رسول اللّه ﷺ : « يجيء الدجال حتى ينزل في ناحية المدينة ، ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجَفات [1] ، فيخرج إليه كل كافر ومنافق » [أخرجه البخاري ومسلم واللفظ للبخاري] .

وفي رواية لهما : « ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال .. فينزل بالسبخة ، ثم ترجف المدينة ثلاث رجفات ، فيخرج إليه كل كافر ومنافق » .

وفي رواية للبخاري : « ينزل بعض السباخ » .

وفي رواية عماد بن سلمة عن إسحاق عنه - رضي اللّه عنه - عندهما : فيأتي سبَخَة الجُرُف [2] ، فيضرب رواقه ، فيخرج إليه كل منافق ومنافقة .

- وعن أبي أمامة - رضي اللّه عنه - في حديثة السابق : « .. وإنه لا يبقى شيء من الأرض إلا وطئه وظهر عليه ، إلا مكة والمدينة ، لا يأتيهما من نقب من أنقابهما إلا لقيته الملائكة بالسيوف صَلْتة ، حتى ينزل عند الظُرَيِّب [3] الأحمر ، عند منقطع السبخة - وزاد في رواية نعيم بن حماد : عند مجتمع السيول - فترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات ، فلا يبقى فيها منافق ولا منافقة إلا خرج إليه ، فتنفي الخبَث منها ، كما ينفي الكير خبث الحديد ، ويدعى ذلك اليوم يوم الخلاص » .. الحديث [أخرجه ابن ماجه

(1) وجمع العلماء بين هذه الأحاديث وبين ما رواه البخاري عن أبي بكرة - رضي اللّه عنه - مرفوعًا : « لا يدخل المدينة رعب المسيح الدجال ، لها يومئذ سبعة أبواب ، على كل باب ملكان » . وحاصل ما وقع الجمع به ، أن الرعب المنفي هو الخوف والفزع ، حتى لا يحصل لأحد فيها بسبب نزوله قربها شيء . أو هو عبارة عن رايته ، وهو غلبته عليها ، والمراد بالرجفة الإرجاف ، وهو إشاعة مجيئه ، وأنه لاطاقة لأحد به ، فيسارع إليه حينئذ من يتصف بالنفاق أو الفسق ، فيظهر حينئذ نفي الخبث - فتح الباري 94/13 .

(2) السبخة - محركة ومسكنة - الأرض التي تعلوها الملوحة ، فلا تنبت إلا بعض الشجر ، وهذه الصفة خارج المدينة من غير جهة الحرة ، وأشدها يقع شمالها . والجرف - بضمتين ، وقيل بتسكين الراء - من نواحي المدينة ، يقع شمالها - فتح الباري 103/13 .

(3) الظُرَيِّب : تصغير ظرِب ، بوزن كتف ، وهو الجبل الصغير أو المنبسط .

وساق أبو داود إسناده ، ورواه الحاكم في المستدرك وأقره الذهبي ، وأخرجه ابن خزيمة والضياء ونعيم بن حماد في الفتن] .

- وعن محجن بن الأورع - رضي اللّه عنه - أن رسول اللّه ﷺ خطب يومًا فقال : « يوم الخلاص ، وما يوم الخلاص ؟! » - ثلاثًا - فقيل له : وما يوم الخلاص ؟ قال : « يجيء الدجال ، فيصعد أحدًا (1) ، فينظر إلى المدينة ، فيقول لأصحابه : ألا ترون إلى هذا القصر الأبيض ؟ هذا مسجد أحمد (2) ، ثم يأتي المدينة ، فيجد بكل نقب من نقابها ملكًا مصلتًا سيفه ، فيأتي سبخة الجرف ، فيضرب رواقه ، ثم ترجف المدينة ثلاث رجفات ، فلا يبقى منافق ولا منافقة ، ولا فاسق ، ولا فاسقة إلا خرج إليه ، فذلك يوم الخلاص » [أخرجه أحمد ، وقال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح] .

- وعن جابر بن عبد اللّه - رضي اللّه عنه - قال : أشرف النبي ﷺ على فِلْق من أفلاق المدينة ، ونحن معه فقال : « نعمت الأرض المدينة إذا خرج الدجال ، على كل نقب من أنقابها ملك ، لا يدخلها ، فإذا كان كذلك ، رجفت بأهلها ثلاث رجَفات ، لا يبقى منافق ولا منافقة إلا خرج إليه ، وأكثر - يعني من يخرج إليه - النساء ، وذلك يوم التخليص ، وذلك يوم تنفي المدينة الخبث ، كما ينفي الكير خبث الحديد ، ويكون معه سبعون ألفًا من اليهود ، على كل رجل منهم ساج (3) وسيف محلى ، فتضرب قبته بهذا الضرب (4) ، الذي عند مجتمع السيول » ، ثم قال رسول اللّه ﷺ : « ما كانت فتنة ، ولا تكون حتى تقوم الساعة ، أكبر من فتنة الدجال ، ولا من نبي إلا وقد حذر أمته ، ولأخبرنكم بشيء ، ما أخبر نبي أمته قبلي » ، ثم وضع يده على عينه ، ثم قال : « أشهد أن اللّه عز وجل ليس بأعور » [أخرجه أحمد ، قال الهيثمي : ورجاله رجال الصحيح ، وأخرجه الحاكم وصححه] .

---

(1) قال عبد العزيز القاري في نشرته : إن أُحُدًا من الحرم ، فلا يصعده الدجال ، ولا يُمكّن منه ، والآفة في هذا الحديث سعيد الجريري ، وهذا من اختلاطه ، أو حماد بن سلمة ، فهذا من أوهامه ، وحديث الصحيح يرده .

(2) وهذا من معجزات النبي ﷺ التي يراها المؤمنون في زماننا ، فيزدادون إيمانًا ، فإن مسجده ﷺ كان في عهده مبنيًا من لبن وطين ، ومن سعف النخل وجريده ، وكانت أرضه مفروشة بالحصباء ، ولا يمكن رؤيته من بعيد ، وقد أخبر النبي ﷺ أن مسجده سوف يرتفع بناؤه بحيث يُرى من بعيد ، ويكون لونه أبيض ، وفي زماننا تظهر منائره البيضاء من مسافة بعيدة .

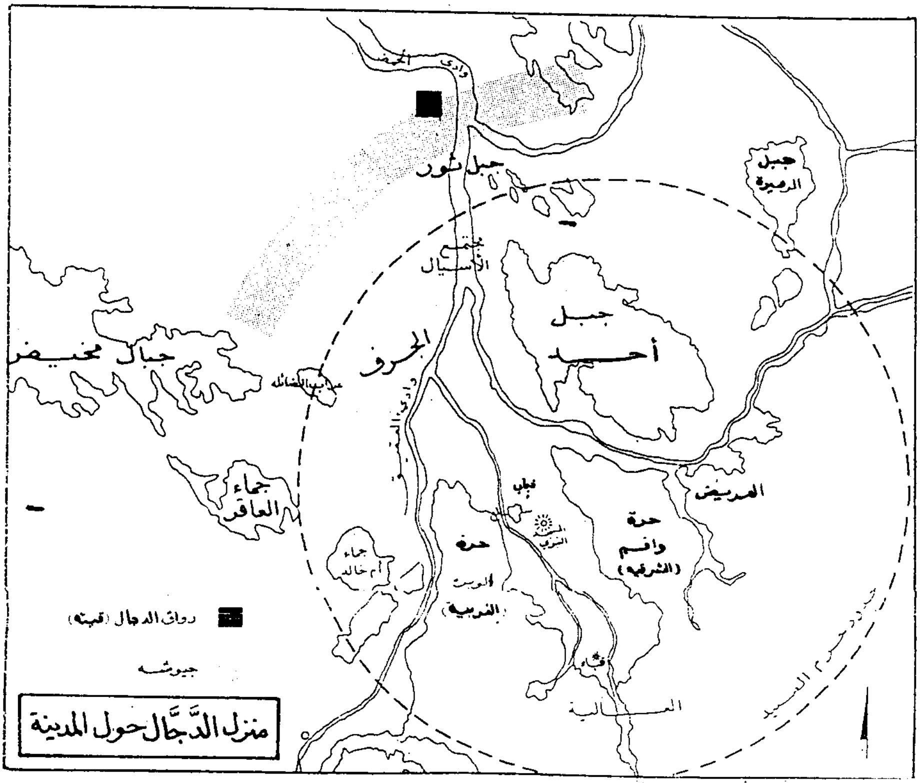
(3) الساج : الطيلسان الأخضر ، وقيل : الطيلسان المقور . ينسج كذلك .

(4) قال البنّا في الفتح الرباني : ولعلها الضارب ، وهو المكان المطمئن به شجر ، أو الدرب اهـ .

والروايات متقاربة في تحديد منزله .

قال الدكتور عبد العزيز القاري في نشرته : يضرب رواقه أو قبته في السبخة التي خلف جبل أحد ، في آخر الصادقية شمال ثور ، والذي حققناه مع جميع المشايخ أنه (ظليع الدقاقات) وعلى مقربة من مجمع الأسيال ، ومن (قناة) أي وادي الحمض ، وفي هذه البقعة جبيلات صفار حمر ، تذكر من يراها قول النبي ﷺ : « وعند الظُّريب الأحمر » فرواق الدجال عند أحد هذه الظراب .. ولعل معظم عسكره سينزل في نواحي الجرف ، في أجزائه الخارجة عن حد الحرم ، عند سفوح جبال الحفياء ، ثم جبال غربيات إلى غراب الضالة اهـ .

قلت : لا يوجد في سبخة الجرف سوى ظريبين أحمرين ، أحدهما صغير جدًّا ، وقد صار داخل الأبنية ، والآخر على يمين القادم من جبل أحد إلى الجرف ، وغيرهما لونه أسود ، ويظهر لونهما الأحمر بوضوح بعد نزول المطر ، وهما بعيدان عن جبل ثور الذي هو قريب جدًّا من أحد .



هذا الرسم أخذ عن النشرة التي أخرجها الدكتور عبد العزيز القاري

مدة لبث الدجال بعد خروجه

ورد أن الدجال يمكث في الأرض بعد خروجه أربعين يومًا ، يوم منها يعادل سنة ، ويوم يعادل شهرًا ، وآخر يعادل أسبوعًا ، وسائر أيامه كأيامنا .

- ففي حديث فاطمة بنت قيس - رضي اللّه عنها - أن الدجال قال لتميم - رضي اللّه عنه - : فأخرج فأسير في الأرض ، فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة .. الحديث [أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي] .

- وفي حديث النواس بن سمعان - رضي اللّه عنه - .. قلنا : يا رسول اللّه ، وما لبثه في الأرض ؟ قال : أربعون يومًا ، يوم كسنة ، ويوم كشهر ، ويوم كجمعة ، وسائر أيامه كأيامكم . قلنا : يا رسول اللّه ، فذاك اليوم الذي كسنة ، أتكفينا فيه صلاة يوم ؟ قال : لا ، اقدروا له قدره .. الحديث [أخرجه مسلم وأحمد وأبو داود والترمذي والحاكم] .

- حديث جابر بن عبد اللّه - رضي اللّه عنه - .. وله أربعون يومًا يسيحها في الأرض ، اليوم منها كالسنة ، واليوم منها كالشهر ، واليوم منها كالجمعة ، ثم سائر أيامه كأيامكم هذه .. الحديث [أخرجه أحمد بسندين قال الهيثمي : رجال أحدهما رجال الصحيح ، والحاكم في المستدرك ، وقال الذهبي على شرط مسلم] .

وعند أحمد بسند جيد : تُطوى له الأرض في أربعين يومًا .

وعند الطبراني بلفظ : يسيح في الأرض أربعين يومًا .. يوم من أيامه كالسنة ، ويوم كالشهر ، ويوم كالجمعة ، وبقية أيامه كأيامكم هذه .

- حديث جنادة بن أمية الأزدي عن رجل من أصحاب النبي ﷺ : .. وإنه يمكث في الأرض أربعين صباحًا ، يبلغ فيها كل منهل .. الحديث [أخرجه أحمد ، قال الهيثمي : ورجاله رجال الصحيح] .

- حديث عبد اللّه بن عمرو بن العاص - رضي اللّه عنهما - قال : قال رسول اللّه ﷺ يخرج الدجال في أمتي ، فيمكث أربعين ، فيبعث اللّه عيسى ابن مريم ، كأنه عروة ابن مسعود الثقفي ، فيطلبه ، فيهلكه [أخرجه مسلم وأحمد والحاكم] .

وفي رواية : قال عبد اللّه : لا أدري أربعين يومًا ، أو أربعين شهرًا ، أو أربعين عامًا [1] .

(1) قال الحافظ : والجزم بأنها أربعون يومًا مقدم على هذا التردد .

وأخرجه الطبراني من وجه آخر بلفظ : يخرج فيمكث في الأرض أربعين صباحًا .

– وعن أسماء بنت يزيد – رضي اللّه عنها – قالت : قال رسول اللّه ﷺ : يمكث الدجال في الأرض أربعين سنة ، السنة كالشهر ، والشهر كالجمعة ، والجمعة كاليوم ، واليوم كاضطرام السعفة في النار [أخرجه الطبراني] (1) وزاد عبد الرزاق في روايته : واليوم كالساعة ، والساعة كاضطرام السعفة .

– حديث أبي أمامة – رضي اللّه عنه – وإن أيامه أربعون سنة ، السنة كنصف السنة ، والسنة كالشهر ، والسنة كالجمعة ، وآخر أيامه كالشررة ، يصبح أحدكم على باب المدينة ، فلا يبلغ بابها الآخر حتى يمسي . فقيل : يا رسول اللّه ، كيف نصلي في تلك الأيام القصار ؟ قال : تقدُرون فيها الصلاة ، كما تقدرونها في هذه الأيام الطوال .. الحديث [أخرجه ابن ماجه وابن خزيمة والضياء في المختارة ، والحاكم في المستدرك] .

ولفظه في مستدرك الحاكم : وإن أيامه أربعون ، فيوم كسنة ، ويوم كشهر ، ويوم كجمعة ، ويوم كالأيام ، وآخر أيامه كالسراب ، يصبح الرجل عند باب المدينة ، فيمسي قبل أن يبلغ بابها الآخر (2) .

مسلك العلماء في اختلاف الروايات وحقيقة تلك الأيام :

للعلماء في اختلاف تلك الروايات ، وفي حقيقة تلك الأيام ثلاثة مسالك :

أ – ذهب أكثرهم إلى الترجيح ؛ فحديث أبي أمامة – رضي اللّه عنه – : « وآخر أيامه كالشررة » على صحته ، فيه مقال ، وهو يخالف حديث النواس الذي رواه مسلم وغيره ، وهو صحيح كامل الصحة ، لا كلام في سنده ، فيقدم على حديث أبي أمامة عند ابن ماجه ، ولفظ الحديث في مستدرك الحاكم يبين أن رواية ابن ماجه ، وقع فيها اشتباه .

---

(1) وأخرجه أيضًا نعيم بن حماد في الفتن ، من طريق شهر بن حوشب .

(2) قال ابن كثير في تفسيره : هذا حديث غريب جدًّا من هذا الوجه ، ولبعضه شواهد .

وأخرج نعيم بن حماد في الفتن برقم 1554 : ثنا ضمرة بن ربيعة عن يحيى بن أبي عمرو الشيباني عن عمرو بن عبد اللّه الحضرمي عنه – رضي اللّه عنه – مرفوعًا : أيام الدجال أربعون يومًا ، فيوم كالسنة ، ويوم دون ذلك ، ويوم كالشهر ، ويوم دون ذلك ، ويوم كالجمعة ، ويوم دون ذلك ، ويوم كالأيام ، ويوم دون ذلك ، وآخر أيامه كالشررة في الجريدة ، فيصبح الرجل بباب المدينة ، فلا يبلغ بابها الآخر ، حتى تغيب الشمس . . الحديث .

قالوا : والحديث على ظاهره ، وهذه الأيام الثلاثة طويلة على القدر المذكور في الحديث ، يدل عليه قوله ﷺ : « وسائر أيامه كأيامكم » (1) . فامتداد الأيام الثلاثة على حقيقته ، ولا امتناع فيه ؛ لأن اللّه تعالى قادر على أن يزيد في كل جزء من أجزاء اليوم الأول ، حتى يصير مقدار سنة ، خارقًا للعادة ، كما يزيد في أجزاء ساعة من ساعات اليوم (2) .

قال ابن العربي : « إن عاقبة الشمس والقمر التكوير ، وآخرة السماوات والأرض الانفطار والتدمير ، فكما يعدمها خالقها فلا تسير ، يجوز أن يبطئها عن سرعتها ، وينقص من حركتها ، فما كانت تقطعه في يوم ، تقطعه في جمعة ، ثم في شهر ، ثم في سنة ، أو يعكسه » وعليه ، فإن لبث الدجال في الأرض بعد خروجه سنة وشهران وعشرة أيام ، ولعل الإسراع في آخر الأيام نسبي واللّه أعلم (3) .

ب - وذهب بعضهم إلى الجمع والتوفيق ، وطريقة الجمع أن أيام الدجال أربعون سنة ، وسميت السنين أيامًا مجازًا ، كما يقال أيام ابن الزبير ، وأيام بني أمية ، وهكذا ، ثم إن أول أيام السنة الأولى كسنة ، وثانيها كشهر ، وثالثها كجمعة ، وباقي أيامه في تلك السنة كأيامنا ، ثم تتناقص أيام السنة الثانية ، حتى تكون السنة كنصف السنة ، وهكذا إلى أن تكون السنة كشهر ، والشهر كجمعة ، والجمعة كيوم ، حتى يكون آخر أيامه كالشررة ، يصبح أحدهم على باب المدينة ، فلا يبلغ بابها الآخر حتى يمسي ، فتكون سنته الأولى مشتملة على مقدار سنتين من سنِّينا ، وتكون سنوُّه الأخيرة مقدار سنة من سنينا .

قالوا : ويقرب هذا الجمع ما أخرجه الحاكم ونعيم بن حماد عن ابن مسعود - رضي اللّه عنه - مرفوعًا أن الدجال يقول : أنا رب العالمين ، وهذه الشمس تجري بإذني ، أفتريدون أن أحبسها ؟ فيحبس الشمس ، حتى يجعل اليوم كالشهر ، والجمعة كالسنة ، ويقول : أتريدون أن أسيرها ؟ فيجعل اليوم كالساعة .

وقد ورد من حديث أنس - رضي اللّه عنه - في أشراط الساعة : « حتى يتقارب الزمان ، فتكون السنة كالشهر ، ويكون الشهر كالجمعة ، وتكون الجمعة كاليوم ، ويكون اليوم كالساعة ، وتكون الساعة كالضرمة من النار » [أخرجه أحمد والترمذي] (4) .

---

(1) انظر صحيح مسلم بشرح النووي 66/18 . (2) المرقاة لملا علي القاري 195/5 .

(3 ، 4) الإشاعة ص 130 .

ج - وذهب بعض آخر إلى أن هذه الأيام الطوال ليست على ظاهرها ، وإنما هي محمولة على المعنى المجازي ؛ أي يهجم عليكم غم عظيم لشدة البلاء ، وأيام البلاء يظنها الإنسان طويلة ، ثم يتناقص ذلك الغم في اليوم الثاني ، ثم يتناقص في اليوم الثالث ، ثم يعتاد البلاء [1] .

واحتجوا بما يلي :

1 - حديث أسماء - رضي اللّه عنها - السابق : يمكث الدجال في الأرض أربعين سنة .. الحديث . فذكر أربعين سنة ، وإنما هي أربعون سنة في الشدة والبلاء ، وإلا فمكثه أربعون يومًا .

2 - حديث فاطمة في قصة تميم - رضي اللّه عنهما - : « فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة » فهو يؤيد أن مكثه في الأرض أربعون يومًا عادية ، لكن لشدة الهول والبلاء والفتنة بخروجه ، يكون اليوم الأول على الناس كسنة ، والثاني كشهر ، والثالث كأسبوع ، ثم يألف الناس الحدث ، وتذهب عنهم شدة الصدمة .

3 - حديث أبي أمامة - رضي اللّه عنه - السابق : وإن أيامه أربعون سنة ، السنة كنصف السنة ، والسنة كالشهر ، والسنة كالجمعة .. الحديث [أخرجه ابن ماجه] .

فهذه الرواية يمكن الجمع بينها وبين الروايات الصحيحة التي تذكر أن مكثه أربعون يومًا ، بأن المراد أربعون سنة في الشدة ، وهي أربعون يومًا في المدة .

4 - إن حملها على الظاهر ، يقتضي أن يكون هناك ليل طويل ، يقابل هذه السنة في مكان آخر من الأرض ، والمعروف أن هذه الحالة لا تكون إلا عند طلوع الشمس من مغربها [2] .

قال بعضهم : التحقيق أن الدجال ؛ لما يأتي به من تمويهات وشبهات ، يسلب بها عقول الناس ، فيحسبون أن الليل لم يمد عليهم ستره ، وأن الشمس لا تطوي عنهم ضياءها ، فيتحيرون بهذه المتاهات ، فيقدرون لكل صلاة قدرها [3] .

---

(1) التذكرة للقرطبي 800/2 .

(2) الأساس في السنة 1032/2 و 1034 و 1052 .

(3) المرقاة لمنلا على القاري 195/5 .

موازنة :

وهذا القول يرده قول الصحابة - رضي اللّه عنهم - : « أتكفينا فيه صلاة يوم وليلة ؟ قال : لا ، اقدروا له قدره » أي قدروا الأوقات للصلوات ، وصلوا فيه أكثر من خمس صلوات . ولو كان فهمهم خطأ لردهم النبي ﷺ إلى الصواب ، ووضح لهم حقيقة تلك الأيام [1] .

تقدير أوقات الصلاة في الأيام غير العادية :

وقوله ﷺ : « اقدروا له » معناه أنه إذا مضى بعد طلوع الفجر قدر ما يكون بينها وبين الظهر كل يوم فصلوا الظهر ، ثم إذا مضى بعده قدر ما يكون بينها وبين العصر فصلوا العصر ، فإذا مضى بعد هذا قدر ما يكون بينها وبين المغرب فصلوا المغرب ، وكذا العشاء والصبح ، ثم الظهر ثم العصر ثم المغرب ، وهكذا حتى ينقضي ذلك اليوم ، وقد وقع فيه صلوات سنة ، كلها مؤداة في وقتها ، وأما اليوم الثاني الذي كشهر ، والثالث الذي كجمعة ، فقياس اليوم الأول أن يقدر لهما كاليوم الأول .

وهذا حكم فقهي للحالات التي تكون فيها الأيام غير عادية ، كأيام القطب الشمالي والجنوبي ، حيث يكون النهار ستة أشهر ، والليل ستة أشهر . وكذلك الأيام القصار ، الحكم فيها حكم صاحب الشرع ، فالأوقات عند الإشكال تُصلى بالتقدير والتحري . ولولا هذا الحديث ، ووكلنا إلى اجتهادنا ، لاقتصرنا فيه على الصلوات الخمس ، عند الأوقات المعروفة في غيره من الأيام ؛ لأن سبب وجوب كل صلاة إنما هو وقتها المقدر والمعلم بحدث ، كطلوع الفجر ودلوك الشمس وغروبها وغير ذلك . وهذا لا يتصور إلا بتحقيق تعدد الأيام والليالي على وجه الحقيقة ، وهو مفقود في ذلك اليوم ومثله [2] .

---

(1) التذكرة ص 771 .

(2) شرح مسلم للنووي 66/18 ، التذكرة للقرطبي ص 770 .

سبل النجاة من فتنة الدجال

تكون العصمة من فتنته باتباع الطرق التالية التي عَلَّمنَا إياها رسول اللّه ﷺ :

1 - التسلح بالإيمان ، والتمسك بالإسلام ، والتزود بالتقوى ، والإكثار من ذكر اللّه ؛ تهليلًا وتسبيحًا وتكبيرًا واستغفارًا ، فإنه قوت المسلم في تلك الشدة ، وحماية له منه .

عن أسماء بنت عميس – رضي اللّه عنها – في حديثها الطويل عن النبي ﷺ أنه قال : إن اللّه يعصم المؤمنين يومئذ بما عصم به الملائكة من التسبيح [رواه الحاكم وصححه ، وأخرجه الطبراني ، قال الهيثمي : وفيه راو لم يسم ، وبقية رجاله رجال الصحيح] .

وعن حذيفة – رضي اللّه عنه – قال : كنا عند رسول اللّه ﷺ فذكر الدجال فقال : لفتنة من بعضكم أخوف عندي من فتنة الدجال ، ليس من فتنة صغيرة ولا كبيرة إلا تضع لفتنة الدجال ، فمن نجا من فتنة ما قبلها فقد نجا منها ، واللّه لا يضر مسلمًا ، مكتوب بين عينيه كافر [أخرجه البزار] .

2 - التعوذ من فتنته دائمًا ، وبخاصة الدعاء الذي كان يقوله النبي ﷺ آخر كل صلاة ، وأمر أمته بالدعاء به والمحافظة عليه .

عن أبي هريرة – رضي اللّه عنه – قال : قال رسول اللّه ﷺ : « إذا تشهد أحدكم ، فليستعذ باللّه من أربع ؛ يقول : اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم ، ومن عذاب القبر ، ومن فتنة المحيا والممات ، ومن شر فتنة المسيح الدجال » [أخرجه مسلم] .

وعن ابن عباس – رضي اللّه عنهما – أن رسول اللّه ﷺ كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم سورة من القرآن ، يقول : قولوا : اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم ، وأعوذ بك من عذاب القبر ، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال ، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات [أخرجه مسلم] .

– وعن عائشة – رضي اللّه عنها – أن النبي ﷺ كان يدعو في الصلاة بهذا الدعاء [متفق عليه] .

فمن استعاذ باللّه أعاذه ، ومن حافظ على هذا الدعاء حفظه اللّه من فتنته .

3 - حفظ سورة الكهف ، أو عشر آيات من أولها أو من آخرها .

عن أبي الدرداء – رضي اللّه عنه – قال : قال رسول اللّه ﷺ : من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال [أخرجه مسلم وأحمد وأبو داود والنسائي والترمذي ، وقال حسن صحيح] .

وفي رواية عند مسلم وأحمد والنسائي : من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف عصم من فتنة الدجال .

وعند الترمذي وقال : حسن صحيح : من قرأ ثلاث آيات من أول الكهف عُصم من فتنة الدجال .

فعلى المسلم أن يحرص على حفظها كلها ، أو على قراءتها وترديدها ، ولا سيما يوم الجمعة .

4 - السكنى بإحدى المدن التي يمنع من دخولها إن استطاع ذلك ، وهي مكة والمدينة والمسجد الأقصى ومسجد الطور كما سلف .

5 - الابتعاد عنه والفرار من أمامه . فمن سمع بظهوره ، ولم يستطع أن يلجأ إلى إحدى تلك المدن ، فليفر من أمامه ولينأ عنه ، مع لزوم الذكر والدعاء ، فإنه لا يضره بإذن اللّه .

عن عمران بن حصين – رضي اللّه عنه – أن رسول اللّه ﷺ قال : من سمع بالدجال فلينأ عنه ، فواللّه إن الرجل ليأتيه ، وهو يحسب أنه مؤمن ، فيتبعه مما – أو لما – يَبْعث به من الشبهات [أخرجه أحمد وأبو داود والحاكم] .

وعن أم شريك – رضي اللّه عنها – أنها سمعت النبي ﷺ يقول : ليفرن الناسُ من الدجال في الجبال [أخرجه مسلم وأحمد والترمذي] .

6 - من لم يستطع الفرار منه ، وأصبح أسيرًا لديه أو ابتلى بلقائه ، فليستعن باللّه ، وليقرأ عليه فواتح سورة الكهف وسورة الفاتحة ، فلن يضره بإذن اللّه (1) .

عن النواس بن سمعان – رضي اللّه عنه – في حديثه السابق : .. فمن أدركه منكم ، فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف [أخرجه مسلم وأحمد والترمذي وأبو داود وابن ماجه] .

---

(1) والحكمة في تخصيص الكهف أنه كما أمن الفتية من فتنة الطاغية ، فكذلك يكون الرجاء والدعاء ، فإن في كلتا الحالتين تشابهًا . أما الفاتحة فهي أم القرآن .

وعند أبي داود : فإنها جواركم من فتنته .

وعن جبير بن نفير عن أبيه – رضي اللّه عنه – أن رسول اللّه ﷺ ذكر الدجال فقال : فمن لقيه منكم ، فليقرأ عليه بفاتحة الكتاب [أخرجه الطبراني ، قال الهيثمي ، فيه عبد اللّه بن صالح ، وقد وثق ، وضعفه جماعة ، وبقية رجاله ثقات] .

7 - فإذا واجهه وجادله ، فليتذكر أن النبي ﷺ أخبر عنه وحذر منه ، ووصفه بالعيب في عينيه وجسمه ، فهي معجزة للنبي ﷺ يراها الآن رأي العين ، ثم ليتفل في وجهه ، فإذا ألقاه في ناره ، فليغمض عينيه ، وليستعن باللّه ، تكن عليه بردًا وسلامًا .

عن أبي أمامة – رضي اللّه عنه – في حديثه السابق : فمن ابتلي بناره ، فليستغث باللّه ، وليقرأ فواتح سورة الكهف ، فتكون عليه بردًا وسلامًا ، كما كانت النار على إبراهيم بردًا وسلامًا [أخرجه ابن ماجه والحاكم في المستدرك] .

وعند الطبراني : من لقيه منكم فليتفل في وجهه .

وعند نعيم بن حماد في الفتن : فمن لقيه منكم فليتفل في وجهه ، وليقرأ عليه بفواتح سورة الكهف .

وعن ثعلبة بن عباد – رضي اللّه عنه – أن رسول اللّه ﷺ قال : فمن اعتصم باللّه ، فقال : ربي اللّه ، حيٌّ لا يموت ، فلا عذاب عليه ، ومن قال أنت ربي فقد فتن [أخرجه البزار ، وروى بعضه أحمد ، قال الهيثمي : ورجال أحمد رجال الصحيح] .

وعن أبي قِلابة عن رجل من الصحابة – رضي اللّه عنهم – أن رسول اللّه ﷺ قال : .. وإنه سيقول أنا ربكم ، فمن قال : لست بربنا ، ولكن ربنا اللّه ، عليه توكلنا ، وإليه أنبنا ، نعوذ باللّه من شرك ، لم يكن له عليه سلطان [أخرجه أحمد ، قال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح] .

الأمارة الثانية

عودة المسيح عليه السلام

تنتظر الأمم الثلاث ؛ المسلمون واليهود والنصارى ، رجلًا يظهر في آخر الزمان ، يسمى المسيح ، وتتفق ثلاثة الأديان على أنه سيقود المعركة الكبرى والأخيرة التي ينتصر فيها دينُها ، ويدمر عدوُّها ، فما سرٌّ ذلك ؟ وما أسباب الالتباس ؟ هذا ما سنراه إن شاء اللّه . منطلقين من قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ [العنكبوت 46] .

وفيها ستة فروع :

الفرع الأول : بشارات الأنبياء بالمسيح ومحمد – عليهما الصلاة والسلام – وموقف أهل الكتاب منها .

الفرع الثاني : حقيقة المسيح عند المسلمين وأهل الكتاب .

الفرع الثالث : الخطيئة والتوبة .

الفرع الرابع : نزول المسيح عليه السلام .

الفرع الخامس : وقت نزوله ومكانه .

الفرع السادس : أعماله بعد نزوله .

بشارات الأنبياء بالمسيح ومحمد
عليهما الصلاة والسلام

من تتبع أسفار الكتاب المقدس لدى أهل الكتاب بتمحيص وتدقيق ، وجد فيها بشارات بنبيين في ثلاث حالات :

الأولى بعثة المسيح - عليه السلام - فقد بشرت أنبياء بني إسرائيل بعيسى ابن مريم ، يدعو إلى اللّه بالحكمة والموعظة الحسنة . وأكثر الأنبياء تبشيرًا به داود - عليه السلام - فكان اليهود ينتظرونه بشغف بالغ ؛ رجاء أن يحررهم من نير الاستعمار الذي توالى عليهم ، وينقذهم من عدوهم .

الثانية بعثة محمد ﷺ فقد بشرت الأنبياء جميعًا - ومنهم أنبياء بني إسرائيل - بنبي من ذرية إسماعيل بن إبراهيم - عليهما السلام - يبعث في آخر الزمان إلى الناس كافة ، بشريعة شاملة عادلة ، يؤمر بالجهاد ، ويؤيد بنصر اللّه ، فيمتد دينه ، وتسود شريعته ، وهو خاتم الأنبياء ، فلا نبي بعده ، وشريعته خاتمة الشرائع ، فلا ناسخ لها ولا معدل ، ورسالته عالمية .

الثالثة عودة المسيح - عليه السلام - قبل قيام الساعة ، ومحاربته الكفار ، وقضاؤه عليهم ، وتثبيته حكم اللّه في الأرض .

وبسبب فقدان التوراة والإنجيل اللذين فيهما هدى ونور ، وسائر أسفار الأنبياء الحقيقية ، وتحريف أهل الكتاب لما استطاعوا جمعه منها بعد ذلك ، بغية طمس الحقائق ، حدث سوء الفهم الموجَّه لدى عامة اليهود ، ثم لدى عامة النصارى ، فالتبست مهمة المسيح - عليه السلام - الأولى بمهمة النبي الذي أمر بالجهاد ، ووعد بالنصر ، وبمهمة المسيح الأخرى بعد عودته إلى الأرض ، مما جعل اليهود ينتظرون مسيحًا ملكًا محاربًا ، يعبئ طاقاتهم ، ويدمر أعداءهم ، ويقيم لهم مملكة بأمر الرب ، فألصقوا تلك البشارات والنبوءات بالمسيح المنتظر ، وأنكروا نبوة المسيح ابن مريم ومحمد - عليهما الصلاة والسلام - معًا . أما النصارى ، فقد ألصقوا تلك البشارات بعيسى ابن مريم - عليه السلام - وأنكروا نبوة محمد ﷺ واستقر الرأي عندهم أخيرًا على أن المسيح - عليه السلام - سيعود مرة أخرى إلى الأرض قبل يوم القيامة ، لينقذ أتباعه ، ويجازي أعداءه . كما سيأتي إن شاء اللّه .

محمد في الكتب المقدسة :

ما انفك كتاب سماوي عن تضمن ذكر أو بشارة بالنبي محمد ﷺ لكن الغالب أن يكون ذلك بإشارات مدرجة أو رموز مُعَرِّضة ، لا يعرفها إلا الراسخون في العلم . والنصوص الواردة في أسفار العهدين القديم والجديد ، معظمها إشارات تحتاج إلى تأمل ، ولا سيما أن علماء أهل الكتاب كانوا وما زالوا يشوشون وجه الدلالة بإلقاء الشبهات ، وازداد الأمر غموضًا بنقل تلك الأسفار من لغة إلى أخرى ، ومع ذلك ، فإن من اطلع على أسفار الكتاب المقدس بعهدية أو على التوراة السامرية ، وجد أنها اشتملت على نصوص متعددة تبشر بخاتم النبيين محمد ﷺ وتذكر بعض صفاته ، لكنَّ أهل الكتاب حرفوا وبدلوا من حيث الصورة والكتابة ، ومن حيث المعنى والتأويل (1) .

فأحبار اليهود عند جمعهم للأسفار من الذاكرة إبان السبي ، غيروا بعض النصوص ، وزادوا في بعضها على مقتضى أهوائهم التي تكره بني إسماعيل وتحتقرهم ، وصاغوا بعضًا آخر منها بعبارات تحتمل معنيين عند العوام ، ليوهموهم أن المبشر به من بني إسرائيل . ومن هنا بدأ اللبس ، واختلط السم بالدسم .

أما النصارى ، فقد حرفوا كثيرًا من كلام النبوات والبشارات عندما نقلوا الأسفار من العبرية أو الآرامية إلى اليونانية القديمة والسريانية واللاتينية ، ثم إلى كثير من اللغات الحديثة ، تحريفًا لفظيًا ومعنويًا ، يتفاوت عن المعنى الأصلي تفاوتًا كبيرًا . وعلماؤهم يعترفون بهذا التفاوت أو ببعضه .

ومع ذلك كله فإن الكتاب المقدس الذي بأيديهم اليوم لا يخلو من بشارات لا يمكن حملها إلا على نبي آخر الزمان محمد ﷺ .

---

(1) كان موسى – عليه السلام – يصف المبشر به بأنه مثله في الأفعال والصفات ، وأن اللّه يضع كلامه في فمه ، وأنه لا يقتل ، بل يموت ، كما في سفر التثنية 15/18 و 17-22 .

وكان المسيح – عليه السلام – يعبر عن المبشر به تارة بلفظ النبي ، وأخرى بلفظ (مسّيا ، MESSIAH) أي المسيح ، وأحيانا باسمه الصريح أحمد (بيراكليت ، PERAKLET) وهي كلمة عبرانية ، وهي في اليونانية القديمة (بيراكليتوس ، PERAKLETOS) ، والنصارى ينطقونها بفتح الباء (باراكليت ، PARAKLET) ومعناها المعزي ، وكانت تكتب في التراجم العربية (الفارقليط) لكنهم حذفوها ووضعوا مكانها المعزي . وهي صفة من صفاة محمد ﷺ .

حتمية ذكر محمد ﷺ في الكتب المقدسة :

أخبر أنبياء بني إسرائيل قومهم بما سيقع من الأحداث الكبيرة في المستقبل ، ولاسيما من يُسلط عليهم من ملوك يقتلونهم ، ويهدمون بلادهم ، ويَسْبُون نساءهم وأولادهم ، كبختنصر وسنحاريب وكورش والإسكندر وخلفائه ، وكحادثة أرض أدوم ومصر ونينوى وبابل ، وأخبروهم أيضًا بخروج المسيح الدجال ، وحذروهم من فتنته ، كما سلف ، مع أن مدة بقائه في الأرض قليلة . ويبعد كل البعد ألا يخبر أحد منهم بظهور محمد ﷺ الذي انتشر دينه في مشارق الأرض ومغاربها ، فقد انتصر على اليهود وحارب النصارى ، وظهر على معظم جزيرة العرب ، ثم انتصرت أمته من بعده على اليهود والنصارى ، وفتحت أجل الأرض عندهم ، ألا وهي بلاد الشام ، ولاسيما القدس ، كما ظهرت على بلاد الفرس وشمال إفريقية ، بل اقتحمت أكثر بلاد أوربا ، وامتد دينه ، ولا يزال يمتد حتى يومنا هذا ، كما ظهر في أمته الملايين من العلماء والربانيين والحكماء المتقنين والملوك العظام وغير ذلك . ولا شك أن ظهور هذا النبي وظهور أمته وامتداد دينه من أعظم الحوادث التي حدثت في الأرض ، إن لم يكن أعظمها ، فكيف يمكن أن يخبر الأنبياء عن حوادث صغيرة نسبيًا ، ويتركوا ذكر هذه الحادثة العظيمة ؟! إنه من البدهي أن تخبر الأنبياء به على حسب العادة ، سواء كان صادقًا أو كاذبًا ؛ لأنه إن كان صادقًا ، فالبشارة به من أولى ما تبشر به الأنبياء عن الأمور الآتية في المستقبل ، وإن كان كاذبًا ، فإن فتنته أعظم من فتنة الدجال من وجوه كثيرة معروفة ، فكان التحذير منه أولى من التحذير من الدجال . ولا يكفي التحذير العام من الأنبياء الكذبة ، بل لابد من أن يذكروه باسمه وصفاته ، ويذكروا الأحداث التي تجري حال حياته وبعد وفاته ، ويحذروا أتباعهم منه ، فكيف يغفل الأنبياء مثل هذا التحذير لو كان كاذبًا ؟!

إنه لم ينقل قط عن كتاب مقدس أن فيه ذكرًا لمحمد ﷺ بالذم والتكذيب والتحذير ، بل عامة أهل الكتاب إما أن يقولوا : ليس له ذكر في كتبنا البتة ، أو يقولوا : إن له ذكرًا بالمدح والثناء ، ولو كان ثمة أخبار عن الأنبياء بذمه لكانت من أعظم ما يحتجون به عليه حال حياته ، وعلى أمته بعد وفاته ، ولاحتج بها من لم يدخل في الإسلام منهم على من دخل فيه ، فقد كان عندهم من العداوة والبغضاء له والحرص على إبطال دينه ، ما دفعهم إلى الافتراء عليه وتشويه الحقائق التي أتى بها .

موقف اليهود من تلك البشارات :

اليهود مجمعون على أن في التوراة بشارة بنبي يأتي في آخر الزمان ، مماثل لموسى – عليه السلام – في أوصافه وأحواله ، يجاهد وينتصر ، ولن تقف أمام دعوته قوة ، وسيبقى دينه ظاهرًا إلى يوم القيامة . ولما كان لقب (مسِّيا ، MESSIAH) أي مسيح اللّه معظمًا في بني إسرائيل ، يتفاخر بحمله الأنبياء والملوك والعظماء – كما سيأتي – أطلقوا عليه هذا الاسم ليوهموا العالم أنه سيكون منهم ، فقالوا : إنا ننتظر نبيًّا ، ولقبوه (مسيا) أي المسيح : غير أنهم لما عادوا من السبي ، اختلفوا في تحديد السبط الذي سيخرج منه ؛ قال السامريون : من سبط يوسف الصديق ، وقال العبرانيون : من نسل داود مؤسس المملكة ، وأطلقوا عليه ابن داود .

تهيأ الرأي العام اليهودي لهذا المسيح ، وطال الانتظار ، فمنذ العودة من السبي ، وهم ينتظرون عهد اللّه بإقامة الدولة اليهودية على يد المسيح المنتظر الظافر ، الذي يكون ملكًا عليهم ، ويخلصهم من أعدائهم ، ويرد الملك إليهم ، ويبلغ سلطانه البر والبحر ، وتسير معه الأنهار ، ويجعل من الأقلية اليهودية النخبة التي ترث العالم ، وتحكم الجميع . وكانت عقيدتهم به تتجدد كلما ألمت بهم ملمة ، أو حاقت بهم محنة .

وجاء عيسى ابن مريم – عليه السلام – يدعو إلى اللّه بالحكمة والموعظة الحسنة ، وينادي بتزكية النفس والبعد عن الشرور والآثام ، ولم يظهر في صورة ملك يعيد إليهم سلطانهم ، فكذبوه وطردوه بحجة أن الذي بُشروا به يجاهد وينتصر ، وتؤمن به الأمم كلها ، ثم هموا بقتله ، غير أن الله سبحانه أنقذه منهم ورفعه إلى السماء .

قال ابن كمونة اليهودي [1] : وقد جاء في كتب الأنبياء من علامات المسيح وما يكون في زمانه ما لم يظهر في يشوع ولا في زمانه ، مثل ما جاء في كلام بعضهم أنه يضرب الأرض بسوط فمه ، وبريح شفتيه يميت الخاطئ ، وأنه يجلس على منبر داود ، فيقضي بين الناس بعدل وحق ، وأن الحروب ترتفع ، ولا يرفع أحد على أحد سيفا ، وأن الذئب والكبش يربضان معًا ، ويرعيان جميعًا ، وأن الأسد يأكل التبن مع البقر [2] ..

ثم قال : وهذا إن كان على ظاهره ، فلم يجر ولم يقع في أيام يشوع ولا بعده ، وإن

---

(1) في كتابه تنقيح الأبحاث في الملل الثلاث ص 61 .

(2) يشير إلى ما جاء في سفر إشعياء 11/1-6 .

كان مثلًا ، فهو لارتفاع الشرور من العالم ، وزوال العدوان من بين الخلق ، ولم يجر في زمانه إلا خلاف ذلك من زيادة العداوة بين الناس بسبب ظهوره ، وارتكابهم الذنوب العظيمة فيه وفي أصحابه .

ولما تبين لأحبار اليهود أن عيسى ابن مريم آخر أنبياء بني إسرائيل ، وأن نبوة بني إسماعيل أوشكت على الظهور [1] ، ائتمروا فيما بينهم على كتمان الحق ولبسه بالباطل ، فذهبوا مذهبين :

أ – فريق رأى أن يضرب نبيين ، ويحطم دينين ، وذلك بالتظاهر بالدخول في دين المسيح عيسى – عليه السلام – ثم ابتداع بدع فيه تشوهه ، وتقلب حقائقه ، والادعاء بأن نبوءات التوراة وسائر أسفار الأنبياء عن النبي المنتظر إنما تدل على عيسى وحده ، وان ما جاء في الإنجيل من بشارات به ، فإنما تدل على الروح القدس .

وتزعَّم هذا الفريق شاؤل (بولس) وهو يهودي من سبط لاوي ، يحمل جنسية رومانية ، وأكثرُ النصارى اليوم على مذهبه ، ولذلك جعلوا كتابهم المقدس قسمين : العهد القديم ، ويحتوي على التوراة وسائر أسفار الأنبياء ، والعهد الجديد ، ويحتوي على أربعة الأناجيل والرسائل ، وزعموا أن العهد الجديد امتداد للعهد القديم ، فصدروه بإنجيل متى ليكون صلة الوصل بين العهدين .

ب – وفريق آخر – وهم أكثر اليهود – رأى أن يعلن أن النبوءات لا تنطبق على عيسى – عليه السلام – ولا تتحقق فيه ، ثم إذا ظهر النبي المبشر به من بني إسماعيل ، فلن يعرِفه بسبب تحريف النصوص والتعمية إلا العلماء ، وآنئذ يقولون : ليس هذا هو المنتظر ، ونحن ما زلنا في انتظاره ، وسوف يأتي .

ويرى بعض الباحثين أنه نتيجة لما لاقاه اليهود من اضطهادات بسبب طباعهم ،

---

(1) أراد الله سبحانه أن يبقى اسم إبراهيم مباركًا إلى الأبد ، فأوحى إليه أنه سيهبه أولادًا يقومون بالدعوة إلى الله من بعده ، ولم يضع الله سبحانه البركة إلا في إسماعيل وإسحاق من أولاده ، والبركة هي أن يكثر الله نسليهما ، فيعمرون الأرض بالدعاء إلى الله ، وبالقدوة الحسنة ، ويكون فيهم الملوك لإقامة حكم الله في الأرض ، وأنجب إسماعيل اثني عشر ولدًا ، كان منهم قيدار الذي جاء من نسله محمد ﷺ فهو الحامل بركة إسماعيل ، وأنجب إسحاق يعقوب ، وقد بارك إسحاق ولده يعقوب المسمى أيضًا إسرائيل ، وقد جعل الله في عقبه النبوة والكتاب ، فحمل هو ونسله بركة إسحاق . ولما ظهر محمد ﷺ تحققت بركة إبراهيم وابنه إسماعيل – عليهما السلام – في الأمم كلها على أكمل وجه ، وأحسن بيان .

نشأت عندهم عقيدة المخلص الذي سيأتي ليعيد مجد إسرائيل ، ويجمع أشتات اليهود بفلسطين ، ويجعل أحكام التوراة نافذة ، ويجعل بالقوة من القدس محور العالم ، ويقيم الموتى ، ويرعى الشعوب بقضيب موسى - عليه السلام - ويبني الهيكل ، ويعيد لهم مملكة إسرائيل ، ووصفوه بأنه رسول السماء ، والقائد الذي سينال الشعب المختار على يديه ما يستحقه من سؤدد ، وأطلقوا عليه اسم النبي أو المسيح المنتظر وملك السلام .

وقد تعداهم السعد ، فإنهم في الحقيقة إنما ينتظرون المسيح الدجال الذي حذرت منه الأنبياء ، فإذا خرج يضل الناس بحيله الكاذبة ، وبما استدرجه اللّه به من قدرات خارقة ، رأوه موافقًا لأهوائهم ، فوقعوا عليه ، وجعلوه أميرًا عليهم ، وقالوا : هذا هو المسيح حقًّا ، هذا هو الذي يتكلم عنه كتابنا المقدس ، هذا الذي طالما انتظرناه . ويكون لهم في زمانه شوكة لأنهم جنده وأخلص أتباعه .

ومن الطريف ما كتبه العالم اليهودي الدكتور رافائيل باتاي في الصلاة المدراشية التالية : وعندما لفت أعمدة اللهب الهيكل ، صعد ثلاثة كهنة شبان إلى السطح ، وألقوا بمفاتيح بيت اللّه نحو السماء ، فامتدت يدٌ نزولًا ، والتقطت المفاتيح . قال الكهنة : إلى متى أدوناي ؟ إلى متى ؟ فقال صوت سماوي : لا أكثر من يومين يا أولادي ، فعرفوا عندئذ أن سبي الشخينة ، وتشتيت إسرائيل ، سيدوم ألفين من السنين ، إذ هو مكتوب : « لأن ألف سنة في عينيك مثل يوم أمس بعدما عبر »[1] . فقالوا له : يا سيد الكون ، كيف يستطيع بنو إسرائيل تحمل ألفي سنة من العذاب ؟ فقال لهم : سأعطيهم شعاعًا من النور ، يضيء ليل تشتيتهم ، سأعطيهم من لن يشاهدوا أبدًا ، لكنهم سيشعرون بوجوده في كل الأوقات ، من لم يأتِ أبدًا ، لكنه سيكون على وشك القدوم دومًا .. من سيفتشون عنه ، لكنه يوجد في قلوبهم فقط ، سأعطيهم إياه ، وهو لن يكون أبدًا ، ولكنه سيساعدهم على البقاء ، سأعطيهم المسيح المنتظر[2] .

وأنت ترى أن هذا النص يجمع بين الإيمان العميق والرفض المطلق ، وهو يعبر عن الحيرة التي سيطرت على كثير من المفكرين اليهود في عصرنا .

ومن الجدير بالذكر أن كثيرًا من اليهود ، يعتقدون بموجب أحكام الديانة اليهودية ، وحكماء إسرائيل التاريخيين يعتقدون أن دولة إسرائيل انتهت مع خراب الهيكل ، ولن

(1) المزمور 4/90 بروتستانت .

(2) التوراة بين الوثنية والتوحيد ص 117-118 .

تقوم لها قائمة إلا بمجيء المسيح المخلص (مسيا) ، وهم لا يؤمنون بأن دولة إسرائيل الحالية ، هي دولة إسرائيل الموعودة ، لأن المخلص لم يأت ، ولذلك فهم لا يشاركون في احتفالات ذكرى قيامها ، ولا يقفون حدادًا على قتلى حروبها كما يفعل سائر اليهود ، بل إنهم لا يعترفون بهذه الدولة ، ولا بالحروب التي شنتها ، ولا بالصهيونية ، ولا بقادتها ، ويرونها شيطانًا شريرًا ، تكفر بالله وبالتوراة . وقد نشأ هذا التيار الديني بألمانيا في منتصف القرن التاسع عشر ، ثم بالمجر ثم بولندا وليتوانيا ، مع بدء الحديث عن تجميع اليهود في فلسطين لإقامة الوطن الموعود ، ثم تبلور نشاطهم حتى أصبحوا سنة 1912 م منظمة رسمية ، سموها (أجودات يسرائيل) وقد ضم مجلسها كبار علماء التوراة ، لتكون أعلى مؤسسة لليهود ، تقرر لهم كل شيء في حياتهم الدينية والدنيوية بما فيها السياسة ، فأصدرت أحكامًا ساوت فيها بين الكفرة وبين الذين يهملون واجباتهم الدينية ، وبين الصهيونية والشيوعية ، لكنها بعد وعد بلفور عام 1917 م غيرت خططها ، غير أنها لم تعترف بالحركة الصهيونية ، واستمر الصراع بينهما إلى أن تم تفاهم بينهما عام 1929 م إثر مصادمة عنيفة ، على أن يحتفظ كل بآرائه لنفسه ، ويحافظون جميعًا على الأمر الأساسي الذي يجمعهم ، وهو اليهودية ، ثم تطور هذا الاتفاق بعد سنة 1947 م إلى ميثاق بين العلمانيين والأصوليين ، على أن يحترم كل منهم الآخر ضمن حدود وضعوها ، ولا يزال هذا الميثاق ساري المفعول إلى الآن ، وقد خففت هذه المنظمة بفروعها التي انقسمت إليها كثيرًا من عداوتها للصهيونية ، لكنها ما زالت ترفضها وترفض مبادئها ، وتدعو صراحة إلى مقاطعة الاحتفالات بذكرى قيام الدولة وانتظار قدوم المسيح المخلص ، ويضع : أعضاؤها على سياراتهم ملصقات كُتب عليها : « استعدوا لمجيء المخلص ، ويبلغ عددهم مليون نسمة تقريبًا » [1] .

موقف النصارى من البشارات :

يقر النصارى ببعثة مسيح الهدى عيسى ابن مريم - عليه السلام - غير أنهم يغيرون حقيقته ، ويضعونه فوق مكانته ، فيزعمون أنه ابن الله - كما سيأتي - ويؤمنون أيضًا بعودته إلى الأرض ، وقد استقر الرأي عندهم أخيرًا أنه سيعود يوم الدينونة لينقذ أتباعه ، ويجزي الناس بأعمالهم [2] . ولذلك حملوا البشارات جميعها عليه ، وزعموا أنه هو

---

(1) جريدة الشرق الأوسط العدد 7107 تاريخ 1998/5/14 م .

(2) تفسير إنجيل مرقس ص 18 .

وحده الموعود به في أسفار الأنبياء ، وأنكروا نبوة محمد ﷺ .

ولاشك أن بعضها يصدق عليه ، فقد بشرت به أنبياء بني إسرائيل كما بشرت بمحمد ﷺ لكن ليست كلها كافية . ولذلك تراهم يتأولون العلامات الواردة في حق النبي المنتظر وأحواله ، ولم تظهر في المسيح ولا في زمانه بتأويلات ضعيفة واحتمالات بعيدة جدًّا . ومن تأمل ما نقله مؤلفو العهد الجديد عن كتب الأنبياء من البشارات والأخبار التي ادعوا أنها في حق المسيح - عليه السلام - وجد أن بعضها خطأ واضح ، وبعضها محرف ، وبعضها لا يصدق عليه إلا بالادعاء ، وتحميل النص ما لا يحتمل ، ومع ذلك نقلوها ، ولَوَوا عنقها ، وتحكموا في معناها ، وحملوها عليه .

ويرى اليهود أن النصارى غير مؤتمنين على تفسير التوراة وسائر أسفار الأنبياء ؛ لأنهم يفسرونها تفسيرًا ملتويًا لتدل على التثليث ، ويترجمون كثيرًا من الكلمات بغير معناها الحقيقي لحاجة في نفوسهم . واليهود يأبون ذلك كله ، وينكرونه أشد الإنكار . وعلماء النصارى لا يلتفتون إلى تفاسير اليهود ، ولا إلى انتقاداتهم .

والمتأمل المنصف يرى أن ما أورده المسلمون من البشارات بمحمد ﷺ في العهد القديم أقوى دلالة ، وأوضح مقصدًا . وكما أن اليهود يتأولون البشارات بالمسيح على أنه ليس عيسى ابن مريم ، وهم ينتظرون المسيح الحقيقي ، كذلك البشارات بمحمد ﷺ في العهدين ، يتأولها اليهود والنصارى على غير حقيقتها . وإذا كانت تأويلات اليهود للبشارات بالمسيح ابن مريم مردودة عند النصارى ، فإن تأويلات اليهود والنصارى للبشارات بمحمد ﷺ مردودة لدى المسلمين ، فإذا ادعى اليهود أن عيسى - عليه السلام - لم تبشر به الأنبياء وادعى اليهود والنصارى أن محمدًا ﷺ لم تبشر به الأنبياء ، فإن ذلك لا يقدح في صدقهما ونبوتهما ؛ لأن دلائل نبوة كل منهما قطعية ، لا يرقى إليها شك البتة .

وصفوة القول : إن كلًّا من اليهود والنصارى والمسلمين ، ينتظرون المسيح الذي يأتي في آخر الزمان . ويطلق عليه اليهود والنصارى لقب المسيا والرئيس .

- فمسيح اليهود لم يظهر إلى اليوم . وهم ينتظرون مسيحًا عسكريًّا يقود الجيوش ، ويقيم لهم مملكة ، يتحكمون من خلالها بجميع الناس . وهم إنما ينتظرون الدجال .

- ومسيح النصارى لا حقيقة له ؛ لأنهم يزعمون أنه ابن اللّه ، وقد حل في الجسد

الذي ولدته مريم العذراء بقدرته هو .

- أما مسيح المسلمين ، فهو عيسى ابن مريم - عليه السلام - عبد اللّه ورسوله ، وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء الطاهرة البتول ، مخلوق بقدرة اللّه تبارك وتعالى كما سيأتي .

وقد صح في الأخبار عن سيد الأبرار ﷺ أن عيسى - عليه السلام - ينزل آخر الزمان ، قبل يوم القيامة من السماء ، فيقتل مسيح الضلالة الدجال ، على بعد خطوات من باب مدينة اللد ، ويُظهر دين اللّه وتوحيده ، ويقضي على أعدائه الذين رموه وأمه بالعظائم . وحاولوا أن يقتلوه ويصلبوه ، كما سيقتل أيضًا أعداء اللّه الذين اتخذوه إلهًا من دون اللّه ، وسوف تعود الملل في زمنه ملة واحدة ، ألا وهي الإسلام دين إبراهيم وسائر الأنبياء ، عليهم الصلاة والسلام كما سيأتي إن شاء اللّه .

حقيقة المسيح عليه السلام
عند المسلمين وأهل الكتاب

اسمه ولقبه :

اسم العلم الشخصي الذي أطلقه القرآن الكريم على ابن مريم - عليه السلام - هو عيسى ، وهو في العبرية (عيساو ، ESU) ، وكان هذا الاسم في ذلك الوقت شائعًا ومستخدمًا بين اليهود ، كما ذكر المؤرخ اليهودي الشهير يوسيفوس .

ثم لدى كتابته بالحروف اللاتينية أضيف إليه حرف J في أوله ، وحرف S في آخره ، فصار (جيزوز ، JESUS) وإضافة هذين الحرفين إليه جعلته متميزًا منذ القرن الثاني للميلاد ، وأصبح في نظر اليهود اسمًا لشخص سيئ السمعة (1) .

وذكر بعضهم أن اسمه الشخصي في اللغة العبرية (يشوع) المصغر من الأصل (يهوشوع) ، ومعناه اللّه يعين (2) .

ويُنطق بألفاظ مختلفة في اللغات المتعددة ، فاليونان يقولون (ياسوس) ، والإنكليز (جيسوس) ، والألمان (بيسوس) ، بينما اقترب نصارى العرب من اللفظ السامي أكثر من غيرهم ، فقالوا (يسوع) (3) .

أما لقبه فهو (المسيح) ، وهو مشتق من الكلمة العبرية (مسياح) ، أو من العربية من مادة (مسح) ، وكلاهما بمعنى الدلك (4) .

وقيل إن أصلها في اللغة العبرية (هاما شيح) ، وفي الآرامية والسريانية (ماشيح) ، وفي اليونانية (مسيح) ، ومنها انتقلت إلى اللغة العربية . ثم حُرِّفت كلمة (ماشيح) عند اليهود إلى كلمة (مِسِّيا ، MESSIAH) ، ويريدون بها النبي أو الرسول ، ثم صارت تطلق على الملك والعالم أيضًا (5) .

وكان من عادة اليهود مسح أجسام الأنبياء والملوك وكبار الكهنة بالزيت المقدس لدى تقليدهم المناصب ، وذلك بسكبه على رؤوسهم ، إشارة إلى أن اللّه قد اختارهم

---

(1) ديدات ص 16 .
(2) هذه عقائدنا ص 80-81 .
(3) تفسير إنجيل مرقس ص 17 .
(4) ديدات ص 30 .
(5) و (ها) تساوي الألف واللام في العربية ، وفي اللغات التي لا تنطق بالحاء ، جاء مِسِّيا أيضًا .

واصطفاهم ، ثم يطلقون عليهم لقب مسيح اللّه أو المسيح أو مِسيّا [1] .

فعلى عادتهم هذه ، كان موسى مسيحًا ؛ لأنه نبي وعالم وملك ، وهارون مسيحًا ، لأنه نبي وعالم ، وداود مسيحًا ، لأنه نبي وملك ، وكذلك سليمان ، وكل حبر في بني إسرائيل أو رباني مسيح للعلم . وعلى هذا ، فعيسى كان مسيحًا ، لأنه نبي وعالم .

غير أن لفظ المسيح بدأ يأخذ معنى منفردًا مختصًّا بعيسى ابن مريم لدى انتقاله إلى اللغات التي استخدمها النصارى بكثرة . وكان من عادة أهل الكتاب سلفًا وخلفًا ترجمة الأسماء في كتبهم إلى لغتهم ، وعدم إبقائها على لفظها ، وبخاصة الشخصيات الدينية . وهذا خبط عظيم ومنشأ للفساد ، فشمعون الصفا (بطرس) دعاه المسيح – عليه السلام – لمتابعته ، فآمن به ، وسماه على حد زعمهم (كيفا) وهي كلمة آرامية معناها الصخرة ، وقال له كما في إنجيل متى 18/16 : « وأنا أقول لك أنت صخر ، وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي » ثم تُرجم هذا الاسم إلى اللغة اللاتينية (بطرس) ومعناها الصخرة . وبناء على عادتهم هذه ترجموا كلمة المسيح إلى (كرايستوس ، CHRISTOS) اليونانية ، ومعناها الحرفي : المدهون بالزيت ، ثم حذفوا المقطع الأخير منها ، فصارت (CHRIST) ، وبدؤوها بحرف كبير لتصبح اسم علم [2] .

وصفوة القول : إن اسم العلم لابن مريم هو عيسى (يسوع) ، أما لفظ المسيح ، فهو في الأصل صفة ولقب ، وكثيرًا ما كان يتحد اسم العلم باللقب الرسمي ، فيصبح اللقب اسمًا آخر لدى الناس ، فكلمة (المسيح) وترجمتها (CHRIST) تنصرف إلى عيسى ابن مريم عند المسلمين والنصارى ، فيقال : المسيح عيسى ، أو عيسى المسيح ، كما يقال محمد المصطفى وموسى الكليم ، وأبو بكر الصديق وعمر الفاروق ، رضي اللّه عنهما .

نسب المسيح عند المسلمين :

اتفق المسلمون والنصارى على أن عيسى – عليه السلام – ولدته أمه مريم العذراء الطاهرة البتول من غير أن تقترن برجل البتة .

---

(1) كما في مزامير داود الباب 17 و 131 ، وصموئيل الأول 11/126 و 17 ، وفي الباب الأول من سفره الثاني .

(2) قاموس الكتاب المقدس ص 174 ، تاريخ الأمة القبطية 56/2 ، تفسير إنجيل مرقس ص 17-18 ، تعريفات العهد الجديد ص 664 ، هذه عقائدنا ص 80-81 ، إظهار الحق 137/1-138 ، ديدات ص 30-32 الأسفار لعلي عبد الواحد ص 68 ، اليهودية لأحمد شلبي ص 218-220 .

ويعتقد المسلمون أن اللّه سبحانه خلقه بأمره المتمثل بكلمة (كن) التي أُرسل بها جبريل – عليه السلام – إلى مريم ، فبشرها بالغلام وكان الحمل بأمر اللّه سبحانه . قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ [النساء / 171] كما سيأتي .

ولما كان السبب المتعارف عليه في خلق البشر مفقودًا في عيسى – عليه السلام – ألا وهو الأب ، نُسب إلى أمه ، وكان اتصاف حدوثه بكلمة (كن) أظهر من غيره ، فجعل كأنه الكلمة نفسها ، وقيل له : « كلمة اللّه » . فالكلمة لم تكن عيسى ، ولم تصر عيسى ، ولكن بالكلمة خُلق عيسى ونشأ .

نسب المسيح عند النصارى :

من العجيب أن النصارى ينسبون عيسى – عليه السلام – إلى خطيب أمه يوسف النجار ، مع أنهم يعتقدون أنه ليس ابنًا ليوسف ، ويصفون مريم بالعذراء . فنسبة المسيح إلى يوسف النجار ، أو ادعاء أن السيدة مريم قالت عنه : إنه ابن يوسف ، مخالف للحقيقة والواقع ، ولو كان على مقتضى الشهرة أو التبني ، فهل هو إله تام ، أو ابن إله ، أو ابن يوسف ، أو ليس له أب أصلًا ؟ لا جَرَمَ أن ما يقولونه يحقق زعم اليهود أن مريم حملت بعيسى – عليه السلام – من يوسف عن طريق الخطيئة .

وقد ورد نسب المسيح في إنجيلي متى 1/1 - 17 ، ولوقا 3/33 - 38 بطريقتين متعارضتين فكلاهما ينسب المسيح إلى يوسف النجار ، ثم يأتي بنسب يوسف من جهة آبائه ، ويجعل نسب المسيح عن طريق يوسف ينتهي إلى إبراهيم عن طريق داود ، غير أن كلًّا منهما يعطيه طريقًا مختلفًا عن الآخر ، فيذكر في نسبه آباءً غير الذين ذكرهم الآخر من حيث الأسماء والصفات والعدد . وبعد التأمل يظهر الخلاف بينهما من النواحي التالية :

1 - في متى أن يوسف النجار خطيب مريم هو ابن يعقوب بن متان بن أليعازر .. وفي لوقا هو ابن هالي بن متثات بن لاوي ..

2 - في متى ينتهي نسبه إلى سليمان بن داود ، وفي لوقا إلى ناثان بن داود .

3 - يعلم من متى أن جميع آباء يوسف ، من داود إلى جلاء بابل ملوك مشهورون ، ومن لوقا أنهم ليسوا ملوكًا ، سوى ناثان وداود .

4 - في متى أن شألتيل بن يكنيا ، وفي لوقا أنه ابن نيري .

5 - في متى أن اسم ابن زربابل أبيهود ، وفي لوقا اسمه ريسا .

6 - من داود إلى المسيح ستة وعشرون جيلًا على ما ذكر متى ، وواحد وأربعون جيلًا على ما ذكر لوقا .

ولما كان بين داود والمسيح – عليهما السلام – مدة ألف سنة تقريبًا ، فعلى ما ذكره متى يكون في مقابلة كل جيل تسع وثلاثون سنة ، وعلى ما ذكره لوقا خمس وعشرون سنة .

7 - وعلى ما ذكر متى أيضًا يكون من إبراهيم إلى المسيح – عليهما السلام – اثنان وأربعون جيلًا ، أما لوقًا ، فيصعد بهم إلى ستة وأربعين جيلًا .

وهذا الاختلاف ظاهر لا مناص من الإقرار به ؛ لأنه أمر لا يقبل إلا حقيقة واحدة ، وهو يدل على أن أحدهما غير صحيح ، وليس من إلهام الوحي كما يقولون ، ولما كان الصحيح منهما غير متعين ، فالشك يرد على الاثنين معًا حتى يثبت الصحيح ، ويقوم الدليل على صدقه دون الآخر ، ومع هذا الشك لا يمكن الاعتقاد بأن ثمة إلهامًا في أحدهما ، ولذلك تحير علماء النصارى في هذا الأمر ، وحاولوا سدَّ هذا الخلل بتوجيهات ضعيفة ، لا تغني من الحق شيئًا .

8 - وإذا كان من الضروري إعطاء المسيح نسبًا ، وليس له أب (بيولوجي) فلينسب إلى جهة أمه ، لا إلى خطيب أمه ، إذ من غير المعقول أن ينسب المولود إلى شخص لا علاقة له بنسبه من قريب أو بعيد . ومن العجيب أن متى يجزم بذلك فيقول : « هذا نسب يسوع المسيح ابن داود بن إبراهيم » ثم يسرد النسب . أما لوقا فلا يجزم بذلك ، بل يشير إلى أنه لانسب له من جهة أبيه حيث يقول : « وكان الناس يحسبونه ابن يوسف بن هالي » [1] .

ويظهر – والله أعلم – أن غاية النصارى من إلحاق المسيح – عليه السلام – بيوسف النجار ، وتركيب هذا النسب أن يرجعوا المسيح إلى سبط يهوذا الذي من نسله الملك داود – عليه السلام – ويلبسوه ثوبه على أنه هو المخلص (مِسّيا) الذي ينتظره اليهود ، ليعيد مملكة إسرائيل التي هي مملكة داود . ولذلك فإنهم كثيرًا ما يطلقون عليه في أناجيلهم « يا ابن داود » .

---

(1) وفي بعض الترجمات « وهو على ما كان يظن : ابن يوسف بن هالي » وهذه العبارة توضع في النسخة الإنكليزية بين قوسين ، لأنها غير موجودة في مخطوطات إنجيل لوقا القديمة ، فأحسّ المترجمون بخطر ذلك ، فاحتاطوا ووضعوا هذه العبارة بين قوسين ، أما في سائر اللغات ، فلا وجود للقوسين .

9 - إن نسب مريم ، وبالتالي نسب خطيبها يوسف ، يعود إلى سبط لاوي الذي منه هارون - عليه السلم - لا إلى سبط يهوذا الذي منه داود - عليه السلام - وإليك الدليل .

جاء في سفر العدد 36/6-9 « من حَسُن في أعينهن يكن له نساءً ، ولكن لعشيرة سبطِ آبائهم يكنَّ نساء . فلا يتحول نصيب لبني إسرائيل من سبط إلى سبط ، بل يلازم بنو إسرائيل كل واحد نصيب سبط آبائه . وكل بنت ورثت نصيبًا من أسباط بني إسرائيل تكون امرأة لواحد من عشيرة سبط أبيها ، لكي يرث بنو إسرائيل ، كل واحد نصيب آبائه ، فلا يتحول نصيبٌ من سبط إلى سبط آخر ، بل يلازم أسباط بني إسرائيل ، كل واحد نصيبه » .

فقد أُمر كل رجل أن يتزوج بامرأة من سبطه ، وأُمرت كل امرأة أن تتزوج برجل من سبطها .

وجاء في إنجيل لوقا 5/1 : « كان في أيام هيرودس ملك اليهودية كاهن من فرقة أبيَّا اسمه زكريا ، له امرأة من سلالة هارون ، اسمها أليصابات » .

فأليصابات من نسل هارون ، وتزوجت زكريا من سبطها من نسل هارون ؛ لأن فرقة أبيا هي فرقة الكهنة الهارونيين [1] ، كما جاء في الباب الرابع والعشرين من سفر أخبار الأيام الأول .

وجاء في إنجيل لوقا 36/1 أن الملاك قال لمريم : « ها نسيبتك أليصابات حُبلى بابن في شيخوختها » .

فمريم قريبة لأليصابات زوجة زكريا ؛ لأن النسب هو القرابة ، وحيث إنها قريبتها ، فهي من السبط الذي هي منه .

إذا لاحظنا هذا كله تبين لنا أن مريم من بنات هارون قطعًا ، وأن خطيبها يوسف من أولاد هارون . فالمسيح وأمه وخطيبها يوسف من سبط لاوي وقبيلة هارون ، لا من سبط يهوذا الذي منه داود . وبناء عليه ، فإن ما ذكر في الإنجيلين غلط واضح ، بل من وضع من يريد أن يثبت أن عيسى - عليه السلام - من أولاد داود - عليه السلام -

---

(1) من سبط لاوي فقط يكون العلماء العاديون ، ومن نسل هارون فقط يكون كبار العلماء ، فداود - عليه السلام - بحسب شريعة اليهود ملك ونبي ، وليس بعالم ؛ لأنه ليس من سبط لاوي [إظهار الحق 137/1-138] .

ليقول : إنه المسيح المنتظر الذي وُعد به اليهود ، وليس غيره [1] .

ومن الجدير بالذكر أن القول بابن إله متجسد من سلالة الملوك ، وثني قديم ، فقد كان الهنود القدماء يعتقدون أن مخلصهم (كرشنة) من سلالة الملوك ، وأنه ولد في غار بحال الفقر والانكسار ، ويذكرون أجداده من جهة أمة ، أما عن أبيه فيقولون : إنه مكث ابنًا للإله أجيالًا كثيرة . وكان البوذيون يعتقدون أن بوذا من سلالة الملوك ، من بيت (سفيا) وهم أشهر أسباط البرهميين الذين حكموا بلاد الهند ، ويعتقدون أن جده (سماتا) هو أول من ملك الهند . والصينيون يقولون عن (كونفوشيوس) : إنه من سلالة ملوكية ، ويعدون أجداده . أما المصريون القدماء ، فيعتقدون أن مخلصهم (حورس) المولود من عذراء كان من سلالة ملوكية ، ويدعونه الراعي الصالح [2] .

حقيقة المسيح عند المسلمين :

يؤمن المسلمون أن اللّه سبحانه وحده هو الرب الخالق المالك المدبر لجميع خلقه ، وهو واحد في ذاته وصفاته ، لا إله معبود بحق غيره ، وكل معبود سواه باطل ، لا شريك له في ألوهيته ولا في ربوبيته ، ليس له صاحبة ولا ولد . قال سبحانه : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ . قديم بلا ابتداء ، دائم بلا انتهاء ، هو الأول فليس قبله شيء ، وهو الآخر فليس بعده شيء ، متصف بكل كمال ، منزه عن كل نقصان ، قائم بذاته غني عن العالمين ، ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى / 11] .

ويؤمنون بما أثبته لنفسه في كتابه ، أو أثبته له رسوله ﷺ المبلغ عنه ، من أسماء حسنى وصفات علا ، وينفون كل ما نفاه هو عن نفسه ، أو نفاه عنه رسوله ﷺ ويسكتون عما سكت اللّه ورسوله ﷺ عنه ، ويرون أن كل من في السماوات والأرض عبد مخلوق للّه ، وأن السير على هذا الطريق فرض لابد منه .

ويعتقدون أن عيسى ابن مريم – عليه السلام – عبد اللّه ورسوله ، وكلمته ألقاها إلى

(1) إظهار الحق 96/1 ، 100 ، 167 ، الأجوبة الفاخرة ص 22-24 و 63 ، شفاء الغليل ص 41 و 45 ، هداية الحيارى ص 588 ، تنقيح الأبحاث ص 65 ، دراسة لموريس ص 13 و 79 ، 88 ، 103 ، 105 ، محاضرات في النصرانية ص 102-103 ، الأسفار المقدسة لعلي ص 75-76 و 79 ، قصص الأنبياء للنجار ص 377 ، مجلة الجامعة الإسلامية ندوة الخرطوم ص 121-165 ، حقيقة النصرانية ص 92-93 و 109 .

(2) العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص 94-95 و 131 و 133 و 151 ، تاريخ الأقباط 36/1-37 .

مريم وروح منه ، قال سبحانه : ﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [المائدة / 75] .

– فهو كلمة اللّه ، خلق بقدرته وأمره ، من أم عذراء لم تقترن برجل البتة . قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ... إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ [آل عمران / 45-47 و 59-60] .

فلما كان السبب المتعارف عليه في خلق البشر – ألا وهو الأب – مفقودًا في عيسى – عليه السلام – كان اتصاف حدوثه بكلمة (كن) أظهر من غيره ، فجعل كأنه الكلمة نفسها ، وقيل له (كلمة اللّه) لأنها هي السبب في وجوده ، من باب إطلاق السبب وإرادة المسبب ، فالكلمة لم تكن عيسى ولم تصر عيسى ، لكن بالكلمة خلق عيسى ، ولذلك شبَّه سبحانه خلقه بخلق آدم (1) .

– وهو روح اللّه ، قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ ﴾ [النساء / 171] .

أي ذو روح ابتدأ خلقها من اللّه بكلمة كن ، فمن حرف جر لابتداء الغاية ، وليست تبعيضية ، وهي كما في قوله تعالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ ﴾ [الجاثية / 13] .

أي من خلقه أو من عنده ، وكما في قوله سبحانه عن آدم : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ ﴾ [ص / 72] .

– أمه مريم بنت عمران ، شريفة فاضلة طاهرة بتول ، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَـٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ [آل عمران / 41-42] .

(1) أضواء البيان 279/1 .

وقال سبحانه : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴾ [مريم / 16 - 21] .

وقال جل جلاله : ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴾ [التحريم / 12] .

وقال جل شأنه : ﴿ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء / 91] .

أي أجرينا فيها روح المسيح ، كما يجري الهواء بالنفخ ، وأضاف الروح إليه تشريفًا (1) .

– حقق الله على يديه معجزات كثيرة ، بدأت منذ ولادته . قال تعالى : ﴿ فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ

---

(1) فالمراد إيصال الروح التي خلقها الله بالجسم . تفسير الماوردي 60/3 .

فائدة : الروح : هي السر الذي تحيا به الأجساد . وهذا اللفظ يذكر ويؤنث ، وجمعه أرواح . وهي جسم لطيف حساس ، مبسوط في جميع البدن ، ينفذ في جواهر الأعضاء ، ويسري فيها . فما دامت هذه الأعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها من الروح ، بقي الجسم حيًّا بحركاته وتحسسه ، وإذا فسدت بسبب ما ، وخرجت عن قبول الروح ، فارق الروح البدن إلى عالم البرزخ . والمحققون على أن الأرواح مخلوقة قبل الأجساد . والمخلوقات من حيث المادة المسبقة والسبب والمدة نوعان : نوع أوجده الله سبحانه ، وكونه بأمر (كن) من غير مادة سابقة عليه يخلقه منها ، ومن غير سبب تسبب عنه ، ولا مدة ، ومن هذا النوع عالم الأرواح ، قال تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء / 85] أي أن بدء الروح من الله ، وأن خلقها ووجودها صادر عن أمر الله تعالى ، وهو قوله (كن) من غير مادة سابقة عليها ، ومن غير سبب تسببت عنه ، ومن غير مدة لتكوينها ، بل هي فورية الوجود . ونوع آخر أوجده الله وكونه بأمر (كن) أيضًا ، لكن من مادة سابقة عليه ، وفي مدة تناسبه ، بأسباب قدرها ، ومن ذلك عالم الأجساد ، فجسم الإنسان مخلوق من تراب ، وجسم الملائكة من نور ، وجسم الجان من مارج من نار . علمًا بأن المادة الأولى لكل منهم مخلوقة أيضًا بأمر (كن) . وقد أعلن الله سبحانه شرف روح الإنسان فأضافها إليه . [هدي القرآن إلى معرفة العوالم ص 193 - 194 و 197 و 208] .

قَالُوا۟ يَـٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَـٰٓأُخْتَ هَـٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَـٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَـٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَـٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [مريم / 22-35] .

وقال سبحانه : ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ [آل عمران / 45-51] .

- لم يُقتل ولم يُصلب ، بل رفعه الله إلى السماء . قال تعالى : ﴿ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [آل عمران / 54-55] .

أشارت الآية إلى أنه معصوم من القتل الذي أراده اليهود له ، وصرحت بأنه سيُرفع إلى السماء ، وأشارت أيضًا إلى نزوله إلى الأرض ، ووفاته فيها .

وقال سبحانه عن اليهود : ﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَـٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ [النساء / 156-159] .

صرحت الآية بأن الذي قتل وصلب رجل آخر ألقي عليه شبهه ، أما هو فقد رفع إلى السماء ، وأشارت إلى نزوله إلى الأرض وإيمان أهل الكتاب به .

وقال جل جلاله : ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [المائدة / 110] .

– وهو المسيح الذي بشرت به الأنبياء ، وكانت تنتظره اليهود ، وسيعود إلى الأرض بإذن الله ، والنبوة قائمة به ، غير أنه يحكم بشريعة محمد ﷺ وسوف يحارب الطغاة والمفترين ، ويقتل المسيح الدجال ، ويقيم العدل في الأرض .

ومن الجدير بالذكر أنه خلال وجوده في السماء تغلبت أحكام روحه على أحكام جسده ، فهو لا يحتاج إلى طعام وشراب ، فإذا نزل إلى الأرض عاد كما كان من قبل (1) .

حقيقة المسيح ابن مريم عند اليهود :

أثار اليهود شبهات واتهامات فيما يتعلق بمولد عيسى المسيح – عليه السلام – فقذفوا أمه بالزنى ، وزعموا أنها حملت عن طريق الخطيئة من يوسف النجار .

ولما جاءهم يدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، كذبوه وحرفوا أقواله ، واتهموه بالكفر والمروق من الدين ، وسعوا إلى قتله وصلبه لدى الرومان ، فحماه الله منهم ، وأبطل مكرهم برفعه إلى السماء ، وإلقاء شبهه على غيره ، فصُلب مكانه .

وليس للمسيح ابن مريم أي ذكر في كتبهم أو تاريخهم الديني اليوم ؛ لأنهم يرونه مرتدًا نال عقوبته . وكما توهم النصارى أنه صُلب ، توهم اليهود أنهم قتلوه ، ولا يزالون عند وهمهم ، وينكرون ما عدا ذلك .

وقد كان مذكورًا في التلمود أن يسوع الناصري أتت به أمه عن طريق الخطيئة ، وهو الآن في لُجات الجحيم بين القار والنار .

قال الدكتور إسرائيل ولفنسون : إن مسألة قتل المسيح كانت مذكورة في التلمود ،

(1) هدي القرآن إلى معرفة العوالم ص 220 .

لكن اليهود أخرجوها حتى لا يعثر عليها أحد من النصارى [1] .

حقيقة المسيح عند النصارى :

المسيح في اعتقاد النصارى ليس عبدًا للّه ولا نبيًّا ، بل إله معبود ، مكون من ناسوت – أي جسد – ولاهوت – أي روح – وقد اتحد اللاهوت بالناسوت أو حل فيه ، فصار إلهًا ، وهو يفعل أفعال الآدميين بموجب الناسوت من غير أن يتأثر اللاهوت بشيء من ذلك ، كالحر والبرد وسائر أنواع المكاره [2] .

– فهو إنسان حق ، ولد كما يولد الإنسان ، ثم كبر ونما جسديًّا ، وعاش كما يعيش الإنسان ، واتصف بكل صفات الإنسان ، فجاع وأكل وشرب ، وتألم وبكى ، وتعب ونام .. فهذه الصفات تشهد أنه إنسان حقًّا . وكل ما رواه الإنجيل عنه يقدمه على أنه إنسان عاش حياة كاملة ، ولذلك فإن الاسم الذي أطلقه المسيح على ذاته أكثر من غيره من الأسماء هو (ابن الإنسان) .

– وهو إله حق من إله حق ؛ لأنه اللّه أو ابن اللّه الأزلي ، جاء إلى العالم ، وأخذ جسدًا بشريًّا ، وكينونة لم تكن لتبتدئ بمولده ، كما هو الحال عند سائر البشر ، لكنه كان منذ الأزل ، فهو ليس ابن الإنسان فحسب ، بل هو إله تام من إله تام من جوهر أبيه [3] .

التثليث عند النصارى :

يعتقد النصارى أن الثالوث الأقدس الواحد أقنوم حي ، ذو قدرة على الانبثاق [4] من ذات اللّه الواحد المثلث الأقانيم ، دون أن يخسر وحدانيته . فهناك حقيقتان ضمنيتان في الثالوث هما :

أ – إله واحد . وهذه الحقيقة مذكورة بكثرة في الكتاب المقدس ، ولا سيما العهد القديم .

---

(1) بذل المجهود ص 32 ، اليهودية لأحمد ص 222 ، المسيحية له ص 77-78 .

(2) حقيقة النصرانية ص 134 .

(3) هذه عقائدنا ص 81-84 .

(4) الأقنوم كلمة رومية معناها الأصل ، وهي ترجمة لكلمة يونانية (HYPOSTASIS) معناها الأصل المركب . والانبثاق : الانفجار ، يقال : انبثق السيل ، إذا أقبل ولم يحتسبوه ، والبِثق : موضع انبثاق الماء من نهر ونحوه ويقصد النصارى به الصدور ، فالحامل ينبثق منها المولود ، فهي في الأصل واحد ، وبعد الاتصال الجنسي تصبح اثنين في واحد ، ثم بعد الانبثاق أو الصدور يصبح الواحد اثنين ، وفي حالة التوأم أكثر .

ب – ثلاثة أقانيم تشكل بمجموعها أقنومًا واحدًا ، فاللّه الواحد يظهر ذاته بطريقة مثلثة ، هي الأب والابن والروح القدس . وهؤلاء الثلاثة واحد في الجوهر ، لكن هناك ثلاثة مظاهر لمعاملة الجنس البشري ، هي :

1 - الأب ، وهو الأقنوم الأول في الوحدة الإلهية ، فقد كان غير منظور ، لا يستطيع البشر رؤيته ، ولم يقترب منهم ، بل كان يتعامل معهم عن بعد .

2 - الابن ، وهو الأقنوم الثاني في الوحدة الإلهية ، فقد أراد اللّه أن يقترب من الإنسان ، ويتجلى له في شخص ابنه ، فانحدر من فوق السحب ، وحل بالمسيح يسوع ، ليساكن البشر ، ويلتصق بهم ، ويخاطبهم وجهًا لوجه ، فبمجيء المسيح وجد الناس إلهًا منظورًا ، يمكن أن يكلموه .

3 - الروح القدس ، وهو الأقنوم الثالث في الوحدة الإلهية ، فقد اقترب اللّه من أبنائه أكثر في شخص الروح القدس .

وهذا الظهور ابتدأ بالحوادث التي سجلت في الباب الثاني من سفر أعمال الرسل ، وظل مستمرًا إلى يومنا هذا ، وهو لا يمكث معهم إلى الأبد ، بل يسكن فيهم – كما في إنجيل يوحنا 6/14 – والأسفار المقدسة لا تبين الروح كشخص عادي ، بل كشخص إلهي له صفات اللّه ، ويعمل عمله [1] .

ثلاثة أقانيم في أقنوم واحد :

وثلاثة الأقانيم التي في اللاهوت ، تجلس على عرش واحد في صورة دائمة منذ الأزل ، وفي مُلك واحد وسُلطة واحدة ، مما يدل على أنها ذاتية واحدة ، وإلا فكيف يجلس على عرشه في ثلاثة أقانيمه طيلة المدة الأزلية ، لو لم يكن ذاتًا إلهية واحدة مثلثة الأقانيم ؟ كما أنه لا يفقد وحدانيته عندما يذهب أقنوم من أقانيمه في نشاط خاص خارج العرش الذي يجلس عليه ؛ لأنه ليس وحدة مادية مؤلفة من ثلاث قطع ، تحتاج إلى رباط مادي ، يوصلها ببعضها ، لكنه ثلاثة أقانيم روحية متعادلة في الجوهر والمحبة والإرادة ، تنتمي إلى ذات الكيان الإلهي الواحد ، فالعرش السماوي يجلس عليه إله مثلث الأقانيم ، لا ثلاثة آلهة [2] .

---

(1) هذه عقائدنا ص 36-39 و 121 .

(2) حقيقة النصرانية ص 132-133 ، هذه عقائدنا ص 36-38 .

اختلاف النصاري في طبيعة المسيح :

تقرر التثليث وتأليه المسيح عند النصارى ، وأجمعت عليه طوائفهم الثلاث اليوم ، غير أنهم اختلفوا في طبيعة المسيح ؛ هل له طبيعة واحدة لأنه إله تام ؟ أو له طبيعتان إلهية وإنسية ، لأنه ابن اللّه وابن الإنسان معًا ؟ وقد جرَّ هذا الاختلاف إلى اختلافات أخرى ، كانت أشد من الأول .

وأول نص على تأليه الابن الوحيد كان في مجمع نيقية سنة 325 م حيث أصدر المجمع القرار التالي : « إن الجامعة المقدسة والكنيسة الرسولية ، تَحْرُم كل قائل بوجود زمن لم يكن ابن اللّه موجودًا فيه ، وأنه لم يوجد قبل أن يولد ، وأنه وجد من لا شيء ، أو من يقول : إن الابن وجد من مادة أو جوهر غير جوهر اللّه الأب ، وكل من يقر أنه خلق ، أو يقول : إنه قابل للتغير » . فقرروا أن ابن اللّه أزلي مغاير للّه ، وكذلك الأمر في الروح القدس ، فإنه منفصل عن الأب ، ومنفصل عن الابن ، فهؤلاء الثلاثة ، واحد في الجوهر ، ومتميزون بشخصياتهم ، غير أن أيًا منهم لا يعمل منفردًا عن الأقنومين الآخرين . وحقيقة اللّه عندهم أنه وحدة أزلية في ثلاثة أشخاص متحدين بصورة متكاملة في ذاته ، وليس اتحاد ثلاثة آلهة معًا .

ولم يرتض كثير من النصارى تلك المغايرة ، وقالوا : إن اللّه نفسه انقلب إلى مسيح فظهر في صورة الابن ، فالابن هو اللّه الذي يتعامل مع الناس مباشرة ، والروح القدس هو اللّه أيضًا ، فاللّه والمسيح والروح القدس واحد [1] .

أ – ذهب الأرثوذكس إلى القول الأخير ، فقرروا أن للمسيح طبيعة واحدة ، هي الطبيعة الإلهية . وقد أخذ بهذا المذهب ثلاث كنائس هي :

1 - الكنيسة الأرثوذكسية في مصر والحبشة ، وتسمى (الأرثوذكسية المرقسية) ، وقد استقل نصارى الحبشة أخيرًا عن رياسة الكنيسة المصرية بعض الاستقلال .

2 - الكنيسة الأرثوذكسية السريانية ، التي يرأسها بطريرك السريان ، ويتبعها كثير من نصارى آسيا .

3 - الكنيسة الأرثوذكسية الأرمنية ، ومع أن الأرمن يتفقون مع الكنيستين السابقتين

---

(1) حقيقة النصرانية ص 132-133 ، هذه عقائدنا ص 36-38 .

في القول بالطبيعة الواحدة للمسيح ، إلا أنهم يختلفون عنهما في بعض الطقوس والتقاليد ، ولهم بطاركة يرأسونهم .

وخلاصة مذهبهم : أنهم يعتقدون أن اللّه ذات واحدة ، مثلثة الأقانيم ، أقنوم الأب وأقنوم الابن ، وأقنوم الروح القدس ، وأن الأقنوم الثاني تجسد من روح القدس ومن مريم العذراء ، مصيرًا الجسد معه واحدًا وحدة ذاتية جوهرية ، منزهة على الاختلاط والامتزاج والاستحالة ، بريئة من الانفصال ، وبهذا الاتحاد صار الابن المتجسد طبيعة واحدة من طبيعتين . وأقر هذا المذهب معظم المجتمعين في مجمع إفسس الثاني ، المنعقد في منتصف القرن الخامس الميلادي .

ب - وذهب الكاثوليك والبروتستانت إلى القول الأول ، وهو أن للمسيح طبيعتين : إلهية وإنسية ، فهو مع أبيه في الطبيعة الإلهية ، ومع الإنسان في الطبيعة الإنسانية . وقد أخذ بهذا المذهب سائر الكنائس . وانتصر له الإمبراطور الروماني ، فعمل على إقامة مجمع خليكدونية عام 451 م ، وتوصل أكثر المجتمعين بعد خلاف كبير إلى أن للمسيح طبيعتين التقتا فيه . وقالوا : إن مريم العذراء ولدت إلهنا وربنا يسوع المسيح ، الذي هو مع أبيه في الطبيعة الإلهية ، ومع الناس في الطبيعة الإنسانية . وشهدوا أن للمسيح طبيعتين وأقنومًا واحدًا ، ووجهًا واحدًا ، ولعنوا مجمع إفسس الثاني ، وسموه مجمع اللصوص (1) .

اختلاف القائلين بالطبيعتين :

ظلت الكنائس التي تقول بالطبيعتين متحدة إلى أن ظهر في القرن السابع عام 667 م يوحنا مارون ، فذهب إلى أن المسيح مع أنه ذو طبيعتين ، له مشيئة واحدة وإرادة واحدة ، هي المشيئة الإلهية والإرادة الإلهية ، لالتقاء الطبيعتين في أقنوم واحد إلهي ، هو الابن أو الكلمة . وشايعه في هذا الرأي بعض نصارى آسيا . ولم يرق ذلك لرؤساء الكنيسة الكاثوليكية ، فأوعزوا إلى الإمبراطور أن يجمع مجمعًا يقرر أن المسيح ذو طبيعتين ومشيئتين ، فاجتمعوا في القسطنطينية عام 680 م ، وأصدر المجمع قرارًا بتكفير يوحنا مارون ولعنه ، وكفر كل من يقول بالمشيئة الواحدة ، وأنزلوا بالمارونيين

(1) ويطلق على هذا المذهب اسم (المذهب الملكاني أو الملكي) نسبة إلى إمبراطور روما الذي عمل على جمعه وإقرار ما جاء فيه إقرارًا حاسمًا . وقد انتصر لمجمع إفسس يعقوب البرادعي ، وسمي أتباعه باليعقوبية - الأسفار المقدسة لعلي ص 114-115 .

الاضطهاد ، مما دفعهم إلى الفرار ، إلى أن انتهى بهم المطاف في جبل لبنان .

وظهر أيضًا نسطور الذي قال : إن مريم ولدت الإنسان ، ثم اتحد بعد ولادته بالأقنوم الثاني اتحادًا مجازيًا ، وأُطلق على أتباعه اسم النسطورية . غير أن النسطوريين انحازوا أخيرًا إلى الرأي القائل بامتزاج الناسوت باللاهوت ، أي بالطبيعتين ، وبقي معظمهم بالموصل في العراق .

وفي منتصف القرن التاسع نشب خلاف بين القائلين بالطبيعتين بشأن الأقنوم الذي انبثق منه الروح القدس :

- ذهب بعضهم إلى أنه منبثق من الأب والابن معًا ، وعقد رئيس كنيسة روما مجمعًا لذلك عام 869 م في القسطنطينية ، وأصدر المجتمعون قرارًا بذلك . واشتهر هذا المجمع باسم المجمع الغربي اللاتيني .

- وذهب آخرون إلى أنه منبثق من الأب وحده ، وكان على رأسهم بطريرك القسطنطينية ، فعقد بدوره مجمعًا آخر في القسطنطينية عام 879 م ، وأصدر المجتمعون قرارًا بذلك . واشتهر هذا المجمع باسم المجمع الشرقي اليوناني .

وكان ذلك سببًا في انقسام الكنائس القائلة بالطبيعتين والمشيئتين إلى كنيستين رئيستين :

- إحداهما الكنيسة الغربية اللاتينية ، ويقال لها الكنيسة الغربية فقط ، والكنيسة الكاثوليكية ، وقد تسمى الكنيسة البطرسية . والمشايعون لها ، أكثرهم في الغرب ، من إيطاليا وفرنسا وبلجيكا وأسبانيا والبرتغال وأمريكا الجنوبية ، وبلاد أخرى .

- والأخرى الكنيسة الشرقية اليونانية ، ويقال لها الكنيسة الشرقية فقط ، وكنيسة الروم الأرثوذكس . ومشايعوها أكثرهم في الشرق واليونان وروسيا والصرب ، ولهم أربعة بطاركة : بطريرك القسطنطينية وبطريرك الإسكندرية للروم الأرثوذكس وبطريرك أنطاكية وبطريرك أورشليم [1] .

---

(1) الأسفار المقدسة لعلي ص 117-118 .

مناقشة دعوى ألوهية المسيح عليه السلام :

ليس في أربعة الأناجيل برواياتها الكاثوليكية والبروتستانتية نص صريح يقول فيه المسيح عن نفسه « إنه إله » أو « مساو للّه » أو « أنا ربكم » أو « اعبدوني » أو نحو ذلك ، وإنما فيه : « أرسلني » أو « طلب مني » أو نحو ذلك ، مما يدل على أنه مرسل مأمور مطيع منفذ أوامر الذي أرسله .

وليس فيها أيضًا نص واحد ، يدعي فيه عيسى – عليه السلام – أنه مع اللّه العلي القدير يكوّنان شخصًا واحدًا ، وما يدعونه من ذلك ، فإنما هو قول لغيره ، أو تأويل غير صحيح لقوله ؛ لأنه معارض بنصوص أخرى أكثر صراحة منه ، ولا تحتمل التأويل . ومن ذلك ما يلي :

1 - جاء في مطلع إنجيل يوحنا : « في البدء كان الكلمة ، والكلمة كان عند اللّه ، وكان الكلمة اللّه » .

وهذه الكلمات ليست من أقوال المسيح ، وهي منسوبة إلى يوحنا أو إلى شخص آخر كتبها . فَلْنرَ ما يريدونه منها .

قال الدكتور رأفت عماري [1] : كلمة اللّه الأزلية هي ذات مميزة ، وهي شخصية عاقلة ، وليست مجردة من العقلانية .

ومعنى « والكلمة كان عند اللّه » أي أن جوهر المسيح كلمة اللّه ، هو جوهر اللّه بذاته ، وكان عند اللّه ، أي في حضنه وذاته ، وليس كإله منفصل .

ومعنى « وكان الكلمة اللّه » أي أن المسيح هو جوهر اللاهوت الأزلي ، لكي تعبده مخلوقاته بحسب عظمة جوهرة الأزلي .

فاللّه متساوٍ في جوهره بين أقانيمه ، وهو يشترك في جوهر واحد ، لا نظير له في الحياة وفي الأزل ، وكل أقنوم يتحلى بلقب اللاهوت ، وجوهر الابن يخلق كل شيء ، ويعمل كل عمل لاهوتي .

فالكمال والجوهر سائدان في كل أقنوم ، فهي ثلاثة أقانيم متساوية في الجوهر ، والمسيح ذو جوهر إلهي كامل ، ولو كان فرديَّ الذات ، وليس مثلث الأقانيم ، لكان

(1) في كتابه أقنوم الحق الفريد ص 7 و 9 و 15 و 17 و 57 ، وانظر حواشي الكتاب المقدس ص 479 .

يسوع هو ذاتها ، الفردي الذاتية اهـ .

وكأنه يريد بهذه العبارات أن يقلل من الخلاف بين الكاثوليك والأرثوذكس الذين لا يقولون بتميز الأقانيم ، بل يؤمنون بإله واحد ، لا شريك له ، هو اللّه رب العالمين ، وقد نزل من عليائه ، وحل في بطن مريم العذراء ، ثم خرج طفلًا ، ثم كبر ونما ، وظهر لعباده في الجسد .

فخالق العالم في اعتقادهم لما حل في بطن مريم ، صار نطفة فعلقة فمضغة ، ثم صار جسدًا ، ثم خرج طفلًا وحل على الأرض ، ثم كبر ومشى وقعد وأكل وشرب ونام واستيقظ ، ثم قتل وصلب ، ثم صعد إلى السماء ، كما في يوحنا 14/1 « والكلمة صار جسدًا وحل بيننا » .

ويؤكدون على ذلك فيقولون : لم يخرج المسيح بطبيعته الإنسانية ، بل خرج بطبيعته الإلهية ، آخذة صورة إنسانية ، فالرائي لا يرى إلا واحدًا بطبيعة واحدة .

ومعنى الأقانيم والتثليث : أن اللّه واحد ، غير أنه مَرَّ في ثلاث مراحل : المرحلة الأولى قبل تجسده ، وهي كونه الأب ، والثانية بعد تجسده ، وهي كونه الابن ، والثالثة هي الروح القدس ، فالأقنوم عندهم مرحلة من مراحل الإله الثلاث [1] .

وإن شئت إيضاحًا أكثر ، فالمسيح في اعتقادهم هو رب الأنبياء وخالقهم ، وهو ابن مريم وربها وخالقها ، وهو الذي خرج من فرجها بعد أن حل في الجسد وصار طفلًا ، وهو الذي عاينه الناس وعاش بينهم بعدما كبر ، واليد التي سمرها اليهود والرومان في الخشبة ، هي اليد التي عجنت طينة آدم ، وهي التي كتبت الألواح لموسى [2] .

وإن العقل ليدعو إلى التساؤل : إذ نزل اللّه من عليائه ، وصار جسدًا وحل في الأرض بين الناس ، فهل بقي العرش فارغًا طيلة هذه المدة ؟!

والعقل السليم يقتضي أن يكون اللّه متصفًا بكل كمال ، منزهًا عن كل نقصان ، فكيف يمكث في الرحم مدة الحمل ، ثم يخرج من مكان ضيق قذر مع الدماء والمشيمة ؟!

وإذا كان القتل والصلب قد وقع على المسيح ذاته ، فإنه يكون واقعًا على اللّه ؛ لأن اللّه هو المسيح ابن مريم بزعمهم ، والطبيعة الواحدة ، ليس فيها ناسوت متميز عن

(1) حقيقة النصرانية ص 134-135 و 155 .

(2) هداية الحيارى ص 620 و 669 .

لاهوت ، والشيء الواحد ، لا يقال فيه : مات ولم يمت ، وأُهين ولم يهن . وإذا كان الأمر كذلك ، فكيف يتمكن مخلوق من خالقه ، فيقتله ويُلحق به الإهانة ؟!

إن الشرائع قد تأتي بما تُحار فيه العقول ، لكنها لا تأتي بما تحيله العقول ، وما يَدَّعون يأباه العقل السليم . وسبب وقوعهم في ذلك عدم التمييز بين كلمة اللّه وذاته ، فكلمة اللّه هو المسيح المخلوق بأمر اللّه (كن) . وقد رد الله عليهم فقال : ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًاۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَاۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [المائدة / 17] ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [المائدة / 72] .

أما الكاثوليك والبروتستانت فيقولون : المسيح فيه طبيعة إنسانية كاملة ، بحسب جسده ، وله طبيعة إلهية كاملة ، بحسب حلول اللاهوت فيه ، فالرائي يرى جسدًا ، وهذا الجسد ليس خاليًا عن الروح ، بل بروح إلهية بها قِوام الجسد ، وبالخلو منها لا يكون إلهًا ؛ لأن شرط الألوهية عندهم اتحاد اللاهوت بالناسوت . فهو إنسان إذا جاع ، وإله إذا أطعم ، فله طبيعتان ، وله مشيئتان .

أما المارونيون فيرون أن المسيح مع أنه ذو طبيعتين ، له مشيئة واحدة ، وإرادة واحدة ، هي المشيئة الإلهية والإرادة الإلهية ، لالتقاء الطبيعتين في أقنوم واحد إلهي هو الابن أو الكلمة ، كما سلف .

وقرر أهل الطبيعتين كلّهم أن ابن اللّه أزلي مغاير للّه ، وكذلك الروح القدس ، فإنه منفصل عن الأب وعن الابن ، فالأقنوم عندهم ذات متميزة منفصلة ، وهؤلاء الثلاثة واحد في الجوهر ، ومتميزون بشخصياتهم ، غير أن أيًّا منهم لا يعمل منفردًا عن الأقنومين الآخرين [1] . وهذا يعني أن هناك ثلاث مشيئات ، وإذا قلنا للمسيح مشيئتان ، إلهية وإنسية ، فثمة أربع مشيئات . فهل تختلف مع بعضها ؟

قال رأفت عماري [2] : لكن لم يسبق أن ناقض اللّه قراره في أحد أقانيمه أو ندم

(1) هذه عقائدنا ص 36-37 .

(2) في كتابه أقنوم الحق الفريد ص 50 .

على موقفه المتخذ في أقانيمه .. فهي ثلاثة أقانيم روحية متعادلة في الجوهر وفي المحبة وفي الإرادة وفي الوحدة .

والواقع أنه في أربعة الأناجيل ما يهدم عقيدة الأرثوذكس القائلين بأن الأقانيم الثلاثة إله واحد ، له مشيئة واحدة ؛ لأن فيها نصوصًا كثيرة تدل على الانفصال والتميز بين اللّه سبحانه وبين المسيح وبين الروح القدس ، ففيها أن الأب أعظم من الابن ، وقد أرسله وطلب منه ، وغير ذلك كما سيأتي إن شاء اللّه . لكن العاقل يتساءل : كيف يكونون ثلاثة آلهة متميزة ، بثلاث مشيئات أو أربع ، ويبقون واحدًا ؟! هل يمكن فهم هذا وقبوله ؟ بالطبع لا ؛ لأن الثلاثة لا تكون واحدًا ، والواحد لا يكون ثلاثة . ثم لماذا اعترض الابن على أبيه وهو على خشبة الصليب عندما أدركه الألم فقال : لم تركتني ؟ هل اعترضتْ مشيئة البشرية على مشيئته الإلهية ؟ أو اعترضت مشيئة الابن على الأب وقراره ؟!

وإذا كان للمسيح طبيعتان ناتجتان عن اتحاد اللاهوت بالناسوت أو حلوله فيه ، فهل فارق لاهوته ناسوته عند القتل أو لا ؟ فإن قالوا : فارقه فقد أبطلوا دينهم ، لأن المسيح عندهم لم يستحق الربوبية إلا بالاتحاد ، وإن قالوا : لم يفارقه ، فإنه يلزمه منه إهانة اللاهوت . وقد رد اللّه سبحانه عليهم بقوله : ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [المائدة / 73] .

وسبب وقوع النصارى في هذا التخبط وجود نصوص كثيرة في العهدين تقطع بوحدانية اللّه ، ونصوص أخرى في العهد الجديد كثيرة تميز بين اللّه وبين المسيح عليه السلام ، ونصوص في الرسائل مدسوسة تناقض ذلك ، فحاولت كل طائفة منهم الجمع والتوفيق بين النصوص ، فوقعوا في هذا الخبط العظيم .

وقد رد اللّه سبحانه في القرآن فقال : ﴿ يَٰٓأَهْلَ الْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَـَٔامِنُواْ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌ انتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ لَّهُۥ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا الْمَلَٰٓئِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴾ [النساء / 171 - 172] .

2 - جاء في إنجيل يوحنا 10/30 - 38 أن المسيح قال في الهيكل لمن جادله من اليهود :

« وأنا والأب شيء واحد .. فصدقوا هذه الأعمال إن كنتم لا تصدقوني ، حتى تعرفوا وتؤمنوا أن الأب في ، وأنا في الأب » .

جاء في حواشي الكتاب المقدس (1) : « أي لأني بأخذي ذاتي منه في ميلادي الأزلي ، أخذت كمال القداسة ، وقد أرسلني مخلصًا للعالم ، وأعمالي لا يستطيع عملها إلا اللّه ، فلا يسعكم ، والحالة هذه إلا أن تُسلِّموا بأني أنا اللّه ، وأنا والأب واحد ، وجوهري جوهره ، وسلطاني سلطانه ، وأنا فيه وهو في » . غير أن السباق والسياق يبطل ادعاؤهم ، ويبين أن مراده ، من يطعني فقد أطاع اللّه ، لأنه يتكلم ويعمل باسم اللّه الذي أرسله ، كما قال سائر الأنبياء ، وإليك الدليل .

ففي الباب نفسه 29/10-30 أن المسيح قال لليهود عن أعماله : الأب الذي وهبها لي هو أعظم من كل موجود ، وما من أحد يقدر أن يخطف من يد الأب شيئًا . أنا والأب شيء واحد .

33/10 : أجابه اليهود : .. فما أنت إلا إنسان ، لكنك جعلت نفسك اللّه .

34/10-36 : فقال لهم يسوع : أما جاء في شريعتكم أن اللّه قال : أنتم آلهة ؟ فإذا كان الذين تكلموا بوحي من اللّه يدعوهم اللّه آلهة . فكيف تقولون لي أنا الذي قدسه الأب وأرسله إلى العالم : أنت تكفر ، لأني قلت : أنا ابن اللّه ؟

37/10-38: إذا كنت لا أعمل أعمال أبي فلا تصدقوني ، وإذا كنت أعملها ، فصدقوا هذه الأعمال إن كنتم لا تصدقوني ، حتى تعرفوا وتؤمنوا أن الأب في ، وأنا في الأب . فنفى عن نفسه الألوهية ، واحتج عليهم بنصوصهم ، وذكر أن اللّه أرسله ، فهو نبي مرسل .

وجاء أيضًا في إنجيل يوحنا 11/17 أن المسيح دعا اللّه أن يحفظ تلاميذه فقال : أيها الأب القدوس ، احفظهم باسمك الذي أعطيتني ، حتى يكونوا واحدًا ، مثلما أنت وأنا واحد .

21/17-23 : اجعلهم كلهم واحدًا ، ليكونوا واحدًا فينا ، أيها الأب ، مثلما أنت في وأنا فيك ، فيؤمن العالم أنك أرسلتني . أنا أعطيتهم المجد الذي أعطيتني ليكونوا واحدًا ، مثلما أنت وأنا واحد . أنا فيهم وأنت في ، لتكون وحدتهم كاملة ، ويعرف العالم أنك أرسلتني ، وأنك تحبهم مثلما تحبني .

---

(1) ص 481 .

فلم يختص المسيح بالتأليه وحده ، إذا كانت تلك الصفات متحققة في كل من أطاعة ؟! .

وجاء أيضًا في إنجيل يوحنا 41/11-42 : أشكرك يا أبي ، لأنك استجبت لي . وأنا أعرف أنك تستجيب لي في كل حين ، ولكني أقول هذا من أجل هؤلاء الناس حولي حتى يؤمنوا أنك أنت الذي أرسلتني .

فهو إنما يدعو ربه ، فيستجيب له ، وهو بدوره يشكره ، وإنما يفعل ذلك ليعلم الناس أن اللّه أرسله ، فيصدقوا أنه نبي مرسل ، ولو كان إلهًا لقال : جئت إليهم وباركتهم بنفسي .

وفي يوحنا أيضًا 19/5 : الحق الحق أقول لكم : لا يقدر الابن أن يعمل شيئًا من عنده ، بل يعمل ما رأى الأب يعمله ، فما يعمله الأب يعمل مثله الابن .

فهو يقر بضعفه أمام اللّه ، وأنه لا يستطيع أن يفعل شيئًا إلا أن يأذن اللّه له فيه .

متى 32/13 ومرقس 26/24 : أما ذلك اليوم وتلك الساعة ، فلا يعرفهما أحد ، لا ملائكة السموات ، ولا الابن ، إلا الأب وحده .

فهو يقر بعدم معرفته بوقت عودته إلى الأرض ، ويذكر أن اللّه قد اختص بعلمها ، فلم يطلع عليها أحدًا من خلقه .

وفي متى 16/19 ومرقس 17/10-18 ولوقا 18/18 أن رجلًا غنيًا قال للمسيح : أيها المعلم الصالح ، ماذا أعمل من الخير لأنال الحياة الأبدية ؟ فأجابه يسوع : لماذا تدعوني صالحًا ؟ لا صالح إلا اللّه وحده .

فقد مَيَّز بينه وبين اللّه ، وقال « إلا واحد هو اللّه » فكيف يكون هو اللّه ذاته ؟!

وفي أعمال الرسل 22/2 قال بطرس : يا بني إسرائيل اسمعوا هذا الكلام : كان يسوع الناصري رجلًا أيده اللّه بينكم بما أجرى على يده من العجائب والمعجزات والآيات كما أنتم تعرفون .

فقال : أجراها اللّه على يديه ، ولم يقل صنعها هو بنفسه ، فإنما هو عبد اللّه ورسوله كسائر الأنبياء .

وصفوة القول في المسيح – عليه السلام – أن من قال له طبيعة واحدة إنسية ، وإرادة واحدة فقد صدق ، ومن قال له طبيعة واحدة إلهية ومشيئة واحدة إلهية فقد ناقض نفسه

وخالف العقل ، ومن قال له طبيعتان ومشيئة واحدة فقد أوجب الحجة على نفسه ، ومن قال له طبيعتان ومشيئتان ، فقد جعله اثنين وناقض نفسه .

مناقشة دعوى الروح القدس :

يدعي النصارى أن الروح القدس هو الأقنوم الثالث من الثالوث الأقدس ، وقد أخبر المسيح تلاميذه أنه سينزل عليهم ، ويحل فيهم بعد رفعه إلى السماء ، ويقيم معهم في الكنيسة إلى الأبد ، ويكون شبه روح لها ، ثم منحه لهم فحل فيهم يوم الدار بعد خمسين يومًا من قيامته .

جاء في أعمال الرسل 1/2-4 : ولما جاء اليوم الخمسون ، كان التلاميذ مجتمعين في مكان واحد ، فخرج عليهم من السماء فجأة دوي كريح عاصفة ، فملأت البيت الذي كانوا فيه ، وظهرت ألسنة كأنها نار ، فانقسمت ، ووقف على كل واحد منهم لسان ، فامتلأوا كلهم من الروح القدس ، وأخذوا يتكلمون بلغات غير لغتهم ، على قدر ما منحهم الروح القدس أن ينطقوا .

وفي يوحنا 19/20-22 أن المسيح ظهر لتلاميذه بعد الصلب عندما كانوا مجتمعين ، فنفخ عليهم ، وقال لهم : خذوا الروح القدس .

وفي متى 19/10-20 ومرقس 9/13-11 ولوقا 11-12 أن المسيح طلب من تلاميذه ألا يخافوا عندما يساقون إلى المحاكم ؛ لأن الروح القدس سيلهمهم في تلك الساعة ما يجب أن يقولوا ، فليس هم المتكلمين ، بل الروح القدس هو المتكلم فيهم .

فهل هو روح أو جسد ؟

ذهب أكثر النصارى إلى أنه روح ، وليس جسدًا ، لأن المسيح سماه روح القدس وروح الحق كما في إنجيل يوحنا 17/14 ، لكن من تأمل عبارات الأناجيل ، ولا سيما إنجيل يوحنا ، علم أن تفسيره بالروح باطل لما يلي :

1 - هل روح القدس واحد أو متعدد بتعدد التلاميذ ؟ فإن كان واحدًا ، ففيمن حل من التلاميذ ؟ فمن حل فيه كان هو الأقنوم الثالث ، كما حل الأقنوم الثاني بالمسيح ، وإن كان متعددًا ، فقد خرجت عقيدتهم من التثليث إلى أضعافه .

2 - جاء في يوحنا 16/14 : .. أنه يمكث معهم إلى الأبد . فإذا سلمنا أنه حل في

التلاميذ ، فأين هم الآن ؟ هل بقي أحد منهم مع النصارى في الكنيسة إلى الأبد ؟ أو حل في القساوسة بعدهم ؟ وإذا كان في الكنيسة شبه روح لها ، فماذا عمل تجاه خلاف النصارى في العقائد ، وتجاه تعدد الأناجيل والرسائل واختلافها الكبير ؟ ولماذا احتجب عنهم في المجامع ، فلم يقبلوا ببعض الأسفار والرسائل ، ثم ظهر لمن بعدهم فقبلوها ، ثم ظهر للبروتستانت فردوا بعض ما كان مقبولًا ؟

3 - إن الأوصاف المذكورة في الأناجيل مثل : يُذكّر ، يشهد ، يوبخ ، يتحدث ، يسمع ، ونحو ذلك ، لا تناسب الروح ، لأنها لا تنطبق على أمر معنوي يكون في قلب بعض الناس ، من روح أو إلهام ، وإنما تنطبق على شخص يراه الناس ويسمعونه [1] .

قال ج . كلارك : أما الروح القدس ، فالأسفار المقدسة تبين أنه كائن ذو شخصية ، وليس مجرد تأثير أو قوة عاملة في العالم .. فهو يعمل كأي شخص آخر ، لأنه يشهد ويبكت ويعزي ويقود ويساعد ، إن أعمالًا كهذه ، لا يمكن أن يقوم بها إلا من كان شخصًا . كما أنه يتأثر بالأعمال البشرية ، فهو يحزن ويقاوم .. ولا يمكن أن يتأثر بأعمال الآخرين إلا الشخص الذي يُسمع ويُرى [2] .

مناقشة دعوى الانبثاق والحلول :

يعتقد النصارى أن اللّه الواحد ذو قدرة على الانبثاق – أي الصدور – من غير أن يخسر وحدانيته ، لأنه ليس شخصية مادية واحدة ، لكنه كيان روحي واحد ، مثلث الأقانيم .

ويقصد الأرثوذكس بذلك أن اللّه الواحد ، مر في ثلاث مراحل ، المرحلة الأولى قبل تجسده ، وهي كونه الأب ، والثانية بعد تجسده ، وهي كونه الابن ، والثالثة هي الروح القدس . فالأقنوم عندهم مرحلة من المراحل الثلاث ، كما سلف .

أما الكاثوليك فيعتقدون أن ثلاثة الأقانيم التي في اللاهوت أزلية ، تجلس على عرش واحد بصورة دائمة منذ الأزل ، وهي واحدة في الجوهر ، لأنها ذات إلهية واحدة ، مثلثة الأقانيم ، كما أنه لا يفقد وحدانيته عندما يذهب أقنوم من أقانيمه في نشاط خارج العرش ، ومع ذلك يعتقدون أن كل أقنوم متميز عن غيره في شخصيته كما سلف .

---

(1) إظهار الحق 283/2 ، مواجهة صريحة ص 18 ، دراسة لموريس ص 127-129 .

(2) في كتابه هذه عقائدنا ص 120-121 .

وإن العاقل ليتساءل : إذا كانت الأقانيم في رأي الأرثوذكس مراحل تمر ، فمن بقي على العرش عندما تجسد في الابن ؟ ومن بقي على العرش عندما حل في التلاميذ ؟ وهل يليق بالله أن يمكث في الرحم ، ثم يولد مع المشيمة ، ويخرج من مكان ضيق قذر ؟ أو يليق به أن يجوع ويأكل الطعام ويُحدث الحدث ؟ إلى غير ذلك من الصفات التي يتمنى الإنسان ألا يكون متصفًا بها ؛ لأنها من سمات الضعف والنقص .

وإذا كانت الأقانيم في رأي الكاثوليك متميزة وأزلية ، فلم وقفت عند هذا الحد ، ولم تزدد مع حاجة الناس إليها ؟

وإذا كان الأقنوم الثاني وهو الابن ، قد انبثق من الأول ، وهو الأب ، فهل انبثق بقوة الأب ، أو بقوة الروح القدس ، أو بقوته هو ، أو بقوة الثلاثة معًا ؟

ويزعمون أن الروح القدس ، انبثق من الأب والابن معًا ، والسؤال يطرح نفسه : لمَ لم ينبثق من الأب وحده ؟ وهل انبثق بقوة ذاته ، أو بقوتهما معًا ؟

فإذا كان الانبثاق كله بقوة الأول ، ومنه فقط ، فالله واحد ، والأقنومان الآخران لا حول لهما ولا قوة إلا بالله . وإن كان بقوة الثلاثة معًا ، فقول الأرثوذكس أقرب إلى الصواب ، لكن التثليث باطل ، ولا فائدة منه ؛ لأنهم قبل الانبثاق كانوا واحدًا ، فمتى حدث الانبثاق ؟

جاء في حواشي الكتاب المقدس [1] بصدد تفسير ما جاء في يوحنا 30/10-38 « كيف تتهموني بأني أجدف إذا قلت أنا ابن الله مع أني كلمة الله ، وقد قدسني منذ الأزل ، لأني بأخذي ذاتي منه في ميلادي الأزلي قد أخذت كمال القداسة ، وقد أرسلني مخلصًا للعالم » . إذا هو أخذ ذاته من الأب ، فلم احتاج إلى تقديسه وإرساله له ؟!

مناقشة فكرة الثالوث :

يعتقد النصارى أن الله سبحانه واحد في ثلاثة ، وثلاثة هي واحد ، مع أن كلمة (الثالوث) لا وجود لها في أسفار العهد القديم البتة ، غير أنهم يزعمون أنها لمحت إليها ، ثم ظهرت جلية في العهد الجديد .

---

(1) ص 481 .

وإن الباحث ليتساءل إذا كانت هذه صفة اللّه حقيقة ، وقد أثبتها لنفسه ، فلمَ لم تذكر بصراحة ووضوح في العهد القديم ، ولو بدون تفصيل ، كما ذكرت سائر الصفات ؟

وهل كان الأنبياء السابقون لا يعرفونها ؟ أو عرفوها وكتموها ؟

فإن كانوا لا يعرفونها ، فكيف تخفى عليهم – وفيهم إبراهيم ويعقوب ويوسف وموسى وسليمان – ثم تظهر لبولس بتفاصيلها ؟

وإن كانوا يعرفونها ، فلمَ لم يخبروا قومهم بصراحة ، ولو بدون التعرض إلى النزول والحلول في الجسد ونحو ذلك مما فيه تفصيل ؟ وما الحكمة من كتمانها وعدم ذكرها في الأسفار ، مع أنها هامة جدًّا ؛ لأنها تتعلق بذات اللّه ، وسوف ينبني عليها عقائد ؟

إن الحكمة تقتضي ذكرها بصراحة تامة في العهد القديم ، ولو بدون تفصيل ، إذا كانت حقيقة ، ليتناقلها من جيل إلى جيل ، فتثبت في أذهانهم ، وتكون بمثابة التمهيد لمجيء المسيح وتفصيلها في العهد الجديد .

أما ادعاؤهم أن العهد القديم لمح إليها ، فمعناه أنهم يلوون أعناق النصوص ، ليُحَمِّلوها من المعاني ما لا تحتمل ، لأن كثيرًا من النصوص في العهد القديم وفي الجديد ، تنص صراحة على الوحدانية ونفي المماثلة . ومن ذلك ما يلي :

تثنية 35/4 : إنك قد أريت لتعلم أن الرب هو الإله ، ليس آخر سواه .

4/6 : اسمع يا إسرائيل ، الرب إلهنا رب واحد .

29/32 : أنا أنا هو ، وليس إله معي . 26/33 : ليس مثل اللّه يا يشورون .

صموئيل الثاني 22/7 : لذلك قد عظُمتَ أيها الرب الإله ، لأنه ليس مثلك ، وليس إله غيرك .

الملوك الأول 60/8 : ليعلمَ كل شعوب الأرض أن الرب هو اللّه ، وليس آخر .

الملوك الثاني 15/19 : وصلى حَزَقِيّا أمام الرب وقال : أيها الرب إله إسرائيل ، أنت هو الإله وحدك .

19/19 : أيها الرب إلهنا ، خلصنا من يده ، فتعلم ممالك الأرض كلها أنك أنت الرب الإله وحدك .

أخبار الأيام الأول 20/17 : يا رب ؛ ليس مثلك ، ولا إله غيرك .

نَحَمْيا 6/9 : أنت هو الرب وحدك .

أيوب 32/9 : لأنه ليس هو إنسانًا مثلي فأجاوبه .

المزامير 31/18 : لأنه من هو إله غير الرب .

19/71 : يا ألله من مثلك .

إشَعْياء 16/37 : يا رب الجنود إله إسرائيل ، أنت هو الإله وحدك لكل ممالك الأرض .

18/40 : فيمن تشبهون اللّه ، وأيَّ شبه تعادلون بهِ ؟

6/44 : هكذا يقول الرب : أنا الأول وأنا الآخر ، ولا إله غيري .

5/45 : أنا الرب ، وليس آخر ، لا إله سواي .

إنجيل مرقس 29/12-30 : فأجاب يسوع : الوصية الأولى هي : اسمع يا إسرائيل ، الرب إلهنا هو الرب الأحد ، فأحب الرب إلهك بكل قلبك وكل نفسك وكل فكرك وكل قدرتك .

32/12 : فقال له معلم الشريعة : أحسنت يا معلم ، فأنت على حق في قولك إن اللّه واحد ، ولا إله إلا هو .

فهذه النصوص تثبت أن اللّه واحد لا شريك ولا مثيل له ، فكيف يقول الكاثوليك : الأب غير الابن ، والابن غير الأب ، والروح القدس غيرهما ، ولكل منهم مشيئة ، ومع ذلك هم شيء واحد في الذات والجوهر والقدرة والحكمة ؟!

مناقشة دعوى ابن اللّه الوحيد :

يعتقد اليهود والنصارى أنهم جميعًا أبناء اللّه وأحباؤه ، وهم إنما يريدون الانتساب على جهة فعل الخير ، على عكس أبناء الشيطان فاعلي الشرور . وقد صرحوا بذلك مع نفي المثيل والشبيه لرب العالمين . وقد لقب داود - عليه السلام - ابن اللّه . أي سبيل المحبة والقرب من اللّه .

وفي متى 9/5 : هنيئًا لصانعي السلام ، لأنهم أبناء اللّه يدعون .

يوحنا 12/1 : أما الذين قبلوه ، المؤمنون باسمه ، فأعطاهم سلطانًا ، أن يصيروا أبناء اللّه .

والخلاف بين اليهود والنصارى إنما هو في مدلول (ابن اللّه الوحيد) .

ويعتقد النصارى أن هذا اللفظ لا يطلق إلا على الأقنوم الثاني ، وهو المسيح ابن مريم . ومع ذلك يختلفون في التعبير عنه تبعًا لعقيدة كل طائفة ، فالكاثوليك والبروتستانت يترجمون لفظ الابن الوحيد إلى اللغة الإنكليزية بـ (بِجُتِن – BEGOTTEN) ، وهذا اللفظ يدل على الولادة الطبيعية ، لأنهم يعتقدون أن المسيح إله من الآلهة الثلاثة ، وهو منفصل عن الأب .

ويترجم الأرثوذكس لفظ الابن الوحيد ، بـ (صن أو نلي) –

لأنهم لا يعتقدون أن عيسى ابن طبيعي ، وإنما يعتقدون أنه اللّه رب العالمين . فلفظ الابن عندهم مجاز [1] .

وقد رد اللّه تعالى عليهم بقوله سبحانه : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ ﴾ [البقرة / 116] .

التثليث عقيدة وثنية قديمة :

لقد أصبح من المؤكد لدى الباحثين أن عقيدة التثليث التي طرأت على الديانة التي أرسل بها عيسى – عليه السلام – كان لها وجود في بعض الديانات الوثنية القديمة ، كالمصرية والهندية والبوذية .

قال موريس في كتابه (الآثار الهندية القديمة) [2] : كان عند أكثر الأمم البائدة الوثنية تعاليم دينية ، جاء فيها القول باللاهوت الثلاثي .

وجاء في كتاب (سكان أوربا الأول) [3] : كان الوثنيون القدماء ، يعتقدون بأن الإله واحد ، لكنه ذو ثلاثة أقانيم .

التثليث عند الهنود :

قال العلامة (دوان) في كتابه (خرافات التوراة وما يماثلها في الديانات الأخرى) [4] : إذا أرجعنا البصر نحو الهند نرى أن أعظم وأشهر عباداتهم اللاهوتية هو التثليث ،

---

(1) حقيقة النصرانية ص 189 .

(2) 35/6 عن كتاب العقائد الوثنية في الديانة النصرانية .

(3) ص 197 المرجع السابق .

(4) ص 366 ، المرجع السابق ص 19-21 .

ويدعون هذا التعليم بلغتهم (تري مورتي) ، وهما كلمتان سَنْسِكْرِيّتان ، معناهما ثلاث هيئات ، وهي (برهمة) أي الرب ، ويمثل مبادئ التكوين والخلق ، و (فشنو) أي المخلص ، ويمثل مبادئ الحماية ، و (سيفا) أي المهلك والمبدئ والمعيد ، ويدعونه أيضًا (كرشنا) أي الروح العظيم ، وهم يعبرون عنه بصورة حمامة . وفي كتبهم المقدسة أن هذا الثالوث غير منقسم في الجوهر والفعل والامتزاج .

وقال المستر (هلسلي) في كتابه (الإيمان والعقل) [1] : يعتقد الهنود بإله مثلث الأقانيم ، وإذا أرادوا التكلم عنه بصفة الخلاف قالوا : الإله (برهمة) ، وبصفة المهلك قالوا : سيفا أو مهديفا ، وبصفة الحافظ قالوا : الإله (فشنو) .

وقال العلامة موريس في كتابه (الآثار الهندية القديمة) [2] : لقد وجدنا بأنقاض هيكل قديم صنمًا له ثلاثة رءوس على جسد واحد ، والمقصود منه التعبير عن الثالوث ، وهو في أحد معارض الهند .

التثليث عند البوذيين :

قال العلامة (داون) [3] : البوذيون هم أكثر سكان الصين واليابان ، ويعبدون إلهًا مثلث الأقانيم ، يسمونه الثالوث النقي (فو) ، ويصورونه في هياكلهم بشكل الأصنام التي وجدت في الهند ، ويقولون أيضًا : (فو) واحد ، لكنه ذو ثلاثة أشكال ، وفي أحد المعابد المختصة ببوتالا في منشوريا يوجد تمثال لـ (فو) مثلث الأقانيم .

وقال دوان أيضًا : إن أنصار الفيلسوف الصيني المشهور (لأوكومتذا) الذي كان قبل المسيح بـ (604) سنوات ، يعبدون إلهًا مثلث الأقانيم يسمونه (تاوو) ، وأساس هذه اللاهوتية أن (تاوو) وهو العقل الأبدي ، انبثق منه واحد ، ثم من الواحد انبثق ثان ، ومن الثاني انبثق ثالث ، ومن هذه الثلاثة صدر كل شيء .

التثليث عند المصريين :

كان المصريون القدماء يعبدون إلهًا مثلث الأقانيم ، فقد كان لكل مدينة هامة من مدنهم ثالوث من الآلهة ، تختص بعبادته ، ومن ذلك ثالوث (طيبة) ويتكون من

---

(1) ص 78 ، المرجع السابق ص 24-25 .
(2) 372/4 المرجع السابق ص 22 .
(3) ص 372 ، المرجع السابق ص 23 .

(آمون) الأب ، و (مون) الأم ، و (خنسو) الابن ، وثالوث (أبيدوس) ، ويتألف من (أوزوريس) الأب ، و (إيزيس) الأم ، و (حوريس) الابن ، وهم يعتقدون أن الثلاثة يعملون معًا .

ويرجح العلماء أن الرمز المصور في أقدم هياكلهم من جناح طير ووكر وأفعى ، ما هو إلا إشارة إلى ذلك الثالوث واختلاف صفاته [1] .

قال دوان [2] : كان كهنة هيكل منفيس بمصر يعبرون عن الثالوث المقدس للمبتدئين ، بأن الأول خلق الثاني ، والثاني مع الأول خلقا الثالث ، وبذلك تم الثالوث المقدس .

التثليث عند اليونان :

كان اليونانيون القدماء يقولون بإله مثلث الأقانيم ، وكان رجال دينهم إذا شرعوا بتقديم الذبائح يرشون المذبح بالماء المقدس ثلاث مرات ، ويرشّون أيضًا المجتمعين حول المذبح ثلاث مرات ، ويأخذون البخور بثلاث أصابع [3] .

وهذا التعليم الثالوثي عندهم أصله من مصر ، فإن فيثاغورس وهيركلتوس وبلاتو أخذوا فلسفتهم في التثليث عن أورفيوس أحد الكتاب والشعراء اليونانيين الذين كانوا قبل المسيح بعدة قرون . ومن أقواله : كل الأشياء عملها الإله الواحد مثلث الأقانيم والأسماء [4] .

---

(1) العقائد الوثنية ص 24 ، تاريخ الأقباط 36/1 ، 37 .

(2) في كتابه ص 473 ، منه ص 26 .

(3) العقائد الوثنية ص 29 اقتباسًا عن ترقي الأفكار الدينية 307/1 .

(4) العقائد الوثنية ص 29 .

الخطيئة والتوبة

الخطيئة :

خلق اللّٰه سبحانه آدم وحواء ، وأسكنهما الجنة ، يتمتعون بما فيها من نعم كثيرة ، غير أنه سبحانه لحكمة أرادها ، نهاهما عن الأكل من شجرة عيّنها لهما ، بيد أن الشيطان ما زال يغويهما حتى أكلا منها ، ووقعا في الخطيئة ، فعاتبهما اللّٰه عز وجل على ذلك . ندم آدم وتاب إلى اللّٰه سبحانه ، وقبل اللّٰه توبته ، فلم يعاقبه ، غير أنه أخرجه مع زوجه حواء من الجنة ، وأسكنهما في الأرض التي فيها كد وتعب وامتحان وابتلاء ، لفترة مؤقتة ، ثم حساب وجزاء .

قال تعالى : ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة / 35-39] .

وقال سبحانه : ﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴾ [الأعراف / 19-25] .

وفي الحياة تعب وكد وابتلاء وهموم وأكدار من الحمل والولادة ، فالمعيشة وما فيها من فتن ومصائب ، غير أن باب التوبة مفتوح للتائبين ، ولو أسرفوا على أنفسهم ، ثم الموت والحساب والجزاء . قال سبحانه : ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ

عَمَلاًۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ﴾ [الملك / 2] .

الصلب والفداء :

يرى النصارى أن آدم خالف أمر اللّه ، وأكل تحت تأثير زوجته من الشجرة التي نهاهما اللّه عنها ، فسقط من علياء مركزه وحالته السعيدة ، جالبًا الخراب ليس لذاته فحسب ، بل للجنس البشري كله ، ولما كانت خطيئته هي مخافة ناموس اللّه القدوس ، فهي شيء فظيع جدًّا ، وبما أنه أب للجنس البشري كله ، فإن خطيئته تتعداه إلى نسله ؛ لأنهم ورثة لطبيعته الساقطة ، فهم لا يزالون يحملون طبيعة أبيهم الفاسدة جيلًا بعد جيل . وكان أمام اللّه ثلاثة سبل تجاه تلك الخطيئة الفظيعة : إما أن يدين الجنس البشري بكامله بلا رحمة ، وإما أن يخلص الجنس البشري كله برحمة واسعة ، وإما أن يمنح الذين يتوبون ويرجعون إليه طريقًا للخلاص . وكان السبيل الأخير هو السبيل الأوحد للإله العادل المحب ، ومن أجل ذلك طرد آدم وحواء من الجنة إلى الأرض التي خلق آدم من ترابها ، ليعملا فيها ويكدا ويتعبا مع ذريتهما ، من الحمل إلى الولادة ، فالمعيشة وما فيها من عناء ، ثم الموت ، لكنه يسر لهم طريق الخلاص ، حيث وعد بإرسال ابنه المسيح إلى العالم ، ليفدي الإنسان من الخطية بموته الكفاري على الصليب ، ويخلصه أيضًا من جميع خطاياه [(1)] .

جاء في رومية 5/12-16 : والخطيئة دخلت في العالم بإنسان واحد ، وبالخطيئة دخل الموت وسرى إلى جميع البشر . ولكن هبة اللّه غير خطيئة آدم .

فهي تعلن أن الكل خطاة أمام اللّه ، فكيف يستطيع اللّه أن يخلص أي إنسان ، ويتمسك ببره ، ويعضد ناموسه [(2)] ؟

إن صلب المسيح هو الجواب ، لأنه لابد أن يتحمل ذلك شخص بريء كامل ، وهذا الشخص هو يسوع ، فكانت السماء تعد العدة لتجسده من أجل أن يموت على الصليب بدل الخاطئ [(3)] .

جاء في رومية 5/6-10 : ولما كنا ضعفاء ، مات المسيح من أجل الخاطئين في الوقت الذي حدده اللّه .. ولكن اللّه برهن عن محبته لنا بأن مات المسيح من أجلنا ، ونحن

---

(1) هذه عقائدنا ص 44 و 45 و 57-58 و 70 و 80 . (2) هذه عقائدنا ص 89 .
(3) ملامح الألوهية ص 55 .

بعد خاطئون .. وإذا كان اللّه صالحنا بموت ابنه ، ونحن أعداؤه ، فكان بالأولى أن نخلص بحياته ، ونحن متصالحون .

إن الصلب والصليب تكميل اللاهوت للخليقة التي أبدعها ، فإن الخطيئة والتعدي الذي لحق بالخليقة أديا إلى أن يلاقي شخص الخالق العمل الذي بدأه في تكميل أدبي وروحي عظيم من خلال الصليب . إن نقل الإنسانية من حالة السقوط إلى حالة الاكتمال الروحي ، أدت إلى أن يدفع ثمن الخطيئة شخصية لاهوتية ذات وزن كبير ، وهي شخصية ابن اللّه خالق الإنسان . وما كان غير الخالق يستطيع أن يجلس على الصليب ، ويدفع ثمن الخطية ، فشرود الخليقة أدى أن يعصب الخالق نفسه من جراحاته .

إن وصول أقنوم من الأقانيم الثلاثة إلى الأرض دليل على كون الإنسان موضوع المحبة الإلهية والمسيح أقنوم الإنس الأزلي ، وهو خالق الإنسان ، لأن أقنوم الحكمة تجسد لكي يفدي الإنسان الذي شوهته الخطيئة البشرية ، ويموت على خشبة الصليب ، كإنسان كامل بلا خطية .

إن اللّه لا يقبل أن يموت ابنه على الصليب لو لم يكن لديه موافقة ضمنية على ذلك ، ولو لم يكن ذلك الموت تتميمًا لمشورته الأزلية قبل خلق العالم . فالتجسد خطة أزلية قبلها المسيح ، وقبل شروطها ، وقبل تضحياتها الكثيرة .

لقد ترك المسيح كل ما يملك فوق العرش من مجد وتسبيح تقوم به الملائكة ، وحضر إلى الأرض من أجل الإنسان المحبوب . لقد دفع فيه ثمنًا باهظًا ، وهو دمه الكريم [1] .

لقد ظهرت عدة نظريات عن الفداء ، لكن تعليم الكتاب الواضح هو أن موت المسيح كان بديلًا ، فقد جعل يسوع العالم في قلبه عندما مضى إلى الصليب ، وحل محل الإنسان أمام ناموس اللّه ، وتألم نيابة عنه . إن العمل الرئيس الذي نزل من أجله المسيح هو الصليب والفداء ؛ إذ بدونه لا ضرورة لوجود اللاهوت في وسطنا ، لأنه يقدر أن يعمل في وسطنا كل شيء دون حضوره الشخصي ، ماعدا الصليب ، ففي الصليب دفع ديوننا الكثيرة ، وخطا خطوة بر عنا جميعًا ، وصالحنا بالأب السماوي . وهذا يدل على أهمية هذا المخلوق الموضوع فوق الأرض [2] .

(1) ملامح الألوهية ص 55-57 ، أقنوم الحق ص 15 و 56-57 و 74-75 .

(2) هذه عقائدنا ص 70-71 و 89-90 . وانظر كورنتوس الثانية 21/5 وغلاطية 13/3 وبطرس الثانية 24/2 والعبرانيين 9/2 ويوحنا الثانية 2/2 .

كان انتظار العالم يدور حول مجيء الفادي ، وكان موت المسيح على الصليب مطلبًا قويًا لجميع الأنبياء طال انتظاره ، فقد دخل المسيح بعد صلبه وقيامته إلى الجحيم وأخرج الأنبياء والصالحين ، ومكث هناك ثلاثة أيام ، فأكملت القيامة عمل الصلب ، لأن القتل كان فداء عن خطايا آدم وبنيه إلى مجيء المسيح ، وعن كل من يؤمن به بعد مجيئه .

وقد بقي بعد قيامته أربعين يومًا على الأرض ، يظهر فيها لرسله بين الفينة والفينة ، ثم صعد إلى السماء ، حيث جلس عن يمين الله [1] .

جاء في العبرانيين 12/10 : وأما المسيح ، فقدم إلى الأبد ذبيحة واحدة كفارة للخطايا ، ثم جلس عن يمين الله .

مناقشة فكرة الصلب والفداء :

يعتقد النصارى أن صلب المسيح أكبر جريمة في تاريخ الدهور ، ومع ذلك فقد كان أسمى بيان لمحبة الله ، فالمسيح صار ملعونًا من أجل هذه المهمة [2] .

جاء في غلاطية 13/3-14 : والمسيح حررنا من لعنة الشريعة (الناموس) بأن صار لعنة من أجلنا ، فالكتاب يقول : ملعون كل من مات معلقًا على خشبة . وهذا ما فعله المسيح لتصير فيه بركة إبراهيم إلى غير اليهود .

وفي إنجيل يوحنا 16/3 : هكذا أحب الله العالم حتى وهب ابنه الوحيد ، فلا يهلك كل من يؤمن به ، بل تكون له الحياة الأبدية .

إن موت المسيح وقيامته يؤلفان قلب الإنجيل الذي جاء به بولس . فهو الذي غير نسب المسيح من هارون إلى داود ، لأن العبرانيين يزعمون أن المسيح المنتظر ، سيكون من سبط يهوذا من نسل داود ، فغير نسبه ليقول إنه المسيح الموعود ، وليس غيره ، وجعله إلهًا تجسد ثم صلب من أجل خلاص العالم ، وبهذا يضمن لدعوته مجالًا يتحرك بها في الأمبراطورية الرومانية بين الشعوب الخاضعة لدولتهم ، ويفسح المجال لأمل اليهود في مسيح منتظر بعد عيسى [3] .

---

(1) هذه عقائدنا ص 92 و 94 ، ملامح الألوهية ص 55-56 ، إظهار الحق 240/2-241 ، تحفة الأريب ص 135 .

(2) هذه عقائدنا ص 88 .

(3) هذه عقائدنا ص 92 ، حقيقة النصرانية ص 104 و 109 .

جاء في رسالته إلى رومية 3/21-26 : ولكن الآن ظهر كيف يبرر اللّه البشر من دون الشريعة ، فهو يبررهم بالإيمان بيسوع المسيح ، ولا فرق بين البشر ، فهم كلهم خطِئوا وحرموا مجد اللّه ، ولكن اللّه بررهم مجانًا بنعمته بيسوع المسيح الذي افتداهم ، والذي جعله اللّه كفارة في دمه لكل من يؤمن به ، واللّه فعل ذلك ليظهر بره ، فإذا كان تغاضى بصبره عن الخطايا الماضية ، فهو في الزمن الحاضر يظهر بره ليكون بارًّا ، ويبرر كل من يؤمن بيسوع .

ولترَ الآن ، ما حقيقة هذه الخطيئة ، وما مدى سريانها في البشر ، علنا نتلمس الحكمة من القتل والصلب ، وعدم الاكتفاء بالتوبة .

يزعمون أن المسيح صلب ليكفر الخطيئة الأزلية (PECHE ORIGINEL) وهي التي ارتكبها آدم حينما أكل من الشجرة ، وانتقلت بطريق الوراثة إلى جميع نسله ، وكانت ستظل عالقة بهم إلى يوم يبعثون ، لولا أن افتداهم المسيح بدمه .

وزعموا أنه كان أمام اللّه ثلاثة سبل تجاه تلك الخطيئة : إما أن يدين الجنس البشري بكامله بلا رحمة ، وإما أن يخلص الجنس البشري كله برحمة واسعة ، وإما أن يمنح الذين يتوبون طريق الخلاص ، وكان السبيل الأخير هو السبيل الأوحد للإله العادل المحب .

إذًا ، فالمخطئ هو آدم وزوجته ، وليس الأولاد ، ومن العجيب أنهم يصفون اللّه بالعدل ، ثم يقولون : إن خطيئة آدم تتعداه إلى نسله ، لأنهم ورثة لطبيعته الساقطة ! مع أن هذا الادعاء مخالف للحق والعدل ، ولنصوص كتابهم المقدس .

ففي سفر التثنية 24/16 : لا يقتل الآباء عن الأولاد ، ولا يقتل الأولاد عن الآباء ، كل إنسان بخطيئته يقتل .

وفي حزقيال 18/20 : النفس التي تخطئ هي تموت ، الابن لا يحمل من إثم الأب ، والأب لا يحمل من إثم الابن . بر البار عليه يكون ، وشر الشرير عليه يكون . فإذا رجع الشرير عن جميع خطاياه التي فعلها ، وحفظ كل فرائضي ، وفعل حقًّا وعدلًا ، فحياة يحيا ، لا يموت ، هل مسرّةً أُسَر بموت الشرير ؟ يقول الرب . ألا برجوعه عن طريقه فيحيا .

وقد ندم آدم وتاب مع زوجه ، فسُرَّ اللّه بتوبته وأهبطه إلى الأرض وأبقاه حيًّا . وكذلك أولاده من بعده ، كل امرئ منهم بما كسب رهين ، وباب التوبة مفتوح ، ورحمة اللّه واسعة .

وليس في أربعة الأناجيل نص واحد يقول فيه المسيح إنه قتل من أجل خطيئة آدم التي انتقلت إلى ذريته من بعده .

ومما يدل على بطلان فكرة الصلب والفداء ما جاء في متى 16/19 - 21 ومرقس 17/10 - 21 ولوقا 18/18 - 22 : وأقبل إليه شاب وقال له : أيها المعلم الصالح ، ماذا أعمل من الخير لأنال الحياة الأبدية ؟ فأجابه يسوع : لماذا تدعوني صالحاً ؟ لا صالح إلا اللّه وحده . إذا أردت أن تدخل الحياة ، فاعمل بالوصايا . قال له : أي وصايا ؟ فقال يسوع : لا تقتل ، لا تزن ، لا تسرق ، لا تشهد بالزور ، أكرم أباك وأمك ، أحب قريبك مثل ما تحب نفسك . فقال له الشاب : من أيام صباي عملت بهذه الوصايا كلها ، فماذا يعوزني ؟ أجابه يسوع : إذا أردت أن تكون كاملًا ، فاذهب وبع ما تملكه ، ووزع ثمنه على الفقراء ، فيكون لك كنز في السموات ، وتعالى اتبعني .

فقد طلب منه إطاعة أوامر اللّه فقط ، ولم يذكر له أي شيء عن سفك دم أو صلب ، ولو بصورة مجملة ، وأقصى ما طلبه منه أن يتصدق بأمواله على الفقراء ، ويلازمه ليتعلم منه . فلم أعطاه ذلك الجواب ، وهو يهودي يؤمن بالعهد القديم ؟!

مناقشة ادعاء الصلب :

من تأمل الروايات المذكورة في أربعة الأناجيل عن الصلب والمصلوب ، وجد بينها تناقضًا بينًا واختلافًا كبيرًا في سردها لتلك الحادثة ، منذ القبض على الرجل وحبسه ، ثم محاكمته وصلبه ، ثم قيامته من قبره ، إلى لقائه بأصحابه . وأبرز ذلك النقاط التالية :

1 - هل عين المسيح من يخونه ويسلمه ؟

2 - اختلافها في صفة القبض على الرجل .

3 - اختلافها في رواية إنكار بطرس وصياح الديك .

4 - متى كان المصلوب فوق الصليب .

5 - موت المصلوب ودفنه وقيامته من قبره [1] .

ولا شك أن ذلك الاختلاف الذي لا يمكن التوفيق بين متناقضه ، يجعل الريب

(1) انظر تفصيل ذلك في كتابي (الكتب السماوية وشروط صحتها) ص 476-496 .

محيطًا بتلك الأناجيل من كل جانب لدى القارئ الواعي الخالي الذهن .

والنتيجة العقلية المستفادة من التدقيق في نصوص الأناجيل جميعها ، سواء كان معترفًا بها لدى الكنيسة أو لا ، هي أن شخصًا ما قد صلب حقيقة ، لكنه غير المسيح – عليه السلام – على وجه القطع واليقين ، وهو من أُلقي عليه شبه المسيح ، فوقع الالتباس ، وظن الناس أنه المسيح ؛ لأن المكلفين بالقبض عليه ما كانوا يعرفونه بشكل جيد ، وكان الوقت ليلًا ، بدليل حملهم المصابيح . ويدعم ذلك إجابة المقبوض عليه لدى التحقيق وحيرته واضطرابه وسكوته اليائس ، ولا سيما لما سألوه : إن كنت المسيح فأخبرنا . أءنت ملك اليهود ؟ ويؤكد ذلك ظهور المصلوب بمظهر الضعف والذل ، إذ من المستحيل أن تصدر تلك التصرفات من ابن اللّه الذي خطط لنفسه أن يصلب فداء للبشرية ، بل الرجل الجلد يترفع عنها .

– قال المفكر بتراند راسل [1] : كانت طائفة الروسيين المشبهين قد ذهبوا إلى أن المسيح لم يكن هو الذي صلب ، بل بديل شبه به .

– وجاء في إنجيل برنابا 12/11-17 : بل أقول لك : إنني لو لم أُدع إلهًا ، لكنت حملت إلى الجنة عندما أنصرف من العالم ، أما الآن ، فلا أذهب إلى هناك حتى الدينونة ، وعليه فإني على يقين من أن من يبيعني يقتل باسمي ؛ لأن اللّه سيصعدني من الأرض ، وسيغير منظر الخائن ، حتى يظنه كل أحد إياي ، ومع ذلك ، فإنه لما يموت شرَّ ميتة ، أمكث في ذلك العار زمنًا طويلًا في العالم ، ولكن متى جاء محمد رسول اللّه المقدس ﷺ تزال عني هذه الوصمة .

– وقال سبحانه عن اليهود ﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء / 156-158] .

عن مجاهد قال : صلبوا رجلًا غير عيسى ، شبهوه بعيسى ، يحسبونه إياه ، ورفع اللّه إليه عيسى حيًّا [أخرجه ابن جرير في تفسيره] [2] .

ومن الجدير بالذكر أن تصور خلاص البشر بوساطة تقديم أحد الآلهة ذبيحة فداء عن

---

(1) في كتابه حكمة الغرب ص 242 .

(2) 21/6 ، وانظر الدر المنثور 238/2 .

الخطيئة من معتقدات الوثنيين القدماء :

فالهنود كانت لديهم هذه الفكرة :

قال لبي هوك [1] : يعتقد الهنود الوثنيون بتجسد أحد الآلهة ، وتقديم نفسه ذبيحة ، فداء للناس من الخطيئة .

وقال دوان : يعتقد الهنود أن كرشنة المولود البكر – وهو الإله فشنو نفسه – تحرك حنوًّا كي يخلص الأرض من ثقل حملها ، فأتاها وخلص الإنسان بتقديم نفسه ذبيحة عنه .

وهم يصورون كرشنة مثقوب اليدين والرجلين وهو مصلوب ، وعلى قميصه قلب الإنسان معلقًا ، وعلى رأسه إكليل من الذهب .

وقال القس جورج كوكس [2] : يصف الهنود كرشنة بالبطل الوديع المملوء لاهوتًا ، لأنه قدم شخصه ذبيحة . ويقولون : إن هذا العمل لا يقدر عليه سواه .

وفي جنوب الهند وتنجور يعبدون إلهًا إسمه (بالي) ، ويعتقدون أنه (فشنو) وقد تجسد وصلب ، ويصورونه مثقوب الجنب واليدين .

وكتاب الركفدا يمثل الآلهة ، وهم يقدمون الذكر الأول (بروشا) قربانًا [3] .

– **وفي بلاد النيبال** والتيبت يعتقد الناس أن الإله (أندرا) سفك دمه بالصلب وثقب المسامير كي يخلص البشر من ذنوبهم .

– **والبوذيون** أيضًا يعتقدون أن بوذا إنسان كامل وإله كامل متجسد بالناسوت ، قدم نفسه ذبيحة ليكفر عن ذنوب البشر ، ويخلصهم من العقوبة ، ويجعلهم وارثين ملكوت السماوات ، وهم يطلقون عليه لقب الطبيب العظيم ومخلص العالم والمسيح المولود الوحيد [4] .

قال لبي هوك [5] : إن بوذا في نظر البوذيين إنسان وإله معًا ، نزل وتجسد بالناسوت في هذا العالم ليهدي الناس ويفديهم ، ويبين لهم طريق الأمان ، ويسمونه المخلص .

وقال مكس مولر في كتابه (تاريخ الآداب السنسكريتية) : يزعم البوذيون أن بوذا قال :

---

(1) في كتابه رحلة هوك 326/1 عن العقائد الوثنية ص 37 .

(2) العقائد الوثنية ص 39 .

(3) العقائد الوثنية ص 36-37 .

(4) العقائد الوثنية ص 41-42 ، قصص الأنبياء للنجار ص 433 .

(5) في كتابه رحلة هوك 326/1 عن العقائد الوثنية ص 42 .

دعوا كل الآثام التي ارتكبت في هذا العالم تقع علي ، كي يخلص العالم [1] .

وقال وليمس في كتابه (ديانة الهنود) [2] : والهنود يقولون : من رحمة بوذا أن ترك الفردوس وجاء إلى الدنيا من أجل خطايا بني الإنسان ، كي يخلصهم من ذنوبهم وشقائهم ، ويزيل عنهم القصاص الذي يستحقونه .

- أما المصريون القدماء فكان لهم تأثير قوي في عقائد النصارى ، حتى في الصور المرسومة ؛ فالكثيرون يعتقدون أن صورة العذراء مأخوذة عن صورة (إيزيس) التي كان المصريون يرسمونها وهي تحمل طفلها (حورس) وترضعه [3] .

قال بونيك في كتابه (عقيدة المصريين) [4] : يعد المصريون (أوزوريس) أحد مخلصي الناس ، وأنه بسبب حبه لعمل الصلاح يلاقي اضطهادًا ، وبمقاومته للخطايا يقهر ويقتل .

وقال موري في كتابه (الخرافات) [5] : يحترم المصريون (أوزوريس) ويعدونه أعظم مثال لتقديم النفس ذبيحة ، لينال الناس الحياة .

وهم يذكرون كيفية ظهوره على الأرض وموته وقيامته من بين الأموات ، ويسمونه بالفادي والمخلص ، وإله الحياة والمولود الوحيد ، ويزعمون أنه سيكون ديان الأموات في اليوم الآخر . وقد وجد صليب بأحد الهياكل الخربة في الإسكندرية ، وعليه صورة المخلص المصري [6] .

ولعل ما كتبه أسيوس في أثينا قبل ميلاد المسيح بـ 500 عام من شعر قديم في رواية صلب القراسيوس الهائلة ، وما قاساه ذلك الإله من الآلام من أجل تخليص الناس من آثامهم ، مأخوذ عن روايات قديمة جدًّا ، تعود إلى المصريين وغيرهم [7] .

- وأما الرومان فكانوا يدعون (هركلوس بن زنيس) المخلص ، وقد وجدت نقود منقوش عليها « هيركلوس المخلص » ، وكانوا يدعونه أيضًا الابن الوحيد والكلمة ، ويعتقدون أنه عاد واتحد مع الإله ، وأنه مكون من كل شيء ، وهو أبو الزمان [8] .

---

(1) العقائد الوثنية ص 42 .

(2) ص 124 عن العقائد الوثنية ص 43 .

(3) قصة الحضارة 160/2 .

(4) ص 165 عن العقائد ص 43 .

(5) ص 384 عن العقائد ص 44 .

(6) العقائد ص 47 .

(7) العقائد ص 45-46 .

(8) العقائد ص 47 .

نزول المسيح عليه السلام

يعتقد المسلمون أن عيسى – عليه السلام – رفعه اللّه إلى السماء ، وسوف ينزل في آخر الزمان ، ويحكم بشريعة محمد ﷺ مع اتصافه بالنبوة ، وسوف يقتل الدجال ويدعو إلى الإسلام .

أدلة نزوله :

نزوله ثابت بالكتاب والسنة المتواترة تواترًا معنويًا . ومن ذلك ما يلي :

1 - قال تعالى : ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ۝٥٤ إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوۡقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ﴾ [آل عمران 54 ، 55] .

أشارت الآية إلى أنه معصوم من القتل الذي أراده له اليهود ، وصرحت بأنه سيرفع إلى السماء ، وأشارت إلى نزوله إلى الأرض ووفاته فيها .

2 - وقال سبحانه : ﴿ وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا ﴾ [النساء 159] .

أي إنّ من أهل الكتاب ، من سيؤمن بعيسى – عليه السلام – إيمانًا صحيحًا بعد نزوله من السماء في آخر الزمان قبل موته [1] . فهو الآن لم يمت ، بل رفع إلى السماء ، وسينزل بأمر اللّه في آخر الزمان ويؤمن به أهل الكتاب قبل أن يموت .

● عن أبي هريرة – رضي اللّه عنه – قال : قال رسول اللّه ﷺ : والذي نفسي

---

(1) اختلف المفسرون في عود هذا الضمير : ذهب بعضهم – ومنهم – ابن كثير ، واختاره الطبري – إلى أنه يعود إلى عيسى – عليه السلام – فيكون المعنى : لا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا ويؤمن بعيسى قبل موت عيسى ، عندما ينزل قرب قيام الساعة . وقد جاءت بذلك أحاديث صحيحة . وذهب بعض آخر – وهو اختيار الزمخشري وأبي السعود والجلال في الجلالين – إلى أن الضمير يعود إلى أهل الكتاب ، ويؤيده قراءة أبيّ – رضي اللّه عنه – « قبل موتهم » ، أي ما من أحد من أهل الكتاب إلا ليدرك حقيقة عيسى قبل موته ، وأنه عبد اللّه ورسوله ، فلا تخرج روحه حتى يؤمن به . فهذا فهم ، وذاك فهم ، وكلاهما يدل على أنه لم يقتل ، وقد رفع إلى السماء ، وسوف ينزل بإذن اللّه . وانظر النهاية 93/1-94 و 114 .

روى السيوطي في الدر المنثور عن محمد ابن الحنفية أنه قال : ليس من أهل الكتاب أحد إلا أتته الملائكة يضربون وجهه ودبره ، ثم يقال : يا عدو اللّه ، إن عيسى روح اللّه وكلمته كَذَبْتَ اللّه وزعمت أنه اللّه ، إن عيسى لم يمت ، وأنه رفع إلى السماء ، وهو نازل قبل أن تقوم الساعة . فلا يبقى يهودي ولا نصراني إلا آمن به .

بيده ، ليوشِكنَّ أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا عدلًا فيكسِرُ الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد ، حتى تكون السجدة الواحدة خيرًا من الدنيا وما فيها . ثم يقول أبو هريرة - رضي اللّه عنه - : اقرؤوا إن شئتم : ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾ .. الآية : [أخرجه الشيخان والترمذي وأحمد] .

● وعن ابن عباس - رضي اللّه عنه - قال : قبل موت عيسى [أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم والسيوطي في الدر ، وصححه الحافظ في الفتح وابن كثير في النهاية] .

وفي مستدرك الحاكم وذكره السيوطي في الدر عنه قال : خروج عيسى .

وأخرج ابن جرير والسيوطي في الدر أيضًا عنه أنه قال : يعني أنه سيدركه أناس من أهل الكتاب حين يبعث ، فيؤمنون به .

● وعن قتادة قال : إذا نزل آمنت به الأديان كلها ، ويوم القيامة يكون عليهم شهيدًا أنه قد بلغ رسالة ربه ، وأقر على نفسه بالعبودية . [أخرجه ابن جرير في تفسيره والسيوطي في الدر] .

● وعن الحسن قال : قبل موت عيسى ، إن اللّه رفع عيسى ، وهو باعثه قبل يوم القيامة مقامًا ، يؤمن به البر والفاجر . [أخرجه السيوطي في الدر] .

3- وقال جل جلاله : ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [آل عمران / 45-46] .

4- وقال جل شأنه : ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ﴾ [المائدة 110] .

أشارت الآيتان إلى نزوله ، وذلك بذكرهما أنه يكلم الناس بالدعوة إلى اللّه ، وهو كهل ، وقد رفع إلى السماء وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة على الصحيح ، والكهولة فوق هذه السن [1] .

روى ابن جرير عن أبي زيد قال : كلمهم عيسى - عليه السلام - في المهد ،

---

(1) الكهل : من جاوز الثلاثين وخطه الشيب . وقيل : من جاوز الأربعين .

وسيكلمهم إذا قتل الدجال ، وهو يومئذ كهل .

5 - وقال تقدست أسماؤه : ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾ ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ ﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ [الزخرف / 57 ، 59 ، 61] .

أي إن نزوله علامة على قرب الساعة ، لأن اللّه سبحانه ، ينزله قبلها .

● عن ابن عباس – رضي اللّه عنه – قال : خروج عيسى قبل يوم القيامة . [أخرجه أحمد ، والطبراني وابن حبان بنحوه] . وفي رواية : نزول عيسى .

● عن قتادة قال : نزول عيسى علم للساعة (1) .

6 - عن أبي هريرة – رضي اللّه عنه – قال : قال رسول اللّه ﷺ : لا تقوم الساعة حتى ينزل عيسى ابن مريم حكمًا مقسطًا ، وإمامًا عدلًا ، فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، ويفيض المال ، حتى لا يقبله أحد . [أخرجه الشيخان وأبو داود والترمذي وابن ماجه وأحمد ، واللفظ له] .

7 - وعن جابر بن عبد اللّه – رضي اللّه عنه – قال : قال رسول اللّه ﷺ : لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق إلى يوم القيامة ، فينزل عيسى ، فيقول أميرهم : تعال صل لنا ، فيقول : لا ، إن بعضكم على بعض أمراء ، تكرمة اللّه هذه الأمة . [أخرجه مسلم واللفظ له وأحمد] .

8 - وعن حذيفة بن أَسِيد الغفاري – رضي اللّه عنه – في حديثه السابق : « إنها – أي الساعة – لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات » ، فذكر الدخان والدجال والدابة .. الحديث .

9 - وعن جبير بن نفير قال : قال رسول اللّه ﷺ : ليدركن الدجالُ قومًا مثلكم أو

(1) قرأ الجمهور « وإنه لعِلْم » بكسر العين وسكون اللام – فعبر عنه بالمصدر مبالغة لما يحصل به من علم ، أو لما كان شرطًا يعلم به ذلك ، أطلق عليه لفظ (علم) . ويدل على ذلك قراءتان أخريان غير متواترتين .
وقرأ ابن عباس وأبو هريرة ومجاهد وأبو مالك الغفاري وزيد بن علي وأبو العالية وعكرمة والحسن وقتادة والضحاك وغيرهم « وإنه لعَلَم » – بفتح العين واللام – أي علامة وأمارة على قرب الساعة ، وهي قراءة الأعمش من أصحاب القراءات ، كما في إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر للدمياطي ، وفي تفسير ابن كثير والدر المصون .
وقرأ أبو نضرة وعكرمة كذلك ، إلا أنهما عرفا الكلمة « وإنه لَلْعِلْمُ » أي للعلامة المعروفة . فتكون الآية بقراءتيها ناطقة بأن عيسى علامة على الساعة ، بنزوله قبل قيامها .
وانظر تفسير ابن جرير 4/25 ، الدر المنثور 20/6-21 مجمع الزوائد 104/7 .

خيرًا منكم ، ولن يخزي اللّه أمة أنا أولها ، وعيسى ابن مريم آخرها . [أخرجه الحكيم في نوادره والحاكم في المستدرك] [1] .

صفات المسيح – عليه السلام – :

عن أبي هريرة – رضي اللّه عنه – أن رسول اللّه ﷺ قال عن المسيح – عليه السلام – : ليس بيني وبينه نبي ، وإنه نازل ، فإذا رأيتموه فاعرفوه ، فإنه رجل مربوع ، إلى الحمرة والبياض ، ينزل بين مُمَصَّرتين [2] ، كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل ، فيقاتل الناس على الإسلام .. الحديث . [أخرجه أبو داود وابن ماجه] .

– وعنه – رضي اللّه عنه – قال : قال رسول اللّه ﷺ : الأنبياء إخوة لعلّات ، وأمهاتهم شتى ، ودينهم واحد ، وأنا أولى الناس بعيسى ابن مريم ، لأنه لم يكن بيني وبينه نبي ، وإنه نازل ، فإذا رأيتموه فاعرفوه ، فإنه رجل مربوع ، إلى الحمرة والبياض ، سَبِط [3] ، كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل ، بين ممصرتين .. الحديث . [أخرجه أحمد ، وصححه أحمد شاكر ، وأخرج الحاكم صدره وصححه ، ووافقه الذهبي] .

– وعنه – رضي اللّه عنه – قال في ذكر ليلة أُسري به : .. ولقيت عيسى . ونعته فقال : ربعة أحمر ، كأنما خرج من دَيماس [4] . [أخرجه الشيخان وأحمد والترمذي] .

– وعن النواس بن سمعان – رضي اللّه عنه – في حديثه السابق عن الدجال : .. فبينما هو كذلك ، إذ بعث اللّه المسيح ابن مريم – عليه السلام – فينزل عند المنارة البيضاء ، شرقي دمشق ، بين مهرودتين ، واضعًا كفيه على أجنحة ملكين ، إذا طأطأ رأسه قطر ، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ [5] ، فلا يحل لكافر يجد ريح نَفَسه إلا مات [6] ، ونَفَسه ينتهي حيث ينتهي طرفه .. الحديث . [أخرجه مسلم وأحمد وأبو داود الترمذي

(1) ورواه ابن أبي شيبة من حديث عبد الرحمن بن جبير بعد نفير ، والحديث مرسل لأن جبير بن نفير من التابعين . قال الحافظ : وإسناده حسن [فيض القدير 353/5] .

(2) أي لابس ثوبين ؛ إزار ورداء ، مصبوغين يميلان إلى الصفرة . وهما المهرودتان كما سيأتي . قال ابن الأنباري : والممصرة من الثياب التي بها صفرة يسيرة . شرح مسلم 67/18 .

(3) أي ناعم الشعر مسترسله ، وفي بعض الروايات : جعد ، ويمكن أن يكون هذا باختلاف الأوقات . جاء في فتح الباري 486/6 : يمكن أن يجمع بأنه سبط الشعر ، أجعد الجسم ، أي مكتنز اللحم .

(4) أي حمام . وهو لفظ مذكر ، على وزن فعال . والحميم هو الماء الحار .

(5) أي ينزل في غاية النظافة ، ينحدر من رأسه الماء كحبات اللؤلؤ .

(6) قال القاضي : « أي حق وواجب » فلا يقع لكافر عند ذلك إلا الموت .

وابن ماجه والحاكم في المستدرك] وعند الترمذي : وريح نفسه منتهى بصره .

– وعن ابن عباس – رضي اللّه عنهما – أن رسول اللّه ﷺ قال : ورأيت عيسى ابن مريم ، مربوع الخلق ، إلى الحمرة والبياض ، سَبِط الرأس .. الحديث . [أخرجه الشيخان وأحمد] .

– وعن ابن عمر – رضي اللّه عنه – أن رسول اللّه ﷺ قال : رأيت عيسى وموسى وإبراهيم ، فأما عيسى ، فأحمر جعد عريض الصدر .. الحديث . [أخرجه البخاري] .

– وعنه – رضي اللّه عنه – أن رسول اللّه ﷺ قال : بينما أنا نائم أطوف بالكعبة ، فإذا رجل آدم [1] سَبِط الشعر ، يهادي بين رجلين ، ينطِف – أو يُهراق – رأسه ماء ، فقلت : من هذا ؟ قالوا : ابن مريم ، ثم ذهبت ألتفت .. الحديث . [أخرجه الشيخان ومالك في الموطأ] .

وفي رواية لهم : قال : ذكر رسول اللّه ﷺ يومًا بين ظهراني الناس المسيح الدجال .. وقال : أراني الليلة في المنام عند الكعبة ، فإذا رجل آدم ، كأحسن ما ترى من أدم الرجال ، تضرب لمته منكبيه ، رَجِلُ الشعر ، يقطر رأسه ماء ، واضعًا يديه على منكبي رجلين ، هو بينهما يطوف بالبيت ، فقلت : من هذا ؟ فقالوا : المسيح ابن مريم .. الحديث .

وفي رواية لهما : أُراني الليلة عند الكعبة ، فرأيت رجلًا آدم ، كأحسن ما أنت راءٍ من أُدم الرجال ، سَبِط ينطف .

زاد في رواية : له لمة كأحسن ما أنت راء من اللمم [2] ، قد رجّلها ، فهي تقطر ماء ، متكئا على رجلين – أو على عواتق رجلين – يطوف بالبيت ، فسألت : من هذا ؟ فقيل : هذا المسيح ابن مريم .

وفي رواية : لمته بين منكبيه ، رجل الشعر ، يقطر رأسه ماء .

– وعن جابر بن عبد اللّه – رضي اللّه عنه – أن رسول اللّه ﷺ قال : عُرض علي

---

(1) آدم : أسمر ، والأُدمة : السمرة . قال الحافظ في الفتح 96/13 : زاد في ذكر عيسى من أحاديث الأنبياء عن أحمد ابن محمد بن المكي عن إبراهيم بن سعد إلى ابن عمر – رضي اللّه عنهما – قال : لا واللّه ما قال النبي ﷺ لعيسى أحمر ، ولكن قال : بينما أنا نائم ... الحديث . والذي نفاه ابن عمر في هذه الرواية ، جاء عنه إثباته في رواية مجاهد قال : رأيت عيسى وموسى وإبراهيم ، فأما عيسى ، فأحمر جعد عريض الصدر ا هـ ولذلك قال بعض العلماء : وَهِمَ ابن عمر – رضي اللّه عنهما – في وصف المسيح ، فقد ورد أنه موصوف بالحمرة والبياض . الإشاعة ص 143 .

(2) اللِمة : الشعر المجاوز شحمة الأذن . والجمع لمم ولمام .

الأنبياء .. ورأيت عيسى ابن مريم ، فإذا أقرب من رأيت به شبهًا عروة بن مسعود .. الحديث . [أخرجه مسلم والترمذي] .

- وعن عبد اللّه بن عمرو بن العاص - رضي اللّه عنهما - أن رسول اللّه ﷺ قال : يخرج الدجال في أمتي .. فيبعث اللّه تعالى عيسى ابن مريم ، كأنه عروة بن مسعود [الثقفي] ، فيطلبه فيهلكه .. الحديث . [أخرجه مسلم وأحمد] .

وكان عروة بن مسعود مشهورًا بجمال الطلعة والنظافة وحسن الهيئة .

ومن خلال تلك الأحاديث تتبين صفاته التالية :

1 - ينزل واضعًا كفيه على أجنحة ملكين .

2 - ينزل لابسًا ثوبين ، إزارًا ورداء ، يميل لونهما إلى الصفرة . وهما المهرودتان أو الممصرتان .

3 - قامته معتدلة ، فهو مربوع ، ليس بالطويل ولا بالقصير .

4 - لون بشرته أبيض مشرب بحمرة .

5 - شعر رأسه ناعم مسترسل ، تملأ لمته ما بين منكبيه ، وقد سرحها ، فظهر حسنها .

6 - ينزل في غاية من النظافة ، كأنه خرج من حمام ، يقطر رأسه وإن لم يصبه بلل ، فإذا طأطأه قطر منه الماء ، وإذا رفعه تحدر منه مثل حبات اللؤلؤ .

7 - عريض الصدر . وهذا من كمال الأجسام .

8 - وهو شاب ابن ثلاث وثلاثين ، وهي السن التي رفعه الله عندها .

9 - شبهه النبي ﷺ لأصحابه بعروة بن مسعود ذي البهاء والحسن .

وقت نزوله ومكانه

وقت نزوله :

إذا أوشكت أيام الدجال على الانقضاء ، نزل عيسى – عليه السلام – بأمر اللّه إلى الأرض [1] ، عند صلاة الفجر ، إبان الإقامة ، فيصلى تلك الصلاة خلف المهدي ، تكرمة اللّه هذه الأمة ، ثم يتسلم الأمر منه ، ويصبح المهدي من أصحابه وخواصه المقربين ، نظرًا لشرف النبوة ، ويعملان معًا على محاربة مسيح الضلالة وإعلاء كلمة اللّه .

1 - عن جابر بن عبد اللّه – رضي اللّه عنه – قال : قال رسول اللّه ﷺ : لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة ، فينزل عيسى ، فيقول أميرهم : تعال ، صل لنا ، فيقول : لا ، إن بعضكم على بعض أمراء ، تكرمة اللّه هذه الأمة . [أخرجه مسلم واللفظ له وأحمد] .

2 - وعن أبي هريرة – رضي اللّه عنه – قال : قال رسول اللّه ﷺ : كيف أنت إذا نزل ابن مريم فيكم ، وإمامكم منكم ؟ . [أخرجه مسلم وأحمد وابن ماجه والحاكم وقال : على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي] .

أي كيف يكون فرحكم وسروركم بلقاء هذا النبي الكريم ، وتكرمة اللّه لكم ؟

مكان نزوله :

اتفقت الروايات على أنه ينزل في بلاد الشام ، واختلفت في تحديد المكان .

أ – فقد وردت روايات صحيحة أنه ينزل في دمشق ، منها ما يلي :

1 - عن النواس بن سمعان – رضي اللّه عنه – في حديثه السابق عن الدجال : .. فبينما هو كذلك ، إذ بعث اللّه المسيح ابن مريم ، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق ، بين مهرودتين .. الحديث . [أبو داود] .

2 - عن أوس بن أوس الثقفي – رضي اللّه عنه – قال : قال رسول اللّه ﷺ : ينزل عيسى ابن مريم ، عند المنارة البيضاء ، شرقي دمشق . [أخرجه الطبراني في الكبير والأوسط] [2] .

(1) جاء في فيض القدير 400/5 : وما في الخبر المغربي للباجي من تعيين ذلك ، فشديد الضعف كما نبه القرطبي .

(2) قال الهيثمي « رجاله ثقات » . ورمز السيوطي إلى حسنه قال المناوي في الفيض 465/6 : وأورده البخاري في التاريخ ، والمتقي الهندي في الكنز ، والسيوطي في الدر .

3 - عن كعب الأحبار قال : يهبط المسيح عند القنطرة البيضاء ، على باب دمشق الشرقي ، تحمله غمامة ، واضعًا يديه على منكبي ملكين ، عليه ريطتان ، مؤتزر إحداهما ، مرتد الأخرى ، إذا أكب رأسه قطر منه الجمان . [أخرجه ابن عساكر في التاريخ] .

ب - ووردت روايات أنه ينزل في القدس ، ومنها ما يلي :

1 - عن سمرة بن جندب - رضي اللّه عنه - في حديثه السابق عن الدجال : .. وإنه سيظهر على الأرض كلها إلا الحرم وبيت المقدس ، وإنه يحصر المؤمنين في بيت المقدس ، فيتزلزلون زلزالًا شديدًا ، فيصبح فيهم عيسى ابن مريم ، فيهزمه اللّهُ وجنودَه .. الحديث [أخرجه البخاري وأحمد والترمذي والنسائي والحاكم في المستدرك والبيهقي والطحاوي] .

2 - أثر حذيفة بن أَسِيد - رضي اللّه عنه - السابق عن الدجال : .. فيرد كل منهل ، وتطوى له الأرض طيَّ فروة الكبش ، حتى يأتي المدينة .. ثم جبل إيلياء ، فيحاصر عصابة من المسلمين ، فيقول الذي عليهم : ما تنتظرون بهذا الطاغية أن تقاتلوه حتى تلحقوا باللّه أو يفتح لكم . فيأتمرون أن يقاتلوه إذا أصبحوا ، فيصبحون ومعهم عيسى ابن مريم .. الأثر . [أخرجه الحاكم وصححه ، ووافقه الذهبي] .

وإيلياء هي القدس :

3 - عن أم شريك - رضي اللّه عنها - في حديثها السابق : ليفرن الناس من الدجال ، قلت : يا رسول اللّه ، فأين العرب يومئذ ؟ قال : هم قليل . [أخرجه مسلم والترمذي] .

وأخرجه ابن ماجه من حديث أبي أمامة - رضي اللّه عنه - بزيادة في رواية : فقالت أم شريك بنت أبي العكر : يا رسول اللّه ، فأين العرب يومئذ ؟ قال : هم يومئذ قليل ، وجلهم ببيت المقدس ، وإمامهم رجل صالح ، فبينما إمامهم قد تقدم يصلي بهم الصبح ، إذ نزل عيسى ابن مريم ، فرجع ذلك الإمام ينكص يمشي القهقرى ، ليتقدم عيسى ، فيضع يده بين كتفيه ثم يقول له : تقدم فصل ، فإنها لك أقيمت ، فيصلى بهم إمامهم .. الحديث .

وعند نعيم بن حماد في الفتن [1] عن أبي أمامة الباهلي - رضي اللّه عنه - قال :

---

(1) برقم 1589 ثنا ضمرة بن ربيعة عن يحيى بن أبي عمرو الشيباني عن عمرو بن عبد اللّه الحضرمي عنه رضي اللّه عنه .

ذكر رسول اللّه ﷺ الدجال ، فقالت أم شريك : فأين المسلمون يومئذ يا رسول اللّه ؟ قال : ببيت المقدس ، يخرج حتى يحاصرهم ، وإمام المسلمين يومئذ رجل صالح ، فيقال : صل الصبح ، فإذا كبر ودخل فيها ، نزل عيسى ابن مريم ، فإذا رآه ذلك الرجل عرفه ، فرجع يمشي القهقرى ، فيتقدم عيسى ، فيضع يده بين كتفيه ، ثم يقول : صل ، فإنما أقيمت لك ، فيصلى عيسى وراءه .. الحديث .

4 - عن جابر بن عبد اللّه - رضي اللّه عنه - قال : قال رسول اللّه ﷺ : لا تزال طائفة من أمتي تقاتل على الحق ، حتى ينزل عيسى ابن مريم عند طلوع الفجر ببيت المقدس ، ينزل على المهدي ، فيقال : تقدم يا نبي اللّه فصل بنا ، فيقول : هذه الأمة ، أمراء بعضهم على بعض . [أخرجه أبو عمرو الداني في سننه ، وهو ضعيف] .

5 - وعنه - رضي اللّه عنه - في حديثه السابق : يخرج الدجال في خفة من الدين وإدبار من العلم .. فيفر المسلمون إلى جبل الدخان بالشام (1) ، فيأتيهم فيحاصرهم [فيشتد حصارهم] ويجهد جهدًا شديدًا ، ثم ينزل عيسى ابن مريم من السحر ، فيقول : يا أيها الناس ، ما يمنعكم أن تخرجوا إلى الكذاب الخبيث ؟ فيقولون : هذا رجل جني - وعند الحاكم : يقول رجل : إلى متى هذا الحصار ؟ اخرجوا إلى هذا العدو حتى يحكم اللّه بيننا - فينطلقون ، فإذا هم بعيسى ابن مريم ، فتقام الصلاة ، فيقال له : تقدم يا روح اللّه ، فيقول : ليتقدم إمامكم فليصل بكم ، فإذا صلوا الصبح خرجوا إليه .. الحديث . [أخرجه أحمد بسندين ، قال الهيثمي : « رجال أحدهما رجال الصحيح » وأخرجه الحاكم في المستدرك وصححه وقال الذهبي : على شرط مسلم] (2) .

6 - عن حذيفة بن اليمان - رضي اللّه عنه - قال : قال رسول اللّه ﷺ : بينما الشياطين الذين مع الدجال يزاولون بعض بني آدم على متابعة الدجال ، فيأتي عليه من يأتي ، ويقول بعضهم : إنكم شياطين ، وإن اللّه سيسوق إليه عيسى ابن مريم بإيلياء ، فيقتله . فبينما أنتم على ذلك حتى ينزل عيسى ابن مريم بإيلياء ، وفيها جماعة من المسلمين وخليفتهم ، بعدما يؤذن المؤذن لصلاة الصبح ، فيسمع المؤذن للناس عصعصة ، فإذا هو عيسى ابن مريم ، فيهبط عيسى ، فيرحب به الناس ، ويفرحون بنزوله ،

---

(1) هل هو جبل إيلياء أو جبل الطور ؟

(2) وفي إسناده عنعنة ابن الزبير ، وهو مدلس . قال ابن كثير في الفتن والملاحم : وقد رواه غير واحد عن إبراهيم بن طهمان ، وهو ثقة .

ولتصديق حديث رسول اللّه ﷺ ثم يقول للمؤذن : أقم الصلاة ، ثم يقول له الناس : صل لنا ، فيقول : انطلقوا إلى إمامكم فيصلى لكم ، فإنه نعم الإمام ، فيصلى بهم إمامهم ، ويصلي عيسى معهم ، ثم ينصرف الإمام ، ويعطي عيسى الطاعة [أخرجه نعيم بن حماد في الفتن] [1] .

7 - عن عبد اللّه بن عمرو بن العاص – رضي اللّه عنه – قال : إذا نزل عيسى ببيت المقدس ، وقد حاصر الدجال الناس ببيت المقدس ، مشى إليه بعدما يصلي الغداة ، يمشي إليه وهو في آخر رمق ، فيضربه فيقتله . [أخرجه نعيم بن حماد الفتن] [2] .

8 - وعن كعب الأحبار قال : يحاصر الدجال المؤمنين ببيت المقدس ، فيصيبهم جوع شديد ، حتى يأكلوا أوتار قسيهم من الجوع ، فبينما هم على ذلك إذ سمعوا صوتًا في الغلس [3] ، فيقولون : إن هذا لصوت رجل شبعان . قال : فينظرون ، فإذا بعيسى ابن مريم . قال : وتقام الصلاة ، فيرجع إمام المسلمين المهدي ، فيقول عيسى : تقدم فلك أقيمت الصلاة ، فيصلى بهم ذلك الرجل تلك الليلة . قال : ثم يكون عيسى إمامًا بعده . [أخرجه نعيم بن حماد في الفتن] [4] .

ج – ووردت روايات تفيد أنه ينزل ببطن الأردن على ثنية أفيق [5] . ومنها ما يلي :

1 - عن حذيفة بن اليمان – رضي اللّه عنه – في حديثه السابق : .. وإنه يطلع من آخر أمره على بطن الأردن ، على ثنية أفيق ، وكل أحد يؤمن باللّه واليوم الآخر ببطن الأردن ، وإنه يقتل من المسلمين ثلثًا ، ويهزم ثلثًا ، ويبقى ثلث ، فيحجز بينهم الليل ، فيقول بعض المؤمنين لبعض : ما تنظرون ؟ ألا تريدون أن تلحقوا بإخوانكم في مرضاه ربكم ؟ من كان عنده فضل طعام فليعد به على أخيه ، وصلوا حين ينفجر الفجر ،

---

(1) برقم 1591 : ثنا سويد بن عبد العزيز عن إسحاق بن أبي فروة ، وابن سابور جميعًا عن مكحول عنه رضي اللّه عنه .

(2) برقم 1563 ثنا ابن وهب عن ابن لهيعة ، والليث عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن أبي سلمة عن عبد اللّه بن عمرو بن العاص رضي اللّه عنهما .

(3) الغلس : ظلمة آخر الليل ، وتكون مع الفجر .

(4) برقم 1613 : ثنا ضمرة عن يحيى بن عمر الشيباني عن كعب .

(5) الثنية : العقبة ، وهي المرتفع من الأرض . وفي معجم البلدان لياقوت : أفيق قرية من حوران في طريق الغور غور الأردن ، وهي عقبة طويلة نحو ميلين اهـ وفي المنجد : فيق بلدة سورية ، هي أفاقا القديمة ، ومركز قضاء فيق محافظة درعا .

وعجلوا الصلاة ، ثم أقبلوا على عدوكم . قال : فلما قاموا يصلون نزل عيسى ، وإمامهم يصلي بهم ، فلما انصرف قال هكذا : فرجوا بيني وبين عدو اللّه . قال : فيذوب كما يذوب الملح في الماء .. الحديث . [أخرجه ابن منده في كتاب الإيمان والحاكم في المستدرك وقال : على شرط مسلم ، ومسلم مختصرًا] [1] .

وعند الطبراني وابن عساكر : ثم تأخذهم ظلمة ، لا يبصر أحدهم كفه ، فينزل عيسى ابن مريم ، فيحسر عن أبصارهم ، وبين أظهرهم رجل عليه لأمة [2] ، فيقولون : من أنت ؟ فيقول : أنا عبد اللّه وكلمته عيسى .

2 - عن عثمان بن أبي العاص - رضي اللّه عنه - قال : سمعت رسول اللّه ﷺ يقول : يكون للمسلمين ثلاثة أمصار : مصر بملتقى البحرين ، ومصر بالحيرة ، ومصر بالشام ، فيفزع الناس ثلاث فزعات ، فيخرج الدجال في أعراض الناس ، فيهزم من قبل المشرق ، فأول مصر يرده المصر الذي بملتقى البحرين ، فيصير أهله ثلاث فرق ، فرقة تبقى تقول : نشامه [3] ، ننظر ما هو ؟ وفرقه تلحق بالأعراب ، وفرقة تلحق بالمصر الذي يليهم . ومع الدجال سبعون ألفًا ، عليهم السيجان ، وأكثر تبعه من اليهود والنساء ، ثم يأتي المصر الذي يليه ، فيصير أهله ثلاث فرق ؛ فرقة تقول : نشامه ، ننظر ما هو ؟ وفرقة تلحق بالأعراب ، وفرقة تلحق بالمصر الذي يليهم بغربي الشام ، وينحاز المسلمون إلى عقبة أفيق ، فيبعثون سرحًا لهم ، فيصاب سرحهم ، فيشتد ذلك عليهم ، ويصيبهم مجاعة شديدة وجهد شديد ، حتى إن أحدهم ليحرق وتر قوسه فيأكله ، فبينما هم كذلك ، إذ نادى مناد من السحر : يا أيها الناس أتاكم الغوث - ثلاثًا - فيقول بعضهم لبعض : إن هذا لصوت رجل شبعان . وينزل عيسى ابن مريم عند صلاة الفجر ، فيقول أميرهم : يا روح اللّه تقدم صل ، فيقول : هذه الأمة أمراء ، بعضهم على بعض ، فيتقدم أميرهم فيصلي ، فإذا قضى صلاته أخذ حربته وذهب لنحو الدجال .. الحديث . [أخرجه أحمد والحاكم] .

3 - عن نَهيك بن صُريم السكوني قال : قال رسول اللّه ﷺ : لتقاتلن المشركين ، حتى يقاتل بقيتكم الدجال على نهر الأردن ، أنتم شرقي النهر وهم غربيه . قال : ولا

---

(1) جاء في النهاية 93/1 : قال الذهبي : هذا إسناد صالح . قال ابن كثير : وفيه سياق غريب وأشياء منكرة .

(2) أي درع ، واللأمة السلاح .

(3) شام مخايل الشيء : تطلع نحوها ببصره منتظرًا له . وبابه باع .

أدري أين الأردن اليوم . [أخرجه البزار والطبراني ، قال الهيثمي : ورجال البزار ثقات] [1] .

4 - وعن عبد الله بن مسعود - رضي اللّه عنه - قال : يفترق الناس عند خروجه - أي الدجال - ثلاث فرق : فرقة تتبعه ، وفرقة تلحق بأرض آبائها بمنابت الشيح [2] ، وفرقة تأخذ شط الفرات ، فيقاتلهم ويقاتلونه ، حتى يجتمع المؤمنون بقرى الشام ، فيبعثون إليه طليعة ، فيهم الحارس على فرس أشقر - أو أبلق - يُقتلون لا يرجع منهم أحد ، ثم إن المسيح ينزل فيقتله ، ثم يخرج يأجوج ومأجوج ، فيموجون في الأرض فيفسدونها . [أخرجه الحاكم في المستدرك موقوفًا وصححه ووافقه الذهبي] .

موازنة :

لا ريب أن المسيح - عليه السلام - ينزل حيث يكون المهدي ، فيصلي الفجر خلفه ، فأين يكون المهدي ؟ أفي دمشق ؟ أم في القدس ؟ أم ببطن الأردن في عقبة أفيق ؟

المشهور وعليه أكثر العلماء أنه ينزل على المنارة الشرقية بدمشق ، ويكون المهدي قد جمع كثيرًا من الناس لقتاله [3] .

وثمة احتمال كبير أن يكون نزوله في القدس ، فالأحاديث في ذلك ، بعضها صحيح صريح [4] .

---

(1) رواه ابن سعد في الطبقات بسند متصل كله ثقات ، ما عدا شيخه يحيى بن عبد الحميد الحماني ، وهو حافظ مسند ، تكلم فيه أحمد ، ووثقه ابن معين .

(2) الشيح نبات يخرج بالبادية ، والمراد به هنا البادية .

(3) قال ابن كثر في النهاية 42/1 : يخرج المسيح الدجال ، فينزل عيسى من السماء إلى الأرض على المنارة البيضاء الشرقية بدمشق وقت صلاة الفجر .

وقال أيضًا في 98/1 : هذا هو الأشهر في موضع نزوله أنه على المنارة البيضاء الشرقية بدمشق ، وقد رأيت في بعض الكتب أنه ينزل على المنارة البيضاء شرقي جامع دمشق ، فلعل هذا هو المحفوظ ، وتكون الرواية : فينزل على المنارة البيضاء الشرقية بدمشق ، فتصرف الراوي في التعبير بحسب ما فهم . وليس بدمشق منارة تعرف بالشرقية سوى التي إلى شرق الجامع الأموي ، وهذا هو الأنسب والأليق لأنه ينزل وقد أقيمت الصلاة ، فيقول له إمام المسلمين : يا روح اللّه تقدم ، فيقول : تقدم أنت ، فإنها أقيمت لك ، وفي رواية : بعضكم على بعض أمراء ، يكرم اللّه هذه الأمة . وقد جدد بناء المنارة في زماننا سنة إحدى وأربعين وسبعمائة من حجارة بيض ، ولعل هذا من دلائل النبوة الظاهرة أ هـ .

وقال النووي في شرح مسلم 67/18 : أما المنارة فموجودة اليوم شرقي دمشق ، وهذا الحديث من فضائل دمشق .

(4) قال ابن كثير في النهاية 98/1 : وقد ورد في بعض الأحاديث أنه ينزل ببيت المقدس ، وفي رواية بالأردن ، وفي رواية بعسكر المسلمين . وهذا في بعض روايات مسلم .

ثم إن القدس ستكون عاصمة المهدي قبل نزول عيسى - عليه السلام - .

واجتهد ابن كثير في جمع الأحاديث والتوفيق بينها فقال [1] : يكون نزول مسيح الهدى في أيام مسيح الضلالة على المنارة الشرقية بدمشق ، فيجتمع إليه المؤمنون ، فيسير بهم قاصدًا نحو الدجال ، وقد توجه نحو بيت المقدس ، فيدركهم عند عقبة أفيق ، فينهزم الدجال منه ، فيلحقه عيسى عند مدينة باب لد ، فيقتله بحربته وهو داخل إليها ، ويقول : إن لي فيك ضربة لن تفوتني . وإذا واجهه الدجال ينماع كما يذوب الملح في الماء ، فيتداركه عيسى فيقتله بالحربة بباب لد ، فتكون وفاته هناك ، كما دلت الأحاديث الصحيحة من غير وجه .

---

(1) في النهاية 89/1 .

أعمال المسيح بعد نزوله

ينزل عيسى – عليه السلام – من السماء على المهدي ومن معه من المسلمين على المنارة البيضاء شرقي دمشق على القول المشهور ، ينزل والصلاة تقام ، فيصلي خلف المهدي . وما إن ينتهوا من الصلاة حتى يلتف حوله المسلمون ، فيقول عيسى – عليه السلام – : اخرجوا بنا إلى عدو اللّه .

مطاردة الدجال وقتله :

يظهر الدجال من جهة المشرق ، من بلاد خراسان ، فيمر بأصبهان حيث يتبعه كثير من اليهود ، فيكونون جنده وأعوانه ، ثم يسلك طريقًا بين الشام والعراق ، مسرعًا نحو الحجاز ، قاصدًا الاستيلاء على مكة والمدينة ، ويحاول جاهدًا اقتحامهما ، ولا سيما المدينة ، غير أن الملائكة تصده عنهما ، فينزل مع عسكره في ضاحية المدينة ، ويضرب قبته ، فيخرج إليه شرار أهلها ، ثم تصرف الملائكة وجهه قبل الشام ، فيحاصر المسلمين فيها .

عن أبي هريرة – رضي اللّه عنه – قال : قال رسول اللّه ﷺ : يأتي المسيح من قبل المشرق ، وهمته المدينة ، حتى ينزل دبر أحد ، ثم تصرف الملائكة وجهه قبل الشام ، وهناك يهلك . [أخرجه مسلم] .

وعن عائشة – رضي اللّه عنها – في حديثها السابق : .. إنه يخرج من يهودية أصفهان ، حتى يأتي المدينة ، فينزل ناحيتها .. فيخرج إليه شرار أهلها ، حتى يأتي الشام – مدينة فلسطين بباب لد – وينزل عيسى ابن مريم فيقتله . [أخرجه أحمد ، وقال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح] .

يخرج الدجال إلى العالم أجمع ، فيعيث فسادًا أينما حل ، ويسير سيرًا حثيثًا في الأرض ، فتعم فتنته ويكثر أتباعه ، ويظهر على الأرض كلها ، فلا ينجو منه إلا قلة من المؤمنين ، يفرون نحو الجبال أو البوادي ، غير أن أكثرهم ببلاد الشام ، وهم في شدة وبؤس .

ثم إن الدجال يطلع من آخر أمره على بلاد الشلام ، فيحاصر المسلمين حول دمشق ، وببطن الأردن عند عقبة أفيق وفي القدس وغير ذلك من المناطق حصارًا شديدًا ، فيُعدون أنفسهم للقتال ، وإذا بالفرج يأتي .

عن سمرة بن جندب – رضي اللّه عنه – في حديثه السابق عن الدجال : .. وإنه

سيظهر على الأرض كلها إلا الحرم وبيت المقدس ، وإنه يحصر المؤمنين في بيت المقدس ، فيتزلزلون زلزالًا شديدًا ، فيصبح عيسى ابن مريم فيهم [1] ، فيهزمه اللّه وجنوده .. [أخرجه البخاري وأحمد والترمذي وغيرهم] .

– وعن حذيفة بن أَسِيد – رضي اللّه عنه – في حديثه السابق عن الدجال : .. فيرد كل منهل ، وتطوى له الأرض طيَّ فروة الكبش ، حتى يأتي المدينة .. ثم جبل إيلياء ، فيحاصر عصابة من المسلمين ، فيقول الذي عليهم : ما تنتظرون بهذا الطاغية أن تقاتلوه حتى تلحقوا باللّه أو يفتح لكم ، فيأتمرون أن يقاتلوه إذا أصبحوا ، فيصبحون ، ومعهم عيسى ابن مريم ، فيقتل الدجال ، ويهزم أصحابه .. الحديث . [أخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي] .

– حديث عثمان بن أبي العاص – رضي اللّه عنه – السابق : وينحاز المسلمون إلى عقبة أفيق ، فيبعثون سرحًا لهم ، فيصاب سرحهم ، فيشتد ذلك عليهم ، ويصيبهم مجاعة شديدة وجهد شديد ، حتى إن أحدهم ليحرق وتر قوسه فيأكله ، فبينما هم كذلك ، إذ نادى مناد من السحر : يا أيها الناس ، أتاكم الغوث – ثلاثًا – فيقول بعضهم لبعض : إن هذا لصوت رجل شبعان ، وينزل عيسى ابن مريم عند صلاة الفجر .. فإذا قضى صلاته أخذ حربته ، فيذهب نحو الدجال ، فإذا رآه الدجال ذاب كما يذوب الرصاص ، فيضع حربته بين ثندوته ، فيقتله ، وينهزم أصحابه .. الحديث . [أخرجه أحمد والحاكم] .

– وروى نعيم بن حماد في الفتن عن بعض أصحاب النبي ﷺ في الحديث السابق : ثم يولي الدجال قبل الشام فيحاصرهم ، وبقية المسلمين يومئذ معتصمون بذروة جبل من جبال الشام ، فيحاصرهم الدجال نازلًا بأصله ، حتى إذا طال عليهم البلاء ، قال رجل من المسلمين : يا معشر المسلمين حتى متى أنتم هكذا ، وعدو اللّه نازل بأصل جبلكم هذا ؟ هل أنتم إلا بين إحدى الحسنيين ، بين أن يستشهدكم اللّه أو يظهركم ؟ فيتبايعون على الموت بيعة يعلم اللّه تعالى أنها الصدق من أنفسهم ، ثم تأخذهم ظلمة ، لا يبصر امرؤ فيها كفه ، فينزل ابن مريم .. الحديث .

فعندما يعلم الدجال بنزول عيسى – عليه السلام – يفرها هاربًا نحو فلسطين ، فيتبعه

(1) أي يأتي عيسى من الشام إلى القدس ، مطاردًا الدجال على القول المشهور أنه ينزل في دمشق .

عيسى ويدركه عند باب اللد الشرقي [1] ، فإذا رآه الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء ، غير أن عيسى يعاجله بطعنة من حربته فيقتله ، ويري المسلمين دمه فيها .

- عن أبي هريرة - رضي اللّه عنه - في حديثه السابق : .. فبينما هم يعدون للقتال ، ويسوون الصفوف إذ أقيمت الصلاة ، فينزل عيسى ابن مريم ، فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء ، فلو تركه لانذاب حتى يهلك ، ولكن يقتله بيده ، فيريهم دمه في حربته . [أخرجه مسلم] .

والحديث فيه اختصار وطي يوضحه ما بعده .

- عن أبي أمامة - رضي اللّه عنه - في حديثه السابق : .. فإذا انصرف ، قال عيسى : افتحوا الباب ، فيفتحون - وفي رواية : فيفتح - ووراءه الدجال ، معه سبعون ألف يهودي ، كلهم ذو سيف محلى وساج ، فإذا نظر إليه الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء ، وينطلق هاربًا ، ويقول عيسى : إن لي فيك ضربة ، لن تسبقني بها ، فيدركه عند باب اللد الشرقي فيقتله ، فيهزم اللّه جنوده .. الحديث . [أخرجه أبو داود وابن ماجه والحاكم ونعيم بن حماد] [2] .

- وفي حديث أم شريك - رضي اللّه عنها - السابق : .. فإذا نظر إليه الدجال ، ذاب كما يذوب الملح في الماء ، وانطلق هاربًا ، ويقول عيسى : إن لي فيك ضربة ، لا تسبقني بها ، فيدركه عند باب اللد الشرقي فيضربه فيقتله ، فينهزم اليهود .

---

(1) لُد : بوزن قُد - بلدة مشهورة ، بينها وبين الرملة مقدار فرسخ إلى جهة الشمال ، متصل شجرها بشجرها ، قريبة من القدس .

(2) في الفتن برقم 1589 : ثنا ضمرة بن ربيعة عن يحيى بن أبي عمرو الشيباني عن عمرو بن عبد اللّه الحضرمي عنه رضي اللّه عنه .

وروى عنه أيضًا بالسند ذاته برقم 1562 مرفوعًا : يدرك عيسى ابن مريم الدجال بعدما يهرب منه إذا بلغه نزوله ، فيدركه عند باب لد الشرقي فيقتله .

وقوله « فإذا انصرف » أي إلى بيت المقدس ، لأن النزول بدمشق على المشهور .

وروى برقم 1566 : ثنا ضمرة عن يحيى بن أبي عمرو الشيباني عن كعب قال : إذا سمع الدجال نزول عيسى ابن مريم هرب ، فيتبعه عيسى ، فيدركه عند باب لد فيقتله ، فلا يبقى شيء إلا دخل على أصحاب الدجال ، فيقول : يا مؤمن هذا كافر .

وبرقم 1571 : ثنا ابن عيينة عن الزهري عن سالم عن أبيه أن عمر بن الخطاب - رضي اللّه عنه - سأل رجلًا من اليهود فحدثه ، فقال عمر : إني قد بلوت منك صدقًا ، فأخبرني عن الدجال ؟ فقال : وإله يهود ، ليقتلنه ابن مريم بفناء لد .

- وعن النواس بن سمعان - رضي اللّه عنه - في حديثه السابق : .. فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه ، فيطلبه حتى يدركه بباب لد ، فيقتله ، ثم يأتي ابنَ مريم قومٌ قد عصمهم اللّه منه ، فيمسح وجوههم ، ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة . [أخرجه مسلم وأحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه والحاكم] .

وعند أبي داود : ثم ينزل عيسى عند المنارة البيضاء شرقي دمشق ، فيدركه عند باب لد فيقتله .

- وعن مُجمع بن جارية الأنصاري - رضي اللّه عنه - قال : سمعت رسول اللّه ﷺ يقول : ليقتلن ابن مريم الدجال بباب لد . [أخرجه أحمد والترمذي وقال : حسن صحيح ، ونعيم بن حماد] .

القضاء على اليهود :

بعد مقتل الدجال ، يعلم أتباعه أنه ليس ربًا ، فيهربون ويختبئون ، ولا سيما اليهود ، غير أن ما اختبؤوا خلفه يُنطقه اللّه عز وجل ، فيدل عليهم ، ولا يجد يهودي ملجأ ، فتتطهر الأرض من شرورهم ، وتعلوا كلمة اللّه في الأرض ، فلا يبقى إلا دين الإسلام .

- عن أبي أمامة - رضي اللّه عنه - في حديثه السابق : .. فيدركه عند باب اللد الشرقي فيقتله ، فيهزم اللّه اليهود ، فلا يبقى شيء مما خلق اللّه يتوارى به يهودي إلا أنطق اللّه ذلك الشيء ، لا حجر ولا شجر ولا حائط ولا دابة ، إلا الغرقدة (1) ، فإنها من شجرهم لا تنطق ، إلا قال : يا عبد اللّه ، هذا يهودي ، تعال فاقتله .. الحديث . [أخرجه ابن ماجه ، وساق أبو داود إسناده ، وهو إسناد صحيح ، وأخرجه الحاكم في المستدرك] .

- عن جابر بن عبد اللّه - رضي اللّه عنه - في حديثه السابق : .. فإذا صلى الصبح خرجوا إليه ، فحين يراه الكذاب ينماث كما ينماث الملح في الماء ، فيمشي إليه فيقتله ، حتى إن الشجر والحجر ينادي : يا روح اللّه ، هذا يهودي ، فلا يترك ممن كان معه أحدًا إلا قتله . [أخرجه أحمد ، قال الهيثمي : بإسنادين ، رجال أحدهما رجال الصحيح وأخرجه الحاكم في المستدرك وقال الذهبي : على شرط مسلم] .

---

(1) الغَرقَد : نوع من شجر الشوك معروف بفلسطين قرب بيت المقدس ، يزرعه اليهود اليوم بكثرة للزينة .

– عن أبي هريرة – رضي اللّه عنه – أن رسول اللّه ﷺ قال : لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود [فيقتلهم المسلمون] حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر ، فيقول الحجر أو الشجر : يا مسلم يا عبد اللّه ، هذا يهودي خلفي ، تعال فاقتله ، إلا الغرقد ، فإنه من شجر اليهود . [أخرجه مسلم] .

وعند البخاري : لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود ، حتى يقول الحجر وراءه اليهودي : يا مسلم ، هذا يهودي ورائي فاقتله .

– عن عبد اللّه بن عمر – رضي اللّه عنهما – أن النبي ﷺ قال : لتقاتلن اليهود ، فلتقتلنهم ، حتى يقول الحجر : يا مسلم هذا يهودي ، فتعال فاقتله . [أخرجه الشيخان والترمذي] .

وفي أخرى : تقتتلون أنتم ويهود ، حتى يقول الحجر : يا مسلم هذا يهودي ورائي ، تعال فاقتله .

وفي أخرى : تقاتلكم اليهود ، فتُسلطون عليهم .

وروى الشيخان وأحمد عنه – رضي اللّه عنه – أن النبي ﷺ قال : ينزل عيسى ابن مريم ، فإذا رآه الدجال ، ذاب كما تذوب الشحمة ، فيقتل الدجال ، ويَفْرق اليهود ، فيقتلون ، حتى إن الحجر يقول : يا عبد اللّه المسلم ، هذا يهودي ، فتعال فاقتله .

– وعن عبد اللّه بن عمرو – رضي اللّه عنهما – أنه قال : فيذوب كما يذوب الملح في الماء ، وسلط اللّه عليهم المسلمين ، فيقتلونهم ، حتى إن الشجر لينادي : يا عبد اللّه يا عبد الرحمن يا مسلم ، هذا يهودي فاقتله .. الأثر . [أخرجه الحاكم وابن عساكر] .

– وعن حذيفة بن اليمان – رضي اللّه عنه – في حديثه السابق : .. فلما قاموا يصلون نزل عيسى ابن مريم أمامهم ، فصلى بهم ، فلما انصرف قال : هكذا ، أفرجوا بيني وبين عدو اللّه .. ويسلط اللّه عليهم المسلمين ، فيقتلونهم ، حتى إن الشجر والحجر لينادي : يا عبد اللّه يا عبد الرحمن يا مسلم ، هذا يهودي فاقتله ، فيفنيهم اللّه تعالى ، ويظهر المسلمون ، فيكسرون الصليب ، ويقتلون الخنزير ، ويضعون الجزية .. الحديث . [أخرجه الحاكم وقال : على شرط مسلم ، وابن عساكر] .

وعند نعيم بن حماد في الفتن : .. فيقتله بإذن اللّه تعالى ، ويقتل معه من شاء اللّه ، ثم يفترقون ويختبئون تحت كل شجر وحجر ، حتى يقول الشجر : يا عبد اللّه يا

مسلم ، تعال ، هذا يهودي ورائي فاقتله ، ويدعو الحجر مثل ذلك ، غير شجرة الغرقدة ، شجرة اليهود ، لا يدعو إليهم أحدًا يكون عندها .

– وعن سمرة بن جندب – رضي اللّه عنه – في حديثه السابق : .. فيصبح فيهم عيسى ابن مريم ، فيهزمه اللّه وجنودَه ، حتى إن جذم الحائط وأصل الشجرة لينادي : يا مؤمن هذا كافر يستتر بي ، فتعال فاقتله ، ولن يكون ذلك حتى تروا أمورًا يتفاقم شأنها في أنفسكم ، تَساءلون بينكم : هل كان نبيكم ذكر لكم منها ذكرًا ؟ وحتى تزول جبال عن مراسيها ، ثم على إثر ذلك القبض ، وأشار بيده . [أخرجه البخاري وأحمد والترمذي والنسائي والحاكم في المستدرك والبيهقي والطحاوي] .

– وعن عثمان بن أبي العاص – رضي اللّه عنه – في حديثه السابق : .. فإذا قضى صلاته أخذ حربته فيذهب نحو الدجال ، فإذا رآه الدجال ذاب كما يذوب الرصاص ، فيضع حربته بين ثندوته فيقتله ، وينهزم أصحابه ، فليس يومئذ شيء يواري منهم أحدًا ، حتى إن الشجرة لتقول : يا مؤمن هذا كافر ، ويقول الحجر : يا مؤمن هذا كافر . [أخرجه أحمد والحاكم في المستدرك] .

الأمارة الثالثة

خروج يأجوج ومأجوج [1]

التعريف بهم :

يأجوج ومأجوج اسمان لأمتين عظيمتين من ذرية آدم ، من ولد يافث بن نوح [2] .

قال المؤرخون : أولاد نوح من الذكور ثلاثة ؛ سام وحام ويافث ، فسام أبو العرب والفرس والروم ، وحام أبو الحبشة والزنج والنوبة ، ويافث أبو الترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج [3] . ومما

---

(1) يأجوج ومأجوج اسمان أعجميان عند الأكثر ، منعا من الصرف للعلمية والعجمة . وقيل : هما اسمان عربيان يهمزان ولا يهمزان ، وأكثر القراء بدون همزة ، وقرأ عاصم بالهمزة الساكنة فيهما . واختلف في اشتقاقهما : فقيل : من أجت النار أجيجًا ، وأجيج النار التهابها وحرارتها ، وسموا بذلك لكثرتهم وشدتهم .
وقيل : من الآجّة ، وهي الاختلاط ، وقيل : من الآجّ ، وهو سرعة العَدْو . وقيل : من الأُجاج ، وهو الماء الشديد الملوحة . وقيل : من ماج ، بمعنى اضطرب ، وهما على وزن يفعول ومفعول . ويؤيد هذا قوله تعالى : ﴿وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض﴾ ، وذلك عند خروجهم من السد وزحفهم . وجمع ذلك مناسب لحالهم [المصباح المنير] .
وقد تحدث العلامة الهندي / أبو الكلام أزاد / في بحثه (يسألونك عن ذي القرنين) فقال : إن كلمتي يأجوج ومأجوج تبدوان كأنهما عبريتان ، ولكنهما في أصلهما قد لا تكونان عبريتين ، بل كلمتان أجنبيتان اتخذتا الصورة العبرية ، فهما تنطقان باليوناني (غاغ ، GOG) و (ماغاغ ، MAGOG) ، وقد ذكرتا بهذا الشكل في الترجمة السبعينية للتوراة ، وراجتا بالشكل نفسه في سائر اللغات الأوربية اهـ انظر السنة 1128/3 .
وقد جانب الحقيقة كُتابُ الحواشي على الكتاب المقدس ، فقد جاء في حواشي المجلد الأول ص 73 : « وأما يأجوج ومأجوج ، فلا شك أن يأجوج ومأجوج اسم بلاد أو شعب في الشمال ، وجوج كلمة بلسان أولئك الشعب ، بمعنى قائد أو ملك ، وهي كلها ألفاظ رمزية ، تشير إلى أعداء الكنيسة .. والذي ذهب إليه أكثر معلمي الكاثوليك أن جوج رمز إلى شخص الدجال ، أو إلى كبير وزرائه » كما سيأتي .

(2) عن سمرة بن جندب – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : وَلَدُ نوح ثلاثة ؛ سام وحام ويافث . [أخرجه أحمد والحاكم وصححه ووافقه الذهبي ، ورمز السيوطي لصحته] .
وعن سمرة بن جندب وعمران بن حصين – رضي الله عنهما – أن رسول الله ﷺ قال : ولد نوح ثلاثة ، فسام أبو العرب ، وحام أبو الحبشة ، ويافث أبو الروم . [أخرجه الطبراني ، ورمز السيوطي لحسنه ، وحقه الرمز لصحته ، فقد قال الهيثمي : رجاله موثقون] . فيض القدير 364/6-365 .

(3) نقل ابن عبد البر الإجماع على أنهم من ولد يافث بن نوح ، وقال النووي : عند أكثر العلماء .
وجاء في سفر التكوين 1/10-2 : وهذه مواليد بني نوح ، سام وحام ويافث ، وولد لهم بنون بعد الطوفان . بنو يافثَ : جُومَر وماجوج وماداي وباوان وتوبال وما شَك وتيراس .
وتحقيقات العلماء منصبة على أن يأجوج وماجوج من ذرية آدم ، ومن ولد يافث بن نوح . ويدخل في ذرية يافث الترك والجنس الآري والجنس الصيني . فعلى هذا ، سكان الصين والهند وشعوب شرقي آسيا ، أكثرهم من ولد يافث . والله أعلم – النهاية 102/1 ، التذكرة ص 784 – وتطلق كلمة الترك على القاطنين وراء جبال =

يدل على أنهم من ذرية آدم ما يلي :

– عن أبي سعيد الخدري – رضي اللّه عنه – قال : قال رسول اللّه ﷺ : يقول اللّه تعالى يوم القيامة : يا آدم ، قم فابعث بعث النار . قال : فيقول : لبيك وسعديك والخير في يديك ، يا رب وما بعث النار ؟ فيقول : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين . فحينئذ يشيب المولود ، وتضع كل ذات حمل حملها ، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ، ولكن عذاب اللّه شديد . قال : فيقولون : وأينا ذلك الواحد ؟ فقال رسول اللّه ﷺ : تسعمائة وتسعة وتسعون من يأجوج ومأجوج ، ومنكم واحد . فقال الناس : اللّه أكبر . [أخرجه البخاري] .

وفي رواية ثانية : قال : فاشتد ذلك عليهم ، قالوا : يا رسول اللّه ، أينا ذلك الرجل ؟ فقال : أبشروا فإن من يأجوج ومأجوج ألفًا ، ومنكم رجل .

وفي رواية أخرى : يقول اللّه تعالى : يا آدم . فيقول : لبيك وسعديك ، والخير في يديك ، فينادى بصوت فيقول : ابعث بعث النار – وفي رواية : أخرج بعث النار – فيقول : رب كم ؟ قال : وما بعث النار ؟ قال : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين ، وواحد في الجنة . فيومئذ يشيب الصغير ، وتضع كل ذات حمل حملها ، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب اللّه شديد . قالوا : يا رسول اللّه ، وأينا ذلك الواحد ؟ قال : أبشروا ، فإن في يأجوج ومأجوج لكم فداء ، فإن منكم رجلًا ، ومن يأجوج ومأجوج ألف .

– وعن عمران بن حصين – رضي اللّه عنه – أن رسول اللّه ﷺ قال : .. فوالذي نفسي بيده ، إنكم لمع خليقتين ما كانتا في شيء إلا كثرتاه ؛ يأجوج ومأجوج ، ومن مات من بني آدم ، ومن بني إبليس . [أخرجه الترمذي وقال : حسن صحيح] .

أي فاقتاه بالكثرة من حيث العدد .

– وعن عبد اللّه بن عمرو – رضي اللّه عنه – أن رسول اللّه ﷺ قال : إن يأجوج ومأجوج من ولد آدم ، وإنهم لو أرسلوا إلى الناس لأفسدوا عليهم معايشهم ، ولن يموت منهم أحد إلا ترك من ذريته ألفًا فصاعدًا . [أخرجه الطيالسي في مسنده] [وزاد الطبراني : وإن من ورائهم ثلاث أمم تاويل ومارس ومنسك] [1] .

= تركستان ، فلا ترتبط بسكان آسيا الصغرى فقط : فأهل الصين واليابان ومنغوليا ومن شابههم من أهل تلك المناطق ، إن لم يكونوا من الترك ، فهم أولاد عمهم .

(1) قال ابن كثير في النهاية 102/1 : اللّه أعلم بصحته .. وهذا حديث غريب ، وقد يكون من كلام عبد اللّه بن عمرو .

- وعنه - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : .. ثم يقال : أيها الناس هلموا إلى ربكم ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴾ ، ثم يقال : أخرجوا بعث النار ، فيقال : من كم ؟ فيقال : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين - وفي رواية : وتسعة وتسعون - قال : فذاك - وفي رواية : فيومئذ يجعل الولدان شيبًا ، وذلك يوم يكشف عن ساق . [أخرجه مسلم واللفظ له وأحمد] .

- وعن ابن عمر - رضي الله عنه - أنه قال : إن يأجوج ومأجوج من ذرية آدم ، وراءهم ثلاث أمم ، تأويل وتأريس ومنسك . [أخرجه الطبراني والبيهقي وابن مردويه وعبد بن حميد] .

الأدلة على خروجهم :

خروجهم ثابت بالكتاب والسنة ، ومن ذلك ما يلي :

1 - قال سبحانه : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴾ [الكهف / 93-99] .

كان السؤال عن ذي القرنين ، والسائل هم اليهود ، أو قريش بتحريض من اليهود ، وكان السؤال امتحانًا ، فيكون الجواب الصحيح من أعلام النبوة ومعجزاتها ، وهذا لا يتحقق إلا إذا كان الجواب معروفًا لدى السائل ، أو لدى الدافع إلى السؤال ، وبالجواب الصحيح تقوم الحجة برسالة محمد ﷺ .

وقد فسر المفسرون مجيء وعد الله بمجيء يوم القيامة ، أي قربه . ودكاء ، أي منهدمًا .

2 - وقال سبحانه ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء / 96-97] .

فالسد قائم إلى أن يأتي الوقت المحدد لزحفهم ، وذلك عند دنو الساعة ، فإذا جاء في ذلك الوقت اندك السد ، وخرجوا بسرعة عظيمة وجمع كبير ، لا يقف أمامهم أحد ، فماجوا في الناس ، وعاثوا في الأرض فسادًا .

3 - عن عبد اللّه بن مسعود - رضي اللّه عنه - أنه ذكر خروج الدجال ، ونزول عيسى ابن مريم ، وقتله الدجال . قال : ثم يخرج يأجوج ومأجوج ، فيموجون في الأرض ، فيفسدون فيها ، ثم قرأ عبد اللّه : ﴿ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴾ .. الآية [أخرجه نعيم بن حماد في الفتن] [1] .

4 - عن حذيفة بن أَسِيد - رضي اللّه عنه - في حديثه السابق : .. إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات ؛ فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى ابن مريم - عليه السلام - ويأجوج ومأجوج [2] .. الحديث . [أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه وأحمد] .

والحد الذي لا اختلاف فيه : أن مجيئهم إلى بلاد الشام في زمن عيسى - عليه السلام - وما يحدث لهم هو من أشراط الساعة .

مكان وجودهم :

ذكرت الآيات في سورة الكهف أنهم خلف السد العظيم الغليظ الذي بناه ذو القرنين قديمًا من حديد ونحاس بين جبلين عظيمين ، للحد من شرورهم وإفسادهم في الأرض ، وهذا السد يمنعهم من الخروج واجتياح الأرض بصورة جماعية جرارة ، إلى أن يأذن اللّه ، فإذا أذن اللّه وتم ذلك ، كان علامة كبرى من علامات الساعة . ومكان السد غير معروف بالتحديد ؛ إذ لم يحدده الكتاب ولا السنة ، لأن المراد من ذلك الاعتبار . غير أنه بعض العلماء اجتهدوا في معرفة مكانه .

- عن ابن عباس - رضي اللّه عنهما - أنه قال : هو في منقطع بلاد الترك ، مما يلي أرمينيا وأذربيجان . [رواه الطبري والقرطبي ، وذكره الألوسي والبيضاوي] .

---

(1) برقم 1645 : ثنا ابن نمير عن سفيان عن سلمة عن كهل عن أبي الزعراء عنه رضي اللّه عنه .

(2) العلامات هنا غير مرتبة ترتيبًا زمنيًا ، لأن العطف بالواو ، وقد ذكر مسلم هذا الحديث من طريق آخر بترتيب مخالف .

- ذكر العلامة جمال الدين القاسمي [1] أن بعض المحققين قال : كان يوجد وراء جبل من جبال القوقاز ، المعروف عند العرب بجبل قاف ، في إقليم داغستان ، قبيلتان ، تسمى إحداهما (آقوق) ، والثانية (ماقوق) ، فعربهما العرب باسم يأجوج ومأجوج ، وهما معروفتان عند كثير من الأمم ، وورد ذكرهما في كتب أهل الكتاب ، ومنهما تناسل كثير من أمم الشمال والشرق في روسيا وآسيا .

- وقال أبو الأعلى المودودي في تفسير سورة الكهف : الأقرب إلى الصواب أن يأجوج ومأجوج هم قبائل روسيا وشمال الصين المعروفة بأسماء التتار والمغول والهون والسييث وغير ذلك ، وكانت تغير على الدول المتحضرة من قديم الزمان [2] .

- وجاء في سفر حِزْقِيَال 2/38 : يا ابن آدم ، اجعل وجهك على جوج ، أرض ماجوجَ ، رئيس روشٍ ماشِكَ وتوبالَ ، وتنبأ عليه .

3/38 : وقل : هكذا قال السيد الرب : هأنذا عليك ياجوج رئيس روشٍ ماشِك وتوبال .

1/39 : وأنت يا ابن آدم ، تنبأ على جوج ، وقل : هكذا قال السيد الرب : هأنذا عليك ياجوجُ رئيس روشٍ ماشِكَ وتوبال .

فدل على أنهم يسكنون في روسيا وموسكو وتوبل .

- قال المؤرخ اليهودي بوسيفوس : هم الشيث الذين سكنوا شمال وشرق البحر الأسود .

وقال العالم النصراني جيروم : إن يأجوج ومأجوج سكنوا شمال القفقاز قرب بحر الخزر .

وفي تلك المنطقة يوجد بين بحر الخزر والبحر الأسود سلسلة جبال القوقاز الشاهقة التي تفصل الشمال عن الجنوب ، ويوجد بين تلك الجبال مضيق يصل بين الشمال

---

(1) في تفسيره المسمى محاسن التأويل لدى تفسير الآيات في سورة الكهف . وانظر التذكرة ص 783 .

(2) رجح بعض العلماء - ومنهم أبو الكلام آزاد وأبو الأعلى المودودي وعبد الجليل عيسى أن ذا القرنين هو الملك كورش أو قورش كما يسميه اليهود ، ويسميه اليونان سائرس ، وقد وحد مملكتي مادا وفارس ، وكان على الدين الصحيح لزرادشت الذي قام دينه على التوحيد ، ثم حرفته الديانة المجوسية التي تسبق دين زرادشت . وقد عثر على تمثال لقورش ، يعد من أعظم الآثار الفارسية القديمة ، وفيه جناحان وقرنان ، ومن المعروف أن قورش هو الذي أنقذ اليهود من أسر بابل ، ولذلك فإن له مقامًا كبيرًا عندهم . ومن الجدير بالذكر أن إشعياء يتكلم عن قورش في الفصل الخامس والأربعين والسادس والأربعين ، أما سفر دانيال ، فيشبهه بالعُقاب ، ويصفه بأنه ذو القرنين . والله أعلم .

والجنوب ، فلم يكن هناك منفذ للمهاجمين من الشمال سوى هذا المضيق ،، فبنى ذو القرنين فيه سدًّا حديديًّا ، أخذ به الطريق على المغيرين . ويسمى هذا المضيق في أيامنا بمضيق دَرَبال ، ويشار إلى موضعه في الأطالس الحاضرة ، بين ولادي كيوكز وبين طفليس ، وعليه جدار حديدي من قديم الأزمان ، تنطبق عليه الأوصاف التي وصف بها القرآن سد ذي القرنين . والمعروف أن استحكامات دربند ودربال بنيت جنوب القفقاز اتقاء لهجماتهم [1] . واللّه أعلم .

وصفوة القول : لقد تضافرت الشواهد التاريخية على أن مسكنهم في أقصى الشرق ، وعلى أنهم لم يكونوا إلا قبائل همجية بدوية من السهول الشمالية الشرقية ، أما الجزم بالمكان ، أو من هم الذين انصبت عليهم النصوص القرآنية ، وجعلت خروجهم ومجيئهم إلى بلاد الشام من علامات الساعة ، فأمر غيبي لا يعلمه إلا اللّه ، والأسلم التسليم والتفويض .

أوصافهم :

عن خالد بن عبد اللّه بن حرملة عن خالته - رضي اللّه عنها - قالت : خطب رسول اللّه ﷺ وهو عاصب أصبعه من لدغة عقرب ، فقال : إنكم تقولون : لا عدو لكم ، وإنكم لا تزالون تقاتلون عدوًّا حتى يخرج يأجوج ومأجوج ، عراض الوجوه ، صغار العيون ، صهب ، من كل حدب ينسلون ، كأن وجوههم المجان المطرقة . [أخرجه أحمد والطبراني ، وقال الهيثمي : رجالهما رجال الصحيح] .

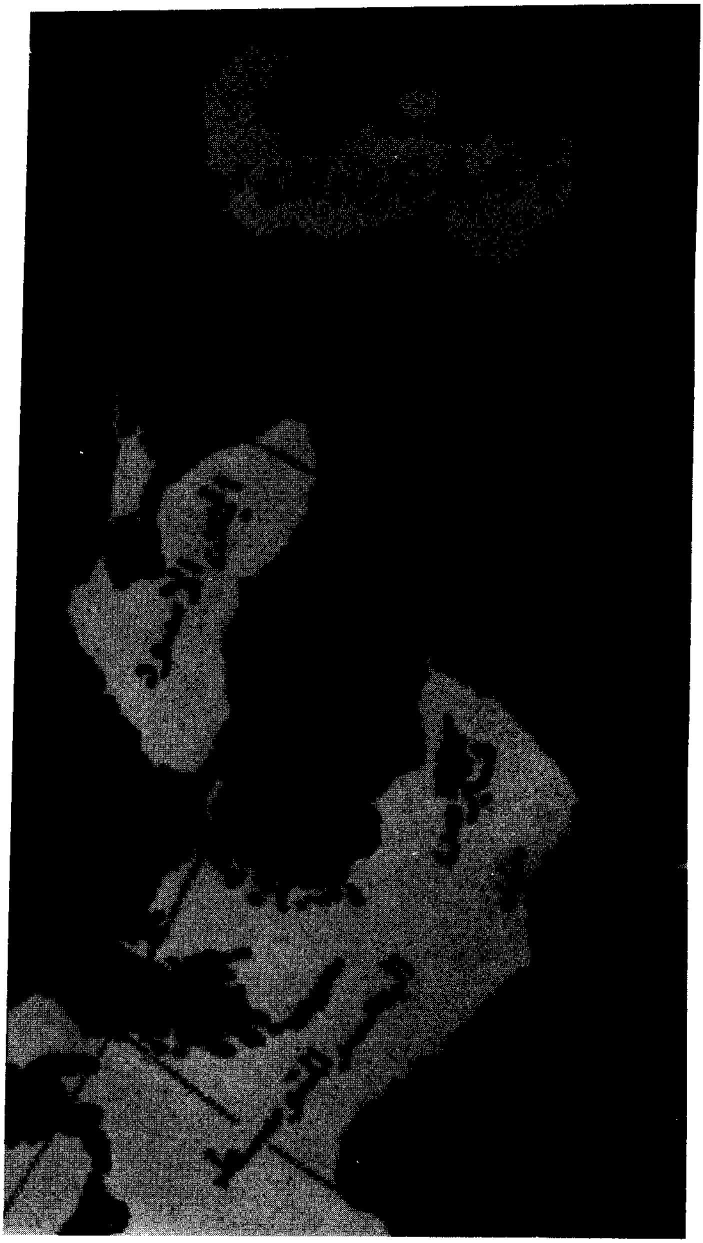
وفي رواية : شهب الشعاف .

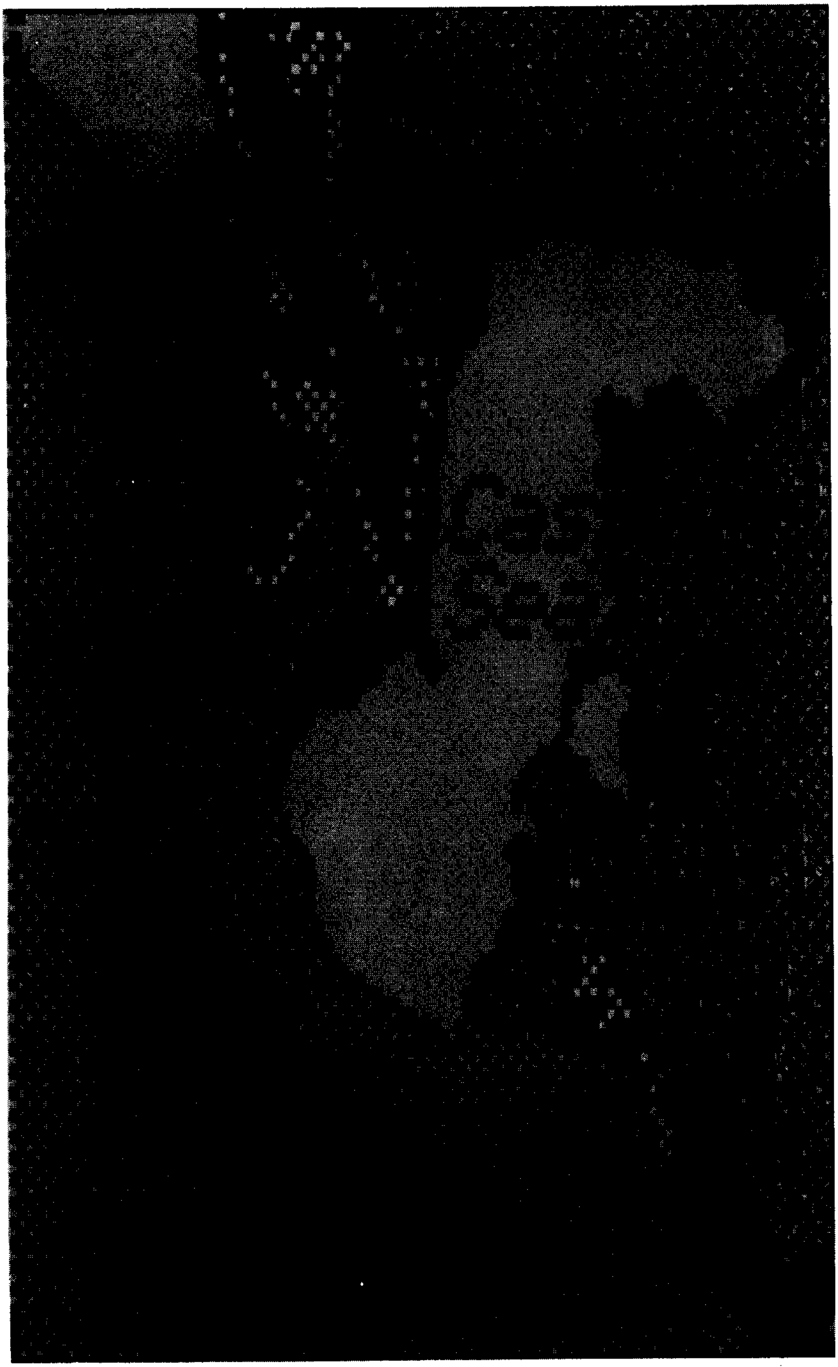
فهم يشبهون أبناء جنسهم من الترك والمغول . والشعاف جمع شعفة ، وهي أعلى الرأس ، والمراد شهب الشعور ، أما الصهبة ، فهي حمرة أو شقرة في الشعر . ووجوههم كالمجان المطرقة ، لاستدارتها وكثرة اللحم فيها ، وهم كثيرو العدد أقوياء ، لا طاقة لأحد بقتالهم [2] .

---

(1) لكن لم يثبت أن كورش هو الذي بناها . وكان بعض الباحثين يقول : لعله سد الصين العظيم ، غير أن الأوصاف التي وصفوه بها لا تنطبق على ما بناه ذو القرنين . وهذه كلها احتمالات واللّه أعلم .

(2) قال ابن كثير في الفتن والملاحم : « ومن زعم أن منهم الطويل الذي كالنخلة السحوق ، ومنهم القصير ، ومنهم من له أذنان ، يتغطى بإحداهما ، ويتوطأ بالأخرى ، فقد تكلف مالا علم له به ، وقال مالا دليل عليه » . وما ورد من الصحيح فيه غنى عن الضعيف والموضوع .





زمان خروجهم :

بعد أن يقتل مسيح الهدى مسيحَ الضلالة ، ويقضي على اليهود ، وفتنتهم ، يأذن اللّه بخروج يأجوج ومأجوج خروجًا جماعيًا ، فيصبح السد المنيع دكًّا ، ويخرجون سراعًا ، فيفسدون في الأرض ، ولما كان محمد ﷺ خاتم الأنبياء ، فإن تهدم السد أصبح قريبًا نسبيًا .

- عن زينب بنت جحش - رضي اللّه عنها - أن رسول اللّه ﷺ دخل عليها - وفي رواية : استيقظ يومًا فزعًا - يقول : ويل للعرب من شر قد اقترب ، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه ، وحلق بأصبعه الإبهام والتي تليها . قالت زينب : فقلت : يا رسول اللّه ، أفنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : نعم ؛ إذا أكثر الخبث . [أخرجه الشيخان والترمذي] .

والمراد كثرة الفسوق والفجور . وقيل : المراد به الزنا خاصة .

- وعن أبي هريرة - رضي اللّه عنه - قال : قال رسول اللّه ﷺ : فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه ، وعقد بيده تسعين . [أخرجه الشيخان وأحمد] .

وذلك بأن جعل طرف سبابته اليمنى في أصل الإبهام ، وضمها محكمًا ، بحيث انطوت عقدة إبهامها حتى صارت كالحية المطوقة .

- وعن أبي هريرة - رضي اللّه عنه - أن رسول اللّه ﷺ قال : إن يأجوج ومأجوج يحفران كل يوم ، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس ، قال الذي عليهم : ارجعوا ، فسنحفره غدًا ، فيعيده اللّه أشد ما كان ، حتى إذا بلغت مدتهم ، وأراد اللّه أن يبعثهم على الناس ؛ حفروا حتى كادوا يرون شعاع الشمس ، قال الذي عليهم : ارجعوا ، فسنحفره غدًا إن شاء اللّه ، واستثنوا [1] ، فيعودون إليه كهيئتة حين تركوه ، فيحفرونه ويخرجون على الناس ، فينشفون الماء ، ويتحصن الناس منهم في حصونهم ، فيرمون بسهامهم إلى السماء ، فترجع عليهم بالدم ، فيقولون : قهرنا أهل الأرض ، وعلونا أهل السماء . [أخرجه أحمد والترمذي وابن ماجه وابن حبان والحاكم وقال : على

(1) وهذا يدل على أن فيهم من يعرف اللّه ويقر بقدرته ومشيئته ، ويحتمل أن تكون تلك الكلمة تجري على لسان الذي عليهم من غير معرفة معناها ، فيحصل المقصود ببركتها . فتح الباري 190/13 .

شرطيهما ، ووافقه الذهبي] [1] .

فتنتهم وهلاكهم :

فتنتهم عامة وشرهم مستطير ، أعدادهم عظيمة كالنمل أو الجراد المنتشر ، لا يقدر أحد على دفعهم ؛ ولذلك ينحاز المسلمون إلى مدنهم وحصونهم ، وينحاز عيسى - عليه السلام - ومن معه بأمر اللّه إلى جبل الطور ، ثم يهلكهم اللّه سبحانه دفعة واحدة بأبسط شيء .

- عن النواس بن سمعان - رضي اللّه عنه - في حديثه السابق : .. فبينما هو كذلك ، إذ أوحى اللّه - عز وجل - إلى عيسى ابن مريم - عليه السلام - إني قد أخرجت عبادًا لي ، لا يدان لأحد بقتالهم ، فَحَرِّز عبادي إلى الطور . ويبعث اللّه يأجوج ومأجوج ، وهم من كل حدب ينسلون [2] ، فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية ، فيشربون ما فيها ، ويمر آخرهم فيقول : لقد كان بهذه مرة ماء . ويُحصر نبيُّ اللّه عيسى - عليه السلام - وأصحابه ، فيرسل ، اللّه عليهم النّغفَ في رقابهم ، فيصبحون فرْسى [3] ، كموت نَفْس واحدة ، ثم يهبط نبي اللّه عيسى وأصحابه إلى الأرض ، فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زَهَمُهم ونَتْنهم [4] ، فيرغب نبي اللّه عيسى وأصحابه إلى اللّه ، فيرسل اللّه طيرًا كأعناق البُخْت [5] ، فتحملهم فتطرحهم حيث شاء اللّه ، ثم يرسل اللّه مطرًا ، لا يُكنُّ منه بيت مَدَر ولا وبر [6] ، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزَّلَقَة [7] ، ثم يقال للأرض : أنبتي ثمرتك .. الحديث . [أخرجه مسلم وأحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه والحاكم في المستدرك] .

وفي رواية لمسلم نحوه ، وزاد بعد قوله : لقد كان بهذه مرة ماء : ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخمر - وهو جبل بيت المقدس [8] - فيقولون : لقد قتلنا من في

---

(1) قال ابن كثير في النهاية 100/1 : رواه أحمد والترمذي وابن ماجه من غير وجه عن قتادة به . وروى ابن جرير وابن أبي حاتم عن كعب الأحبار قريبًا من هذا . (2) أي يسرعون ويهرعون .

(3) النغَف : دود يكون في أنوف الإبل والغنم ، واحدها نغفة . وفَرْسى : هلكى ، مفردها فريس كقتيل . يقال : فَرَس الذئب الشاة .

(4) الزهمة : الريح المنتنة ، والزَهَم مصدر زَهَمت يده من ريح الدسم .

(5) صنف من الإبل غلاظ الأعناق عظام الأجسام .

(6) المدر : طين قد استحجر ، والمراد البيوت المبنية دون الخيام .

(7) روي بالفاء وبالقاف ، وكلها صحيحة ، وبمعنى واحد ، أي كالمرآة في صفائها ونظافتها ، وجمعها زُلَف .

(8) سمي بذلك ؛ لكثرة شجره ، أو لما فيه من أماكن استتار ؛ إذ الخمر معناها : الستر والتغطية .

الأرض ، هلم فلنقتل من في السماء ، فيرمون بنُشابهم إلى السماء ، فيرد اللّه عليهم نُشابهم مخضوبة دمًا .

وعند الترمذي : لقد كان بهذه مرة ماء ، ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل بيت المقدس ، فيقولون : لقد قتلنا من في الأرض ، فهلم فلنقتل من في السماء ، فيرمون بنُشابهم إلى السماء ، فيرد اللّه عليهم نشابهم محمرًّا دمًا ، ويُحاصر عيسى ابن مريم وأصحابه ، حتى يكون رأس الثور يومئذ خيرًا لهم من مائة دينار لأحدكم اليوم .. قال : فيرغب عيسى إلى اللّه وأصحابُه ، فيرسل اللّه عليهم طيرًا كأعناق البُخت ، فتحملهم فتطرحهم بالمَهْبَل ، ويستوقد المسلمون من قِسِيِّهم ونُشابهم وجِعابهم سبع سنين ، ويرسل اللّه عليهم مطرًا ، لا يُكنّ منه بيت وبر ولا مدر ، فيغسل الأرض ، فيتركها كالزلقة . ثم يقال للأرض : أخرجي ثمرتك ، وردي بركتك .. الحديث .

وعند ابن ماجه : سيوقد المسلمون من قسي يأجوج ومأجوج ونشابهم وأترستهم سبع سنين .

- وعن أبي سعيد الخدري - رضي اللّه عنه - قال : قال رسول اللّه ﷺ : تفتح يأجوج ومأجوج ، فيخرجون على الناس ، كما قال اللّه عز وجل : ﴿ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴾ فيغشَون الأرض ، وينحاز المسلمون عنهم إلى مدائنهم وحصونهم ، ويضمون إليهم مواشيهم ، ويشربون مياه الأرض ، حتى إن بعضهم ليمر بالنهر ، فيشربون ما فيه ، حتى يتركوه يبسًا ، حتى إن من بعدهم ليمر بذلك النهر فيقول : قد كان ههنا ماء مرة ، حتى إذا لم يبق من الناس أحد إلا في حصن أو مدينة ، قال قائلهم : هؤلاء أهل الأرض قد فرغنا منهم ، بقي أهل السماء ، قال : ثم يهز أحدهم حربته ، ثم يرمي بها إلى السماء ، فترجع إليه مخضبة دمًا ، للبلاء والفتنة ، فبينما هم على ذلك ، إذ بعث اللّه دودًا في أعناقهم ، كنغف الجراد الذي يخرج في أعناقهم ، فيصبحون موتى ، لا يُسمع لهم حس ، فيقول المسلمون : ألا رجل يشري نفسه ، فينظر ما فعل هذا العدو؟ قال : فيتجرد منهم رجل محتسبًا لنفسه ، قد وطنها على أنه مقتول ، فينزل فيجدهم موتى ، بعضهم على بعض ، فينادي : يا معشر المسلمين ، ألا أبشروا ، فإن اللّه عز وجل قد كفاكم عدوكم ، فيخرجون من مدائنهم وحصونهم ، ويسرحون مواشيهم ، فما يكون لهم رَعْي إلا لحومهم ، فتشكر عنه كأحسن ما تشكر عن شيء من النبات أصابته قط . [أخرجه أحمد وابن ماجه وابن حبان والحاكم وقال : على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي ، وقال البوصيري في الزوائد : هذا صحيح رجاله ثقات] .

– وعن عبد اللّه بن مسعود – رضي اللّه عنه – أنه ذكر خروج الدجال ونزول عيسى ابن مريم وقتله الدجال قال : ثم يخرج يأجوج ومأجوج ، فيموجون في الأرض ، فيفسدون فيها ، ثم قرأ عبد اللّه : ﴿ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴾ ، ثم بعث اللّه عليهم دابة النَغَف ، فتدخل في أسماعهم ومناخرهم ، فيموتون منها ، فتُنتن الأرض منهم ، فيجأر أهل الأرض إلى اللّه ، فيرسل اللّه ماء ، فيطهر الأرض منهم .. [أخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي ، وأخرجه نعيم بن حماد في الفتن] .

– وعنه – رضي اللّه عنه – قال : لما كان ليلة أسري برسول اللّه ﷺ لقي إبراهيم وموسى عيسى – عليهم السلام – فتذاكروا الساعة متي هي ، فبدأوا بإبراهيم ، فسألوه عنها ، فلم يكن عنده منها علم ، فسألوا موسى ، فلم يكن عنده منها علم ، فردوا الحديث إلى عيسى فقال : عهد اللّه إلي فيها دون وجبتها – يعني ساعة وجوبها – فلا يعلمها إلا اللّه عز وجل ، فذكر خروج الدجال ، وقال : فأهبط فأقتله ، ثم يرجع الناس إلى بلادهم ، فيستقبلهم يأجوج ومأجوج ، وهم من كل حدب ينسلون ، لا يمرون بماء إلا شربوه ، ولا بشيء إلا أفسدوه ، فيجأرون إلي ، فأدعوا اللّه فيميتهم ، فتخوى الأرض من ريحهم ، فيجأرون إلي ، فأدعوا اللّه ، فيرسل السماء بالماء ، فيحملهم فيقذف بأجسامهم في البحر ، ثم تُنسف الجبال ، وتمتد الأرض مد الأديم ، فعهد اللّه إلي أنه إذا كان ذلك أن الساعة من الناس كالحامل المتم ، لا يدري أهلها متى تفجؤهم بولادتها ليلًا أو نهارًا .

قال العوام : فوجدت تصديق ذلك في كتاب اللّه عز وجل ، ثم قرأ : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ ﴾ . [أخرجه أحمد وابن ماجه والحاكم في المستدرك ، وصححه ووافقه الذهبي] .

– حديث حذيفة بن اليمان مرفوعًا ، قال أبو حازم : قال عبد اللّه بن عمرو – رضي اللّه عنهما – : .. ويظهر المسلمون ، فيكسرون الصليب ، ويقتلون الخنزير ، ويضعون الجزية ، فبينما هم كذلك ، إذ أخرج اللّه يأجوج ومأجوج ، فيشرب أولهم البحيرة ، ويجيء آخرهم وقد انتشفوه ، فما يدعون فيه قطرة ، فيقولون : قد كان ههنا أثر ماء ، فيجيء نبي اللّه وأصحابه وراءه حتى يدخلوا مدينة من مدائن فلسطين يقال لها لد ، فيقولون : ظهرنا على من في الأرض ، فتعالوا نقاتل من في السماء ، فيدعو اللّه نبيّه عند ذلك ، فيبعث قَرْحة في حلوقهم ، فلا يبقى منهم بشر ، فتؤذي ريحُهم المسلمين ، فيدعو عيسى عليهم ، فيرسل اللّه عليهم ريحًا ، فتقذفهم في البحر أجمعين . [أخرجه

مسلم مختصرًا والحاكم وقال : على شرط مسلم ، وابن عساكر] .

- وعن زيد بن أسلم عن أبيه - رضي اللّه عنه - قال : قال رسول اللّه ﷺ : إن يأجوج ومأجوج حين يخرجون ، يخرج أولهم بالبحيرة - بحيرة طبرية - فيشربونها ، ثم يأتي آخرهم عليها فيقولون : كأنه كان ههنا مرة ماء ، فإذا غلبوا على الأرض قالوا : غلبنا على أهل الأرض ، تعالوا نقاتل أهل السماء ، فقالوا : يا رسول اللّه ، فأين يكون المسلمون ؟ قال : يتحصنون ، فيرسل اللّه سحابًا يقال له : القنان ، وكذلك اسمه عند اللّه ، فيرمونه بنبالهم ، فتسقط نبالهم مخضبة دمًا ، فيقولون : قد قتلنا اللّه ، واللّه قاتلهم ، فيمكثون ما شاء اللّه ، فيوحي اللّه تعالى إلى السحاب ، فتمطر عليهم دودًا كالنَغَف نَغَف الإبل يخرج منها ، فتأخذ كل واحدة في عنق واحد فتقتله ، فبينما هم على ذلك ، إذ قال رجل من المسلمين : افتحوا لي الباب ، أخرج فأنظر ما فعلوا أعداءُ اللّه ، لعل اللّه يكون قد أهلكهم ، فيخرج فإذا جاءهم وجدهم قيامًا موتى ، بعضهم على بعض ، فيحمد اللّه وينادي إلى أصحابه : إن اللّه قد أهلكهم ، فيبعث اللّه مطرًا ، فيغسل الأرض منهم . قال : فيستوقد المسلمون من قسيهم ونبلهم كذا وكذا سنة ، وتأكل مواشي المسلمين من جيفهم ، فتشكر عليهم وتلين (1) . [أخرجه نعيم بن حماد في الفتن] (2) .

ذكرهم لدى أهل الكتاب :

جاء في سفر حِزْقِيال 38/1-23 : وكان إلى كلام الرب قائلًا : يا ابن آدم اجعل وجهك على جوج ، أرضِ ماجوج رئيس روش وماشِكَ وتوبال ، وتنبأ عليه . وقل : هكذا قال السيد الرب . هأنذا عليك ياجوج رئيسُ روش وماشِك وتوبال . وأرجعك وأضع شكائم في فكّيك ، وأخرجك أنت وكل جيشك ، خيلًا وفرسانًا ، كلهم لابسين أفخر لباس ، جماعة عظيمة مع أتراس ومجان ، كلهم ممسكين السيوف .. وتصعد وتأتي كزوبعة ، وتكون كسحابة تُغشّي وجه الأرض ، أنت وكل جيشك ، وشعوب كثيرون معك .. وتصعد على شعبي إسرائيل ، كسحابة تُغشّى الأرض في الأيام الأخيرة يكون . وآتي بك على أرضي لكي تعرفني الأمم حين أتقدس فيك أمام أعينهم ياجوج . هكذا قال السيد الرب : هل أنت هو الذي تكلمت عنه في الأيام القديمة عن يد عبيدي أنبياء بني إسرائيل الذين تنبأوا في تلك الأيام سنينًا أن آتي بك عليهم . ويكون في ذلك

---

(1) أي تسمن عليهم وتكبر .

(2) برقم 1631 : ثنا ابن وهب ثنا زيد بن أسلم عن أبيه رضي اللّه عنه .

اليوم ، يومَ مجيء جوج على أرض إسرائيل أن غضبي يصعد في أنفي . وفي غيرتي في نار سُخطي تكلمت أنه في ذلك اليوم يكون رعش عظيم في أرض إسرائيل .. وأعاقبه بالوباء وبالدم ، وأمطر عليه وعلى جيشه ، وعلى الشعوب الكثيرين معه ، مطرًا جارفًا ، وحجارة بَرَد عظيمة ، ونارًا وكبريتًا ، فأتعظم وأتقدس ، وأُعرف في عيون أمم كثيرة ، فيعلمون أني أنا الرب .

وفي 39/1-17 : وأنت يا ابن آدم تنبأ على جوجٍ ، وقل : هكذا قال السيد الرب ، هأنذا عليك يا جوجُ رئيسُ روش وماشِكَ وتوبالَ ، وأردك وأقودك ، وأصعدك من أقاصي الشمال وآتي بك على جبال إسرائيل ، وأضرب قوسك من يدك اليسرى ، وأسقط سهامك من يدك اليمنى ، فتسقط على جبال إسرائيل ، أنت وكل جيشك ، والشعوب الذين معك ، أبذلُك مأكلًا للطيور الكاسرة من كل نوع ، ولوحوش الحقل ، وعلى وجه الحقل تسقط .. ها هو قد أتى وصار ، يقول السيد رب : هذا هو اليوم الذي تكلمتُ عنه ، ويخرج سكان مدن إسرائيل ، ويُشعلون ويحرقون المِجَانَّ والأتراس ، والقسي والسهام ، والحراب والرماح ، ويوقدون بها النار سبع سنين ، فلا يأخذون من الحقل عودًا ، ولا يحتطبون من الوعور ؛ لأنهم يحرقون السلاح بالنار ، وينهبون الذين نهبوهم ، ويسلبون الذين سلبوهم ، يقول السيد الرب : ويكون في ذلك اليوم أني أعطي جوجًا موضعًا هناك للقبر في إسرائيل ، ووادي عباريم ، بشرقي البحر ، فيُفسد نفس العابرين . وهناك يدفِنون جوجًا وجمهوره كله ، ويسمونه وادي جمهور جوج ، ويقبُرهم بيت إسرائيل ، ليطهروا الأرض سبعة أشهر ، كل شعب الأرض يعبرون ، ويكون يوم تمجيدي .. بعد ستة أشهر يفحصون ، فيعبر العابرون في الأرض ، وإذا رأى أحدهم عظم إنسان ، يبني بجانبه صُوَّة حتى يقبره القابرون في وادي جمهور جوج . وأيضا اسم المدينة هَمونة ، فيطهرون الأرض .

ومن صبر على ركاكة اللفظ ، وتأمل تلك العبارات ، وجد فيها شيئًا من بقايا الوحي الذي سبق ذكره ، ووجد فيها تشويشًا ومبالغة ، وأهل الكتاب ليس لديهم أسانيد يعتمدون عليها في نقل كتبهم المقدسة ، ولا يعرفون أسماء المترجمين الذين ترجموا هذه الأسفار من لغة إلى لغات أخرى . ومن قرأ تفسير النصارى لهذين الفصلين ، وجد البعد الشديد عن المعنى الظاهر . فلنقرأ الآن ما جاء في حواشي الكتاب المقدس [1] : « بعد أن

(1) الحواشي على المجلد الأول ص 37 .

استوفى النبي كلامه على ملك الكنيسة المحفوف بالسلام ، يذكر هنا الحروب التي ستندفع عليها في آخر الزمان ، فيعبر عن ذلك بتعديد شعوب يأتون من كل أوب ، يتحالفون على إسرائيل ، ويزحفون لقتالهم في عدد لا يحصى ، وفي مقدمتهم جوج ملك ماجوج ، فيضربهم الرب ضربة هائلة ، ويقرضهم عن آخرهم ، فيسقطون بجملتهم في موضع يسمى وادي العابرين في شرقي البحر .. ولعل مراده البحر الميت .. والذي ذهب إليه القديس أوغسطينس ، وأجمع عليه أكثر معلمي الكنيسة الكاثوليك أن (جوج) رمزٌ إلى شخص الدجال أو إلى كبير وزرائه ، وإسرائيل رمز للكنيسة ، والمراد بكون الوادي الذي تقع فيه هذه الفتنة وراء البحر الميت ، الإشارة إلى أنها تحدث خارج الأرض المقدسة في موضع مبتذل » .

فقد ذكر في البدء أنهم شعوب يتحالفون ضد الكنيسة ، ثم فسَّر كلمة جوج بملك أو قائد ، ثم جعلها رمزًا إلى شخص الدجال أو كبير وزرائه ، وجعل إسرائيل رمزًا للكنيسة ، مع أنه لو ثبت النص لكان ذلك إشارة إلى المسيح آخر أنبياء بني إسرائيل .

وجاء في رؤيا يوحنا 17/19-18 : ورأيت ملاكًا واقفًا في الشمس يصيح صياحًا عاليًا بجميع الطيور الجارحة التي في وسط السماء : تعالي اجتمعي في وليمة اللّه الكبرى ، لتأكلي لحوم الملوك ولحوم القادة ولحوم الأبطال ولحوم الخيل وفرسانها ، ولحوم جميع البشر ، عبيدًا وأحرارًا ، صغارًا وكبارًا .

وجاء في إنجيل متى 7/20-10 : ومتى تمت ألف السنة يطلق الشيطان من سجنه ، فيخرج ليضلل الأمم التي في زوايا الأرض الأربع ، أي جوج وماجوج ، فيجمعهم للقتال ، وعددهم عدد رمل البحر ، فصعدوا على وجه الأرض ، وأحاطوا بمعسكر القديسين ، وبالمدينة المحبوبة ، فنزلت نار من عند اللّه من السماء فأكلتهم ، وألقي إبليس الذي ضللهم في بحيرة النار والكبريت حيث كان الوحش والنبي الكذاب ، ليتعذبوا كلهم ليلًا ونهارًا إلى أبد الدهور .

وكأن الكاتب أو الناقل أو المترجم حصل لديه التباس وتداخل بين قصة الدجال وخروج يأجوج ومأجوج ، ففسرهما ببعضهما ودمجهما معًا ، فتشوه النص ، علمًا بأنهم يقولون : كتب متى إنجيله باللغة الآرامية ، ثم نُقل إلى اليونانية القديمة ، ولا يعرفون على وجه الضبط من هو المترجم ، وإنما يقولون : لعله كذا ، ولعله كذا . وليس لديهم نسخة باللغة الآرامية .

أعمال عيسى - عليه السلام - بعد فناء يأجوج ومأجوج

1 - الحكم بالشريعة الإسلامية :

ينزل عيسى – عليه السلام – من السماء بأمر اللّه ، ووصف النبوة قائم فيه ، غير أنه يكون تابعًا لشريعة محمد ﷺ وحاكمًا من حكام هذه الأمة ومجددًا لأمر دينها . فإن محمدًا ﷺ خاتم الأنبياء ، وشريعته خاتمة الشرائع ، وقد أخذ اللّه سبحانه العهد والميثاق على جميع الأنبياء أن يتبعوا محمدًا ﷺ وينصروه ، إن بعث وهم أحياء ، وهم بدورهم أخذوا الميثاق من أممهم .

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [آل عمران / 81] .

وعن جابر – رضي اللّه عنه – أن رسول اللّه ﷺ قال : لو كان موسى حيًا بين أظهركم ، ما حل له إلا أن يتبعني . [أخرجه أبو يعلى عن حماد عن الشعبي عن جابر] .

ولذلك ينزل عيسى – عليه السلام – من السماء ، وقد علمه اللّه كل ما يحتاج من أمر هذه الشريعة للحكم بين الناس . فما إن تنتهي صلاة الفجر ، حتى يجتمع إليه المسلمون ، ويحكمونه على أنفسهم ، فيكون حكمًا مقسطًا ، يحكم بكتاب اللّه وسنة رسوله ﷺ غير أنه يكسر الصليب – شعار النصارى المزيف – ويقتل الخنزير – رمز النصرانية المحرفة – ويضع الجزية إبطالًا لجميع الأديان ، فلا يقبل من أحد إلا الإسلام ، وآنئذ يكون الدين كله للّه (1) .

عن أبي هريرة – رضي اللّه عنه – قال : قال رسول اللّه ﷺ : كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم ؟ . [أخرجه الشيخان واللفظ لمسلم ، وأخرجه أحمد وابن ماجه] .

قيل : معنى « إمامكم منكم » أن عيسى منكم ، فوضع الاسم المظهر موضع الاسم المضمر ؛ تعظيمًا له ، وتربية للمهابة في النفوس .

(1) لم يرد في النصوص أنه يطوف الأرض كلها كما يدور الدجال .

وفي رواية لهما : « فأمّكم منكم » قال ابن أبي ذؤيب للوليد بن مسلم راوي الحديث : تدري ما « أمكم منكم » ؟ قلت : تخبرني . قال : فأمكم بكتاب ربكم عز وجل وسنة نبيكم ﷺ .

وعند أبي داود أن رسول اللّه ﷺ قال : ليس بيني وبينه - يعني عيسى - نبي ، وإنه نازل .. فيقاتل الناس على الإسلام ، فيدق الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، ويُهلك اللّهُ في زمانه المللَ كلَّها إلا الإسلام ، ويهلك المسيح الدجال .. الحديث .

وعن عبد اللّه بن مغفل - رضي اللّه عنه - قال : قال رسول اللّه ﷺ : يلبث - أي الدجال - فيكم ما شاء اللّه ، ثم ينزل عيسى ابن مريم مصدقًا بمحمد ﷺ على ملته ، إمامًا مهديًا ، وحكمًا عدلًا ، فيقتل الدجال . [أخرجه الطبراني في الكبير والأوسط . قال الهيثمي : رجاله ثقات ، وفي بعضهم ضعف لا يضر] .

2 - حجه وزيارته مسجد النبي ﷺ :

بعد مقتل الدجال وهلاك يأجوج ومأجوج ، يحج عيسى - عليه السلام - البيت الحرام ، مارًّا بالمدينة المنورة .

- عن أبي هريرة - رضي اللّه عنه - قال : قال رسول اللّه ﷺ : والذي نفسي بيده ، ليهلن ابن مريم بفج الروحاء [1] ، حاجًّا أو معتمرًا ، أو ليثنيهما [أخرجه مسلم وأحمد والحاكم في المستدرك وابن أبي شيبة] [وعند أحمد : ليمكثن عيسى ابن مريم بالروحاء، فيقومن منها بالحج] .

- وعنه - رضي اللّه عنه - أن رسول اللّه ﷺ قال : ينزل عيسى ابن مريم ، فيقتل الخنزير ، ويمحو الصليب ، ويجمع الصلاة [2] ، ويُعطي المال حتى لا يُقبل ، ويضع الخراج ، وينزل الروحاء ، فيحج منها أو يعتمر ، أو يجمعهما . [أخرجه أحمد وابن جرير وابن عساكر] .

---

(1) ليهلن : ليرفعن صوته بالتلبية . فج الروحاء : طريق الروحاء ، والروحاء مكان بين المدينة ووادي الصفراء بمكة . قال ابن قرقول في المطلع : والروحاء من عمل الفرع ، على نحو من أربعين ميلًا من المدينة ، وفي مسلم : ستة وثلاثين ، وابن أبي شيبة : على ثلاثين . وقيل : مكان في طريق النبي ﷺ من المدينة إلى بدر ، يبعد عن المدينة ستة أميال .

(2) وفي رواية : تجمع له الصلاة ؛ أي يصير هو الإمام في الصلاة ، مع قيامه بأعباء الإمامة العظمى .

وأخرج الحاكم وصححه ووافقه الذهبي [1] ، وابن عساكر عنه - رضي اللّه عنه - أيضًا : ليهبطن ابن مريم حكمًا عدلًا ، وإمامًا مقسطًا ، وليَسْلُكَنَّ فجًا فجًا ، حاجًّا أو معتمرًا ، وليأتين قبري حتى يسلم علي ، ولأردن عليه .

قال أبو هريرة - رضي اللّه عنه - : أي بني أخي ، إن رأيتموه فقولوا : أبو هريرة يُقرئك السلام [2] .

- وعن عمرو بن عوف المزني - رضي اللّه عنه - قال : غزونا مع رسول اللّه ﷺ أول غزوة غزاها ، الأبواء ، حتى إذا كنا بالروحاء ، نزل بعرق الظبية فصلى ، ثم قال : هل تدرون ما اسم هذا الجبل ؟ ... تدرون ما اسم هذا الوادي ؟ - يعني الروحاء - هذه سجاسج ، وإنها واد من أودية الجنة ... ولا تقوم الساعة حتى يمر بها عيسى عبد اللّه ورسوله ، حاجًّا أو معتمرًا ، أو يجمع اللّه له ذلك . [أخرجه الطبراني] .

3 - انتشار الأمن وظهور البركات :

بعد أن تضع الحرب أوزارها ، يعيش الناس في نعمة لم ينعموا بمثلها قط ، حيث تنزل عليهم بركات دينية ودنيوية ، فترفع الشحناء والبغضاء والضغينة من صدور الناس ، وينزح السم من ذوات السموم ، وتصبح الأسود وديعة ، وتنزل السماء خيرها ، وتخرج الأرض بركتها ، ويعم الخير ، فليس ثمة من يقبل الصدقة .

- عن أبي هريرة - رضي اللّه عنه - قال : قال رسول اللّه ﷺ : واللّه لينزلن ابن مريم حكمًا عادلًا ، فليكسرن الصليب ، وليقتلن الخنزير ، وليضعن الجزية ، ولتُترَكن القلاص [3] ، فلا يُسعى عليها ، ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد ، وليدْعَوُنّ إلى المال ، فلا يقبله أحد . [أخرجه الشيخان ، واللفظ لمسلم ، وأحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه] .

---

(1) قال الحاكم : صحيح سمعه يعلى بن عبيد من أبي هريرة - رضي اللّه عنه - وقال الذهبي : إسناده صالح ، وهو غريب .

(2) والمراد تناقلوا ذلك عني حتى يأتي من يدركه فيبلغه . وقد أخرج الحاكم عن أنس مرفوعًا : من أدرك عيسى منكم ، فليقرئه مني السلام .

(3) القلاص : جمع قلوص ، وهي الناقة من الإبل ، كالفتاة من النساء ، والحدث من الرجال ، وذكرت لكونها أشرف الإبل التي هي أنفس الأموال عند العرب . ومعناه : يزهد الناس فيها ، لكثرة الأموال وقلة الآمال ، للعلم بقرب الساعة .

وفي رواية لهما : ويفيض المال حتى لا يقبله أحدًا .

زاد في رواية : حتى تكون السجدة الواحدة خيرًا من الدنيا وما فيها .

وفي رواية أحمد عنه – رضي اللّه عنه – : ينزل ابن مريم إمامًا عادلًا ، وحكمًا مقسطًا ، فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويرجع السَّلْم ، ويتخذ السيوف مناجل ، ويُذهب حُمَة كل ذات حُمَة ، وينزل من السماء رزقها ، وتخرج من الأرض بركتها ، حتى يلعب الصبي بالثعبان ولا يضره ، وترعى الغنم والذئب ولا يضرها ، ويرعى الأسد والبقرة ، ولا يضرها [1] .

وفي رواية أخرى لأحمد وأبي داود عنه : الأنبياء إخوة علّات ، أمهاتهم شتى ، ودينهم واحد ، وإني أولى الناس بعيسى ابن مريم ؛ لأنه لم يكن بيني وبينه نبي ، وإنه نازل ، فإذا رأيتموه فاعرفوه .. فيدق الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، ويدعو الناس إلى الإسلام ، ويُهلكِ اللّهُ في زمانه المللَ كلها إلا الإسلام ، ويُهلك اللّهُ في زمانه المسيحَ الدجال ، ثم تقع الأَمَنَة على الأرض ، حتى ترتع الأسود مع الإبل ، والنمور مع البقر ، والذئاب مع الغنم ، ويلعب الصبيان بالحيات ، فيمكث أربعين سنة وفي بعض الروايات : ما شاء اللّه أن يمكث – ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون .

– وعنه – رضي اللّه عنه – أن رسول اللّه ﷺ قال : طوبى لعيش بعد المسيح [2] ، يؤذن للسماء في القطر ، ويؤذن للأرض في النبات ، حتى لو بذرت حبك على الصفا [3] لنبت ، وحتى يمر الرجل على الأسد فلا يضره ، ويطأ على الحية فلا تضره ، ولا تشاحّ ولا تحاسد ولا تباغض . [أخرجه أبو نعيم والديلمي وأبو سعيد النقاش في فوائد العراقيين] [4] .

– وعنه – رضي اللّه عنه – قال : سمعت رسول اللّه ﷺ يقول : والذي نفسي بيده ، لينزلن عيسى ابن مريم إمامًا مقسطًا وحكمًا عدلًا ، فليكسرن الصليب ، وليقتلن الخنزير ، وليُصلحن ذات البين ، وليذهبن الشحناء ، وليعرضن المال ، فلا يقبله أحد ، ثم لئن قام

---

(1) قال ابن كثير في النهاية 95/1 : تفرد به أحمد ، وإسناده جيد قوي صالح .

(2) أي طوبى لعيش بعد نزول المسيح إلى الأرض ، وليس المقصود بعد موته ، موافقة للأحاديث الأخرى .

(3) الصفا : الحجر الأملس الأصم .

(4) وقوى الغُماري إسناده ، ورواه الأقباري ، ومن طريقه الدياسمي ، والضياء في المنتقى من طريق آخر ، ورمز السيوطي إلى حسنه – الفيض 275/4 .

على قبري وقال : يا محمد لأجيبنه . [أخرجه أبو يعلى الموصلي ، قال الهيثمي : ورجاله رجال الصحيح] .

– وعن النواس بن سمعان – رضي اللّه عنه – في حديثه السابق : .. ثم يقال للأرض : أنبتي ثمرتك ، وردي بركتك ، فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ، ويستظلون بقحفها ، ويُبارك في الرِّسل ، حتى إن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس ، واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس ، واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس [1] [أخرجه مسلم واللفظ له وأحمد والترمذي وابن ماجه والحاكم في المستدرك وأبو داود مختصرًا] .

وعند الترمذي : ثم يقال للأرض : أخرجي ثمرتك ، وردي بركتك ، فيومئذ تأكل العصابة الرمانة ، ويستظلون بقحفها ، ويُبارك في الرِّسْل ، حتى إن الفئام من الناس ليكتفون باللقحة من الإبل ، وإن القبيلة ليكتفون باللقحة من البقر ، وإن الفخذ ليكتفون باللقحة من الغنم .

– وعن أبي أمامة الباهلي – رضي اللّه عنه – أن رسول اللّه ﷺ قال : .. فيكون عيسى ابن مريم في أمتي حكمًا عدلًا مقسطًا ، يدق الصليب ، ويذبح الخنزير ، ويضع الجزية ، ويترك الصدقة ، فلا يسعى على شاة ولا بعير ، وتُرفع الشحناء والتباغض ، وتُنزع حُمة كل ذات حُمة ، حتى يُدخل الوليد يده في الحية فلا تضره ، وتقود الوليدة الأسد فلا يضرها ، ويكون الذئب في الغنم كأنه كلبها ، وتُملأ الأرض من السِّلْم كما يملأ الإناء من الماء ، وتكون الكلمة واحدة ، فلا يعبد إلا اللّه ، وتضع الحرب أوزارها ، وتسلب قريش ملكها ،وتكون الأرض كفاثور الفضة [2] ، تنبت نباتها بعهد آدم ، حتى يجتمع النفر على القَطف من العنب : فيشبعهم ، ويجتمع النفر على الرمانة فتشبعهم ، ويكون الثور بكذا وكذا من المال ، ويكون الفرس بالدريهمات . قالوا : يا رسول اللّه ، وما يُرخص الفرس ؟ قال : لا تركب لحرب أبدًا . قيل له : فما يُغلي الثور ؟ قال :

---

(1) العصابة : الجماعة من الناس قبل أن يبلغوا أربعين . والقِحف للرأس معروف ، والمراد قشر الرمانة ، أي بقعر قشرها ، تشبيهًا بقحف الرأس . الرسل – بكسر الراء – اللبن . واللّقحة : الناقة التي يكون لها لبن ، أي القريبة العهد بالولادة ، واللقوح : ذات اللبن . الفئام : الجماعة الكثيرة من الناس ، وهي أكبر من العصابة . والفخذ من الناس : الجماعة الأقارب دون البطن بكثرتهم ، والبطن دون القبيلة .

(2) الفاثور : الخوان الذي تخزن فيه المجوهرات .

تحرث الأرض كلها . [أخرجه ابن ماجه وساق أبو داود إسناده ، وأخرجه الحاكم في المستدرك] .

من بقايا الوحي في سفر إشعياء :

ولعل من بقايا الوحي ما جاء في سفر إشعياء 1/11-6 : ويخرج قضيب من جذع يسّي ، وينبت على غصن من أصوله ، ويحل عليه روح الرب ، روح الحكمة والفهم ، روح المشورة والقوة ، روح المعرفة ومخافة الرب ، ولذته تكون في مخافة الرب ، فلا يقضي بحسب نظر عينيه ، ولا يحكم بحسب سمع أذنيه ، بل يقضي بالعدل بين المساكين ، ويحكم بالإنصاف لبائسي الأرض ، ويضرب الأرض بقضيب فمه ، ويميت المنافق بنفخة شفتيه ، ويكون البر مِنطَقة متنيه ، والأمانة منطقة حَقويه ، فيسكن الذئب مع الخروف ، ويربُض النمر مع الجَدْي ، والعجل والشبل والمسمن معًا ، وصبي صغير يسوقها ، والبقرة والدُّبة ترعيان ، تربض أودلاهما معًا ، والأسد كالبقر يأكل تبنًا ، ويلعب الرضيع على سَرَب الصِّل ، ويمد الفطيم يده على حجر الأُفعوان لا يسوؤون ولا يفسدون ، في كل جبل قدسي ؛ لأن الأرض تمتلئ من معرفة الرب ، كما تغطي المياه البحر ، ويكون في ذلك اليوم أن أصل يسّي القائم للشعوب ، إياه تطلب الأمم ، ويكون محله مجدًا .. ويرفع راية الأمم .

وجاء في حاشية الكتاب المقدس [1] : « يتضمن - أي النص السابق - وصف أزمان المسيح وما يكون فيها من السعادة والدَّعة ، وهو المراد بهذا الملك [الذي يخرج من أرومة داود] وينشر العدل والسلام ، وترتد إليه الأمم الوثنية ، ويجتمع تحت رايته المشتتون من بني إسرائيل من كل وجه في الأرض ، فيصيرون تحت سلطانه مملكة مقتدرة ، تتسلط على جميع أعدائها » .

ولا اعتراض إلا على ادعاء أن المسيح من نسل داود ، وإنما يعود بنسبه من جهة أمة إلى سبط هارون كما سلف .

---

(1) حواشي الكتاب المقدس على المجلد الأول ص 52 .

موت المسيح عليه السلام

مدة لبثه بعد نزوله :

يمكث المسيح – عليه السلام – بعد نزوله إلى الأرض أربعين سنة ، ويتزوج ، ثم يتوفاه اللّه سبحانه ، فيصلي عليه المسلمون ويدفنونه .

– عن أبي هريرة – رضي اللّه عنه – في حديثه السابق : .. ثم يمكث في الأرض أربعين سنة ، ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون . [أخرجه أحمد وأبو داود وابن ماجه وابن حبان وابن أبي شيبة] [1] .

---

(1) وأورده الهيثمي في المجمع وعزاه للطبراني في الأوسط ، وقال رجاله ثقات . وقال ابن كثير في النهاية 96/1 : وهذا إسناد جيد قوي .

تنبيه : ورد ما يفيد أنه يمكث سبع سنين ، فعن عبد اللّه بن عمرو بن العاص – رضي اللّه عنه – أن رسول اللّه ﷺ قال : يخرج الدجال في أمتي .. فيبعث اللّه عيسى ابن مريم .. فيطلبه فيهلكه ، ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة . [أخرجه مسلم وأحمد والحاكم] .

قال ابن كثير في النهاية في الفتن والملاحم : وكلا الروايتين صحيحة ، وهذا مشكل ، اللهم إلا أن يحمل هذا السبع على مدة إقامته بعد نزوله ، وتلك مضافًا إلى مكثه فيها قبل رفعه إلى السماء ، وكان عمره إذ ذاك ثلاثًا وثلاثين سنة على المشهور ، واللّه أعلم . اهـ . وبناء على ذلك يكون الترتيب في الأحاديث ذكري لا زمني .

وقال البيهقي : يحتمل أن يكون قوله في حديث ابن عمرو : « ثم يلبث الناس سبع سنين » أي بعد وفاته ، فلا يكون مخالفًا للأول ، فترجح عندي هذا التأويل ؛ لأن الحديث ليس نصًا في الإخبار عن مدة لبث عيسى ، وذاك نص فيها ؛ لأن ثم ما يؤيد هذا التأويل ، وكذا قوله : « يلبث الناس بعده » ، فيتجه أن الضمير فيه لعيسى ؛ لأنه أقرب مذكور ، ولأنه لم يرد في ذلك سوى الحديث المحتمل ، ولا ثاني له ، وورد مكث عيسى أربعين سنة في عدة أحاديث من طرق مختلفة .. فهذه الأحاديث المتعددة وغيرها ، أولى من ذلك الحديث المحتمل اهـ .

قال السيوطي : رأيت البيهقي اعتمد أن مكثه في الأرض أربعون سنة ، معتمدًا ما أفاده أحمد في روايته بلفظ « ثم يمكث » أي بعد قتل الدجال ، وهذا هو المرجح ؛ لأن زيادة الثقة يحتج بها ، ولأنهم يأخذون بروايات الأكثر ، ويقدمونها على رواية الأقل ؛ لما فيها من زيادة العلم ، ولأنه مثبت ، والمثبت يقدم اهـ .

قلت : ويؤيد ذلك أن ثمة رواية لأحمد : « ثم يلبث الناس بعده سبع سنين ليس بين اثنين عدواة » .

– وذكر بعض العلماء أن كلمة (سبع) رمز للكثرة ، وليست للحصر ، وهو أسلوب معروف عند العرب ، فالمراد أنه يمكث سنين طويلة ، وهي أربعون سنة كما بينتها رواية أحمد وأبي داود عن أبي هريرة رضي اللّه عنه .

– ويحتمل أن يكون المراد كثرة السنين في المدة الخالصة من الأكدار في زمن عيسى – عليه السلام – ويؤيده ما رواه نعيم بن حماد في الفتن برقم 1615 : ثنا الحكم بن نافع عن جراح عن كعب قال : يقيم عيسى ابن مريم عشر حجج ، يبشر المؤمنين بدرجاتهم في الجنة .

وبرقم 1661 : ثنا بقية بن الوليد وأبو المغيرة عن أبي بكر بن أبي مريم عن أبي الزاهية عن كعب قال : يمكث الناس بعد يأجوج ومأجوج في الرخاء والخصب والدعة عشر سنين ، حتى إن الرجلين ليحملان الرمانة الواحدة ، ويحملان بينهما العنقود الواحد من العنب ، فيمكثون على ذلك عشر .. الحديث .

وأخرجه الطبراني في الأوسط وابن عساكر ونعيم بن حماد بلفظ : ينزل عيسى ابن مريم ، فيمكث في الناس أربعين سنة ، لو يقول للبطحاء : سيلي عسلًا لسالت .

- وعن عائشة - رضي اللّه عنها - أن رسول اللّه ﷺ قال : يخرج الدجال ، فينزل عيسى فيقتله ، ثم يمكث عيسى أربعين سنة إمامًا عدلًا ، وحكمًا مقسطًا . [أخرجه أحمد وابن أبي شيبة وابن عساكر] .

- وعن ابن عمر - رضي اللّه عنهما - أن رسول اللّه ﷺ قال : ينزل عيسى ابن مريم ، فيتزوج ، ويولد له أولاد . [أخرجه ابن الجوزي في المنتظم] .

- وعن ابن عباس - رضي اللّه عنهما - أن رسول اللّه ﷺ قال : يتزوج عيسى في الأرض ويقيم بها تسع عشرة سنة . [أخرجه نعيم بن حماد في الفتن] (1) .

وفاته ودفنه :

ثم يُتوفى عيسى - عليه السلام - بالمدينة المنورة ، ويدفن فيها بجانب النبي ﷺ وصاحبيه أبي بكر وعمر رضي اللّه عنهما (2) .

- عن عبد اللّه بن سلام - رضي اللّه عنه - قال : نجد في التوراة أن عيسى ابن مريم - عليه السلام - يدفن مع محمد ﷺ .

قال أبو مودود - أحد رواته : وقد بقي في البيت موضع قبر عيسى ابن مريم . [أخرجه نعيم بن حماد في الفتن] (3) .

وروى ابن جرير في تفسيره (4) عنه - رضي اللّه عنه - أنه قال : مكتوب في التوراة صفة محمد ﷺ وعيسى ابن مريم - عليه السلام - يدفن معه .

---

(1) أورده الحافظ في الفتح وعزاه له . ولعل هذه التسع عشرة تكون بعد زواجه .
قال القرطبي : يتزوج ويولد له أولاد ، تحقيقًا للبيعة ، ثم يموت بعد ذلك ، ويدفن في الروضة الشريفة [فيض القدير 400/5] .

(2) قال ابن كثير في النهاية في الفتن والملاحم : حتى تكون وفاته بالمدينة ودفنه بها .
وفي المواهب اللدنية للقسطلاني : بقي من البيت موضع قبر ، يدفن فيه عيسى ، ويكون قبره الرابع .

(3) برقم 1621 : ثنا سَلْم بن قتيبة عن أبي مودود المديني عن عثمان بن الضحاك عن يوسف بن عبد اللّه بن سلام عن أبيه رضي اللّه عنه .

(4) 14/6 ، وانظر الدر المنثور 241/2 وفتح الباري 357/6 .

وروى البخاري في التاريخ الكبير [1] عنه - رضي اللّه عنه - أنه قال : يدفن عيسى ابن مريم مع رسول اللّه ﷺ وصاحبيه ، فيكون قبره رابعًا .

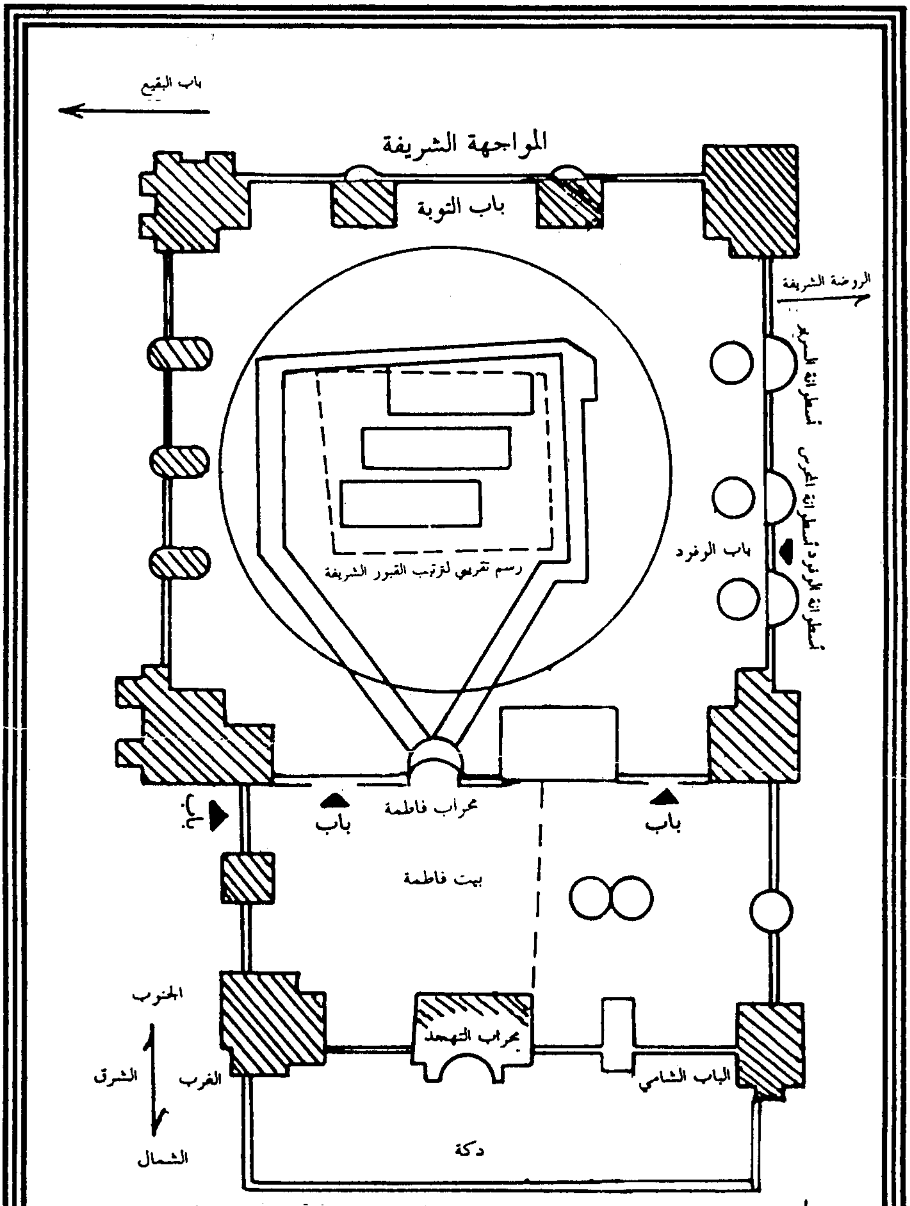
من يخلفه :

عن أبي هريرة - رضي اللّه عنه - أن رسول اللّه ﷺ قال : ينزل عيسى ابن مريم ، فيقتل الدجال ، ويموت ، فيستخلفون بأمره رجلًا من بني تميم ، يقال له المقعد ، فإذا مات المقعد ، لم يأت على الناس ثلاث سنين حتى يرفع القرآن من صدور الرجال . [أخرجه أبو الشيخ] .

وعنه - رضي اللّه عنه - قال : ما زلت أحب بني تميم من ثلاث : سمعت رسول اللّه ﷺ يقول : هم أشد أمتي على الدجال . [ذكره ابن كثير في الفتن والملاحم] .

---

(1) 263/1 ، وذكره السيوطي في الدر المنثور 245/2 ، والهيثمي في مجمع الزوائد 206/8 .
وفي جامع الترمذي أن المسيح عيسى ابن مريم يدفن إذا مات في الحجرة النبوية - النهاية في الفتن لابن كثير 47/1 - وحكى القرطبي في التذكرة ص 765 قولًا ذكره الحليمي أنه يدفن في الأرض المقدسة ، حيث دفن الأنبياء الذين أمه من نسلهم . واللّه أعلم .



مخطط الحجرة الشريفة والمقصورة المنيفة

الرجاء المبارك لدى النصارى

إن حقيقة نزول المسيح الأكيد ، ونصره النهائي يتفق فيه المسلمون والنصارى ، غير أن للنصارى نظريات كثيرة مختلفة في نزوله ، وهو ما يسمونه الرجاء المبارك [1] .

جاء في تيطس 11/2 – 13 : فنعمة الله ظهرت لتعلمنا أن نمتنع عن الكفر وشهوات هذه الدنيا ، لنعيش بتعقل وصلاح وتقوى في العالم الحاضر، منتظرين اليوم المبارك الذي نرجوه ، يوم مجد الله العظيم ، ومخلصنا يسوع المسيح .

يقينية رجوعه المنظور :

في أعظم الضيق ، عندما يزداد الشر ويصل إلى ذروته ، يقترب المسيح من العالم ، وتراه كل عين ، وكما ارتفع سابقًا من الأرض سيرجع مكشوفًا لكل أعين البشر ، فهو سيرجع بذات الطريقة الشخصية التي فارقهم بها ، وسيكون مجيئه منظورًا للجميع ، أي أكثرمن مجرد رجوع روحي . ويزعمون أنه ما من حقيقة كُشفت في كلمة الله أكثر من هذه الحقيقة [2] .

ففي دانيال 13/7 : ورأيت في رؤى الليل ، فإذا بمثل ابن البشر آتيًا على سحاب السماء ، فبلغ إلى القديم الأيام ، وقُرب إلى أمامه ، وأوتي سلطانًا ومجدًا وملكًا ، فجميع الشعوب والأمم والألسنة يعبدونه ، وسلطانه سلطان أبدي لا يزول ، وملكه لا ينقرض .

وفي إنجيل يوحنا 28/14 : سمعتم أني قلت لكم : أنا ذاهب ، وسأرجع إليكم .

وفي سفر الأعمال 10/1 – 11 : وبينما هم ينظرون إلى السماء ، وهو يبتعد عنهم ، ظهر لهم رجلان في ثياب بيضاء ، وقالا لهم : أيها الجليليون ، ما بالكم واقفين تنظرون إلى السماء ؟ يسوع هذا الذي صعد عنكم إلى السماء ، سيعود مثلما رأيتموه ذاهبًا إلى السماء .

وفي رؤيا يوحنا 7/1 : ها هو آت مع السحاب ، ستراه كل عين ، حتى عيون الذين طعنوه ، وتنتحب عليه جميع قبائل الأرض .

---

(1) هذه عقائدنا ص 161 .

(2) هذه عقائدنا ص 162 ، تفسير إنجيل مرقس ص 158 و 163 .

7/22 : ها أنا آت سريعًا . هنيئًا لمن يعمل بالأقوال النبوية في هذا الكتاب .

12/22 : ها أنا آت سريعًا ومعي الجزاء الذي أجازي به كل واحد بأعماله .

يعود فجأة وعلى غير انتظار :

لم يعط المسيح تلاميذه جدولًا فيه مواعيد محددة عن تدرج الأحداث الزمنية الأخيرة ، وعن مجيئه ، وإنما حَرَّضهم على اليقظة الروحية . أي سيأتي وشعوب الأرض لا تترقب عودته [1] .

ففي إنجيل متي 27/24 : لأن مجيء ابن الإنسان يكون مثل البرق الذي يلمع من المشرق ، ويضيء في المغرب .

44/24 : فكونوا أنتم على استعداد ؛ لأن ابن الإنسان يجيء في ساعة لا تنتظرونها .

وفي لوقا 35/12 – 40 : كونوا على استعداد ، أوساطكم مشدودة ، ومصابيحكم موقدة ، كرجال ينتظرون رجوع سيدهم من العرس ، حتى إذا جاء ودق الباب ، يفتحون له في الحال ، هنيئًا لهؤلاء الخدم الذين متى رجع سيدهم ، وجدهم ساهرين . الحق أقول لكم ، إنه يشمر عن ساعده ويجلسهم للطعام ، ويقوم بخدمتهم ، بل هنيئًا لهم إذا جاء قبل نصف الليل أو بعده ، فوجدهم على هذه الحال ... فكونوا إذًا على استعداد ؛ لأن ابن الإنسان يجيء في ساعة لا تنتظرونها .

قالوا : والحكمة من عدم تحديد الوقت ، أَلَّا يهمل الناس ذلك الحدث ، بل يكونوا مستعدين له ، مترقبين العودة في أية لحظة [2] .

يعود بمجد عظيم :

يأتي المسيح بسلطان عظيم ومجد بهي ، وجمهور الجند السماوي يرافقونه ، لا يأتي بالدرجة الأولى كديان ، بل كابن الإنسان [3] .

ففي متي 30/24 : وتظهر في ذلك الحين علامة ابن الإنسان آتيًا على السحاب ، في كل عزة وجلال .

---

(1) هذه عقائدنا ص 162 ، تفسير إنجيل مرقس ص 162 – 163 .

(2) هذه عقائدنا ص 163 – 164 .

(3) هذه عقائدنا ص 163 ، تفسير إنجيل مرقس ص 159 .

وفي لوقا 26/9 : من استحى بي وبكلامي يستحي به ابن الإنسان ، متى جاء في مجده ومجد الآب والملائكة الأطهار .

وفي مرقس 38/8 : لأن من يستحي بي وبكلامي في هذا الجيل الخائن الشرير ، يستحي به ابن الإنسان متى جاء في مجد أبيه مع الملائكة الأطهار .

اضطراب النصارى في تحديد عودة المسيح

إن كثيرًا من البلبلة والاضطرابات قامت حول عودة المسيح ، فمنذ رفعه إلى السماء وإلى يومنا هذا ، يدعي بعض النصارى أن مجيئه سيكون في أيامهم ، حتى إن بعضهم حدد وقت نزوله بالسنة والشهر ، مع أن ذلك اليوم قد اختص الله بعلمه ، ولم يُطلع عليه أحدًا كما تذكر نصوصهم ؛ ولذلك صُدموا بالواقع وعاشوا في حَيرة .

جاء في مرقس 32/13 – 33 : وأما ذلك اليوم وتلك الساعة ، فلا يعرفهما أحد ، لا الملائكة التي في السماء ، ولا الابن ، إلا الآب ، فكونوا على حذر ، واسهروا وصلوا ؛ لأنكم لا تعرفون متى يجيء الوقت .

وفي متي 36/24 : أما ذلك اليوم وتلك الساعة ، فلا يعرفهما أحد ، لا ملائكة السماوات ، ولا الابن ، إلا الآب وحده .

التحديد بالقرن الأول :

زعم كتاب الأناجيل أن المسيح – عليه السلام – تنبأ بأن نهاية العالم ستكون في القرن الأول الميلادي ، وقد سيطرت هذه الفكرة على مؤلفي العهد الجديد ، ولا سيما إنجيل متى ، فقد كان أكثرهم حرصًا على تأكيدها . وإليكم بعض النصوص .

ففي متي 1/10 – 23 أن المسيح دعا تلاميذه الاثني عشر ، وأعطاهم سلطانًا على الأرواح النجسة ، وأرسلهم في مدن إسرائيل وقال لهم : الحق أقول لكم : لن تُنهوا عملكم في مدن إسرائيل كلها حتى يجيء ابن الإنسان .

أي أن نهاية العالم وعودة المسيح إلى الأرض ، ستكون قبل أن يكمل التلاميذ عملهم في مدن إسرائيل .

متي 27/16 – 28 : سيجيء ابن الإنسان في مجد أبيه مع ملائكته ، فيجازي كل واحد حسب أعماله .

الحق أقول لكم : في الحاضرين هنا من لا يذوقون الموت حتى يشاهدوا مجيء ابن الإنسان في ملكوته .

متي 3/24 : وبينما يسوع جالس في جبل الزيتون ، سأله تلاميذه على انفراد : أخبرنا متى يحدث هذا الخراب ؟ وما هي علامة مجيئك وانقضاء الدهر ؟

15/24 : فإذا رأيتم نجاسة الخراب التي تكلم عليها النبي دانيال قائمة في المكان المقدس ، فليهرب إلى الجبال من كان في اليهودية .

29/24 - 35 : وفي الحال بعد مصائب تلك الأيام تظلم الشمس ، ولا يضيء القمر، وتتساقط النجوم من السماء ... ويرى الناس ابن الإنسان آتيًا على سحاب السماء في كل عزة وجلال .

إذا رأيتم هذا كله ، فاعلموا أن الوقت قريب على الأبواب . الحق أقول لكم : لن ينقضي هذا الجيل حتى يتم هذا كله . السماء والأرض تزولان ، وكلامي لن يزول .

وفي مرقس 38/8 : لأن من يستحي بي وبكلامي في هذا الجيل الخائن الشرير ، يستحي به ابن الإنسان متى جاء في مجد أبيه مع الملائكة الأطهار .

1/9 : الحق أقول لكم : في الحاضرين هنا ، من لا يذوقون الموت حتى يشاهدوا مجيء ملكوت الله ، في مجد عظيم .

3/13 - 4 : وبينما هو جالس في جبل الزيتون تجاه الهيكل ، سأله بطرس ويعقوب ويوحنا وأندراوس على انفراد : أخبرنا متى يحدث هذا الخراب ؟ وما هي العلامة التي تدل على قرب حدوثه ؟

14/13 : وإذا رأيتم نجاسة الخراب التي تكلم عليها النبي دانيال قائمة ، حيث يجب أن تكون ، فليهرب إلى الجبال من كان في اليهودية .

24/13 - 26 : وفي تلك الأيام بعد زمن الضيق ، تظلم الشمس ، ولا يضيء القمر ، وتتساقط النجوم من السماء ، وتتزعزع قوات السماء ، وفي ذلك الحين يرى الناس ابن الإنسان آتيًا على السحاب في كل عزة وجلال .

29/13 - 31 : وكذلك إذا رأيتم هذا يحدث كله ، فاعلموا أن الوقت قريب على الأبواب ، الحق أقول لكم : لن ينقضي هذا الجيل حتى يتم هذا كله ، السماء والأرض

تزولان ، وكلامي لن يزول .

وفي لوقا 26/9 – 27 : من استحى بي وبكلامي ، يستحي به ابن الإنسان متى جاء في مجده ومجد الآب والملائكة الأطهار . الحق أقول لكم : في الحاضرين هنا ، من لا يذوقون الموت حتى يشاهدوا ملكوت الله .

لوقا 5/21 – 7 : وتحدث بعضهم كيف أن الهيكل مزين بالحجارة البديعة والتحف ، فقال يسوع : ستجيء أيام لن يُترك فيها مما تشاهدونه حجر على حجر ، بل يهدم كله . فسألوه ، متى يحدث هذا يا معلم ؟ وما هي العلامة التي تدل على قرب حدوثه ؟

20/21 : فإذا رأيتم أورشليم تحاصرها الجيوش ، فاعلموا أن خرابها قريب .

25/21 – 28 : وستظهر علامات في الشمس والقمر ... لأن قوات السماء تتزعزع ، وفي ذلك الحين يرى الناس ابن الإنسان آتيًا على السحاب في كل عزة وجلال . وإذا بدأت تتم هذه الحوادث ، قفوا وارفعوا رءوسكم ؛ لأن خلاصكم قريب .

31/21 – 33 : وكذلك إذا رأيتم هذه الأحداث وقعت ، فاعلموا أن ملكوت الله قريب ، الحق أقول لكم : لن ينقضي هذا الجيل حتى يتم هذا كله . السماء والأرض تزولان ، وكلامي لن يزول .

ورُفع المسيح – عليه السلام – إلى السماء ، وعاش النصارى في انتظار رجوعه الذي ظنوه على الأبواب ، وكان أهل الطبقة الأولى يعتقدون أنهم في آخر الزمن ، وأن القيامة قريبة ، وأن المسيح – عليه السلام – سينزل في عهدهم ، استنادًا إلى تلك الأقوال ، بل إن منهم من يعتقد أن يوحنا لا يموت قبل أن تقوم القيامة ؛ لأنهم يزعمون أن المسيح – عليه السلام – قال لبطرس عن يوحنا : « إن كنت أشاء أن يبقى حتى أجيء ، فما ذلك » . ففهموا من هذا القول أن يوحنا لا يموت حتى يجيء المسيح . وذاع ذلك وشاع بين النصارى ، واعترف علماؤهم بأن هذه العقيدة كانت مسيطرة على تفكيرهم . ويظهر ذلك من نصوص الرسائل التالية :

كورنثوس الأولى 11/10 : وهو مكتوب ليكون عبرة لنا نحن الذين انتهت إليهم أواخر الأزمنة .

51/15 – 52 : لا نموت كلنا ، بل نتغير كلنا في لحظة وطرفة عين ، عند صوت البوق الأخير ؛ لأن صوت البوق سيرتفع ، فيقوم الأموات لابين الخلود ، ونحن نتغير .

وفي تسالونيكي الأولى 14/4 - 17 : ونقول لكم ما قاله الرب : وهو أننا نحن الأحياء الباقين إلى مجيء الرب ، لن نتقدم الذين رقدوا ؛ لأن الرب نفسه سينزل من السماء عند الهتاف ونداء رئيس الملائكة وصوت بوق الله .

وفي يعقوب 7/5 - 8 : فاصبروا يا إخوتي إلى مجيء الرب .. لأن مجيء الرب قريب .

وفي بطرس الأولى 7/4 : والآن اقتربت نهاية كل شيء ، فتيقظوا .

وفي يوحنا الأولى 18/2 : يا أبنائي الصغار ، جاءت الساعة الأخيرة .. ومن هنا نعرف أن الساعة الأخيرة جاءت .

وفي فيلبي (فيليس) 5/4 : ليشتهر صبركم عند جميع الناس ، مجيء الرب قريب .

وفي رؤيا يوحنا 10/22 : وقال لي : لا تكتم كلام النبوءة في هذا الكتاب ؛ لأن الوقت قريب .

20/22 : يقول الشاهد بهذه الأمور : نعم أنا آت سريعًا .

مناقشة هذه العقيدة وتحليلها :

هاهم تلاميذ المسيح - عليه السلام - قد أنهوا أعمالهم ، وأكملوا مدن إسرائيل ، وذاقوا الموت جميعًا بمن فيهم يوحنا ، وأصبحوا عظامًا نخرة ، وقد خرب الهيكل خرابًا تامًا ، ومضى ذلك القرن وانقضى منذ أكثر من تسعمائة سنة وألف ، ولم ير أحد ابن الإنسان آتيًا على سحاب في عزة وجلال مع ملائكته وفي مجد أبيه ، مع أن مقتضى العبارة أن نزوله يكون في الحال ، وبدون تراخ . فزال ذلك الكلام ، ومازالت السماء والأرض ، مما يدل على أنه ليس من كلام المسيح - عليه السلام - البتة ، وإنما هو من فهم النصارى وتصرفهم .

ولا يمكن حمل هذا الكلام على قيامته بعد الصلب كما يزعمون ؛ لأنه لم يُر آتيًا على السحاب ، ولم يُنقذ أحدًا أو يحاسب أحدًا على الإطلاق كما تذكر نصوصهم . ولذلك قال جون كونتن : « ومن الواضح أن شيئًا من هذا لم يحدث كما توقعه متى » . وقال كثير من المحققين : « هذه النبوءات خاطئة » .

والذي يزيد الطين بِلة أنهم يزعمون أن هذه النصوص وحي من إلهام الروح القدس ،

الأقنوم الثالث من الثالوث الأقدس . وليست اجتهادات أو فهومًا خاصة مستنبطة من النصوص .

ويظهر - والله أعلم - أن المسيح - عليه السلام - إنما قصد خراب الهيكل والانتقام من اليهود ، غير أن الكلام فُهم فهمًا خاطئًا ، أو حُرف ، ثم جاء كتاب الأناجيل والرسائل بعد ذلك ، فكتبوا بمقتضى هذا الفهم أو التحريف ، بدليل أن بَدء الكلام في غير إنجيل متي إنما كان عن خراب الهيكل فقط ، وأن عبارة « وما هي علامة مجيئك وانقضاء الدهر » لم يذكرها سوى متى في 3/24 ، ففي مرقس 1/13 - 4 : ولما خرج عن الهيكل قال له واحد من تلاميذه : يا معلم ، انظر ما أروع هذه الحجارة وهذه الأبنية ؛ فأجابه يسوع : أترى هذه الأبنية العظيمة ؟ لن يبقى منها حجر على حجر ، بل يهدم كله . وبينما هو جالس في جبل الزيتون تجاه الهيكل ، سأله بطرس ويعقوب ويوحنا وأندراوس على انفراد : أخبرنا متى يحدث هذا الخراب ، وما هي العلامة التي تدل على قرب حدوثه ؟

وفي لوقا 5/21 - 7 : وتحدث بعضهم كيف أن الهيكل مزين بالحجارة البديعة والتحف ، فقال يسوع : ستجيء أيام ، لن يترك فيها مما تُشاهدونه حجر على حجر ، بل يُهدم كله ، فسألوه : متى يحدث هذا يا معلم ؟ وما هي العلامة التي تدل على قرب حدوثه ؟

تلك هي العلامة ، وذاك هو المراد ، ولكن الفهم الخاطئ والتصرف بمقتضاه أو التحريف ، جعل متى في 29/24 ومرقس في 24/13 - 27 ولوقا في 25/21 - 28 يقولون : « وفي الحال ، وبعد مصائب تلك الأيام تظلم الشمس .. وتظهر في ذلك الحين علامة ابن الإنسان في السماء ... ويرى الناس ابن الإنسان آتيًا على سحاب السماء » . ثم يأتي من بعدهم كتاب الرسائل فيتابعونهم على ذلك . ولقد تركوا عبئًا ثقيلًا على الأجيال القادمة من أبناء ملتهم ، فحاروا في توجيه هذا الكلام ، لكن أنى لهم ذلك ؟ فقد اتسع الخرق على الراقع [1] . وإليكم مثالًا على ذلك .

جاء في تفسير إنجيل مرقس [2] : « هناك تفسيرات مختلفة لعبارة (هذا الجيل) :

---

(1) إظهار الحق 154/1 - 157 و 184 - 186 ، الأجوبة الفاخرة ص 26 ، مجلة الجامعة الإسلامية العدد 49 ص 156 و 167 - 168 ندوة الخرطوم .

(2) المسمى من هو المسيح لمن سمى نفسه عبد المسيح ص 194 .

فقد تعني أن بعض المحيطين به يعيشون إلى خراب أورشليم الذي تم سنة سبعين من الميلاد ، وكان المسيح قد قال هذا سنة ثلاث وثلاثين ، وقد تعني كل البشر .. والبشرية لا تقدر أن تبيد نفسها .. فيبقى بعضهم ليروا يوم الرب ، وقد تعني شعب العهد القديم ، فيعني هذا أن الرب أعطى النعمة وسط الدينونات على المتمردين ، ويمنحهم مكانًا للتوبة ، وربما المعاني الثلاثة مجتمعة معًا في هذه العبارة ، وهي تدل على نعمة تحقيق المواعيد لبقاء المختارين ، رغم ازدياد الدينونات » . فهل هذا الكلام يقنع مع صراحة تلك النصوص المتعددة ووضوحها ؟!

العصر الألفي :

إن أي بحث عن رجوع المسيح – عليه السلام – يثير مجادلات تتعلق بالعصر الألفي ، فهذه الفترة ، ومداها ألف عام ذُكرت مرة واحدة في الكتاب المقدس .

جاء في رؤيا يوحنا 1/20 – 10 : ثم رأيت ملاكًا نازلًا من السماء ، يحمل بيده مفتاح الهاوية ، وسلسلة عظيمة ، فأمسك التنينُ تلك الحية القديمة – أي إبليس – وقيده لألف سنة ، ورماه في الهاوية ، وأقفلها عليه وختمها ، فلا يضلل الأمم بعد حتى تتم الألف سنة ، ولا بد من إطلاقه بعد ذلك لوقت قليل ، ورأيت عرشًا ، جلس عليه الذين أُعطوا سلطة القضاء ، ورأيت نفوس الذين سقطوا قتلى في سبيل الشهادة ليسوع ، وسبيل كلمة الله .. فعاشوا وملكوا مع المسيح ألف سنة ، أما بقية الأموات ، فلا يعيشون قبل أن تتم الألف السنة ، هذه هي القيامة الأولى ، مبارك ومقدس من كان له نصيب في القيامة الأولى . فلا سلطان للموت الثاني عليهم ، بل يكونون كهنة الله والمسيح ، ويملكون معه ألف سنة . ومتى تمت الألف سنة ، يطلق الشيطان من سجنه ، فيخرج ليضل الأمم التي في زوايا الأرض الأربع – يأجوج ومأجوج فيجمعهم للقتال ، وعددهم عدد رمل البحر ، فصعدوا على وجه الأرض ، وأحاطوا بمعسكر القديسين ، وبالمدينة المحبوبة ، فنزلت نار من عند الله ، من السماء ، فأكلتهم ، وألقي إبليس الذي ضللهم في بحيرة النار والكبريت ، حيث كان الوحش والنبي الدجال ، ليتعذبوا كلهم ليلًا ونهارًا إلى أبد الدهور .

وشرح هذه المقطوعة فيه مصاعب جمى ؛ لأن السفر مملوء بالصور الكلامية والرموز ، والأحداث متداخلة ؛ ولذلك انقسم المفسرون إلى قسمين : القائلون بالمجيء قبل

الألف ، والقائلون بالمجيء بعد الألف [1] .

أ - القائلون بالمجيء قبل الألف :

يرى هؤلاء مستندين إلى بعض التأويلات لما جاء في رؤيا يوحنا ، وإلى أحلام الرهبان وتكهنات الكهان ، أن الشرور ستزداد في العالم ، وأن الضيق سيشتد على الناس ، ولا سيما بعد ظهور الدجال ، ثم تتوج هذه الفترة بعودة المسيح - عليه السلام - والكتاب المقدس يحدد مدة الابتلاء هذه بثلاث سنوات ونصف ، أو باثنين وأربعين شهرًا أو بألف ومائتين وستين يومًا .

ففي رؤيا يوحنا 6/12 - 9 : وهربت المرأة إلى الصحراء ، حيث هيأ الله لها ملجأ يعولها مدة ألف يوم ومائتين وستين يومًا .. ووقعت حرب في السماء بين ميخائيل وملائكته ، وبين التنين .. لكنهم انهزموا وحشروا .. وسقط التنين العظيم إلى الأرض ، وهو تلك الحية القديمة ، والمسمى إبليس أو الشيطان .

13/12 : ولما رأى التنين أنه سقط إلى الأرض ، أخذ يضطهد المرأة .. فأعطيت جناحي النسر العظيم ، لتطير بهما إلى مكانها في الصحراء ، حيث تلجأ مدة زمن وزمنين ونصف زمن ، في مأمن من الحية .

5/13 : وأعطي الوحش فمًا ينطق بالكبرياء والكفر ، وأعطي سلطانًا أن يعمل مدة اثنين وأربعين شهرًا ، فأخذ يكفر بالله .

وفي دانيال 24/7 - 27 : والقرون العشرة التي من هذه المملكة ، هي عشرة ملوك يقومون ، ويقوم بعدهم آخر يخالف الأولين ، ويخضع ثلاثة ملوك ، وينطق بأقوال ضد العلي ، ويبتلي قديسي العلي ، ويَخال أنه يغير الأزمنة والشريعة ، وسيدفعون إلى يده ، إلى زمان وزمانين ، ونصف زمان ، ثم يجلس أهل القضاء ، فيُزال سلطانه ، ويدمر ويباد على الدوام ، ويعطي الملك والسلطان تحت السماء بأسرها لشعب قديسي العلي ، وسيكون مُلكه أبديًا .

وجمهور المفسرين يحملون ذلك على اضطهاد الدجال ، وعلى أن النبوءة تقود إلى عودة المسيح وتأسيس عصره الألفي - كما في حواشي الكتاب المقدس [2] . ففي اليوم

---

(1) هذه عقائدنا ص 164 - 165 . (2) ص 86 .

الذي يخرق فيه الوحش الميثاق والعهد ، ويبدأ في تأسيس صورته في القدس ، يبدأ العد العكسي لعدد الأيام ، وعندما تقترب فترة الضيق من نهايتها ، يعود المسيح لتجميع أولاده ، ورفعهم إليه فوق السحاب حتى لا يعاينوا أهوال تلك الحرب .

قالوا : وسيكون لمجيئه ظاهرتان : الظاهرة الأولى مجيئه لقديسيه ، وهو ما يعرف بالاختطاف ، والظاهرة الثانية مجيئه مع قديسيه للملك ثم الدينونة .

مجيئه لقديسيه (الاختطاف) :

وآنئذ يقوم الموتى بالمسيح ، ويتغير النصارى الأحياء ، وكلاهما سيُختطف إلى السحب لملاقاة المسيح ، فأبناء الإله الذين ماتوا على مر العصور ، سيبعثون من قبورهم أحياء في أجساد إعجازية جديدة ، ويصعدون لمقابلة المسيح في الفضاء ، أما الأحياء ، فسَيختطفون من الأرض إلى السماء ليبتعدوا عن الدجال والضيق العظيم ، وسينطلق بهم المسيح سريعًا إلى احتفال النصر الأعظم ، الذي لم يكن له مثيل في يوم من الأيام . ألا وهو عشاء زواج الخروف في السماء [1] .

جاء في رسالة تسالونيكي الأولى 14/4 – 17 : فإن كنا نؤمن بأن يسوع مات ، ثم قام ، فكذلك نؤمن بأن الذين رقدوا في يسوع ، سينقلهم الله إليه مع يسوع ، ونقول لكم ما قاله الرب وهو أننا نحن الأحياء الباقين إلى مجيء الرب ، لن نتقدم الذين رقدوا ؛ لأن الرب نفسه سينزل من السماء عند الهتاف ونداء الملائكة وصوت بوق الله ، فيقوم أولًا الذين ماتوا في المسيح ثم نُرفع معهم في السحاب نحن الأحياء الباقين ، لملاقاة الرب في الفضاء ، فنكون كل حين مع الرب .

وفي رسالة العبرانيين 28/9 : هكذا المسيح .. وسيظهر ثانية لا للخطيئة ، بل لخلاص الذين ينتظرونه .

قال القَس صايغ [2] : إن النصارى سيُخطفون إلى السماء .. من المدارس والحقول والمصانع والطائرات والسفن ، حتى يبتعدوا عن الدجال والضيق العظيم الذي يأتي على العالم .

وقال هـ . إيرنسايد : في تفسير سفر دانيال [3] : سيختطفون جميعًا في السحاب

(1) هذه عقائدنا ص 165 . (2) في كتاب مشتهى الأمم ص 51 .
(3) ص 149 .

لملاقاة المسيح في الهواء .

وقال هـ ستيفنس في كتابه يوم الدين [1] : وسوف يظلون معلقين في الهواء طيلة مدة الضيق الذي على الأرض ، حتى ينزل المسيح ، فينزلوا معه .

وفي فترة الضيق هذه ينصب غضب الله العظيم على الأرض ، ضد القوى المعادية للمسيح ، فيبحث الناس عن الموت ولا يجدونه ، وفي غضون ذلك يؤمن من بقي من بني إسرائيل ، ويصبحون رسلًا للإنجيل [2] .

جاء في سفر زكريا 8/13 – 9 : ويكون في كل الأرض – يقول الرب – أن ثلثين منها يقطعان ويموتان ، والثلث يبقى ، وأُدخلُ الثلث في النار ، وأَمْحَصُهم كمحص الفضة ، وأمتحنهم امتحان الذهب ... هو يدعو باسمي ، وأنا أجيبه ، أقول : هو شعبي ، وهو يقول : الرب إلهي .

جاء في حواشي الكتاب المقدس [3] أن هذا النص يومئ إلى المسيح .

وفي تفسير الرؤيا [4] : « سيكون على الأرض شهود يتمسكون بكلمة الله ، ولكن الناس سيقاومونهم ويضطهدونهم .. المؤمنون في مدة الضيق على الأرض بعد الاختطاف ، لن يموت منهم أحد موتًا طبيعيًا ـ بل إما أن يموت شهيدًا ، أو يجتاز الضيق بسلام ، ولا شك أن الفريقين قد آمنوا بعد اختطاف رجال الكنيسة » .

غير أن السؤال يطرح نفسه : كيف يؤمنون بمنهج جاء بعد اختطاف رجال الكنيسة ؟!

مجيئه مع قديسيه للملك ثم الدينونة :

وبعد وقت قصير من القدوم الثاني للمسيح ، عندما توشك فترة الضيق على الانتهاء ، يأتي ضيوف السماء ، ويعود المسيح مع قديسيه ، ويسيطر بقواته على العالم ، ويُقيد الشيطان ويدين الأمم ، ويملك مع قديسيه لألف عام ، ويحكم بالطريقة التي يجب أن يحكم بها لو لم يعص الإنسان ربه . وبذلك تبدأ فترة الألفية ، فترة ألف عام من السلم والخير الكثير ، أي الجنة الأرضية ، وفي نهاية هذه الفترة ، يطلق الشيطان من عقاله ، وتحدث معركة هرمجدون العظيمة التي يظفر فيها المسيح بنصره النهائي ،

---

(1) ص 105 .

(2) هذه عقائدنا ص 165 .

(3) المجلد الأول ص 86 .

(4) ص 423 .

ويطرح الشيطان في بحيرة النار [1] .

جاء في سفر زكريا 2/14 – 7 : وأجمع كل الأمم على أورشليم للمحاربة .. وتهربون في جواء جبالي .. ويكون في ذلك اليوم ، أنه لا يكون نور ، الدراري تنقبض ، ويكون يوم واحد معروف للرب ، لا نهار ولا ليل ، بل يحدث أنه في وقت المساء يكون نور .

جاء في حاشية الكتاب المقدس عن هذا الفصل : فيه وصف اضطهاد المسيح الدجال ، ونصرة يسوع والكنيسة ، ثم يلى ذلك قيامة الأشرار ، حيث الدينونة أمام العرش الأبيض العظيم .

وفي رؤيا يوحنا 11/20 – 15 : ثم رأيت عرشًا عظيمًا أبيض ، ورأيت الجالس عليه ، وهو الذي هربت من أمام وجهه الأرض والسماء ، وما بقي لهما أثر ، ورأيت الأموات كبارًا وصغارًا واقفين أمام العرش ، وانفتحت الكتب ، ثم انفتح كتاب آخر ، هو كتاب الحياة ، وعوقب الأموات مثلما في الكتب ، كل واحد بأعماله ، وقذف البحر الأموات الذين فيه ، وقذف الموت والجحيم ما فيهما من الأموات ، فعوقب كل واحد بأعماله ، وألقي الموت والجحيم في بحيرة النار ، وهذه البحيرة هي الموت الثاني . وكل من كان اسمه غير موجود في كتاب الحياة ، ألقي في بحيرة النار .

ب – القائلون بالمجيء بعد الألف :

يرى هؤلاء أنه سيكون للإنجيل نصر تدريجي في العالم ، يتوج بفترة صلاح وعدل وسلام ، تستمر مدة ألف عام .

ويبدو أن ما وقع فيه أصحاب التحديد من اضطرابات جعل بعض المفسرين ينزع إلى أن هذا العصر غير محدد بوقت ، بل يمتد من الصلب حتى نهاية العالم ، وعند ظهور المسيح ، ستكون قيامةٌ عامةٌ للموتى الأبرار والأشرار تليها الدينونة . وقد أطلقوا على أنفسهم اسم (الذين لا يتقيدون بحرفية الألف) [2] . والنصوص التالية تشهد لقولهم :

جاء في متي 29/24 – 31 : وفي الحال بعد مصائب تلك الأيام ، تظلم الشمس ، ولا يضيء القمر ، وتتساقط النجوم من السماء ، وتتزعزع قوات السماء ، وتظهر في

---

(1) هذه عقائدنا ص 165 . (2) هذه عقائدنا ص 166 .

ذلك الحين علامة ابن الإنسان في السماء ، فتنتحب جميع قبائل الأرض ، ويرى الناس ابن الإنسان آتيًا على سحاب السماء في كل عزة وجلال ، فيرسل ملائكته ببوق عظيم الصوت إلى جهات الرياح الأربع ، ليجمعوا مختاريه من أقصى السماوات إلى أقصاها .

متي 31/25 – 32 : ومتى جاء ابن الإنسان في مجده ، ومعه جميع ملائكته الأطهار ، يجلس على عرشه المجيد ، وتحتشد أمامه جميع الشعوب ، فيفرز بعضهم عن بعض .

وفي مرقس 24/13 – 27 : وفي تلك الأيام بعد زمن الضيق ، تظلم الشمس ، ولا يضيء القمر ، وتتساقط النجوم من السماء وتتزعزع قوات السماء ، وفي ذلك الحين يرى الناس ابن الإنسان آتيًا على السحاب في كل عزة وجلال ، فيرسل ملائكته إلى جهات الرياح الأربع ليجمعوا مختارين من أقصى الأرض إلى أقصى السماء .

لوقا 25/21 – 28 : وستظهر علامات في الشمس والقمر والنجوم ، ويصيب الأمم في الأرض قلق شديد ورعب من ضجيج البحر واضطراب الأمواج ، ويسقط الناس من الخوف ، ومن انتظار ما سيحل بالعالم ؛ لأن قوى السماء تتزعزع ، وفي ذلك الحين يرى الناس ابن الإنسان آتيًا على السحاب ، في كل عزة وجلال . وإذا بدأت تتم هذه الحوادث ؛ قفوا وارفعوا رؤوسكم ؛ لأن خلاصكم قريب .

وصفوة القول : اضطرب قول النصارى في تحديد عودة المسيح – عليه السلام – وصفتها ، وفي أعماله بعد عودته ؛ فاعتقد أسلافهم أنه سيعود قبل نهاية القرن الأول ، إثر خراب الهيكل . وكانت هذه العقيدة مسيطرة على تفكيرهم ، لكن الهيكل قد تهدم ، وانقضى القرن الأول ، ومات أصحاب المسيح كلهم ، ولم يأت المسيح [1] . ثم اعتقد أكثرهم أنه سيعود بعد ألف عام ، ويختطف أحبابه إلى الغمام ، ثم ينزل مع قديسيه ، ويحكم العالم ألف سنة أخرى ، واجتمعت آمالهم على هذه العقيدة – كما ذكر فيشر في تاريخ أوربا – لكن لم يظهر المسيح – عليه السلام – فبقيت المسألة في الأحلام . ولما شارف هذا القرن على الانتهاء ، بدأت الدعوات تظهر من جديد ، واعتقدوا أن المسيح سينزل في آخر القرن العشرين ، أو في مطلع القرن الحادي والعشرين ، وربطوا ذلك بمعركة هرمجدون ، وعلقوا آمالهم عليها من جديد كما سنرى .

---

(1) كما قال جون كونتن .

معركة هَرْمَجِدُّون

ARMAGDDON

التعريف بها :

يرى أهل الكتاب أن ثمة معركة عنيفة عالمية كبرى ستقع على أرض فلسطين ، سماها العهد الجديد (معركة اليوم العظيم يوم الله القدير) . وهي المعركة التي تقع في الأيام الأخيرة التي تسبق القدوم الثاني للمسيح - عليه السلام - ويروق للكثيرين أن يسموها معركة هرمجدون [1] .

مكانها :

كلمة هرمجدون مألوفة لدى أهل الكتاب تجدها في كتبهم المقدسة ، وأبحاث علمائهم ، وهي كلمة عبرية مكونة من مقطعين أو لفظين (هَرْ) ومعناه تل أو جبل ، و (مجدّو) وهو اسم وادٍ أو سهل صغير ، يقع شمال فلسطين . ويطلق اليوم أحيانًا على ذلك المكان اسم (تل المتسلّم) . ويزعمون أن ساحة المعركة ستكون في مكان يمتد من (مجدّو) في الشمال إلى (إيدوم) في الجنوب ، قرابة مائتي ميل ، ومن البحر المتوسط غربًا إلى تلال (مؤاب) شرقًا ، مسافة مائة ميل [2] .

ويقولون : إن تلك المعركة العالمية ستنشب بجيوش جرارة يصل مقدارها إلى أربعمائة مليون جندي [3] .

النصوص التي استندوا إليها :

يرى أهل الكتاب أن الكتاب المقدس تحدث عن معركة محددة ، تدور رحاها في

---

(1) الشبكة المعلوماتية ، الترجمة ص 2 وص 20 .

(2) الشبكة المعلوماتية ، الترجمة ص 2 ، الوعد الحق والوعد المفترى ص 32 ، عمر أمة الإسلام ص 39 قال ستيفنش : هرمجدون تل في فلسطين يشرف على وادي يزرعيل المشهور في التاريخ بموقعه الاستراتيجي . [عن المسيح الدجال لأيوب ص 175] .

وفي مشتهى الأم للصايغ : هرمجدون تبعد عشرين ميلًا جنوب شرق حيفا [المرجع السابق] .

وفي الشبكة المعلوماتية ص 2 : تل المتسلم يسيطر على الممر الممتد من سهول شارون حتى سهل إسدرا إيلون .

(3) أصدر كثير ممن يسمون أنفسهم (أصحاب نبوءات) عديدًا من الكتب تحمل عناوين بهذا المعنى ، مثل (الغزو القادم لفلسطين) و (العد العكسي لموقعة هرمجدون) عن المعلوماتية ص 1 .

المستقبل ، في زمان ومكان محددين ، وبين قوتين محددتين . وإليك بعض النصوص :

رؤيا يوحنا 13/16 – 16 : ورأيت ثلاثة أرواح نجسة ، تشبه الضفادع ، خارجة من فم التنين ، ومن فم الوحش ومن فم النبي الكذاب ، وهي أرواح شيطانية تصنع المعجزات ، وتذهب إلى ملوك الأرض كلها ، لتجمعهم للحرب في اليوم العظيم ، يوم الله القدير . ها أنا آت كالسارق ، هنيئًا لمن يسهر ويحرس ثيابه ، لئلا يمشي عُريانًا ، فيرى الناس عورته ، فَجَمَعَتْهُم في المكان الذي يُدعى بالعبرية هرمجدون .

الرؤيا 11/17 – 14 : أما الوحش الذي كان ، وما عاد كائنًا ، فهو ملك ثامن ، مع أنه من السبعة ، ويمضي إلى الهلاك . وهذه القرون العشرة التي تراها هي عشرة ملوك ، ما ملكوا بعد ، لكنهم سيملكون ساعة واحدة مع الوحش . هؤلاء اتفقوا على أن يعطوا الوحش قوتهم وسلطانهم ، وهم سيحاربون الخروف ، والخروف يغلبهم ؛ لأنه رب الأرباب وملك الملوك ، والذين معه هم المدعوّون والمختارون والمؤمنون .

الرؤيا 19/19 – 21 : ورأيت الوحش وملوك الأرض وجيوشهم يتجمعون ليقاتلوا الفارس وجيشه فوقع الوحش في الأسر مع النبي الكذاب الذي عمل العجائب في حضور الوحش ، وأضل الذين نالوا سمة الوحش والذين سجدوا لصورته . وألقوا الوحش والنبي الكذاب ، وهما على قيد الحياة في بحيرة من نار الكبريت الملتهب ، وهلك الباقون بالسيف الخارج من فم الفارس ، فشبعت جميع الطيور من لحومهم .

سفر زكريا 1/14 – 5 : هو ذا ، يوم للرب يأتي ، فيُقْسَم سلبك في وسطك ، وأجمع كل الأمم على أورشليم للمحاربة ، فتؤخذ المدينة ، وتنهب البيوت ، وتُفضح النساء ، ويخرج نصف المدينة إلى السبي وبقيةُ الشعب لا تُقطع من المدينة . فيخرج الرب ويحارب تلك الأمم كما في حربه يوم القتال ، وتقف قدماه في ذلك اليوم على جبل الزيتون الذي قُدام أورشليم من الشرق [1] ..

تفسير أهل الكتاب لتلك الرموز :

يقول علماء النصارى : إن الأرواح النجسة التي تخرج من فم التنين (الشيطان)

---

(1) يأتي المسيح بقوة وعظمة مع ملايين من الملائكة إلى هذه الأرض ليقف على جبل الزيتون بالقرب من القدس : شبكة المعلومات .

وفي حواشي الكتاب المقدس : هذا وصف اضطهاد الدجال ، ونصرة المسيح وكنيسته .

ومن فم الوحش ومن فم النبي الدجال ، تذهب إلى ملوك الأرض كلها (عدة ملوك وعدة جيوش من الشرق ، ومن العالم كله) لتجمعهم للقتال في ذلك اليوم العظيم . سوف يستخدم الشيطان قوة روما لتحريك ممالك الغرب ، ويستخدم نبي اليهود الكذاب لتحريك اليهود . وسوف تجتمع هذه الجيوش في مكان يدعى (هرمجدون) ، ويسمى أيضًا وادي قدرون . فهي حرب عالمية ، تزحف فيها جيوش عظيمة قوية من شرق فلسطين [1] .

قال ستيفنش : والقوى العسكرية كلها ، ستزحف على فلسطين كلها ، من وادي يزرعيل إلى وادي يهوشفاط ، الكائن تحت أسوار أورشليم [2] .

وقال المبشر الإنجيلي بات روبتسون : إن أمم العالم ستأتي ضد إسرائيل [3] .

أما القرون ، فهي عشرة ملوك (يمكن أن يكونوا رؤساء ، أو رؤساء وزارات ، أو قادة مستبدين ، أو ملوكًا مستبدين) ، وقد اتفقوا على أن يعطوا الوحش قوتهم وسلطانهم . وهؤلاء لم يحكموا بعد ، لكنهم سيحكمون في وقت واحد مدة قصيرة ، لا تتجاوز عدة سنوات ، وربما لسنة واحدة ، وسوف يلتقون في سياسة موحدة ، ويضعون خطة موحدة للهيمنة على العالم . وبذلك تتوحد عشر أمم ، يضعون قوتهم الصناعية والاقتصادية والعسكرية تحت تصرف الوحش ليقاتلوا المسيح عند عودته ، لكن الخروف سيغلبهم لأنه رب الأرباب وملك الملوك ، والذين معه هم المدعوّون والمختارون والمؤمنون [4] .

سوف تتحالف قوة الوحش مع قوة النبي الدجال الذي يَدَّعي متنكرًا أنه هو المسيح [5] .

جاء في سفر دانيال 7/7 : وبعد ذلك رأيت في رؤيا الليل ، فإذا بحيوان رابع هائل شديد قوي جدًّا ، له أسنان كبيرة من حديد ، فكان يأكل ويسحق ويدوس الباقين برجليه ، وهو يخالف سائر الحيوانات قبله ، وله عشر قرون .

8/7 : فتأملت القرون ، فإذا بقرن آخر صغير قد طلع بينها ، وقُلعت ثلاثة من القرون

---

(1) شبكة المعلومات ص 4 ، تفسير الرؤيا لحنا ص 358 - 359 ، دروس في مجيء المسيح للصايغ ص 9 .
(2) عن المسيح الدجال لأيوب ص 175 .
(3) شبكة المعلومات ص 1 .
(4) شبكة المعلومات ص 11 .
(5) شبكة المعلومات ص 5 .

الأول من أمامه .

جاء في حواشي الكتاب المقدس : هذا الحيوان الرابع هو المملكة الرومانية ، وعشرة القرون التي له هي الممالك العشر التي تفرعت إليها هذه المملكة في عاقبة أمرها . والمملكة الممثلة بقرن صغير هي مملكة الدجال التي تنشأ من الممالك العشر ، كما ذهب إليه أكثر المفسرين .

مَنِ الوحش ؟

حدد بعض المبشرين – ومنهم المبشر الإنجيلي روبتسون – طوال عقود من الزمن أن الاتحاد السوفييتي هو الوحش الذي تنبأ به الإنجيل . وكان الظن السائد أن قوة روسيا ومن يحالفها سوف تتدفق إلى شمال إسرائيل ، وآنئذ تبدأ المعركة النهائية الكبرى ، أو معركة هرمجدون التي سيعقبها قدوم المسيح [1] .

قال الكاهن الذي أدلى بالمعلومات عن طريق الشبكة : غير أني كنت أرى أن روسيا لن تغزو فلسطين ، وليست هي الوحش ، بل يمكن أن يكون هو الدول الأوربية المتحدة بقيادة ألمانيا القوية التي أعادت بناء قوتها العسكرية . وقد تم الآن انهيار حلف وارسو ، وتوحدت ألمانيا ، وتكون الاتحاد الأوربي ، والأمر لا يعدو سوى انتظار الوقت الذي تعود فيه ألمانيا قوية ، لتبدأ هيمنتها من جديد [2] .

سير معركة هرمجدون :

يتحالف الوحش بقواته مع النبي الدجال الذي وصف بالقرن الصغير ، تحالفًا غير مقدس ، يجلب البلاء والمحن الكبرى على المؤمنين .

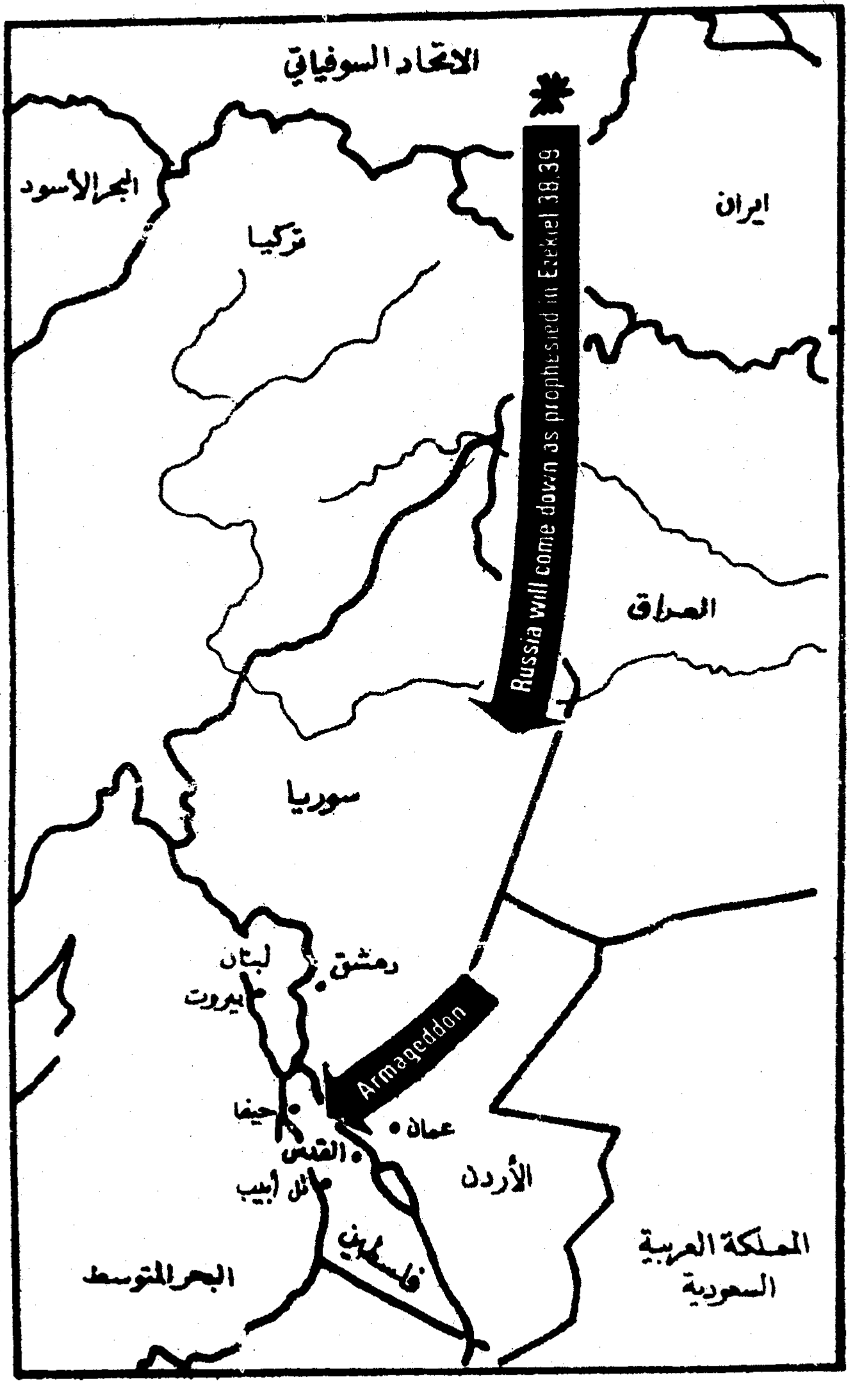
وبأمر من الدجال يغزو الوحش فلسطين ويحتلها ، ويدمر إسرائيل الحديثة ، وسيجلس رجل الخطيئة الذي يتكلم بالكفر والكذب على الله ، ويظن أنه يغير الأوقات والسنوات ، سيجلس في معبد الإله مقدمًا نفسه أنه هو الإله [3] . وبعد قيام الوحش والنبي الدجال باحتلال فلسطين وتدمير إسرائيل الحديثة ، تأتي أخبار إلى الدكتاتور الأعظم الذي يحكم القوة المكونة من عشر أمم أوربية ، تفيد أن ملوك الشرق المتأثرين بوسوسة الشيطان (يمكن أن يكونوا روسيا والصين ومنغوليا مع أمم أخرى ، وقد يكون معهم جيوش عربية) .

---

(1) شبكة المعلومات ص 1 .

(2) شبكة المعلومات ص 1 و 10 – 11 .

(3) شبكة المعلومات ص 15 و 17 .



عن كتاب عمر أمة الإسلام

قد أعدوا جيشًا ضخمًا من أمم كثيرة ، وهو يتحرك باتجاه مجدو ، فتزعجه وتغضبه . ثم تنشب المعركة بين جيوش الوحش وجيوش ملوك الشرق في سهول إسدرالون وشارون قرب مجدو . وبمجرد التقاء جيوش الوحش القوية في قتال شرس مع حشود لا حصر لها من الشرق (روسيا والصين وبلدان أخرى) ينزل المسيح من السماء على رأس ملايين من الملائكة ، وعندئذ تظن الجيوش البشرية المملوءة بالحقد والكراهية ، والمتحدية لعظمة الله ، تظن أن هذا نوع من هجوم قادم من الفضاء ، أو نوع من الأسلحة السرية لأعدائهم ، ولذلك سوف يعمدون إلى مهاجمة المسيح عليه السلام [1] .

زمانها :

يرى كثير من أهل الكتاب ، وبخاصة اليهود أن هذه المواجهة لابد أن تكون قبل سنة 2000 م ، لأنهم ينتظرون المسيح الذي يأتي لخلاصهم .

وهو عند اليهود ملك محارب يسمونه (مِسِّيَا ، MESSIAH) يقودهم إلى زعامة العالم ، ويزعم أكثرهم أنه يأتي بعد خمسين سنة من قيام دولة إسرائيل ، ويتوقعون ذلك في شهر نيسان (إبريل) من عام 1998 م .

قال الأسقف العام (الأنبا) ديستورس في كتابه (نظرات في سفر دانيال) :

ظهور دولة إسرائيل ، ثم ظهور المسيح الكذاب .. ، فزمن ظهور الكذاب يساوي زمن ظهور دولة إسرائيل الحديثة + 50 سنة ، أي 48 + 50 = شهر نيسان عام 1998 م وزمن المجيء الثاني للمسيح هو خريف عام 2001 م ، وذلك من خلال حسابات أوردها في بحثه . ويقول معلقًا على تاريخ ظهور الدجال : والشيء العجيب أن أعياد الأديان الثلاثة الخاصة بالذبح سوف تكون في النصف الأول من شهر نيسان عام 1998 م ؛ فعيد الأضحى سيكون من 5 – 8 نيسان ، وعيد الفصح سيكون من 10 – 17 نيسان ، وهذا التوقيت عند اليهود هو زمن ظهور مسيحهم أو مخلصهم ، وفي هذا الوقت سيقوم المسيح الكذاب ويقدم مع رئيس الكهنة ذبيحة المحرقة التي يذبحونها عند الهيكل ، ظانين أن الله سيرسل عليها نارًا من السماء تحرقها ، وذلك علامة قبولها منهم ، غير أن الله سبحانه لا يلتفت إلى هذا القربان ؛ لأنه مرفوض [2] .

---

(1) شبكة المعلومات ص 20 .

(2) عن عمر أمة الإسلام ص 61 – 63 . لم يقع عيد الأضحى كما قال ما بين 5 – 8 نيسان إبريل ، بل وقع ما بين 7 – 10 منه ، وقد مضت الأعياد ، وها نحن الآن في نهاية عام 1998 م ولم يحدث شيء مما ذكروه .

أما النصارى فيعتقدون أن نزول المسيح – عليه السلام – سيكون عند نشوب معركة هرمجدون كما سلف ، وقد حدد كثير منهم أنها ستكون قبل خريف عام 2001 م ، فالرئيس الأمريكي الأسبق نيكسون قال في كتابه (1999 نصر بلا حرب) : « إننا في عام 1999 م نكون قد حققنا السيادة الكاملة على العالم ، وبعد ذلك يبقى ما بقي للمسيح » [1] .

أقوال الكتاب والسياسيين الغربيين :

يؤمن بهذه المعركة ويتوقع قرب وقوعها كثير من النصارى ، ولا سيما أهل الغرب ، وبخاصة الأصوليون الإنجيليون . وقد ظهرت كتب عديدة عن نبوءات تلك الحرب ، ولاقت رواجًا كبيرًا . وإليك بعض النصوص والتصريحات الصادرة عنهم .

1 – قال بيلي جراهام الرئيس السابق للقساوسة الإنجيليين عام 1970 م في تحذيره العالم من أنه يتحرك بسرعة نحو هرمجدون : « إن الجيل الحالي من الشباب ، ربما يكون آخر جيل في التاريخ » .

2 – وقالت الكاتبة الأمريكية هالسيل في كتابها (النبوءة والسياسة) : إننا نحن المسيحيين نؤمن أن تاريخ الإنسانية ، سوف ينتهي بمعركة تدعي هرمجدون ، وأن هذه المعركة سوف تتوج بعودة المسيح الذي سيحكم في تلك العودة على جميع الأحياء والأموات .

ثم تقول في خاتمة كتابها : اقتناعًا منا بأن هرمجدون نووية لا مفر منها ، بموجب خطة إلهية فإن العديد من الإنجيليين المؤمنين بالتدبيرية ، ألزموا أنفسهم سلوك طريق مع إسرائيل يؤدي بصورة مباشرة إلى محرقة أشد وحشية وأوسع انتشارًا من أية مجزرة يمكن أن يتصورها عقل هتلر [2] .

3 – وقال سكوفيلد : إن المسيحيين المخلصين ، يجب أن يرحبوا بهذه الحادثة ؛ لأنه بمجرد ما تبدأ المعركة النهائية هرمجدون ، فإن المسيح سوف يرفعهم إلى السحاب ، وسوف يُنقذون ، ولن يواجهوا شيئًا من المعاناة التي تجري تحتهم .

---

(1) عن عمر أمة الإسلام ص 63 .

(2) عن عمر أمة الإسلام ص 63 ، الوعد الحق والوعد المفترى ص 32 .

4 – وقال بات روبتسون زعيم الأصوليين الإنجيليين : أُومن بأن معركة هرمجدون مقبلة ، إن هرمجدون قادمة ، وسيُصبُّ غمارها في وادي فريدون ، إنها قائمة ... هناك أيام سوداء قاتمة .

5 – وقال جيري فولويل أحد زعماء الأصوليين المسيحيين : إننا نعتقد أننا نَعيش في الأيام الأخيرة التي تسبق مجيء الرب .. لا أعتقد أن أطفالي سيعيشون حياتهم كاملة .

6 – وقال القَس مينا جرجس في كتابه (علامات مجيء ابن الرب) : إن العلامات التي ذكرها الرب في الإنجيل المقدس ، تبدو واضحة وأكثر جلاء هذه الأيام ، وأصبحنا نعيشها كلها .. الأمر الذي يدعونا إلى أن نكون في حالة استعداد قصوى لاستقبال الرب الآتي على سحب السماء [1] .

7 – صرح رينالد ريغن أكثر من إحدى عشرة مرة أن نهاية العالم باتت وشيكة ، وأنه يؤمن بأن معركة هرمجدون قادمة .

وقال في حديث مع إيبال المدير التنفيذي للّوبي الإسرائيلي : حينما أعود إلى نبوءاتكم القديمة في التوراة ، تخبرني العلامات بأن معركة هرمجدون الفاصلة بين الخير والشر مقبلة ، وأجد نفسي متسائلًا عما إذا كنا نحن الجيل الذي سيشهد وقوع ذلك ؟ لكن صدقني إنها تصف الأوقات التي نجتازها الآن ، وتنطبق على زماننا الذي نعيش فيه .

وقال ذات مرة : إن هذا الجيل بالتحديد هو الذي سيرى هرمجدون . وقال لبعض زعماء الأصوليين الإنجيليين عن اليقظة الروحية في أمريكا : إنني مؤمن من كل قلبي أن الله يرعى أناسًا مثلي ومثلكم في صلاة وحب ، لإعداد العالم لصورة ملك الملوك . يعني المسيح .

وصرح أيضًا بأنه كان يشعر عند الانتخابات الأمريكية ، بأن المسيح يأخذ بيده ، وأنه سوف ينجح ليقود معركة هرمجدون التي يعتقد أنها ستقع خلال الجيل الحالي ، في منطقة الشرق الأوسط [2] .

8 – ومن أهم ما ظهر من الكتب في هذا الموضوع كتاب (دراما نهاية الزمن) لمؤلفه

(1) هذه النقول من كتاب الوعد الحق والوعد المفترى ص 74 وكتاب المسيح الدجال ص 166 – 167 .
(2) عن مجلة الأمن القطرية حزيران 1985 م ، وعن المسيح الدجال ص 166 – 167 . وإنك لتلحظ الهدف السياسي من هذا الإيمان القلبي .

أوترال لوبرتس ، وكتاب (نهاية الكرة الأرضية) لمؤلفه لندسي . وكلاهما يصور بشكل درامي مثير نهاية العالم القريبة ، وانهيار حضارته ، ودمار جيوشه ، بقيام معركة هرمجدون ، حتى إن أحدهما يذكر أنه لا داعي للتفكير بمستقبل الأجيال القادمة وغير ذلك ، فالمسألة لن تتعدى بضع سنوات ، حتى يتغير كل شيء في العالم جذريًا .

9 - جاء في كتاب (البعد الديني في السياسة الأمريكية) أن سبعة من رؤساء أمريكا قبل جورج بوش ، يؤمنون بمعركة هرمجدون ، ويسعون بحماسة لها ، أما جورج بوش ، فأقلهم حماسة .

ما يفعله اليهود من أجل المنتظر

جاء في التلمود : « يجب على كل يهودي أن يسعى لأن تظل السلطة على الأرض لليهود دون سواهمَ ، وقبل أن يحكم اليهود نهائيًا باقي الأمم ، يجب أن تقوم الحرب على قدم وساق ، ويهلك ثلثا العالم ، وسيأتي المسيح الحقيقي ، ويحقق النصر القريب ، وحينئذ تصبح الأمة اليهودية غاية في الثراء ؛ لأنها تكون قد ملكت أموال العالم جميعًا ؛ إذ إنها ستكون هي الأمة المتسلطة على باقي الأمم » [1] .

من أجل ذلك وضعوا خططًا استراتيجية توصلهم إلى بغيتهم ، واستخدموا كل الإمكانات المتاحة لهم ، فاخترقوا العمل السياسي والدبلوماسي في أماكن كثيرة من العالم ، واخترقوا الاقتصاد ، وأمسكوا بزمامه في معظم أنحاء الأرض ، واخترقوا المجتمعات بنقل وجهة النظر التي يريدونها عَبْر وسائل الإعلام التي يسيطرون عليها ، وهم في جميع ذلك يتبعون الطرق الخفية ذات النتائج التي يرونها مؤكدة .

تحالف الصهيونية والاستعمار :

يتفق اليهود والنصارى على أن المسيح المنتظر سيكون من بني إسرائيل ، وستكون قاعدة ملكه القدس ، ويظن كل منهم أنهم سيكونون أتباعه ، كما تتفق الملتان على أن تاريخ نزوله سيوافق رقمًا ألفيًا - نسبة إلى الألف - فحلم النصاري بعودة المسيح إلى الأرض أن يقتل اليهود والمسلمين وكلَّ من لا يدين بدينهم في معركة هرمجدون ، ويعتقدون أن نهاية المعركة ستكون انتصارًا حاسمًا لهم ، وتدميرًا كاملًا للوثنيين - ومنهم المسلمون - فيغرقون في بحيرة النار المتقدة بالكبريت - كما تقول الرؤيا - وقد فسروا النار الكبريتية بالقنابل النووية التي ستُلقى على المسلمين ، أما هم فيرتفعون مع المسيح فوق السحاب ، كما سلف .

وحلم اليهود بخروج الملك المسيح من نسل داود ، أن يقتل النصارى والمسلمين ، ويخضع الناس أجمعين لدولة إسرائيل ، فيصبح اليهود سادة العالم [2] .

وبما أن ظهور المسيح سيكون في موطنه الأصلي ، فلابد من الإعداد له والتهيئة لقدومه ، وذلك بتجميع بني إسرائيل في أرض فلسطين . وهكذا اتفق اليهود والنصارى

(1) الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي لإسماعيل الكيلاني ص 89 ، عن الوعد الحق والوعد المفترى ص 13 – 14 .

(2) الوعد الحق والوعد المفترى ص 26 و ص 37 .

على أن قيام دولة إسرائيل ، وتجمع اليهود في فلسطين ، سيكون تمهيدًا لنزول المسيح . وابتدع حاخامات اليهود فكرة تأجيل الخوض في التفصيل حاليًا ، والاهتمام بالمبدأ الأساسي ألا وهو مجيء المسيح ، وذلك بالتعاون والتخطيط سوية للتهيئة لعودته ، وأقرهم على ذلك قادة الإنجيليين الألفيين . ولا غرابة في إقرارهم ، فبعضهم يهودي مدسوس ، وبعضهم أجير منفذ ، وغيرهما مغرر به مخدوع [1] .

لقد كانت نتيجة الحركة البروتستانتية والتمثيل التوراتي ظهور فكرة الصهيونية النصرانية قبل ظهور فكرة الصهيونية اليهودية وتبنيها لعودة اليهود إلى فلسطين ، تمهيدًا لعودة المسيح التي كان بعضهم يظن أنها ستكون في بداءة هذا القرن الميلادي [2] .

واليهود لا يبشرون باليهودية ، وإنما يساعدون على التبشير بالنصرانية ؛ لأن دخول غيرهم في اليهودية يؤدي إلى عدم احتفاظهم بنقاء الدم الذي يفضلهم على العالم كما يزعمون ، فهم يساعدون النصارى في التبشير بدينهم ؛ لأنهم حملة أحجار الهيكل أمل اليهود .

وبمكر اليهود وخبثهم ، وحقد النصارى وضغنهم ، ظهر الوفاق اليهودي النصراني ، المسمى بالوفاق الدولي ، وعدوهم المشترك هم المسلمون ، وقد ظهر ذلك واضحًا بعد سقوط الشيوعية وانهيار الاتحاد السوفييتي ، فقد شغل الاعتقاد بالبعث اليهودي جانبًا مهمًا من اللاهوت البروتستنتي الأمريكي ، حيث احتلت معتقدات المسيح المنتظر الساحة الأمريكية ، بل إن فئات مختلفة من النصارى في أمريكا وغيرها ، ممن يؤمن بالعقيدة الألفية ، وعلى رأسهم الأصوليون الإنجيليون ، ابتداء برؤساء الجمهورية وانتهاء بكثير من العامة ، يعتقدون أن الصراع بين العرب واليهود ، هو صراع بين داود وجالوت (جوليات) [3] .

قال الرئيس الأمريكي الأسبق نيكسون في كتابه (1999 نصر بلا حرب) : في العالم الإسلامي من المغرب إلى أندونيسيا ، ورثت الأصولية الإسلامية مكان الشيوعية ، من حيث كونها الأداة الأساسية للتغيير العنيف [4] .

وثمة منظمة تؤمن بحرفية التوراة ، وأنها كتاب من عند الله ، أسسها جورج أوتس ،

---

(1) الوعد الحق والوعد المفترى ص 27 .
(2) الوعد ص 44 .
(3) منه ص 37 .
(4) منه ص 40 .

تعتقد أن إسرائيل مقدمة لعودة المسيح ، وتلتزم التزامًا كاملًا بدعم اليهود ، وهي تصرح بأن إنشاء دولة إسرائيل الحديثة هو إيفاء لا ينازع للنبوءة التوراتية ، ونذير بمقدم المسيح [1].

كما أن هناك جماعة أخرى أصولية إنجيلية ، تؤمن بحرفية التوراة والإنجيل ، تسمى (السفارة المسيحية الدولية) ، مقرها في القدس ، ولها فروع في جميع أنحاء العالم ، تعتقد أنه إذا لم تبق إسرائيل فلا مكان للمسيح عند مجيئه الثاني [2] .

قال لويد جورج رئيس وزراء بريطانيا الأسبق عن نفسه : إنه صهيوني ، ويؤمن بما جاء في التوراة ، من ضرورة عودة اليهود ، وأن عودة اليهود مقدمة لعودة المسيح .

وقال بات روبتسون : إن إعادة مولد إسرائيل ، هي الإشارة الوحيدة إلى أن العد التنازلي لنهاية الكون قد بدأ ، كما أن بقية التنبؤات أخذت تتحقق مع مولد إسرائيل .

---

(1) منه ص 60 .

(2) الوعد الحق والوعد المفترى ص 63 .

اجتهاد بعض المسلمين في تحديد عمر الأمة

يُحتسب عمر الأمة منذ بعثة نبيها إلى بعثة النبي الذي بعده ، فعمر أمة اليهود ، من بعثة موسى - عليه السلام - إلى بعثة عيسى - عليه السلام - وعمر أمة النصارى من بعثة عيسى - عليه السلام - إلى بعثة محمد ﷺ وعمر أمة الإسلام من بعثة محمد ﷺ إلى أن تقوم الساعة ، أو إلى أن تأتي الريح اللينة التي تقبض نفس كل مؤمن ، ثم لا يبقى على ظهر الأرض إلا شرار الخلق ، فعليهم تقوم الساعة [1] .

وقد حاول بعض علماء المسلمين تحديد عمر أمة الإسلام مستأنسين بمفهوم بعض الأحاديث ، غير أنه سرعان ما ظهر خطأ اجتهادهم .

اجتهاد السيوطي :

قال جلال الدين السيوطي [2] : الذي دلت عليه الآثار أن مدة هذه الأمة تزيد عن ألف سنة ولا تبلغ الزيادة خمسمائة سنة ؛ لأنه ورد من طرق أن مدة الدنيا سبعة آلاف سنة ، وأن النبي ﷺ بعث في أواخر الألف السادسة . ثم ذكر حسابات خلص منها إلى أنه لا يمكن أن تكون المدة ألفًا وخمسمائة سنة . ومن الأحاديث التي استند إليها ما يلي :

عن الضحاك بن زمل الجهني قال : رأيت رؤيا ، فقصصتها على رسول الله ﷺ فذكر الحديث ، وفيه : إذا أنا بك يا رسول الله على منبر فيه سبع درجات ، وأنت في أعلاها درجة . فقال ﷺ : أما المنبر الذي رأيت سبع درجات ، وأنا في أعلاها درجة ، فالدنيا سبعة آلاف سنة ، وأنا في آخرها ألفًا . [أخرجه الطبراني في الكبير] [3] .

ثم ذكر أن معنى قوله : « وأنا في آخرها ألفًا » أي معظم الملة في الألف السابعة .

(1) عمر أمة الإسلام ص 43 .   (2) في كتاب الحاوي للفتاوى 86/2 .

(3) ذكر السيوطي أن البيهقي أخرجه في الدلائل ، وأن السهيلي ذكر أنه ضعيف الإسناد ولكنه روي موقوفًا على ابن عباس من طرق صحاح ، وأن الطبري في تاريخ الأمم والملوك (5/1 - 10) صحح هذا الأصل وعضده بآثار اهـ . وقد ضعف كثير من العلماء هذا الحديث ، بل قال بعضهم موضوع . وقد ذكر ابن القيم في المنار المنيف ص 80 أمورًا كلية يعرف بها كون الحديث موضوعا ، منها مخالفته صريح القرآن كحديث مقدار الدنيا ، وأنها سبعة آلاف سنة ، ونحن الآن في الألف السابعة ، وهذا من أبين الكذب ؛ لأنه لو كان صحيحًا لكان كل واحد عالمًا أنه بقي للقيامة من وقتنا هذا مئتان وإحدى وخمسون سنة اهـ . علمًا بأن ابن القيم عاش في القرن الثامن الهجري . =

2 – ذكر السيوطي أيضًا أنه ورد أن الدجال يخرج على رأس مائة سنة ، وينزل عيسى فيقتله ، ثم يمكث في الأرض أربعين سنة ، وأن الناس يمكثون بعد طلوع الشمس من مغربها عشرين ومائة سنة ، وأن بين النفختين أربعين سنة ، لا بد منها .

مناقشة العلماء للسيوطي :

وإنما قال السيوطي أن معظم الأمة في الألف السابعة ليطابق ما ورد أنه بعث في أواخر السادسة ، ولو كان بعث في أول الألف السابعة ، لكانت الأشراط الكبرى كالدجال ونزول عيسى وطلوع الشمس من مغربها وجدت قبل ذلك اليوم بأكثر من مائة سنة ، لتقوم الساعة عند تمام الألف ، ولم يوجد شيء من ذلك ، فدل على أن الباقي من الألف السابعة أكثر من ثلاثمائة سنة . ثم إن هذا الحديث مصادم للقرآن والأحاديث الصحيحة من أن مدة الدنيا لا يعلمها إلا الله ؛ إذ لو عرفنا مدة الدنيا لعلمنا متى تقوم الساعة .

قال ابن كثير في النهاية في الفتن والملاحم : والذي في كتب الإسرائيليين وأهل الكتاب من تحديد ما سلف بألوف ومئين من السنين ، قد نص غير واحد من العلماء على تخطئتهم فيه وتغليطهم ، وهم جديرون به .

وقال القرطبي في التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة : إن ما أخبر به النبي ﷺ من الفتن والكوائن أن ذلك يكون ، وتعيين الزمان في ذلك من سنة كذا ، يحتاج إلى طريق صحيح يقطع العذر ، وإنما ذلك كوقت قيام الساعة ، فلا يعلم أحد أي سنة هي ، ولا أي شهر ، أما أن تكون في يوم الجمعة في آخر ساعة منه ، وهي الساعة التي خلق فيها آدم [فهذا قد صح] لكن أي جمعة ؟ لا يعلم تعيين ذلك اليوم إلا الله ، وكذلك ما يكون من الأشراط ، فإن تعيين الزمان بها لا يعلم .

وأما ما ذكره من أن الدجال يخرج على رأس مائة سنة ، ثم ينزل عيسى فيقتله فإن الواقع يرده ؛ إذ نحن في بدء القرن الخامس عشر الهجري ، ولم يخرج الدجال ، ولم ينزل عيسى – عليه السلام – وعلى كلامه لو خرج الدجال الآن ، لابد من مائتي سنة ،

= وقال ابن كثير في النهاية في الفتن والملاحم : حديث أن النبي ﷺ لا يمكث في قبره ألف عام ، باطل . وحديث « الدنيا جمعة من جمع الآخرة » لا يصح إسناده ، وكذا كل حديث ورد فيه تحديد لوقت القيامة على التعيين ، لا يثبت إسناده ، وانظر الوابل ص 61 – 65 .

فيكون قيام الساعة بعد عام ألف وستمائة سنة هجرية . وبهذا يتبين بطلان كل حديث ورد في تحديد مدة الدنيا (1) .

ب - تحديد أمين محمد جمال الدين لعمر أمة الإسلام :

ويقدر الأستاذ أمين محمد جمال عمر أمة الإسلام بـ 1400 سنة مع زيادة يسيرة ، ويرى مستندًا إلى بعض الأحاديث أننا نعيش حقبة ما قبل النهاية ، أي في مرحلة الاستعداد للفتن والملاحم الأخيرة التي تسبق العلامات الكبرى . ومما استند إليه ما يلي :

1 - عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال : إنما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الأمم ، كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس ، أوتي أهل التوراة التوراة فعملوا ، حتى إذا انتصف النهار عجَزوا ، فأعطوا قيراطًا قيراطًا ، ثم أوتي أهل الإنجيل الإنجيل ، فعملوا إلى صلاة العصر ، ثم عجزوا ، فأعطوا قيراطًا قيراطًا ، ثم أوتينا القرآن ، فعملنا إلى غروب الشمس ، فأعطينا قيراطين قيراطين ، فقال أهل الكتاب : أي ربنا ، أعطيت هؤلاء قيراطين قيراطين ، وأعطيتنا قيراطًا قيراطًا ، ونحن أكثر عملًا ؟ قال : قال الله عز وجل : هل ظلمتكم من أجركم من شيء ؟ قالوا : لا . قال : فهو فضلي أوتيه من أشاء . [رواه البخاري في عدة مواضع بأسانيد مختلفة] .

وفي رواية لمالك وأحمد والبخاري والترمذي : إنما أجلكم فيما خلا من الأمم ، كما بين صلاة العصر إلى مغارب الشمس ، وإنما مثلكم ومثل اليهود والنصارى كمثل رجل استأجر أُجراء ، فقال : من يعمل من غدوة إلى نصف النهار على قيراط قيراط ؟ فعملت اليهود ، ثم قال : من يعمل من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط ؟ فعملت النصارى ، ثم قال : من يعمل من العصر إلى أن تغيب الشمس على قيراطين قيراطين ؟ فأنتم هم . فغضبت اليهود والنصارى وقالوا : مالنا أكثر عملًا وأقل عطاء ؟ قال : هل ظلمتكم من حقكم شيئًا ؟ قالوا : لا ، قال : فذلك فضلي أوتيه من أشاء .

2 - وعن أبي موسى - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال : مثل المسلمين واليهود والنصارى ، كمثل رجل استأجر قومًا يعملون له عملًا إلى الليل ، فعملوا إلى نصف النهار ، فقالوا : لا حاجة لنا إلى أجرك ، فاستأجر آخرين ، فقال : أكملوا بقية يومكم ولكم الذي شرطت ، فعملوا حتى إذا كان حين صلاة العصر قالوا : لك ما عملنا ،

(1) أشراط الساعة ص 64 .

فاستأجر قومًا فعملوا بقية يومهم حتى غابت الشمس ، واستكملوا أجر الفريقين . [أخرجه البخاري في عدة مواضع بأسانيد مختلفة] (1) .

3 - قال الحافظ في الفتح (2) : وقد اتفق أهل النقل على أن مدة اليهود إلى بعثة محمد ﷺ كانت أكثر من ألفي عام ، ومدة النصارى من ذلك ستمائة سنة .

4 - عن سلمان الفارسي - رضي الله عنه - أنه قال : فترةٌ بين عيسى ومحمد ﷺ ستمائة سنة . [أخرجه البخاري] .

ثم يوضح ذلك فيقول : إن مدة عمر اليهود تساوي مدتي عمر النصارى والمسلمين مجتمعتين ، ومدة عمر النصارى هي ستمائة سنة ، فإذا طرحنا مدة عمر النصارى 600 سنة من ألفين ، وهي مدة أهل الكتاب إلى بعثة محمد ﷺ كان الناتج عمر أمة اليهود .

2000 - 600 = 1400 سنة وتزيد قليلًا .

وذكر أهل النقل والتاريخ أن هذه الزيادة تزيد عن المائة قليلًا ، إذًا ، وبالتقريب فإن عمر أمة اليهود يساوي 1500 سنة .

وحيث إن عمر أمة الإسلام يساوي عمر أمة اليهود مطروحًا منه عمر أمة النصارى ، فيكون عمر أمة الإسلام 1500 - 600 = 900 سنة ، وتزيد قليلًا .

وعن سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : إني لأرجو ألا تعجز أمتي عند ربها أن يؤخرهم نصف يوم . قيل لسعد - رضي الله عنه - : كم نصف يوم ؟ قال : خمسمائة سنة . [أخرجه أحمد وأبو داود والحاكم وأبو نعيم في الحلية] .

فعمر أمة الإسلام 900 + 500 = 1400 سنة ، وتزيد قليلًا .

ثم يستند إلى قول الإمام السيوطي في رسالته المسماة (الكشف عن مجاوزة هذه الأمة الألف) (3) في بيان خروج المهدي : « الذي دلت عليه الآثار أن مدة هذه الأمة

---

(1) وفي الباب عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال : كنا جلوسًا عند النبي ﷺ والشمس على قُعيقعان بعد العصر ، فقال : ما أعماركم في أعمار من مضى إلا كما بقي من النهار ، وفيما مضى منه . [أخرجه أحمد ، وصححه أحمد شاكر ، وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - مرفوعًا : نحن الآخرون السابقون يوم القيامة .. الحديث [متفق عليه] .

(2) 449/4 .

(3) ص 206 .

تزيد على الألف ، ولا تبلغ الزيادة خمسمائة سنة أصلًا » . ثم يقول : ونحن الآن في سنة 1418 من الهجرة ، ولكننا في سنة 1430 من البعثة ، فنحن نعيش حقبة ما قبل النهاية ، وفي مرحلة الاستعداد للفتن والملاحم الأخيرة التي تسبق ظهور العلامات الكبرى . هذا خلاصة ما توصل إليه [1] .

مناقشة هذا الرأي :

هذه الأحاديث إنما تدل على أنه ما بقي بالنسبة لما مضى شيء يسير ، لكن لا يعلم مقدار ما مضى وما بقي إلا الله تعالى ، ولم يجئ فيه تحديد يصح سنده .

قال بعض العلماء : المراد تشبيه من تقدم بأول النهار إلى الظهر والعصر في كثرة العمل الشاق ، والتكليف ، وتشبيه هذه الأمة بما بين العصر والليل في قلة ذلك وتخفيفه ، وليس المراد طول الزمن وقصره ؛ إذ مدة هذه الأمة أطول من مدة أهل الإنجيل .

وقال إمام الحرمين : الأحكام لا تؤخذ من الأحاديث التي لضرب الأمثال .

وكان لهذه الأمة قيراطان من الأجر ؛ لإيمانهم بموسى وعيسى مع إيمانهم بمحمد ﷺ ؛ لأن التصديق عمل [2] .

ويدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ [المائدة : 59] .

وقوله سبحانه : ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [المائدة : 68] .

---

(1) انظر كتابه ص 43 و 45 و 48 .

(2) فيض القدير 566/2 .

تحديد أمين محمد جمال الدين لبعض الأحداث والملاحم :

يرى الأستاذ محمد جمال الدين مستندًا إلى أحاديث عوف بن مالك وذي مخمر وأبي هريرة - رضي الله عنهم - وغيرهم ، أن ثمة حربين عظيمتين ستقومان :

الأولى : عالمية ، يتحالف فيها المسلمون والروم (أوربا وأمريكا) ضد عدو مشترك ، فيكونان صفًّا واحدًا ، ويكون النصر حليفهما ، كما جاء في حديثي عوف وذي مخمر ، رضي الله عنهما .

ويرى أن هذه المعركة ستكون قبل ظهور المهدي ، ويتوقع أن تكون قريبة في أيامنا هذه ، ثم يظهر المهدي بعدها .

ويرى أن تلك المعركة هي معركة هرمجدون التي يعرفها الجميع ويتوقعونها ، وأن العالم يعيش اليوم مرحلة المصالحة التي تسبق المعركة مباشرة ؛ فنحن والروم اليوم في صلح آمن ، وقد أبرم حكام المسلمين معهم المعاهدات والاتفاقات ، وتعاهدوا على النصرة ، بل قد دخل العالم الآن - ولا سيما في منطقة الشرق الأوسط - في سباق محموم للتحالفات والمعاهدات [1] .

ويتوقع أن تكون قريبة فيقول : ونحن المسلمين ، ليس لدينا علم من الله أو رسوله ﷺ بوقت وقوعها فنقطع به ، غير أن رسول الله ﷺ بينه لنا بأمارات عامة ، وقد تحققت كلها ، والعالم يعيش في حقبة ما قبل النهاية ، فقد يكون توقيتها كما يقول أهل الكتاب ، وربما يتقدم قليلًا أو يتأخر قليلًا ، لا يعلم بذلك أحد إلا الله .

ويرى أنها ستكون حربًا مدمرة نووية تفنى فيها معظم الأسلحة الاستراتيجية ، وتعود الكلمة في الحروب بعدها إلى السيف والرمح والخيل .

ويرى أن كثيرًا من النصارى سيعتنقون الإسلام بعد معركة هرمجدون ، ويقاتلون بعد ذلك مع المهدي في صفوف المسلمين [2] .

(1) ويرى سعيد أيوب في كتابه المسيح الدجال ص 173 أن الدولة الإسلامية تحدث دويًّا هائلًا عند ظهورها ، وسوف يخفق الغرب في القضاء عليها ، فيتقرب إليها بجميع الوسائل ، ويثمر هذا التقارب عن اتفاق صلح بين الدولة الإسلامية ودول الغرب ، وفي فترة الصلح هذه ستشترك دولة الإسلام مع دول الغرب في معركة ضد عدو مشترك .

(2) عمر أمة الإسلام ص 34 و 38 - 39 و 61 و 68 و 77 .

الثانية : وهي الملحمة الكبرى التي ستكون بين المسلمين والروم ، حيث يغدر الروم بالمسلمين كما في حديث عوف بن مالك وذي مخمر - رضي الله عنهما - فبعد أن يقتل المسلم الرومي المستفز شعور المسلمين ، ثم تُقتل تلك الجماعة من المسلمين ، يرجع الروم إلى بلادهم ، وفي نيتهم الغدر ، فيجمعون للمسلمين خفية في تسعة أشهر [1] .

وفي هذه الفترة يظهر المهدي ؛ لأنه سيكون قائد المسلمين في هذه المعركة ، ويكون مقر قيادته في الغوطة قرب دمشق ، ثم يزحف الروم وينزلون بالأعماق ، أو بدابق قرب حلب في جيش جرار ، كتائبه متتالية .

يطالب الروم قبل بدء المعركة بتسليمهم النصارى الذين دخلوا في الإسلام لينتقموا منهم ، فيأبى المسلمون ذلك ، وتنشب المعركة ، وتدوم أربعة أيام لا يحجز بينهم إلا الليل ، ثم تنتهي بهزيمة الروم هزيمة منكرة ، بعد أن يُقتل الكثيرون منهم ، وينصر الله عبده المهدي ، بعد أن يلاقي المسلمون شدة وبلاءً ، وتبلغ القلوب الحناجر [2] .

مناقشة هذا الرأي :

إن المرء ليتساءل : هل نحن اليوم حقيقة في صلح آمن مع الروم ؟

وهل هذا التسيير الكامل وفق أهوائهم يسمى صلحًا آمنًا ؟

وفي هذا القدر الكفاية .

(1) كما في حديث رواه أحمد « يجمعون لكم تسعة أشهر ، قدر حمل المرأة » وفي إسناده مقال .
(2) عمر أمة الإسلام ص 39 و 64 .

الأمارة الرابعة

طلوع الشمس من مغربها

اقتضت حكمة الله في نظام الكون أن تطلع الشمس من جهة المشرق ، وأن تغيب من جهة المغرب كل يوم ، وشاءت حكمته البالغة أن يجعلها عند فساد الناس في آخر الزمن ، وعصيانهم أوامر الله ، وتبديلهم دين الحق ، أن يجعلها تطلع من جهة المغرب ، بعكس نظامها الحالي ، لتكون آية عظيمة دالة على قرب قيام الساعة ، يراها كل من يكون في ذلك الوقت ، وآنئذ تنكشف لهم الحقائق ، ويشاهدون من الأهوال ما يلوي أعناقهم ، ولذلك لا يقبل الإيمان ممن لم يكن آمن من قبل ، كما لا تقبل توبة العاصي ، فيندمون ويتحسرون ، ولات ساعة مندم .

أدلة طلوعها من المغرب :

1 - قال تعالى : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَـٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾ [الأنعام : 158] .

وقد دلت الأحاديث الصحيحة على أن المراد ببعض الآيات هنا هو طلوع الشمس من مغربها (1) . ومنها ما يلي :

أ - عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال في الآية : ﴿ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ ﴾ : طلوع الشمس من مغربها . [أخرجه أحمد والترمذي] (2) .

ب - وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها ، فإذا طلعت ورآها الناس ، آمنوا أجمعون ، فذلك حين لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا . [أخرجه الستة إلا الترمذي] (3) .

وفي رواية للشيخين : فإذا رآها الناس آمن مَن عليها .

---

(1) وهو قول جمهور المفسرين ، كما قال الطبري في تفسيره لدى تعرضه للآية .

(2) وقال الترمذي غريب ، وقد رواه بعضهم فلم يرفعه [النهاية 109/1] .

(3) وأخرجه أيضًا عبد بن حميد وعبد الرزاق وابن المنذر وأبو الشيخ وابن مردويه والبيهقي .

جـ – وعن صفوان بن عسال – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال : إن لله عز وجل بالمغرب بابًا – عرضه مسيرة سبعين عامًا – للتوبة ، لا يغلق حتى تطلع الشمس من قبله ، وذلك قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ... ﴾ الآية . [أخرجه الترمذي وقال : حسن صحيح والنسائي وابن ماجه والدارقطني] .

وعند أحمد : إن الله فتح بابًا قبل المغرب ، عرضه سبعون – أو أربعون – ذراعًا – لا يغلق حتى ..

والآية فيها حذف المعطوف ، أي لا ينفع نفسًا إيمانها وكسبها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا . ففيها لف ونشر ، مفهومه أنها إذا كانت كسبت ينفعها كسبها المماثل للسابق فقط ، فيجري لها وعليها ما كان لها قبل ذلك ؛ لأن باب التوبة قد أغلق .

2 – وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال : بادروا بالأعمال ستًّا : طلوع الشمس من مغربها ، والدخان ، والدجال ، والدابة ، وخُوَيِّصة أحدكم ، وأمر العامة [1] . [أخرجه مسلم وأحمد والحاكم وعبد بن حميد وابن مردويه] .

وفي رواية لمسلم وأحمد والترمذي وابن جرير : ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا : طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الأرض .

3 – وعن حذيفة بن أَسِيد الغفاري – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : إنها لن تقوم – أي الساعة – حتى تروا قبلها عشر آيات ، فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ، وخروج يأجوج ومأجوج ، وخروج عيسى ابن مريم ، وثلاثة خسوف ، خسفًا بالمشرق [2] ، وخسفًا بالمغرب ، وخسفًا بجزيرة العرب ، ونارًا تخرج من قعر عدن تسوق – أو تحشر – الناس ، تبيت معهم حيث باتوا ، وتقيل معهم حيث قالوا . [أخرجه أحمد ومسلم وأهل السنن] .

4 – وعن أبي ذر – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال يومًا : أتدرون أين

---

(1) خُوَيِّصة : تصغير خاصة ، وخاصة الإنسان ؛ ما يخصه دون غيره ، وأراد بها الموت الذي يخصه وأمر العامة : الساعة ؛ لأنها تعم الناس جميعًا . وفي رواية أخرى نحوه ، لكن العطف بأو ، وفي آخره أو خاصة أحدكم ، والحرفان لا يدلان على الترتيب .

(2) بالنصب على أنه بدل من العدد ثلاثة ، لا من لفظ خسوف .

تذهب هذه الشمس ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : إن هذه تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش ، فتخر ساجدة [1] ، فلا تزال كذلك حتى يقال لها : ارتفعي ، ارجعي من حيث جئت ، فترجع طالعة من مطلعها ، ثم تجري لا يستنكر الناس منها شيئًا ، حتى تنتهي إلى مستقرها ذاك تحت العرش ، فيقال لها : ارتفعي ، أصبحت طالعة من مغربك ، فتصبح طالعة من مغربها ، أتدرون متى ذاكم ؟ حين لا ينفع نفسًا إيمانها ، لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا . [أخرجه مسلم] .

وعند البخاري : أتدري أين تذهب هذه الشمس إذا غربت ؟ قلت : لا ، قال : إنها تنتهي فتسجد تحت العرش ، ثم تستأذن ، فيوشك أن يقال لها : ارجعي من حيث جئت ، وذلك حين لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا .

وعند الترمذي : قال : دخلت المسجد حين غابت الشمس ، والنبي ﷺ جالس ، فقال : يا أبا ذر ، أين تذهب هذه الشمس ؟ قال : قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : فإنها تذهب تستأذن في السجود ، فيؤذن لها ، وكأنها قد قيل لها : اطلعي من حيث جئت ، فتطلع من مغربها ، قال : ثم قرأ – أي النبي ﷺ – (وذلك مستقر لها) [2] .

مدة بقائها على تلك الحالة :

وطلوع الشمس العكسي إنما يكون مرة واحدة في يوم واحد ، ثم تعود الشمس كما كانت ، فتطلع من المشرق إلى أن تقوم الساعة .

1 – عن عبد الله بن أوفى – رضي الله عنه – قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ليأتين على الناس ليلة تعدل ثلاث ليال من لياليكم هذه ، فإذا كان ذلك عرفها المتنفلون ، يقوم أحدهم فيقرأ حزبه ثم ينام ، ثم يقوم فيقرأ حزبه ثم ينام ، فبينما هم كذلك ، صاح الناس بعضهم في بعض ، فقالوا : ما هذا ؟ فيفزعون إلى المساجد ، فإذا هم بالشمس قد طلعت من مغربها ، حتى إذا صارت في وسط السماء ، رجعت وطلعت من مطلعها ، قال : فحينئذ لا ينفع نفسًا إيمانها . [أخرجه ابن مردويه في تفسيره] .

---

(1) سجود كل شيء بما يختص ، ويليق به ، فيسجد لعظمة الله كل شيء ، طوعًا أو كرها .

(2) قال أبو ذر – رضي الله عنه – وذلك قراءة عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – ، وصححه المعلق على جامع الأصول 392/10 .

2 - وعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - نحوه ، وفيه : ويفزع المتهجدون ، وينادي الرجل تلك الليلة جاره ، يا فلان ما شأننا الليلة ؟ لقد نمت حتى شبعت ، وصليت حتى أعييت ؟ ثم يقال لها : اطلعي من حيث غربت ، فذلك يوم لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا . [أخرجه البيهقي في البعث والنشور] .

3 - وعن حذيفة - رضي الله عنه - قال : سألت رسول الله ﷺ : ما آية طلوع الشمس من مغربها ؟ فقال : تطول تلك الليلة حتى تكون قدر ليلتين ، فيتنبه الذين كانوا يصلون فيها ، يعملون كما كانوا يعملون قبلها ، والنجوم لا ترى ، قد باتت مكانها ، يرقدون ثم يقومون فيصلون ، ثم يرقدون ثم يقومون فيصلون ، ثم يرقدون ثم يقومون ، يتطاول الليل ، فيفزع الناس ولا يصبحون ، فبينما هم ينتظرون طلوع الشمس من مشرقها ، إذ طلعت من مغربها ، فإذا رآها الناس آمنوا ، ولا ينفعهم إيمانهم . [أخرجه ابن مردويه] .

4 - وعن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - نحوه ، وفيه : قدر ليلتين - أو ثلاث - [1] ، فيستيقظ الذين يخشون ربهم فيصلون ، ويعملون كما كانوا ، ولا يرون إلا قد قامت النجوم مكانها ، ثم يرقدون ثم يقومون ، ثم يقضون صلاتهم [2]، والليل كأنه لم ينقض ، فيضجعون ، حتى إذا استيقظوا والليل مكانه ، حتى يتطاول عليهم الليل ، فإذا رأوا ذلك ، خافوا أن يكون ذلك بين يدي أمر عظيم ، فيفزع الناس ، وهاج بعضهم في بعض ، فقالوا : ما هذا ؟ فيفزعون إلى المساجد ، فإذا أصبحوا طال عليهم طلوع الشمس ، فبينما هم ينظرون طلوعها من المشرق ، إذ هي طالعة عليهم من مغربها ، فيصبح الناس ضجة واحدة ، حتى إذا صارت في وسط السماء ، رجعت وطلعت من مطلعها . [أخرجه البيهقي] .

طَيّ الدواوين بعد طلوع الشمس من مغربها :

دلت الآية والأحاديث الثابتة الصحاح والحسان على أن باب التوبة مفتوح حتى تطلع الشمس من مغربها ، فإذا طلعت من مغربها لا يقبل الإيمان من الكافر ، ولا التوبة من

(1) شك الراوي في ذلك . وعن ابن عباس مرفوعًا قدر ثلاث ليال . أخرجه ابن مردويه وابن أبي حاتم .
(2) أي يؤدون صلاتهم .

العاصي ، بل تطوى الدواوين ، فلا يكتب بعد ذلك عمل ، لكن تشهد عليهم أجسادهم ، ومن ذلك ما يلي :

1 - عن أبي موسى - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل ، حتى تطلع الشمس من مغربها . [أخرجه مسلم] .

2 - عن عبد الرحمن بن عوف ومعاوية بن أبي سفيان وعبد الله بن عمرو ومالك بن يخامر - رضي الله عنهم - أن النبي ﷺ قال : الهجرة خَصلتان : إحداهما أن تهجر السيئات ، والأخرى أن تهاجر إلى الله ورسوله ، ولا تنقطع الهجرة ما تقبلت التوبة ، ولا تزال التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من مغربها ، فإذا طلعت طبع على كل قلب بما فيه ، وكفي الناس العمل . [أخرجه أحمد والطبري والطبراني] [1] .

3 - عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : خرج علينا رسول الله ﷺ عشية من العشيات فقال : يا عباد الله توبوا إلى الله - مرات - فإنكم توشكون أن تروا الشمس من المغرب ، فإذا فعلت ذلك ، حُبست التوبة ، وطُوي العمل ، وخُتم الإيمان .. الحديث [أخرجه ابن مردويه وابن أبي حاتم] .

4 - وعن أنس - رضي الله عنه - أن الدواوين تطوى ، والأقلام تجف ، ولا يزاد في حسنة ، ولا ينقص من سيئة . [أخرجه ابن مردويه] .

5 - وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت : إذا خرجت أول الآيات - تعني طلوع الشمس من المغرب - طرحت الأقلام ، وطويت الصحف ، وخلصت الحفظة ، وشهدت الأجساد على الأعمال [أخرجه عبد بن حميد والطبري ونعيم بن حماد في الفتن] [2] .

6 - وعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - أنه قال : التوبة مبسوطة ما لم تطلع الشمس من مغربها . [أخرجه الطبري ، وجود سنده الحافظ] .

لا يقبل إيمان كافر ولا توبة عاص : من لم يكن إيمانه متحققًا ، لا ينفعه تجديد الإيمان

---

(1) وابن مردويه والبيهقي في الشعب ، وصححه أحمد شاكر ، وقال ابن كثير : هذا إسناد جيد وقوي ، وقال الهيثمي : رجاله ثقات .

(2) بعدة أسانيد عنها رقم 1798 و 1819 و 1822 .

إذا طلعت الشمس من مغربها ولا ينفعه فعل بر البتة ؛ لأنه فقد الإيمان الذي هو الأساس .

ومن تحقق اتصافه بالإيمان من قبل ، واستمر إلى طلوع الشمس من مغربها :

فإما أن يكون مقيمًا على المعاصي ، ولم يكسب في إيمانه خيرًا ، فهذا ينفعه الإيمان السابق المجرد عن الأعمال في أصل النجاة ، فلا يخلد في النار إن دخلها بذنوبه .

وإما أن يكون مؤمنًا تائبًا عن المعاصي كاسبًا في إيمانه خيرًا ما استطاع ، فهذا ينفعه إيمانه السابق في نجاته ، وتنفعه أعماله السابقة الصالحة في درجاته ، وينفعه ما يعمله بعد ذلك من الحسنات التي سبق منه مثلها .

وإما أن يكون مؤمنًا خلاطًا ، فهذا ينفعه إيمانه السابق في أصل نجاته ، وينفعه ما قدمه من الحسنات في درجاته ، لكن لا تنفعه توبته من الأعمال السيئة ، ولا تنفعه حسنة يعملها بعد ذلك ، ما لم يكن عملها من قبل واستمر على عملها من نحو صلاة وقراءة وذكر .

فلا ينفع الإيمان المحدث في ذلك اليوم لمن كان كافرًا ، ولا التوبة المحدثة للمؤمن المقيم على المعاصي ، ولا تقبل منه حسنة يعملها بعد ذلك ، ولا التوبة المحدثة لمن كان خلاطًا ، ولا أعمال البر المحدثة لمن لم يكن يعملها من قبل [1] .

والضابط في ذلك أن كل بر محدث بسبب رؤية آية الطلوع ، ولم يسبق من صاحبه مثله ، لا ينفعه ، سواء كان من الأصول أو الفروع ، وكل بر سابق كان صاحبه يعمل به قبل رؤية الآية ينفعه .

الحكمة من إغلاق باب التوبة :

وإنما كان كذلك لأن هذه الآية من أكبر أشراط الساعة وعلاماتها الدالة على دنوها ، فعومل ذلك الوقت معاملة يوم القيامة . قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [غافر : 84 - 85] .

(1) قلت : ومن كان يعمل البر بين حين وآخر ، ولم يداوم عليه ، كمن كان يصلي الضحى تارة ، ويتركها أخرى ، ويزور أرحامه قليلًا ، فأكثر من ذلك بعد رؤية ، فإنا نرجو له من ربنا القبول ؛ لأنه سبق له مثله ، والله أعلم .

وذلك لأنه خلص إلى قلوبهم من الفزع ما تخمد معه كل شهوة من شهوات النفس ، وتفتر كل قوة من قوى البدن ، فيصير الناس كلهم في حال من حضره الموت في انقطاع الدواعي إلى المعاصي ؛ لإيقانهم بدنو يوم القيامة ، كمن حضره الموت (1) .

عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال : إن الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر (2) . [أخرجه أحمد والترمذي وابن ماجه وابن حبان والحاكم والبيهقي] .

الزمن الباقي لقيام الساعة :

طلوع الشمس من مغربها هو العلامة الأولى لتغير أحوال الكون ، ولا سيما العالم العلوي ، وهو قريب جدًا من قيام الساعة ؛ ولذلك يغلق باب التوبة ، وتخرج الدابة .

عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن أول الآيات خروجًا طلوع الشمس من مغربها ، وخروج الدابة على الناس ضحى ، وأيتهما كانت قبل صاحبتها ، فالأخرى على إثرها قريبًا . [أخرجه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه] .

وعنه - رضي الله عنه - أنه قال : يبقى [شرار] الناس بعد طلوع الشمس من مغربها عشرين ومائة سنة . [أخرجه عبد بن حميد موقوفًا] (3) .

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - في حديثه السابق فقال أبي بن كعب - رضي الله عنه - : فكيف بالشمس والناس بعد ذلك ؟ قال : تكسى الشمس الضوء ، وتطلع كما كانت تطلع ، ويقبل الناس على الدنيا ، فلو نَتَج رجل مهرًا ، لم يركبه حتى تقوم الساعة (4) [أخرجه ابن مردويه] .

---

(1) النهاية في الفتن 113/1 والتذكرة للقرطبي ص 793 - 794 ، وذكر نحو ذلك في التفسير أيضًا .

(2) أي ما لم تبلغ روحه رأس حلقه . وقد رمز السيوطي لحسن الحديث وقال الترمذي : حسن غريب . قال ابن القطان : لأن فيه عبد الرحمن بن ثابت . وانظر فيض القدير 307/2 .

(3) وهو في حكم المرفوع : قال الحافظ وسنده جيد . انظر فيض القدير 88/3 .

وروى الطبراني عن أبي أمامة - رضي الله عنه - نحو حديثه المرفوع ، قال الهيثمي : فيه فضالة بن جبير ، وهو ضعيف . وأخرج نعيم بن حماد عنه - رضي الله عنه - : لا تقوم الساعة حتى تعبد العرب ما كان يعبد آباؤها عشرين ومائة سنة ، بعد نزول عيسى ابن مريم ، وبعد الدجال .

(4) وهو كناية عن القرب وسرعة مرور الزمن ، وعدم البركة فيه ، بدليل حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - السابق : لا تقوم الساعة حتى تكون السنة كالشهر .. [أخرجه مسلم] .

وجمع العلماء بين الروايات بأن المدة عشرون ومائة سنة ، لكنها تمر مرًّا سريعًا كمقدار عشرين ومائة شهر .

تنبيه : عدم قبول التوبة والدخول في الإسلام محمول على من بلغته الدعوة ، وكان عاقلًا بالغًا واختار الكفر ، ثم ظهرت الآية ؛ لأنه في حكم من انكشف له الغيب كالمحتضَر .

الأمارة الخامسة

خروج الدابة

ومن علامات الساعة بعد طلوع الشمس من مغربها ، وإغلاق باب التوبة أن يخلق الله سبحانه دابة تخالف ما عهده البشر من الدواب ، فهي تخرج من الأرض ، وهي تعقل وتنطق ، فهي تخاطب الناس مميزة المؤمن من الكافر ، تكميلًا للمقصود من إغلاق باب التوبة ، وليقع للناس العلم بأنها آية من عند الله .

أدلة خروجها :

1 - قال تعالى : ﴿ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ [1] كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ [النمل : 82] .

أي إذا وجب الوعيد على الناس بسبب فسادهم وتماديهم في العصيان والطغيان ، وتبديلهم الدين الحق ، أخرجنا لهم دابة من جوف الأرض ، تكلمهم وتناظرهم على خلاف العادة ، ليعلموا أن الساعة أزفت ، وأن العذاب أصبح وشيكًا [2] .

2 - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - في حديثه السابق : بادروا بالأعمال ستًّا : طلوع الشمس من مغربها ، والدخان والدجال والدابة ... [أخرجه مسلم وأحمد والحاكم وغيرهم] .

3 - عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - في حديثه السابق : إن أول الآيات خروجًا طلوع الشمس من مغربها ، وخروج الدابة على الناس ضحى ، وأيتهما كانت قبل صاحبتها ، فالأخرى على إثرها قريبًا . [أخرجه مسلم وأحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه] .

وعند أحمد : ثم قال عبد الله - وكان يقرأ الكتب - : وأظن أولاهما خروجًا طلوع الشمس من مغربها ...

أي أول الآيات التي ليست مألوفة ، وهي مخالفة للعادات المستقرة ، فهي أولى الآيات الأرضية ، كما أن طلوع الشمس من مغربها أولى الآيات السماوية [3] .

---

(1) ثمة قراءتان مستفيضتان ، بفتح همزة أن وبكسرها ، وهما متقاربتان في المعنى .

(2) مختصر ابن كثير للصابوني 682/2 ، التذكرة للقرطبي ص 785 .

(3) النهاية في الفتن 109/1 و 111 ، قال ابن كثير : وطلوع الشمس من مغربها متقدم على الدابة ، وذلك =

4 – وعن حذيفة بن أسيد – رضي الله عنه – في حديثه السابق : اطلع علينا النبي ﷺ ونحن نتذاكر الساعة فقال : إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات ، فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها .. [أخرجه مسلم وأحمد والأربعة] .

5 – وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا : طلوع الشمس من مغربها ، والدجال ، ودابة الأرض . [أخرجه مسلم وأحمد والترمذي وابن جرير] .

صفتها :

هي دابة عظيمة ذات قوائم ، لها زغب وريش .

عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أنه قال : هي دابة ذات زغب وريش : لها أربع قوائم ، تخرج في بعض أودية تهامة [أخرجه نعيم بن حماد في الفتن (1) ، وسعيد بن منصور] .

المكان الذي تخرج منه :

اختلفت الأقوال في مكان خروجها :

أ – أكثر الأقوال تذكر أنها تخرج من الحرم المكي من غير تحديد .

عن حذيفة بن أسيد – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال : تخرج الدابة من أعظم المساجد ، فبينما الناس هم كذلك ، إذ رَنَت الأرض ، فبينما هم كذلك إذ تصدعت . [أخرجه الطبراني في الأوسط] .

قال ابن عيينة : تخرج حين يسير الإمام من جمع ، وإنما جعل – أي الإمام – سابقًا ليخبر الناس أن الدابة لم تخرج .

ب – وقيل : تخرج من صدع بالصفا .

= محتمل ومناسب ، والله أعلم اهـ . قال الحاكم : تخرج في اليوم الذي تطلع فيه الشمس من مغربها . وانظر مختصر ابن كثير للصابوني 682/2 وفتح الباري 353/11 .

(1) برقم 1862 من طريق عبد الرزاق وابن ثور عن معمر عن قتادة عن ابن عباس – رضي الله عنهما – وقد ورد في صفتها آثار موقوفة ضعيفة ذكرها القرطبي في التذكرة ، فقيل : هي فصيل ناقة صالح ، وقيل : هي الجساسة المذكورة في حديث تميم الداري ، وقيل غير ذلك . وهي ضعيفة لا تقوم بها حجة .

عن عبد الله بن عمرو – رضي الله عنهما – قال : تخرج الدابة من صدع في الصفا ، حضر الفرس ، ثلاثة أيام ، لا يخرج ثلثها . [أخرجه البغوي ونعيم بن حماد في الفتن] (1) .

قالوا : تخرج ليلة جمع والناس سائرون إلى منى ، فيتصدع الصفا ، فتخرج منه .

جـ – وقيل : لها ثلاث خرجات ، فتخرج مرة في بعض البوادي ، ثم تختفي ، ثم تخرج في بعض القرى ، ثم تظهر في المسجد الحرام .

عن حذيفة بن أسيد الغفاري – رضي الله عنه – قال : ذكر رسول الله ﷺ الدابة فقال : لها ثلاث خرجات من الدهر ، فتخرج خرجة من أقصى البادية ، ولا يدخل ذكرها القرية – يعني مكة – ثم تكمن زمنًا طويلًا ، ثم تخرج خرجة أخرى دون تلك ، فيعلو ذكرها في أهل البادية ، ويدخل ذكرها القرية ، قال رسول الله ﷺ بينما الناس في أعظم المساجد على الله حرمة وأكرمها المسجدِ الحرام ، لم يرعهم إلا وهي ترغو بين الركن والمقام تنفض عن رأسها التراب .. الحديث [أخرجه أبو داود والطيالسي] (2) .

عن عبد الله بن بريدة عن أبيه – رضي الله عنه – قال : ذهب بي رسول الله ﷺ إلى موضع بالبادية قريب من مكة ، فإذا أرض يابسة ، حولها رمل ، فقال رسول الله ﷺ : تخرج الدابة من هذا الموضع فإذا فتر في شبر . [أخرجه ابن ماجه] .

– عن ابن عباس – رضي الله عنهما – في أثره السابق في صفتها ... تخرج في بعض أودية تهامة .

عملها :

1 – تكلم الناس أنهم كانوا بآيات الله لا يؤمنون . واختلف العلماء في المراد من التكليم .

---

(1) عزاه في التذكرة ص 786 إلى البغوي ، وأخرجه نعيم بن حماد في الفتن من طريقين برقم 1859 ثنا حسين الجعفي عن فضيل بن مرزوق عن عطية العوفي عن ابن عمرو ، وبرقم 1866 ثنا وكيع عن فضيل عن عطية عنه رضي الله عنه .

(2) قال ابن كثير في النهاية 107/1 وفيه غرابة .
وروى الطبراني والحاكم ونعيم بن حماد في الفتن عنه – رضي الله عنه – حديثًا آخر نحوه ، وفيه أنها تخرج من أقصى اليمن ، ثم قريبًا من مكة ، ثم تخرج من المسجد الحرام بين الركن والمقام ، وبين باب بني مخزوم . وفي سنده طلحة بن عمرو الحضرمي ، وهو ضعيف .
قال القرطبي في التذكرة ص 787 : أصح أقوال المفسرين أنها خلق عظيم يخرج من صدع الصفا .

أ – ذهب بعضهم إلى أنها تكلمهم كلامًا يفهمونه ، وتخاطبهم مخاطبة [1] .

ويؤيد ذلك قراءة أبي بن كعب (تنبئهم) .

ب – وذهب آخرون إلى أنها تجرحهم ، وتسمهم على خراطيمهم . من الكَلْم ، وهو الجرح [2] .

ويؤيد ذلك قراءة مروية عن ابن عباس (تكلمهم) بفتح التاء وسكون الكاف .

2 – تسم الناس على أنوفهم بالإيمان أو الكفر .

فالمؤمن يضيء منها والكافر يظلم ، فيصبح ذلك فيهم وصفًا ظاهرًا وعلامة دائمة ، يتميز بها بعضهم عن بعض [3] .

عن أبي أمامة – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال : تخرج الدابة ، فتسم الناس على خراطيمهم ، ثم يُعمرون – وفي رواية يُغمرون – فيكم ، حتى يشتري الرجل الدابة – وفي رواية البعير – فيقال : ممن اشتريت ؟ فيقول من الرجل المخطم – وفي رواية : من أحد المخطمين . [أخرجه أحمد والبخاري في التاريخ والبغوي في شرح السنة وأبو نعيم في الحلية] [4] .

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال : تخرج الدابة ، ومعها عصا موسى وخاتم سليمان ، فتخطم الكافر – قال عفان : أنف الكافر – بالخاتم ، وتجلو وجه المؤمن بالعصا ، حتى إن أهل الخوان ليجتمعون على خوانهم ، فيقول هذا : يا مؤمن، ويقول هذا : يا كافر . [أخرجه أحمد وصححه أحمد شاكر ، وأخرجه الترمذي وقال : حسن ، والحاكم في المستدرك وابن ماجه وأبو داود الطيالسي] [5] .

---

(1) قال ابن عباس والحسن وقتادة : تكلمهم كلامًا . أي تخاطبهم مخاطبة .
وقال عطاء الخراساني : تكلمهم فتقول : إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون . ورجح هذا القول ابن جرير واختاره ، وحكاه عن علي – رضي الله عنه – قال ابن كثير في النهاية 106/1 : « وفيه نظر » وانظر مختصر تفسير ابن كثير للصابوني 682/2 .

(2) وهو ابن عباس – رضي الله عنهما – قال : تكلمهم تجرحهم . يعني تكتب على جبين الكافر كافر ، وعلى جبين المؤمن مؤمن .

(3) التذكرة ص 787 ، وقال ابن عباس – رضي الله عنهما – : كلا تفعل ، أي تخاطبهم وتجرحهم . قال ابن كثير في النهاية 106/1 : وهذا القول ينتظم المذهبين ، وهو قول حسن ، ولا منافاة .

(4) قال الهيثمي : رجال أحمد رجال الصحيح ، غير عمر بن عبد الرحمن ، وهو ثقة اهـ فيض القدير 236/3 .

(5) وفي سنده علي بن زيد بن جدعان مختلف فيه ، وقد صحح له الترمذي أحاديث ، وهو ثقة عند أحمد شاكر .

وعن حذيفة بن أسيد – رضي الله عنه – في حديثه السابق : .. فارفض الناس عنها شتى ومعًا ، وبقيت عصابة المؤمنين ، وعرفوا أنهم لن يعجزوا الله ، فبدأت بهم فجلت وجوههم حتى جعلتها مثل الكوكب الدري ، وولت في الأرض لا يدركها طالب ، ولا ينجو منها هارب ، حتى إن الرجل ليتعوذ ، فتأتيه من خلفه ، فتقول : يا فلان تصلى ؟ فيقبل عليها فتسمه في وجهه ، ثم تنطلق ، ويشترك الناس في الأموال ويصطحبون في الأمصار ، يعرف المؤمن من الكافر ، حتى إن المؤمن ليقول : يا كافر اقضني حقي ، وحتى إن الكافر ليقول : يا مؤمن اقضني حقي .

الأمارة السادسة

الدخان (1)

من علامات الساعة الكبرى ظهور الدخان الذي يملأ الأرض كلها ، فتصبح كبيت أُوقد فيه ، وهو إنذار للكافرين ببدء حلول العذاب ونزول النقمة بهم .

أدلة ظهوره :

1 – قال تعالى : ﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴾ [الدخان : 10 – 13] .

فظاهر الآية يدل على ظهور دخان من السماء يعم الناس ، فينادي أهل ذلك الزمان ربهم ، يسألون كشف الشدة عنهم (2) .

2 – عن حذيفة بن أسيد الغفاري – رضي الله عنه – في حديثه السابق : إنها – أي الساعة – لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات ، فذكر الدخان والدجال والدابة .. الحديث [أخرجه مسلم واللفظ له ، وأحمد وأبو داود والترمذي] .

3 – وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – في حديثه السابق : بادروا بالأعمال ستًّا : طلوع الشمس من مغربها ، والدخان ، والدجال .. الحديث . [أخرجه مسلم وأحمد والحاكم] .

4 – وعن عقبة بن عامر – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال : يطلع عليكم قبل الساعة سحابة سوداء من قبل المغرب ، مثل الترس ، فلا تزال ترتفع في السماء وتنتشر حتى تملأ السماء ، ثم ينادي مناد : أيها الناس ، أتى أمر الله فلا تستعجلوه .. الحديث . [أخرجه الطبراني وقال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح غير محمد بن عبد

---

(1) الدخان بوزن غراب ورمان ، لغتان فيه ، والجمع أدخنة وداخن ودواخين ، وهو السخام .

(2) وهو مذهب علي وأبي سعيد وابن عباس والحسن – رضي الله عنهم – ورجحه ابن كثير ، وقال : إن ما أورد فيه مقنع ودلالته ظاهرة على أن الدخان من الآيات المنتظرة .
وقال ابن مسعود – رضي الله عنه – : إن قريشًا لما عصت الرسول ﷺ دعا عليهم ، فأصابهم الجهد حتى أكلوا الجيف ، وكان الرجل يحدث أخاه ، فيسمع صوته ولا يراه لشدة الدخان المنتشر بين السماء والأرض .
ثم قال ابن مسعود – رضي الله عنه – : خمس قد مضين : الدخان والروم والقمر والبطشة واللزام . واختار هذا الرأي أبو السعود . وانظر النهاية 114/1 ومختصر تفسير ابن كثير للصابوني 301/3 .

الله مولى المغيرة ، وهو ثقة] .

5 - عن عبد الله بن أبي مليكة قال : غدوت على ابن عباس - رضي الله عنهما - ذات يوم فقال : ما نمت الليلة حتى أصبحت ، قلت : لم ؟ قال : قالوا : طلع الكوكب ذو الذنب ، فخشيت أن يكون الدخان قد طرق ، فما نمت حتى أصبحت . [أخرجه ابن جرير ، وقال ابن كثير : هذا إسناد صحيح] (1) .

تأثيره على الناس :

يراه المؤمنون فلا يضرهم ، وإنما يصيبهم منه ما يشبه الزكام ، ويضايق الكفار والمنافقين ، فيدخل في منافذهم فينتفخون حتى يخرج من كل مسمع منهم .

عن أبي مالك الأشعري - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : إن ربكم أنذركم ثلاثًا : الدخان يأخذ المؤمن كالزكمة ، ويأخذ الكافر ، فينتفخ حتى يخرج من كل مسمع منه ، والثانية الدابة ، والثالثة الدجال . [أخرجه ابن جرير والطبراني] (2) .

وعن علي - رضي الله عنه - قال : آية الدخان لم تمض بعد ، يأخذ المؤمن منها كهيئة الزكام ، وينفخ الكافر حتى ينفذ . [أخرجه عبد الرزاق وابن أبي حاتم] (3) .

مدة بقائه :

يخرج الدخان قبل قيام الساعة ، ويمكث أربعين يومًا ، ثم تأتي ريح لينة لطيفة ، تقبض أرواح المؤمنين جميعًا ، وتخلف النفوس الكافرة ، تمهيدًا لقيام الساعة كما سيأتي .

عن حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : إن من أشراط الساعة دخانًا يملأ ما بين المشرق والمغرب ، يمكث في الأرض أربعين يومًا ، فأما المؤمن ، فيصيبه منه شبه الزكام ، وأما الكافر ، فيكون بمنزلة السكران ، يخرج الدخان من فيه ومنخريه وعينيه وأذنيه ودبره . [أخرجه الطبراني] (4) .

---

(1) انظر مختصر تفسير ابن كثير 301/3 .

(2) قال ابن كثير : وإسناده جيد . لكن قال الحافظ في الفتح 571/8 وفي قوله جيد نظر ، فإن في السند (فعالًا) وهو لا يخلو من الضعف اهـ . وليس الترتيب مقصودًا هنا ، لأن العطف بالواو ، وكذا في حديث حذيفة الآتي .

(3) من طريق الحارث عن علي .

(4) وأخرج ابن جرير عنه نحوه . وذكر الحافظ في الفتح 573/8 أن إسناده ضعيف .

ورواه البغوي عنه ولفظه : أول الآيات الدخان ونزول عيسى ابن مريم ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس إلى المحشر ، تقيل معهم إذا قالوا . قال حذيفة - رضي الله عنه - قلت : يا رسول الله ، وما الدخان ؟ فتلا هذه الآية ﴿ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ .. ﴾ يملأ ما بين المشرق والمغرب .

الأمارة السابعة

رفع القرآن الكريم

يرفع القرآن الكريم من المصاحف ثم من الصدور لأعجل زمن ، أما رفعه من المصاحف ، فيكون بأخذه منها ليلًا ، فيبيتون ثم يصبحون ، وليس فيه حرف مكتوب ، وأما أخذه من الصدور ، فيكون بترك تذاكره والعمل بما فيه ونسيانه .

أدلة رفعه :

1 - عن حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : يَدْرُسُ الإسلام كما يدرس وَشْيُ الثوب [1] ، حتى لا يدرى ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة ، وليُسْرى [2] على كتاب الله في ليلة ، فلا يبقى في الأرض منه آية ، وتبقى طوائف من الناس ، الشيخ الكبير والعجوز يقولون : أدركنا آباءنا على هذه الكلمة ، يقولون : لا إله إلا الله ، فنحن نقولها . فقال صلة بن زفر لحذيفة - رضي الله عنه - : ما تغني عنهم لا إله إلا الله ، وهم لا يدرون ما صلاة ولا صيام ولا نسك ولا صدقة ؟ فأعرض عنه حذيفة - رضي الله عنه - ثم ردها عليه ثلاثًا ، كل ذلك يعرض عنه حذيفة - رضي الله عنه - ثم أقبل عليه في الثالثة فقال : يا صلة تنجيهم من النار . ثلاثًا . [أخرجه ابن ماجه والحاكم وقال : على شرط مسلم ووافقه الذهبي] [3] .

2 - عن أبي هريرة وحذيفة - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال : يسرى على كتاب الله ليلًا ، فيصبح الناس ، وليس منه آية ولا حرف في جوف إلا نسخت [أخرجه الديلمي] [4] .

3 - عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - أنه قال : لينزعن القرآن من بين

(1) يدرس ، من درس الرسم دروسًا : إذا عفا وهلك ، ومن درس الثوب درسًا : إذا صار عتيقًا ، وَشْي الثوب : نقشه أو ما فيه من أعلام تزينه .

(2) وليُسرى على كتاب الله : أي يذهب بالليل . وفي رواية نعيم بن حماد في الفتن : ويسري النسيان على كتاب الله تعالى في ليلة ..

(3) وأخرجه البيهقي والضياء . وقال البوصيري في الزوائد عن إسناد ابن ماجه : هذا إسناد صحيح ، رجاله ثقات .

(4) وأخرج نعيم بن حماد في الفتن عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : يرسل الله ريحًا من اليمن ألين من الزبد وأحلى من العسل ، فلا تترك رجلًا في قلبه آية من القرآن إلا ذهبت بها .

أظهركم ، يُسرى عليه ليلًا ، فيذهب من أجواف الرجال ، فلا يبقى في الأرض منه شيء . [أخرجه الطبراني ، قال الهيثمي : ورجاله رجال الصحيح غير شداد بن معقل ، وهو ثقة] (1) .

وأخرجه نعيم بن حماد في الفتن عنه – رضي الله عنه – : إن هذا القرآن الذي بين أظهركم يوشك أن يُسرى عليه في ليلة ، فيذهب ما في قلوبكم ، ويُرفع ما في مصاحفكم . ثم تلا : ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾ .

وفي رواية أخرى له : .. وإن هذا القرآن بين أظهركم ، يوشك أن يُرفع . فقالوا : كيف وقد أثبته الله في قلوبنا ، وأثبتناه في مصاحفنا ؟ قال : يسرى عليه في ليلة ، فيذهب بما في قلوبكم ، ويذهب بما في مصاحفكم ، ثم قرأ عبد الله : ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾ .

وهذا يدل على أن القرآن يسري عليه النسيان في المصاحف والصدور (2) .

---

(1) وصححه الحافظ في الفتح ، وهو موقوف في حكم المرفوع .
(2) النهاية في الفتن 18/1 .

الأمارة الثامنة

الريح اللينة

بعد انتهاء أربعين الدخان ، يرسل الله سبحانه ريحًا لينة من قبل الشام واليمن ، تقبض أرواح المؤمنين جميعًا ، حتى أولئك الذين يقولون « لا إله إلا الله » تقليدًا لآبائهم، ولا تخلف إلا الكفرة ، تمهيدًا لقيام الساعة .

أدلة خروجها :

1 - عن النواس بن سمعان - رضي الله عنه - في حديثه السابق : .. فبينما هم كذلك ، إذ بعث الله ريحًا طيبة ، فتأخذهم تحت آباطهم ، فتقبض روح كل مؤمن ومسلم ، ويبقى شرار الناس ، يتهارجون فيها تهارج الحمر ، فعليهم تقوم الساعة . [أخرجه مسلم وأحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه والحاكم] [وعند أحمد : تجيء ريح بين يدي الساعة ، فيُقبض فيها روح كل مؤمن] .

2 - عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - في حديثه السابق : .. ثم يرسل الله عز وجل ، ريحًا باردة ، من قبل الشام ، فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته ، حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلت عليه حتى تقبضه [أخرجه مسلم] .

وفي رواية له : ثم يبعث الله ريحًا كريح المسك ، مسها مس الحرير ، فلا تترك نفسًا في قلبها مثقال حبة من إيمان إلا قبضته ، ثم يبقى شرار الناس ، عليهم تقوم الساعة .

وعند أحمد : فلا يبقى أحد في قلبه مثقال ذرة من إيمان إلا قبضته ، إن أحدكم لو كان في كبد جبل لدخلت عليه .

وعند نعيم بن حماد في الفتن : يبعث الله ريحًا غبراء قبل يوم القيامة ، فتقبض روح كل مؤمن ، فيقال : فلان قبض روحه وهو في مسجده ، وفلان قبض روحه وهو في سوقه .

3 - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : إن الله يبعث ريحًا من اليمن ، ألين من الحرير ، فلا تدع أحدًا في قلبه مثقال حبة - وفي رواية : مثقال ذرة - من إيمان إلا قبضته . [أخرجه مسلم والحاكم] .

4 - وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : لا

يذهب الليل والنهار حتى تُعبد اللات والعزى ، قلت : يا رسول الله ، إن كنت لأظن حين أنزل الله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ أن ذلك تام ؟ قال إنه سيكون من ذلك ما شاء الله ، ثم يبعث الله ريحًا طيبة ، فتتوفى كل من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان ، فيبقى من لا خير فيه ، فيرجعون إلى دين آبائهم [أخرجه مسلم والحاكم] .

5 – عن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – في حديثه السابق : .. ثم يبعث الله ريحًا فيها زمهرير باردة ، فلا تدع على وجه الأرض مؤمنًا إلا كفأته تلك الريح ، ثم تقوم الساعة على شرار الناس . [أخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي] .

6 – وعن عياش بن أبي ربيعة – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال : تجيء ريح بين يدي الساعة ، فيقبض فيها روح كل مؤمن . [أخرجه الطبراني والحاكم ونعيم ابن حماد في الفتن] (1) .

فهما ريحان شامية ويمانية ، وكونها لينة من إكرام الله لعباده في ذلك الزمن المملوء بالفتن والشرور .

(1) ورمز السيوطي لصحته .

الأمارة التاسعة

هدم الكعبة

من علامات الساعة الكبرى في آخر الزمان ، حين لا يبقى على الأرض أحد يقول الله ، أن يخرج رجل من الحبشة ، يسيل بجيشه سيل النمل ، يخرب الكعبة المشرفة ، فيجردها من كسوتها ويسلبها حُليها ، وينقضها حجرًا حجرًا ، ولا تعمر بعد ذلك أبدًا .

عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال : يبايع لرجل بين الركن والمقام ، ولن يستحل هذا البيت إلا أهله ، فإذا استحلوه ، فلا تسأل عن هلكة العرب ، ثم تأتي الحبشة ، فيخربونه خرابًا لا يعمر بعده أبدًا ، وهم الذين يستخرجون كنزه . [أخرجه أحمد وصححه أحمد شاكر ، وأخرجه الحاكم وصححه] [1] .

ففي زمن الفيل لم يستحل البيت أهله ، فمنعه الله منهم ، أما في آخر الزمان وبعد استحلال أهله له مرارًا ، فإن الله سبحانه يمكن الحبشة منه ، ولا يحبسهم عنه كما حبس أصحاب الفيل عقوبة لهم ، ولقرب قيام الساعة بعد فناء أهل الحق ، فسلطهم على تخريبها لئلا تبقى معطلة بعدما كانت مهابة مبجلة [2] .

عن أبي سعيد – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : لا تقوم الساعة حتى لا يُحج البيت . [أخرجه البزار] .

وعن قتادة – رضي الله عنه – أنه قال : لا تقوم الساعة حتى لا يحج البيت . [أخرجه البخاري والبزار] .

---

(1) ورواه بهذا اللفظ الأزرقي في تاريخه . ورجاله رجال الشيخين ، غير سعيد بن سمعان ، وهو ثقة ، ولهذا سكت عنه الحافظ بعدما عزاه لأحمد . وقد روى نعيم بن حماد في الفتن أوله بإسناد وآخره بإسناد آخر من عند « تأتي الحبشة » رقم 1880 و 1881 .

(2) فيض القدير 459/6 . واختلف العلماء في الزمن الذي تهدم فيه الكعبة ؛ والظاهر من الأحاديث أن هدمها يكون بعد رفع القرآن من المصاحف وصدور الناس وبعد هبوب الريح اللينة التي تقبض روح كل مؤمن ، حيث ينقطع الحاج ، ولا يبقى في الأرض أحد يقول الله الله . روى البخاري وأحمد عن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – أن النبي ﷺ قال : ليحجن هذا البيت ، وليعتمرن ، بعد [خروج] يأجوج ومأجوج . وقال البخاري : قال عبد الرحمن بن مهدي : عن شعبة : لا تقوم الساعة حتى لا يُحج البيت . وانظر النهاية 104/1 والتذكرة ص 686 .

صفات الهادم :

1 - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة ، فيسلبها حليها ، ويجردها من كسوتها ، كأني أنظر إليه ، أُصيلع أُفيدع ، يضرب عليها بمسحاته ، أو معوله . [أخرجه الشيخان وأحمد والنسائي] .

وفي رواية لمسلم والبزار : ذو السويقتين من الحبشة يخرب بيت الله .

وفي رواية لأحمد : في آخر الزمان يظهر ذو السويقتين على الكعبة . قال : حسبت أنه قال : فيهدمها .

2 - عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة ، ويسلبها حليها ، ويجردها من كُسوتها ، ولكأني أنظر إليه أصيلعًا أفيدعًا ، يضرب عليها بمساحيه ومعوله . [أخرجه أحمد وصححه أحمد شاكر] (1) .

وأخرج الأزرقي عنه : يجيش البحر عن فئة من السودان ، ثم يسيلون سيل النمل ، حتى ينتهي إلى الكعبة ، فيخربونها ، والذي نفسي بيده ، لكأني أنظر إلى صفته في كتاب الله تعالى ، أفيحج أُصيلع أُفيدع ، قائمًا بمسحاته أو معوله .

وأخرج نعيم بن حماد في الفتن (2) عنه - رضي الله عنه - موقوفًا : كأني أنظر إلى

---

(1) قال ابن كثير في النهاية 104/1 : وهذا إسناد جيد قوي اهـ . وعزاه الهيثمي للطبراني في الكبير .
وروى عنه أبو داود وأحمد مرفوعًا : اتركوا الحبشة ما تركوكم ، فإنه لا يستخرج كنز الكعبة إلا ذو السويقتين من الحبشة . قال المعلق على جامع الأصول 303/9 : وإسناده ضعيف ، لكن الفقرة الأخيرة لها شواهد بمعناها في الصحيحين ومسند أحمد وأبي قرة في السنن ، تقوى بها اهـ .
قال ابن الأثير في جامع الأصول : أراد بالكنز مال الكعبة الذي كان معدًّا فيها من النذور التي كانت تحمل إليها قديمًا وغيرها .
تنبيه : قال السفاريني في كتابه المسيح الدجال ص 86 : ورد أن المهدي هو الذي يستخرج كنز الكعبة ، ولعل الجواب أن المهدي يستخرجه ، وبعد ذلك يجتمع فيها في مدة المهدي وعيسى - عليه السلام - كنز أيضًا ، ولا سيما مع كثرة المال وانكباب أهل ذلك الوقت على أنواع القربات مع كثرة الحجاج ، أو يكون المهدي كشفه وأخذ منه ، وترك باقيه اهـ .
والمسحاة : المجرفة من الحديد . والمعول : الفأس العظيمة التي ينقر بها الصخر . ويأتي قريبًا معنى أفيحج وأفيدع وأصيلع .

(2) برقم 1885 و 1900 من طريق واحدة : ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن مجاهد عنه رضي الله عنه .

حبشي [أفدع] حمش الساقين ، جالسًا على الكعبة بمسحاته ، وهي تهدم .

3 - عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : كأني أنظر إليه ، أسود أفحج ، يقلعها حجرًا حجرًا . يعني الكعبة . [أخرجه البخاري وأحمد] .

4 - عن علي - رضي الله عنه - أنه قال : استكثروا من الطواف بهذا البيت ، فكأني برجل أصلع أصمع حمش الساقين ، معه مسحاة يهدمها . [أخرجه نعيم بن حماد في الفتن] (1) .

ومن تلك الأحاديث يتبين أن النبي ﷺ عرفه ووصفه بما يلي :

سماه (ذا السويقتين) بالتصغير لصغر ساقيه وضعفهما ودقتهما من ناحية ، وللتحقير من ناحية ثانية . ومعلوم أن عامة الحبشة في أسوقتهم دقة وحموشة .

ونسبه إلى الحبشة ، وهم نوع معروف من السودان ، يقال إنهم من ولد حبش بن كوش بن حام . فهو أسود البشرة . فكأن النبي ﷺ قال : يخرب الكعبة ضعيف من هذه الطائفة .

وصفه بأنه (أصيلع) تصغير أصلع ، وهو من انحسر الشعر عن رأسه .

ووصفه بأنه (أفيدع) تصغير أفدع ، والفَدَع - بفتح الدال - اعوجاج الرسغ من اليد أو الرجل ، حتى ينقلب الكف أو القدم . أو هو اعوجاج في المفاصل ؛ لأنها زالت عن موضعها ، وأكثر ما يكون في الأرساغ . ولذلك فسره بعض العلماء بأنه زيغ بين القدم وبين عظم الساق ، وفسره آخرون باعوجاج في اليد .

ووصفه بأنه (أفيحج) تصغير أفحج ، وهو البعيد ما بين الساقين ، وقيل : المتباعد الفخذين . وقيل : هو تداني صدور القدمين وتباعد العقبين .

ووصفه بأنه (أصمع) أي صغير الأذنين (2) .

---

(1) برقم 1874 : ثنا ابن عيينة عن هشام عن حفصة عن أبي العالية عنه رضي الله عنه . وهذه الآثار في حكم المرفوع .

(2) وفي بعض الروايات أصعل أي صغير الرأس . وانظر فيض القدير 459/6 .

الأمارة العاشرة

ثلاثة الخسوف

يحدث قبيل قيام الساعة ثلاثة خسوفات عظيمة [1] ، تكون عامة ، وفي أماكن واسعة من الأرض ، ليست كالخسوفات المتفرقة والمتباعدة التي تقتصر على أماكن محددة ، كالتي نسمع عنها ، كما تكثر الصواعق ويشتد المطر .

عن حذيفة بن أَسِيد الغفاري - رضي الله عنه - في حديثه السابق : إنها - أي الساعة - لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات ، فذكر الدخان ... وثلاثة خسوف ؛ خسف بالمشرق ، وخسف بالمغرب ، وخسف بجزيرة العرب ، وآخر ذلك نار ، تطرد الناس إلى محشرهم . [أخرجه مسلم وأحمد وأبو داود والترمذي] .

وعند أبي داود : لن تكون - أو لن تقوم - حتى يكون قبلها عشر آيات : طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة .. والدخان وثلاثة خسوف : خسف بالمغرب ، وخسف بالمشرق ، وخسف بجزيرة العرب ، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن من قعر عدن ...

وعن أم سلمة - رضي الله عنها - قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : سيكون بعدي خسف بالمشرق ، وخسف بالمغرب ، وخسف في جزيرة العرب . قلت : يا رسول الله ، أيخسف بالأرض وفيها الصالحون ؟ قال : إذا أكثر أهلها الخبث . [أخرجه الطبراني في الأوسط] .

وعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : تكثر الصواعق عند اقتراب الساعة ، حتى يأتي الرجل القوم ، فيقول : من صعق قبلكم الغداة ؟ فيقولون : صعق فلان وفلان . [أخرجه أحمد] .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : لا تقوم الساعة حتى تمطر السماء مطرًا لا تكن منه بيوت المدر ولا تكن منه بيوت الشعر [أخرجه أحمد والبزار] .

---

(1) الخسوف : انشقاق الأرض وابتلاعها الناس . يقال : خسَف المكان يخسف خسوفًا : إذا ذهب في الأرض وغاب فيها .

الأمارة الحادية عشرة

النار التي تسوق الناس إلى أرض المحشر

بعد ثلاثة الخسوفات ، ولدى اقتراب النفخة ، تخرج من اليمن نار عظيمة هائلة ، ثم تنتشر في الأرض ، تسوق الناس أمامها من كل جانب ، حتى تضطرهم إلى أرض المحشر بالشام [1] .

أدلة خروجها ومكانه :

1 – عن حذيفة بن أسيد الغفاري – رضي الله عنه – في حديثه السابق : .. وآخر ذلك نار تخرج من اليمن ، تطرد الناس إلى محشرهم . [أخرجه مسلم من عدة طرق واللفظ له وأخرجه أحمد] .

وفي رواية أخرى لمسلم : تخرج من قعر عدن ، ترحل الناس .

وعند أبي داود : .. وآخر ذلك نار تخرج من اليمن من قعر عدن ، تسوق الناس إلى المحشر .

وفي رواية الترمذي : .. ونار تخرج من قعر عدن ، تسوق – أو تحشر – الناس فتبيت معهم حيث باتوا ، وتقيل معهم حيث قالوا .

2 – عن عبد الله بن عمر بن الخطاب – رضي الله عنهما – قال : قال رسول الله ﷺ : ستخرج نار من حضرموت – أو من بحر حضرموت – قبل القيامة ، تحشر الناس ، قالوا : يا رسول الله ، فما تأمرنا ؟ قال : عليكم بالشام . [أخرجه الترمذي وقال : غريب حسن صحيح ، وأحمد] [2] .

3 – عن أنس – رضي الله عنه – قال : بلغ عبد الله بن سلام – رضي الله عنه – مقدم رسول الله ﷺ المدينة فأتاه وقال : إني سائلك عن ثلاث ، ولا يعلمهن إلا نبي ؛ ما أول أشراط الساعة ؟ ... فقال رسول الله ﷺ : خَبَّرَني بهن جبريل آنفًا .. أما أول أشراط الساعة ، فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب .. قال : أشهد أنك رسول الله . [أخرجه البخاري ، ورواه أحمد والنسائي والطبراني في الأوسط مختصرًا ، وقال

---

(1) الحشر : السوق من جهات مختلفة إلى مكان واحد ، وأصله الجمع والضم لمتفرق .

(2) رمز السيوطي في الجامع لصحته .

الهيثمي : رجاله رجال الصحيح] [1] .

وعند البخاري ومسلم عن أنس - رضي الله عنه - مرفوعًا : أول ما يحشر الناس نار تجيء من قبل المشرق ، فتحشر الناس إلى المغرب .

وعند أبي داود الطيالسي : أول شيء يحشر الناس نار تحشرهم من قبل المشرق إلى جهة المغرب .

4 - عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ : تبعث نار على أهل المشرق ، فتحشرهم إلى المغرب ، تبيت معهم حيث باتوا ، وتقيل معهم حيث قالوا ، يكون لها ما سقط منهم وتخلف ، وتسوقهم سوق الجمل الكسير . [أخرجه الطبراني في الكبير والأوسط ، قال الهيثمي : ورجاله ثقات] .

5 - عن رافع بن بشير السُلمي عن أبيه - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : يوشك أن تخرج نار من حبس سيل ، تسير سير الإبل البطيئة ، تسير النهار ، وتُقيم الليل ، تغدو وتروح ، فيقال : غدت النار أيها الناس فاغدوا ، قالت النار أيها الناس قيلوا ، راحت النار أيها الناس روحوا ، من أدركته أكلته . [أخرجه أحمد والبغوي والبارودي والطبراني في الكبير . قال الهيثمي : رجال أحمد رجال الصحيح غير رافع وهو ثقة] .

ففي بعض الروايات أنها تخرج من اليمن ، وهي دولة تقع جنوب الجزيرة العربية .

وفي بعضها من عدن ، وهي مدينة ساحلية معروفة باليمن مشهورة . والبحر الذي خلفها يسمى خليج عدن أو بحر حضرموت .

وفي رواية من حضرموت أو من بحر حضرموت . فحضرموت اسم لمنطقة واسعة ، وعدن اسم لمدينة .

وفي بعضها من قعر عدن . وفي حضرموت واد يقال له برهوت ، فيه بئر يتصاعد منه لهيب الزفت ، وهو في قعر عدن . والعامة تسميه وادي النار .

وورد أنها تخرج من حبس سيل ، وهو قريب من المدينة المنورة ، فالخطاب هنا لأهل المدينة خاصة .

---

(1) قال القاضي : لعله لم يرد أول الأشراط مطلقًا ، بل الأشراط المتصلة بالساعة ، الدالة على أنها تقوم عما قريب [فيض القدير 86/3] .

ويتبين من تلك الروايات أن ابتداء خروجها من اليمن ، من قعر عدن ، من واد يقال له برهوت ، فإذا خرجت انتشرت في الأرض كلها ، وقبل أن تصل المدينة ، تمر بحبس سيل ، ومنه تنسكب في المدينة ، ثم تأخذ ناحية المشرق ، فيكون حشرها لأهله أولًا [1] .

صفة هذا الحشر :

عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : يحشر الناس على ثلاث طرائق [2] ؛ راغبين وراهبين ، واثنان على بعير وثلاثة على بعير وأربعة على بعير وعشرة على بعير ، وتحشر بقيتهم النار ، تقيل معهم حيث قالوا [3] ، وتبيت معهم حيث باتوا ، وتصبح معهم حيث أصبحوا ، وتُمسي معهم حيث أمسوا . [أخرجه الشيخان والنسائي] .

وعند أحمد : يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف ؛ صنف مشاة ، وصنف ركبان ، وصنف على وجوههم ، قالوا : يا رسول الله ، وكيف يمشون على وجوههم ؟ قال : إن الذي أمشاهم على أرجلهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم ، أما إنهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك . وأخرجه الترمذي ، وقال حسن [4] .

وعن حذيفة بن أَسيد الغفاري – رضي الله عنه – قال : قام أبو ذر – رضي الله عنه – فقال : يا بني غفار ، قولوا ولا تختلفوا ، فإن الصادق المصدوق حدثني أن الناس يحشرون ثلاثة أفواج ، فوجًا راكبين طاعمين كاسين ، وفوجًا يمشون ويسعون ، وفوجًا تسحبهم الملائكة على وجوههم ، وتحشرهم إلى النار . فقال قائل منهم : هذان قد عرفناهما ، فما بال الذين يمشون ويسعون . قال : يلقي الله الآفة على الظهر ، حتى لا يبقى ظهر ، حتى إن الرجل ليكون له الحديقة المعجِبة ، فيعطيها بالشارف ذات القِتْب [5]، فلا يقدر عليها . [أخرجه أحمد والنسائي والحاكم] .

---

(1) وأما جعل الغاية إلى المغرب ، فلأن الشام بالنسبة إلى المشرق مغرب ، والمراد تعميم الانتشار ، لا خصوص المغرب والمشرق . وانظر فتح الباري 378/11 – 379 و 82/13 والمسيح الدجال وأسرار الساعة ص 126 .

(2) طرائق : جمع طريقة ، وهي الحالة .

(3) تقيل : من القائلة ، والقيلولة كسر الحر .

(4) قال المعلق على جامع الأصول 427/10 : وإسناده ضعيف ، لكن له شواهد بمعناه ، يقوى بها .

(5) الشارف : الناقة ، والقتب – بكسر القاف وسكون التاء – الرحل الذي يوضع على قدر سنام البعير والمراد الناقة العاملة .

عن بهز بن حكيم بن معاوية عن أبيه عن جده - رضي الله عنه - قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إنكم محشورون رجالًا وركبانًا ، وتجرون على وجوهكم ههنا ، وأومأ بيده نحو الشام . قال ابن أبي بكير : فأشار بيده إلى الشام فقال : إلى ههنا تحشرون . [أخرجه الترمذي والنسائي] (1) .

وعند أحمد أن النبي ﷺ قال : يحشرون ههنا - وأومأ بيده إلى نحو الشام - مشاة وركبانًا ، ويمرون على وجوههم ، ويعرضون على الله ، وعلى أفواههم الفِدام (2) .

أفادت الأحاديث أن الناس ثلاثة أصناف أو جماعات :

أ - صنف يحشرون راغبين طاعمين كاسين راكبين .

ب - وصنف ثان : يمشون تارة ويركبون أخرى ، يعتقبون البعير الواحد من قلة الظهر .

جـ - وصنف ثالث - وهم بقية الناس - تحشرهم النار ، فتحيط بهم من ورائهم ، تسوقهم من كل جانب إلى أرض المحشر ، ومن تخلف منهم أكلته (3) .

زمن خروجها :

إذا أراد الله سبحانه انقراض الدنيا ، أخرج تلك النار من قعر عدن ، تسوق الناس إلى أرض المحشر بالشام تبيت معهم حيث باتوا ، وتقيل معهم حيث قالوا حتى يجتمع الخلق كلهم بالمحشر الإنس والجن والدواب وخشاش الأرض ، وهي آخر الآيات الكبرى من حيث ما ذكر معها من الآيات التي يبقى بعد كل آية منها أشياء من أمور الدنيا ، وهي أول الآيات المؤذنة بانقلاب الكون وقيام الساعة ، من حيث إنه لا يبقى شيء ، بعدها من أمور الدنيا ، بل يقع بانتهائها النفخ في الصور ، وقيام الساعة (4) .

---

(1) وقال الترمذي : حسن صحيح ، وقال الحافظ في الفتح 380/11 : وسنده قوي .

(2) أي ما يوضع على الفم ليسده . والفِدام - بكسر الفاء - ما يوضع في فم الإبريق ليصفي به ما فيه . والفدَّام - بفتح الفاء وتشديد الدال - مثله .

(3) النهاية في الفتن والملاحم 145/1 ، التذكرة للقرطبي ص 796 .

(4) اختلف العلماء في زمن وقوع هذا الحشر :

أ - ذهب بعضهم - ومنهم الحكيم الترمذي ، والطيب ، والحليمي والبيهقي والغزالي - إلى أنه يكون يوم القيامة . ومن أبرز أدلتهم ما يلي :

1 - قوله تعالى : ﴿ يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدًا ، ونسوق المجرمين إلى جهنم وردًا ﴾ [مريم : 85 ، 86] . =

....

= 2 - حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - : يحشر الناس على ثلاث طرائق ... الحديث [أخرجه الشيخان وغيرهما] وعند أحمد : يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف ..
قالوا : وهذا كالتفسير لقوله تعالى ﴿ وكنتم أزواجًا ثلاثة .. ﴾ الآية .
3 - حديث أبي ذر - رضي الله عنه - : أن الناس يحشرون ثلاثة أفواج ، فوجًا راكبين طاعمين كاسين ، وفوجًا يمشون ويسعون ، وفوجًا تسحبهم الملائكة على وجوههم ، وتحشرهم إلى النار .
4 - إن كلمة الحشر إذا أطلقت أريد بها شرعًا الحشر من القبور .
وجمعوا بين عبارات الأحاديث بأن الحشر يعبر به عن النشر أيضًا ، لاتصاله به ، والنشر إخراج الناس من قبورهم ، فيخرجون حفاة عراة غرلًا ، ثم يساقون ويجمعون في الموقف للحساب ، ثم يحشر المتقون ركبانًا على الإبل ، والمجرمون على وجوههم .
ب - وذهب آخرون - ومنهم القرطبي والخطابي ، ورجحه القاضي عياض وابن كثير وابن حجر وغيرهم ؛ إلى أنه يكون في آخر الزمان قبل قيام الساعة . واحتجوا بما يلي :
1 - حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - وفيه : « تقيل معهم حيث قالوا ، وتبيت معهم حيث باتوا ، وتصبح معهم حيث أصبحوا » فإنه يؤيد أن الحشر في الدنيا إلى الشام ، لأن هذه الأوصاف مختصة بالدنيا .
وكذلك قوله : « اثنان على بعير ، وثلاثة على بعير ، وأربعة على بعير ، وعشرة على بعير » يريد أنهم يعتقبون البعير الواحد ، يركب بعض ويمشي بعض ، وذلك لقلة الظهر ، كما في حديث أبي ذر - رضي الله عنه - فهذا كله من أحوال الدنيا .
وقال الحافظ في الفتح 378/11 : لم أقف في شيء من طرق الحديث الذي أخرجه البخاري على لفظ « يوم القيامة » في صحيحه ولا في غيره ، وكذا عند مسلم والإسماعيلي وغيرهما ، ليس فيه « يوم القيامة » اهـ .
2 - عن أبي ذر - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : الشام أرض المحشر والمنشر . [أخرجه أحمد وابن ماجه] .
قالوا : وأما الحشر من القبور فهو على ما في الأحاديث ، « حفاة عراة غرلًا » وهو النشر ، ثم يساقون إلى الموقف للحساب .
قال ابن كثير في النهاية 145/1 : فهذه السياقات تدل على أن هذا الحشر هو حشر الموجودين في آخر الدنيا من أقطارها إلى محلة الحشر ، وهي أرض الشام ، وأنهم يكونون على أصناف ثلاثة : فقسم يحشرون طاعمين كاسين راكبين ، وقسم يمشون تارة ويركبون أخرى ، يعتقبون البعير الواحد من قلة الظهر ، وتحشر بقيتهم النار التي تخرج من قعر عدن ، فتحيط بهم من ورائهم تسوقهم من كل جانب ، ومن تخلف منهم أكلته .. وهذا كله مما يدل على أن هذا في آخر الدنيا ، حيث الأكل والشرب والركوب على الظهر المستوي وغيره ، وحيث يهلك المتخلفون منهم بالنار ، ولو كان بعد نفخة البعث ، لم يبق موت ولا ظهر يسري ، ولا أكل ولا شرب ، ولا لبس في العرصات .
ثم قال رادًّا على البيهقي : وكيف يصح ما ادعاه في تفسير الآية بالحديث ، وفيه إن منهم اثنين على بعير وثلاثة على بعير وعشرة على بعير ، وقد جاء التصريح بأن ذلك من قلة الظهر ؟! هذا لا يلتئم مع هذا . تلك نجائب من الجنة يركبها المؤمنون من العرصات إلى الجنات على غير هذه الصفة .
واختار الحافظ أيضًا أنه يتعين كون ذلك في الدنيا ، لما وقع فيه أن الظهر يقل لما يلقى عليه من الآفة ، وأن الرجل يشتري الشارف الواحد بالحديقة المعجبة ، فإن ذلك ظاهر جدًّا في أنه من أحوال الدنيا .

الشام ملاذ المؤمنين عند الفتن :

يكون الأمن والإيمان حين تقع الفتن آخر الزمان في بلاد الشام .

عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ستكون هجرة بعد هجرة ، ينحاز الناس إلى مهاجر إبراهيم ، لا يبقى في الأرض إلا شرار أهلها ، تلفِظهم أرضوهم ، تَقْذَرُهم نَفْسُ الله ، تحشرهم النار مع القردة والخنازير ، تبيت معهم إذا باتوا ، وتقيل معهم إذا قالوا ، وتأكل من تخلف منهم . [أخرجه أحمد وصححه أحمد شاكر] .

وعند أبي داود [1] : ستكون هجرة بعد هجرة ، فخيار أهل الأرض ألزمهم مهاجر إبراهيم ، ويبقى في كل أرض إذ ذاك شرار أهلها ، تلفظهم أرضوهم ، تَقْذَرهم نَفْسُ الله عز وجل ، وتحشرهم النار مع القردة والخنازير .

وروى الحاكم عنه موقوفًا ، وقال : صحيح على شرطيهما ، ووافقه الذهبي : ليأتين على الناس زمان لا يبقى على الأرض مؤمن إلا لحق بالشام .

عن أبي أمامة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على عدوهم قاهرين ، لا يضرهم من خالفهم ولا ما أصابهم من لأواء ، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك ، قالوا : يا رسول الله ، وأين هم ؟ قال : في بيت المقدس وأكناف بيت المقدس . [أخرجه أحمد] .

عن عبد الله بن عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - في حديثه السابق : ستخرج نار من حضرموت قبل القيامة ، قالوا : يا رسول الله ، فما تأمرنا ؟ قال : عليكم بالشام .

عن أبي الدرداء - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : ألا وإن الإيمان حين تقع الفتن بالشام . [أخرجه أحمد والطبراني] [2] .

عن زيد بن ثابت - رضي الله عنه - قال : كنا يومًا عند رسول الله ﷺ نؤلف القرآن من الرقاع ، فقال : طوبى للشام ، فقلت : لم ذلك يا رسول الله ؟ قال : لأن

---

(1) قال المعلق على جامع الأصول 349/9 : وفي سنده شهر بن حوشب ، ضعيف اهـ .
المهاجَر : الموضع الذي يهاجَر إليه ، ومهاجر إبراهيم هو الشام . لفظتهم : قذفتهم ، كما تُرمى اللفاظة من الفم . تقذرهم نفس الله : أي إن الله يكره خروجهم إليها ومقامهم بها ، فلا يوفقهم لذلك .

(2) قال الحافظ في الفتح : وسنده صحيح .

الملائكة باسطة أجنحتها عليها . [أخرجه الترمذي] (1) .

عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده - رضي الله عنه - قال : قلت : يا رسول الله ، أين تأمرني ؟ قال : ههنا ، ونَحَا بيده نحو الشام . [أخرجه الترمذي] (2) .

- عن معاوية بن قرة عن أبيه - رضي اللّه عنه - قال : قال رسول اللّه ﷺ : إذا فسد أهل الشام فلا خير لكم ، ولا تزال طائفة من أمتي منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة . [أخرجه الترمذي وقال : حسن صحيح] (3) .

- عن سلمة بن نفيل - رضي اللّه عنه - أن رسول اللّه ﷺ قال : عُقْر دار الإسلام بالشام . [أخرجه أحمد والطبراني] (4) .

- عن عبد اللّه بن حوالة - رضي اللّه عنه - قال : قال رسول اللّه ﷺ : سيصير الأمر إلى أن تكونوا جنودًا مجندة ؛ جند بالشام ، وجند بالعراق . فقلت : خر لي يا رسول اللّه إن أدركت ذلك ، فقال : عليك بالشام ، فإنه خيرة اللّه من أرضه ، يجتبي إليها خيرته من عباده ، فأما إن أبيتم ، فعليكم بيمنكم ، واسقوا من غُدُركم ، فإن اللّه توكل لي بالشام وأهله . [أخرجه أبو داود] (5) .

حال المدينة بعد خروج النار :

أخبر النبي ﷺ أن المدينة سيمتد العمران فيها ، وتتوسع مساحتها ، وفي آخر الزمان يتركها أهلها بسبب النار ، فتنتابها الوحوش .

- عن أبي هريرة - رضي اللّه عنه - قال : قال رسول اللّه ﷺ : تبلغ المساكن

(1) قال المعلق على جامع الأصول 350/9 : وإسناده حسن .

(2) قال المعلق على جامع الأصول 351/9 : وإسناده حسن . وسبق ذكره في صفة الحشر .

(3) قال المعلق على جامع الأصول 206/9 : وهو كما قال .

(4) قال الهيثمي : رجاله ثقات اهـ ورمز السيوطي لحسنه ، وانظر فيض القدير 319/4 .

(5) قال المعلق على جامع الأصول 351/9 : وإسناده صحيح اهـ .

وأخرج الطبراني في الكبير عن واثلة بن الأسقع - رضي اللّه عنه - أن رسول اللّه ﷺ قال : عليكم بالشام ، فإنها صفوة بلاد اللّه ، يَسْكُنُها خيرتُه من خلقه ، فمن أبى فليلحق بيمنه ، وليَسْقِ من غُدُره ، فإن اللّه عز وجل تكفل لي بالشام وأهله .

رمز السيوطي لضعفه . وقال ابن الجوزي : حديث لا يصح . وقال الهيثمي : رواه الطبراني بأسانيد كلها ضعيفة . وعن معاوية بن حيدة مرفوعًا : عليكم بالشام . قال الهيثمي : رواه الطبراني ، وأسانيده كلها ضعيفة اهـ لكن رواه أبو يعلى بسند رجاله رجال الصحيح في حديث طويل . وانظر فيض القدير 342/4 .

إهاب – أو يهاب – قال زهير : قلت لسهيل : فكم ذلك من المدينة ؟ قال : كذا وكذا ميلًا . [أخرجه مسلم] .

– وعنه – رضي اللّه عنه – أن رسول اللّه ﷺ قال : إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها . [أخرجه مسلم] .

– وعن جابر – رضي اللّه عنه – أن رسول اللّه ﷺ قال : ليعودن هذا الأمر إلى المدينة كما بدأ منها ، حتى لا يكون إيمان إلا بها . [أخرجه المرجاني في أخبار المدينة] .

وهذا في سكنى المدينة وعمارتها قبل الساعة . ثم تضطر النار أهلها إلى الخروج ، فيتركونها على خير ما كانت عليه .

– عن أبي هريرة – رضي اللّه عنه – قال : سمعت رسول اللّه ﷺ يقول : يتركون المدينة على خير ما كانت ، لا يغشاها إلا العوافي ، وآخر من يحشر – وعند مسلم : من يساق – راعيان من مزينة ، يريدان المدينة ، ينعقان بغنمهما ، فيجدانها ملئت وُحوشًا [1] ، حتى إذا بلغا ثنية الوداع ، خرا على وجوههما . [أخرجه البخاري ومسلم وأحمد والحاكم] .

وفي رواية للبخاري : ستكون المدينة على خير ما كانت ، لا يغشاها ..

وفي رواية للشيخين : ليتركنها أهلها على خير ما كانت عليه ، مذللة للعوافي .

وفي الموطأ : لتتركُن المدينة على أحسن ما كانت عليه ، حتى يدخل الكلب – أو الذئب – فيغذّى [2] على بعض سواري المسجد – أو على المنبر – فقالوا : يا رسول اللّه ، فلمن تكون الثمار ذلك الزمان ؟ فقال : للعوافي ، الطير والسباع .

– وعن عمر بن الخطاب – رضي اللّه عنه – قال : سمعت رسول اللّه ﷺ يقول : ليسيرن الراكب بجنبات المدينة ، ثم ليقولن : لقد كان في هذا حاضر من المسلمين [أخرجه أحمد ، وصححه أحمد شاكر] .

– وعن عوف بن مالك – رضي اللّه عنه – قال : دخل رسول اللّه ﷺ المسجد ثم

---

(1) ينعقان ؛ النعيق : التصويت ، أي يزجرانها ويسوقانها طلبًا للكلأ . وفيه إشارة إلى طول أملهما . وقوله (فيجدانها وَحوشًا) بفتح الواو وضمها ، وهما روايتان ، فإذا أعدنا الضمير على الغنم ضممنا الواو ، أي فيجدان الغنم تتوحش ، فتنفر من صياحهما ، وإذا أعدناه على المدينة فتحنا الواو ، أي يجدان المدينة خالية ليس فيها أحد ، وصححه النووي . وانظر فيض القدير 41/1 ، 43 .

(2) غذّى الكلب ببوله تغذية : إذا رماه متقطعًا .

نظر إلينا فقال : أما والله ليدعنَّها أهلُها مذللة أربعين عامًا للعوافي ، أتدرون ما العوافي ؟ الطير والسباع . [أخرجه عمر بن شيبة] (1) .

ويجمع بين الأحاديث بأن الفتن تعم الدنيا كلها عند خروج المهدي ، ويبقى أهل المدينة معه ، فيأرز الإيمان إلى المدينة ؛ لأن أهلها هم المؤمنون الكاملون التابعون للخليفة الحق ، ثم يخرجون معه إلى الجهاد . وعند مجيء الدجال إليها ومكوثه خارجها ، ترجف بأهلها فتنفي خبثها ، وترميه إلى الدجال ، فلا يبقى فيها إلا المؤمنون المخلصون ، ثم يهاجر كثير منهم إلى بيت المقدس ببلاد الشام ، حيث إمامهم المهدي ، ثم نزول عيسى – عليه السلام – ومن بقي منهم تقبض روحه الريح اللطيفة الباردة . وبموتهم تخرب المدينة ؛ لأنه ليس فيها إلا المؤمنون ، بخلاف غيرها ، فإن فيها الكافرين ، فتبقى عامرة بشرار الناس . وهذا إنما يكون في آخر الزمان عند انقراض الدنيا (2) .

---

(1) قال الحافظ : بإسناد صحيح .

(2) التذكرة ص 689 ، المسيح الدجال وأسرار الساعة ص 90 .

وقد روى الطبراني أن النبي ﷺ قال : سيبلغ البناء سَلعًا ، ثم يأتي على المدينة زمان ، يمر السَفْر على بعض أقطارها فيقول : قد كانت هذه مرة عامرة ، من طول الزمان وعفو الأثر وأخرج أحمد نحوه بإسناد حسن .

تنبيه : حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – أن النبي ﷺ قال : آخر قرية من قرى الإسلام خرابًا المدينة . أخرجه الترمذي وقال : حسن غريب ، لا نعرفه إلا من حديث جنادة بن سليم عن هشام . قال المعلق على جامع الأصول 331/9 : وإسناده ضعيف اهـ .

ورمز السيوطي لضعفه . جاء في الفيض 41/1 : وهو كما قال فإن الترمذي ذكر في العلل أنه سأل عنه البخاري ، فلم يعرفه ، وجعل يتعجب منه ، وقال : كنت أرى جنادة هذا مقارب الحديث اهـ وروى النسائي نحوه ، وأخرج ابن حبان بلفظ : آخر قرية في الإسلام خرابًا المدينة .

وعلى فرض صحته يحمل لى أن الريح اللينة تصل إلى المؤمنين في غير المدينة قبل أن تصل إلى أهل المدينة ؛ لأن بعضها يخرج من الشام وبعضها من اليمن ، والله أعلم .

القسم الثالث

قيام الساعة

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : النفخ في الصور

الفصل الثاني : الحشر والحساب

الفصل الثالث : اليوم الآخر وأهواله

على من تقوم الساعة

يقبض الصالحون الأفضل فالأفضل ، ثم يتفاقم الأمر ويزداد سوءًا حتى يترك ذكر اللّه في الأرض وينسى ، ثم يأتي الريح اللينة ، فتقبض أرواح المؤمنين ، لا يبقى إلا الحثالة ، فتعبد الأصنام ، ويتدنى المستوى الأخلاقي في الناس ، حتى يصل بهم الأمر إلى محاكاة البهائم ، فيتهارجون ويتسافدون في الطرقات ، يجامع الرجال النساء أمام الملأ ، غير مكترثين ، كما تفعل الحمير ، فعليهم تقوم الساعة [1] .

1 - عن مرداس الأسلمي - رضي اللّه عنه - قال : قال رسول اللّه ﷺ : يذهب الصالحون الأول فالأول ، ويبقى حثالة كحثالة التمر والشعير [2] ، لا يباليهم اللّه تعالى بالة . [أخرجه البخاري وأحمد] .

وفي رواية قال : يقبض الصالحون الأول فالأول ، ويبقى حثالة كحثالة التمر والشعير ، لا يعبأ اللّهم بهم شيئًا .

أي ينقرضون قرنًا بعد قرن .

2 - عن علياء السُلمي - رضي اللّه عنه - قال : سمعت رسول اللّه ﷺ يقول : لا تقوم الساعة إلا على حثالة من الناس . [أخرجه أحمد والطبراني وأبو يعلى ، قال الهيثمي : ورجاله ثقات] .

3 - وعن معاوية - رضي اللّه عنه - قال : سمعت رسول اللّه ﷺ يقول : لا يزداد هذا الأمر إلا شدة ، ولا يزداد الناس إلا شحًا ، ولا تقوم الساعة إلا على شرار الناس . [أخرجه الطبراني ، قال الهيثمي : ورجاله رجال الصحيح] .

4 - وعن علي - رضي اللّه عنه - قال : إن شرار الناس - أو من شرار الناس - من تدركهم الساعة وهم أحياء . [أخرجه نعيم بن حماد في الفتن] [3] .

5 - عن أنس - رضي اللّه عنه - قال : قال رسول اللّه ﷺ : لا تقوم الساعة على

---

(1) النهاية 123/1 ، التذكرة ص 800 .

والتسافد والتهارج بمعنى واحد ، وهو مجامعة النساء بحضرة الرجال دون مبالاة .

(2) وفي بعض الروايات حفالة - بالفاء - والفاء والثاء كثيرًا ما يتعاقبان . وحثالة كل شيء أردؤه وأرذله .

(3) برقم 1805 : ثنا عبد الرزاق عن معمر عن أبي إسحاق عن علي - رضي اللّه عنه - وهو في حكم المرفوع .

أحد يقول : اللّه اللّه [1] . [أخرجه مسلم وأحمد والترمذي وابن حبان والبزار] .

وفي رواية أخرى عند مسلم : حتى لا يقال في الأرض اللّه اللّه .

وعند أحمد [2] : حتى لا يقال في الأرض : لا إله إلا اللّه .

وعند هذا الحد الخطير يصبح الناس عبيدًا لشهواتهم ، فيتلاعب بهم الشيطان ، ويأمرهم بعبادة الأصنام وسائر الفواحش والمنكرات .

6 - عن عبد اللّه بن مسعود - رضي اللّه عنه - قال : قال رسول اللّه ﷺ : لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس ، من لا يعرفون معروفًا ، ولا ينكرون منكرًا ، يتهارجون كما تتهارج الحمير . [أخرجه مسلم وأحمد] .

وروى عنه البخاري وأحمد والبزار : من شرار الناس - وعند أحمد : شرار الناس - من تدركهم الساعة وهم أحياء .

وأخرج نعيم بن حماد في الفتن [3] عنه موقوفًا قال : تقوم الساعة على شرار الناس ، لا يأمرون بمعروف ، ولا ينهون عن منكر ، يتهارجون كما تهارج الحمرُ ، أخذ رجل بيد امرأة ، فخلا بها ، فقضى حاجته منها ، ثم رجع إليهم ، يضحكون إليه ويضحك إليهم .

7 - عن عبد اللّه بن عمرو بن العاص - رضي اللّه عنه - في حديثه السابق : .. ويبقى شرار الناس في خفة الطير ، وأحلام السباع ، لا يعرفون معروفًا ، ولا ينكرون منكرًا ، فيتمثل لهم الشيطان فيقول : ألا تستجيبون ؟ فيقولون : فما تأمرنا ؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان ، وهم في ذلك دار رزقهم حسن عيشهم ، ثم ينفخ في الصور .. الحديث [أخرجه مسلم وأحمد] .

فهم في سرعتهم إلى الشرور وقضاء الشهوات والفساد ، كطيران الطير ، وفي العدوان

---

(1) قال القرطبي في التذكرة ص 798 : برفع الهاء ونصبها ، فمن رفعها ، فمعناه ذهاب التوحيد ، ومن نصبها ، فمعناه انقطاع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، أي لا تقوم الساعة على أحد يقول : اتق اللّه ، ويدل على صحة هذا التأويل حديث حذيفة : وفيه : هم شرٌ من الحمرُ ، يتسافدون تسافد البهائم ، وليس فيهم رجل يقول مه مه ا هـ وقال ابن كثير في النهاية 123/1 : والظاهر أن معناه حتى لا يذكر اللّه في الأرض ، ولا يعرف اسمه فيها ، وذلك عند فساد الزمان ودمار الإنسان .

(2) قال الهيثمي : ورجاله رجال الصحيح . وذكر ابن كثير في النهاية 123/1 رواية عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس بنحو حديث معاوية - رضي اللّه عنه - السابق .

(3) برقم 1832 .

وظلم بعضهم بعضًا ، كالسباع العادية ، ومع ذلك هم في رفاهية العيش وخصوبته [1] .

وفي رواية لمسلم : قال عبد اللّه : لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق ، وهم يومئذ شر من أهل الجاهلية ، لا يدعون اللّه بشيء إلا رده عليهم .. ثم قال : يبعث اللّه ريحًا كريح المسك ، مسها كمس الحرير ، لا تترك نفسًا في قلبها مثقال حبة من إيمان إلا قبضتها ، ثم يبقى شرار الناس ، عليهم تقوم الساعة .

وعند أحمد موقوفًا ومرفوعًا [2] : لا تقوم الساعة حتى يأخذ اللّه شريعته من أهل الأرض ، وفي رواية : من الناس - فيبقى فيها عجاجة - وفي رواية : عجاج - لا يعرفون معروفًا ، ولا ينكرون منكرًا .

8 - وعنه - رضي اللّه عنه - قال : قال رسول اللّه ﷺ : لا تقوم الساعة حتى يتسافدوا في الطريق تسافد الحمير . قلت : إن ذلك لكائن ؟ قال : نعم ليكونن . [أخرجه ابن حبان والبزار] [3] .

9 - عن النواس بن سمعان - رضي اللّه عنه - في حديثه السابق .. ويبقى شرار الناس ، يتهارجون فيها تهارج الحمرُ ، فعليهم تقوم الساعة . [أخرجه مسلم وأحمد وأبو داود وابن ماجه والحاكم] .

10 - عن عائشة - رضي اللّه عنها - قالت : سمعت رسول اللّه ﷺ يقول : لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى . فقلت : يا رسول اللّه ، إن كنت لأظن حين أنزل اللّه ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ أن ذلك تام ؟ فقال : سيكون ما شاء اللّه ، ثم يبعث اللّه ريحًا طيبة ، يتوفى بها كل من كان في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان ، فيبقى من لا خير فيه ، فيرجعون إلى دين آبائهم . [أخرجه مسلم] .

11 - عن أبي هريرة - رضي اللّه عنه - قال : سمعت رسول اللّه ﷺ يقول : لا

(1) وقال ابن العربي : يريد بخفة الطير سرعتهم إلى كل ناعق ، كما تخف الطير عند كل حركة ، وتذهب عقولهم كالبهائم [شرح مسلم للنووي 76/18] .

(2) قال الهيثمي : ورجالهما رجال الصحيح . وأخرج نعيم بن حماد في الفتن برقم 1667 عنه - رضي اللّه عنه - قال : لا تقوم الساعة حتى تعبد العرب ما كان يعبد آباؤها عشرين ومائة عامًا بعد نزول عيسى ابن مريم وبعد الدجال .

(3) وقال لا نعلمه يصح إلا من هذا الوجه . وأخرجه نعيم بن حماد في الفتن موقوفًا إلى قوله : تسافد الحمير .

تقوم الساعة حتى تضطرب أَليات نساء دَوْس على ذي الخَلَصة . [أخرجه الشيخان] .

زاد مسلم ونعيم بن حماد في الفتن : وذو الخلصة صنم كان يعبده دوس في الجاهلية بقبالة .

12 - وعنه – رضي اللّه عنه – قال : قال رسول اللّه ﷺ : والذي نفسي بيده ، لا تفنى هذه الأمة حتى يقوم الرجل إلى المرأة ، فيفترشها في الطريق ، فيكون خيارهم يومئذ من يقول : لو داريتها وراء هذا الحائط . [أخرجه أبو يعلى ، قال الهيثمي : ورجاله رجال الصحيح] .

وفي مستدرك الحاكم عنه مرفوعًا : .. وحتى تؤخذ المرأة جهارًا نهارًا ، تنكح وسط الطريق ، لا ينكر ذلك أحد .

وعند نعيم بن حماد في الفتن موقوفًا قال : لا تقوم الساعة حتى يتسافد الناس في الطرق كما يتسافد الدواب ، يستغني الرجال بالرجال ، والنساء بالنساء .

الفصل الأول

النفخ في الصور

تعريفه ودليله :

الصور هو البوق الذي ينفخ فيه عند قيام الساعة ، وهو غيب من حيث ماهيته وحقيقته . وقد ورد ذكره في الكتاب والسنة .

– قال تعالى : ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ۝٨ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴾ [المدثر / 8-10] .

عن ابن عباس – رضي اللّه عنه – أنه قال في قوله تعالى ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ﴾ : الصور . [أخرجه البخاري تعليقًا ، ووصله الطبري وابن أبي حاتم] .

وعن مجاهد قال : الناقور : الصور . وقال : هو كهيئة القرن .

– عن عبد اللّه بن عمرو بن العاص – رضي اللّه عنه – قال : جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال : ما الصور ؟ قال : قرن يُنفخ فيه . [أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي وقال : حسن صحيح ، وأخرجه الدارمي وابن حبان والحاكم وغيرهم] .

عدد النفخات :

اختلف العلماء في عدد النفخات :

أ – ذهب بعضهم – إلى أن هناك نفختين : نفخة الصعق ، ويحدث فيها ما يحدث من زلزلة الكون وانتهاء الحياة . ونفخة البعث ، وينتج عنها الإحياء والبعث للحساب والجزاء [1] .

ب – وذهب آخرون – واختاره الطبري ورجحه ابن كثير [2] إلى أن هناك ثلاث نفخات : نفخة الفزع ، ويحدث فيها ما يحدث من زلزلة الكون والرعب . ونفخة الصعق ، وتنتهي بها الحياة . ونفخة الإحياء والبعث للحساب والجزاء .

---

(1) صفوة التفاسير 18/3 .

(2) مختصر ابن كثير للصابوني 165/3 .

ورأى ابن كثير أنها تكون قبل أن تسوق النار الناس إلى أرض المحشر .

1 - نفخة الفزع

أول ما يطرق أسماع الناس بعد وقوع أشراط الساعة الكبرى نفخة قوية طويلة ، يفزع منها من في السموات ومن في الأرض ، ففي آخر عمر الدنيا ، وبينما الناس يتبايعون في أسواقهم ، يأمر اللّه سبحانه إسرافيل ، فينفخ في الصور نفخة يطيلها .

- قال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴾ [النمل / 87] .

أي واذكر يوم ينفخ إسرافيل في الصور نفخة الفزع ، فلا يبقى أحد من أهل السماوات والأرض إلا خاف وفزع ، إلا من شاء اللّه من الملائكة والأنبياء والشهداء ، وكلٌّ أتوه صاغرين مطيعين ، لا يتخلف منهم أحد [1] .

- وقال سبحانه : ﴿ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ۝ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [يس / 49-50] .

قال ابن كثير [2] : وهذه - واللّه أعلم - نفخة الفزع ، ينفخ في الصور والناس في أسواقهم ومعايشهم يختصمون ويتشاجرون على عادتهم ، فبينما هم كذلك إذ أمر اللّه إسرافيل ، فينفخ في الصور نفخة يطولها ويمدها ، فلا يبقى على وجه الأرض أحد إلا أصغى ليتًا ورفع ليتًا ، يتسمع الصوت من قبل السماء ، ثم يساق الموجودون من الناس إلى محشر يوم القيامة بالنار تحيط بهم من جوانبهم ، ولهذا قال : ﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴾ .

(1) قال بعض المفسرين : هذه نفخة الفزع ، وهو فزع الحياة الدنيا ، ليس بالفزع الأكبر ، تتلوها نفخة الصعق ، وهو الموت ، ثم نفخة النشور من القبور والقيام لرب العالمين . وانظر صفوة التفاسير 420/2 - 421 ، مختصر ابن كثير للصابوني 684/2 و 543/3 ، النهاية 141/1 و 143 .

(2) انظر مختصر ابن كثير 165/3 . وقال القرطبي في التذكرة ص 796 : فبينما الناس قيام في أسواقهم يتبايعون ، إذا هم بهدَّة عظيمة من السماء ، يصعق منها نصف الخلق ، فلا يقومون من صعقتهم مدة ثلاثة أيام ، والنصف الآخر من الخلق تذهل عقولهم ، فيبقون مدهوشين قيامًا على أرجلهم ، وهو قوله تعالى : ﴿ ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم ، مالها من فواق ﴾ [ص / 15] فبينما هم كذلك إذا هدة أخرى أعظم من الأولى ، فلا يبقى أحد على وجه الأرض إلا مات .

2 - نفخة الصعق ونهاية العالم

وهذا هو اليوم الذي يطوى فيه العالم ، وتنتهي الحياة فوق سطح الأرض ، بلا خلاف فمن أداه اجتهاده إلى ثلاث نفخات رأى أن اللّه سبحانه بعد نفخة الفزع بمدة ، يأمر إسرافيل ، فينفخ في الصور نفخة ثانية ، يصعق منها الأحياء من أهل السموات والأرض ، إلا من شاء اللّه إبقاءهم في هذا الوقت .

- قال تعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [الزمر / 68] .

أي ، فخر ميتًا كل من في السموات والأرض إلا من شاء اللّه بقاءه ، كحملة العرش وغيرهم . وهو الوقت المعلوم (1) .

- عن عبد اللّه بن عمرو بن العاص - رضي اللّه عنهما - في حديثه السابق : .. ثم ينفخ في الصور ، فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتًا ورفع ليتًا ، فأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله (2) . قال : فيصعق ويصعق الناس .. الحديث . [أخرجه مسلم وأحمد والحاكم] .

- وعن أبي هريرة - رضي اللّه عنه - أن رسول اللّه ﷺ قال : .. ولتقومن الساعة ، وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما ، فلا يتبايعانه ولا يطويانه ، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لِقْحته فلا يَطْعَمُه ، ولتقومن الساعة وهو يَليط حوضه ، فلا يسقي فيه ، ولتقومن الساعة ، وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها . [أخرجه البخاري ، وروى نحوه مسلم وأحمد وابن ماجه] .

- عن عقبة بن عامر - رضي اللّه عنه - قال : قال رسول اللّه ﷺ : يطلع عليكم قبل الساعة سحابة سوداء من قبل المغرب مثل الترس ، فلا تزال ترتفع في السماء وتنتشر حتى تملأ السماء ، ثم ينادي مناد : أيها الناس ، أتى أمر اللّه فلا تستعجلوه . قال رسول اللّه ﷺ : فوالذي نفسي بيده ، إن الرجلين ينشران الثوب فلا يطويانه ، وإن الرجل ليَمْدُر حوضه ، فلا يسقي منه شيئًا أبدًا ، والرجل يحلب ناقته ، فلا يشربه أبدًا .

---

(1) هناك أقوال وتحقيقات للعلماء فيمن يستثنى من الصعق ، والمطلوب الإيمان بالاستثناء جملة . وانظر صفوة التفاسير 88/3 ، مختصر ابن كثير 229/3 ، التذكرة ص 796 .

(2) الليت صفحة العنق ، وهي جانبه . وأصغى : أمال . يلوط حوضه : يطينه ويصلحه ، يقال : لاطه يليطه ويلوطه ليطًا ولوطًا .

[أخرجه الطبراني في الكبير] [1] .

اليوم الذي تقع فيه نفخة الصعق :

قدر اللّه بحكمته أن تقع تلك النفخة في الوقت المعلوم يوم الجمعة ، وقت طلوع الفجر .

- عن أوس بن أوس - رضي اللّه عنه - قال : قال رسول اللّه ﷺ : إن من أفضل أيامكم يومَ الجمعة ، فيه خلق آدم ، وفيه قبض ، وفيه النفخة ، وفيه الصعقة ، فأكثروا علي من الصلاة فيه ، فإن صلاتكم معروضة علي ، فقالوا : يا رسول اللّه ، وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أَرِمْت ؟ قال : إن اللّه حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء . [أخرجه أبو داود والنسائي] [2] .

- عن أبي هريرة - رضي اللّه عنه - قال : قال رسول اللّه ﷺ : خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة ، فيه خلق آدم ، وفيه أُدخل الجنة ، وفيه أُخرج منها ، ولا تقوم الساعة إلا يوم الجمعة . [أخرجه مسلم والترمذي والنسائي] .

وعند مالك في الموطأ وأبي داود والترمذي والنسائي : فيه خلق آدم ، وفيه أُهبط ، وفيه تيب عليه ، وفيه مات ، وفيه تقوم الساعة .. الحديث .

وعند أحمد وابن حبان والحاكم وقال : على شرطيهما وأقره الذهبي : .. وفيه قُبض ، وفيه تقوم الساعة ، ما على وجه الأرض من دابة إلا وهي تصبح يوم الجمعة مصيخة حتى تطلع الشمس ، شفقا من الساعة ، إلا ابن آدم ، وفيه ساعة لا يصادفها عبد مؤمن وهو في الصلاة ، يسأل اللّه شيئًا إلا أعطاه .

- عن ابن عمر - رضي اللّه عنهما - قال : قال رسول اللّه ﷺ : ما هلك قوم لوط إلا في الأذان ، ولا تقوم الساعة إلا في الأذان [أخرجه الطبراني] [3] .

قال : الطبراني : معناه عندي - واللّه أعلم - وقت أذان الفجر ، وهو وقت الاستغفار والدعاء .

---

(1) قال الهيثمي : ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن عبد اللّه مولى المغيرة ، وهو ثقة اهـ يمدر حوضه : يطينه ، ويصلحه بالمدر ، وهو الطين المتماسك .

(2) وصححه المعلق على جامع الأصول . والرِمّة - بكسر الراء - العظم البالي ، والجمع رمم ورمام . يقال : رمّ العظم يرِمّ رِمة - بالكسر فيهما - أي بلي . والفعل الماضي منه للمتكلم أرممت ، بالتضعيف .

(3) قال الهيثمي : ورجاله رجال الصحيح ، غير آدم بن علي وهو ثقة .

الواحد القهار :

ثم يأمر اللّه سبحانه ملك الموت أن يقبض أرواح الباقين الذين استثنوا من الصعق ، فيقبضِ روح جبرائيل وميكائيل وإسرافيل ، والأربعة حملة العرش ، حتى يكون آخر من يموتَ ملك الموت ، فيقول اللّه تعالى له : يا ملك الموت أنت خلق من خلقي ، خلقتك لما أردت ، فمت ، فيموت . وينفرد الحي القيوم الذي كان أولًا ، وهو الباقي آخرًا ، ينفرد الجبار بالديمومة والبقاء « أنت الأول فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر فليس بعدك شيء » فيمسك السموات والأرض ، كما قال سبحانه : ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر / 67] ثم يقول : أنا الملك الجبار ، أين ملوك الأرض ؟ أين الجبارون المتكبرون ؟ لمن الملك اليوم ؟ لمن الملك اليوم ؟ لمن الملك اليوم ؟ . فتجيب الذات الذات - أي فيجيب نفسه بنفسه - : للّه الواحد القهار [1] .

- عن أبي هريرة - رضي اللّه عنه - قال : قال رسول اللّه ﷺ : يقبض اللّه تعالى الأرض ، ويطوي السماء بيمينه ، ثم يقول : أنا الملك ، أين ملوك الأرض ؟ . [متفق عليه واللفظ للبخاري] .

- وعن ابن عمر - رضي اللّه عنهما - قال : سمعت رسول اللّه ﷺ وهو على المنبر يقول : يأخذ الجبار سماواته وأرضيه بيده ، وقبض يده ، فجعل يقبضها ويبسّطها ، ثم يقول : أنا الجبار ، أنا الملك ، أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ قال : ويتمايل رسول اللّه ﷺ عن يمينه وشماله ، حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه ، حتى إني لأقول : أساقط هو برسول اللّه ﷺ . [أخرجه ابن ماجه والطبراني في الكبير ، وقال الهيثمي : رجاله رجل الصحيح] .

وأخرج مسلم وأحمد والنسائي عنه - رضي اللّه عنه - قال : إن رسول اللّه ﷺ قرأ هذه الآية ذات يوم على المنبر : ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ ورسول اللّه ﷺ يقول هكذا بيده ، يحركها ، يقبل بها ويدبر ، يمجد الرب نفسه : أنا الجبار ، أنا المتكبر ، أنا الملك ، أنا العزيز ، أنا الكريم ، فرجف برسول اللّه ﷺ المنبر ، حتى قلنا : ليخِرنّ به .

---

(1) مختصر ابن كثير 229/3 .

3 - نفخة البعث والنشور

وبعد نفخة الصعق وانتهاء الحياة في السموات والأرض ، يُنزل اللّه سبحانه ، بعد فترة قدرها ، مطرًا من السماء ، تنبت منه أجساد الخلائق ، كما ينبت البقل وسائر النبات ، فإذا اكتمل الخلق أحيا اللّه إسرافيل ، وأمره بالنفخة الثانية - أو الثالثة - فيقوم الناس من مرقدهم ينظرون .

- قال تعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ [الزمر / 68] .

أي ثم نفخ فيه نفخة أخرى ، فإذا جميع الأموات أحياء ، يقومون من قبورهم ، ينظرون ماذا يؤمرون .

- وقال سبحانه : ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴾ . ﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾ [يس / 51 : 53] .

أي ونفخ في الصور ، فإذا هؤلاء الأموات يخرجون من قبورهم ، يسرعون المشي .. ما كان أمر بعثهم إلا صيحة واحدة ، يصيح فيها إسرافيل ، فإذا هم جميع لدينا حاضرون .

- وقال جل جلاله : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾ [الروم / 25] .

أي ومن آياته الدالة على قدرته قيام السموات والأرض بأمره ، ثم إذا دعاكم إلى البعث بالنفخة إذا أنتم تخرجون من القبور .

- وقال جل شأنه : ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴾ [طه / 102 - 103] .

أي يوم ينفخ الملك في الصور لصيحة البعث ، ونسوق الكافرين ، وهم زرق ، قد تغيرت ألوانهم من شدة الأهوال ، يتهامسون بينهم : ما لبثتم في الحياة الدنيا إلا عشرة أيام .

- وقال تقدست أسماؤه : ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴾ [النازعات / 6 - 7] .

أي يوم تضطرب الأرض بالنفخة الأولى نفخة الإماتة ، تتبعها نفخة أخرى للإحياء .

عن ابن عباس - رضي اللّه عنهما - أنه قال : الراجفة النفخة الأولى ، والرادفة الثانية

[أخرجه البخاري] [1] .

– وقال تعالى : ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ۝٨ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴾ [المدثر / 8-10] .

أي فإذا نفخ في الصور نفخة البعث والنشور ، فذلك اليوم يوم شديد هائل ، عسير فيه الأمر على الكافرين . وعبر عن النفخ في الصور بالنقر في الناقور لبيان هول الأمر وشدته ، فإن النقر في كلام العرب معناه الصوت ، وإذا اشتد أصبح مفزعًا .

– وعن عبد اللّه بن عمرو بن العاص – رضي اللّه عنهما – في حديثه السابق : .. ثم يرسل – أو قال ينزل – اللّه مطرًا كأنه الطل – أو الظل [2] ، شك نعمان – فينبت منه أجساد الناس ، ثم ينفخ فيه أخرى ، فإذا هم قيام ينظرون ، ثم يقال : يا أيها الناس هلموا إلى ربكم ، ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴾ [أخرجه مسلم وأحمد والحاكم] .

– وعن عبد اللّه بن مسعود – رضي اللّه عنه – أنه قال : تقوم الساعة على شرار الناس ، ثم ينفخ ملك في الصور بين السماء والأرض ، فلا يبقى خلق في السموات والأرض إلا مات ، إلا من شاء ربك ، ثم يكون بين النفختين ما شاء اللّه أن يكون ، فليس من بني آدم خلق إلا وفي الأرض منه شيء ، ثم يرسل اللّه ماء من تحت العرش ، كمني الرجال [3] ، فتنبت جسمانهم ولحمانهم من ذلك الماء ، كما تنبت الأرض من الري ، ثم قرأ عبد اللّه : ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴾ . ثم يقوم ملك بالصور بين السماء والأرض ، فينفخ فيه ، فتنطلق كل نفس إلى جسدها حتى تدخل فيه ، فيقومون فيجيبون تجبية رجل واحد قيامًا لرب العالمين [أخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي ، وأخرجه نعيم ابن حماد في الفتن] .

---

(1) تعليقًا . قال الحافظ : ووصله الطبري وابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عنه ابن عباس رضي اللّه عنهما اهـ وانظر صفوة التفاسير مكان كل آية .

(2) الطل : الندى الذي ينزل من السماء في الصحو ، وهو أضعف من المطر ، وجمعه طلال . والظل : هو الفيء الحاصل من الحاجز بينك وبين الشمس . وقيل : هو مخصوص بما كان منه إلى زوال الشمس ، وما كان بعده فيء . قال النووي في شرح مسلم 77/18 : قال العلماء : الأصح بالطاء المهملة ، وهو الموافق للحديث الآخر . كمني الرجال .

(3) أي من حيث شكله وصورته ، لا من حيث الحقيقة . ويقال لذلك الماء : ماء الحياة ومطر الحياة .

ما بين النفختين :

عن أبي هريرة - رضي اللّه عنه - قال : قال رسول اللّه ﷺ : ما بين النفختين أربعون . قالوا : يا أبا هريرة ، أربعون يومًا ؟ قال أبو هريرة : أبيت . قالوا : أربعون شهرًا ؟ قال : أبيت . قالوا : أربعون سنة ؟ قال أبيت [1] . ثم يَنْزِل من السماء ماءٌ ، فينبتُون كما ينبُت البقل ، وليس من الإنسان شيء إلا بَلِيَ ، إلا عظم واحد ، وهو عَجْبُ الذنب [2] ، منه يركب الخلق يوم القيامة . [متفق عليه ، وأخرجه نعيم بن حماد في الفتن] .

وفي رواية للشيخين وأحمد ومالك في الموطأ وأبي داود والنسائي قال رسول اللّه ﷺ : كل ابن آدم يأكله التراب [3] ، إلا عجب الذنب ، منه خلق ، ومنه يركب يوم القيامة .

ولمسلم : إن في الإنسان عظمًا لا تأكله الأرض أبدًا ، فيه يركب يوم القيامة . قالوا : أي عظم هو يا رسول اللّه ؟ قال : عجب الذنب .

- وعن كعب بن مالك - رضي اللّه عنه - أن النبي ﷺ قال : إنما نَسَمة المؤمن طير يَعْلُق [4] في شجر الجنة ، حتى يرجعه الله في جسده يوم يبعثه [أخرجه مالك في الموطأ والنسائي وابن ماجه] .

---

(1) أي امتنعت فلم يبين ما هي . وقوله أبيت ، معناه لا أعلم أو أبيت الإجابة . وقال حين سئل لا أعلمه . قال بعضهم : « ومجموع الروايات تفيد أنها أربعون سنة » ووقع للنووي في مسلم أنها أربعون سنة . قال الحافظ : وليس كذلك [الفيض 332/5-333] .

(2) وهو عظم الصلب المستدير الذي يكون في أصل العجز ، أي العظمة الناتئة أسفل الظهر في أصل العصعص ، قدر الخردل . فأول ما يجمع من الأرض في ابن آدم يوم القيامة عجب الذنب ، وإذا احترق أو تحلل فإن اللّه يحفظ أجزاءه ، فحيثما ذهب فهي محفوظة ، فتجمع ثم يبني عليها الإنسان من المطر الذي ينزله اللّه عز وجل .

قال ابن عقيل الحنبلي : وهذا سر لا نعلمه ؛ لأن من يظهر الوجود من العدم ، لا يحتاج إلى شيء يبني عليه .

(3) أي يبلى وتنعدم أجزاؤه ، أو المراد أنها باقية ، لكن زالت أعراضها المعهودة .

قال إمام الحرمين : ولم يدل قاطع سمعي على تعيين أحدهما ، ولا يبعد أن تصير أجساد العباد بصفة التراب ، ثم تعاد بتركيبها المعهود .

(4) النسمة : الروح أو النفس ، فاللفظان يترادفان ويفترقان .

يعلُق : يأكل ، والمِعْلاق والمُعْلوق : ما عُلِّق به من لحم أو عنب ونحوه .

الفصل الثاني

الحشر والحساب

الحشر سوق الإنس والجن ومن يبعثهم اللّه من الخلائق إلى أرض المحشر [1] ، حيث يجمعون هناك لفصل القضاء ووزن الأعمال ، ومن ثم إلى جنة أو نار .

– قال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ ﴾ [الحج / 6-7] .

فبعد نفخة البعث يقوم الناس من قبورهم في لحظة واحدة ، كأنهم جراد منتشر ، مهطعين إلى الداع ، وقد خيم عليهم صوت رهيب .

– قال تعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴾ [الكهف / 99] .

أي ونفخ في الصور للبعث ، فجمعنا الخلق جميعًا للحساب والجزاء .

– وقال سبحانه : ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴾ [النبأ / 18] .

أي يوم ينفخ الملك في الصور للبعث ، فتأتون أممًا ، كل أمة مع إمامهم .

الشام أرض المحشر :

الشام هي البقعة التي يساق إليها الناس بعد قيامهم من قبورهم ، فيجتمعون فيها للحساب ، يوم القيامة .

– عن أبي ذر – رضي اللّه عنه – قال : قال رسول اللّه ﷺ : الشام أرض المحشر والمنشر [أخرجه أبو الحسن الربعي في فضائل الشام ، ورمز السيوطي لحسنه] .

– وعن قتادة – رضي اللّه عنه – أنه قال : الشام أرض المحشر والمنشر ، وبها يجتمع الناس رأسًا واحدًا ، وبها ينزل عيسى ابن مريم ، وبها يهلك المسيح الكذاب [أخرجه ابن عساكر في تاريخه] .

صفتها :

تكون أرض المحشر يوم القيامة شديدة البياض ، كالدقيق النقي من الغش والنخالة .

---

(1) الحشر لغة : الجمع يقال : حشر الناس ، أي جمعهم ، وبابه ضرب ونصر ، فالمحشِر – بكسر الشين – موضع الحشر .

عن سهل بن سعد - رضي اللّه عنه - قال : قال رسول اللّه ﷺ : يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء ، كقُرصَة النَّقِيّ ، ليس فيها علم لأحد [1] [متفق عليه] .

صفة الناس يوم الحشر :

أ - يبعث الناس يوم القيامة من قبورهم حفاة عراة غرلًا [2] . لا يلتفت أحد إلى أحد .

- عن ابن عباس - رضي اللّه عنهما - قال : سمعت رسول اللّه ﷺ يخطب على المنبر يقول : إنكم ملاقو الله حفاة عراة غُرْلًا [أخرجه الشيخان والنسائي] .

وفي أخرى للشيخين والترمذي والنسائي : قال : قام فينا رسول اللّه ﷺ بموعظة فقال : يا أيها الناس ، إنكم محشورون إلى اللّه حفاة عراة غرلًا . ﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ .

وفي أخرى للترمذي : يحشرون حفاة عراة غرلًا ، فقالت امرأة : أيبصر - أو : أَوَ يرى - بعضنا عورة بعض ؟ قال : يا فلانة ، ﴿ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ .

- وعن عائشة - رضي اللّه عنها - قالت : سمعت رسول اللّه ﷺ يقول : يحشر الناس حفاة عراة غرلًا . قالت عائشة : فقلت الرجال والنساء جميعًا ، ينظر بعضهم إلى بعض ؟ قال : الأمر أشد من أن يُهمهم ذلك [أخرجه الشيخان والنسائي] .

وفي رواية لهم : من أن ينظر بعضهم إلى بعض .

وعند أحمد : فقالت عائشة : يا رسول اللّه ، فكيف بالعورات ؟ فقال : ﴿ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ .

- وعن عمر - رضي اللّه عنه - قال : قال رسول اللّه ﷺ : يحشر الناس كما ولدتهم أمهاتهم ، حفاة عراة غرلًا [أخرجه أبو يعلى الموصلي] .

ب - يحشر المجرمون على وجوههم عميًا وبكما وصمًّا ، وقد تغير لونهم .

- قال تعالى : ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴾ [الإسراء / 97] .

(1) العفراء : التي ليست شديدة البياض . والنقِيّ : الخبز الأبيض الحواري . قال القاضي عياض : المراد أنه ليس فيها علامة سكنى ولابناء ، ولا أثر لشيء فيها كالصخرة البارزة [فتح الباري 375/11] .

(2) أي : غير مختونين .

فيحرمون من جوارحهم التي تهديهم في هذا الزحام ؛ لأنهم عطلوها في الدنيا عن إدراك الهدى ، فمصيرهم إلى النار الملتهبة التي تزداد تأججًا .

– وعن أنس بن مالك – رضي الله عنه – أن رجلًا قال : يا رسول الله ، قال الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [1] أيحشر الكافر على وجهه ؟ قال رسول الله ﷺ : أليس الذي أمشاه على رجليه في الدنيا قادر على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة . قال قتادة حين بلغه : بلى وعزة ربنا [أخرجه الشيخان] .

– وقال سبحانه : ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴾ [طه / 102] .

أي تغيرت ألوانهم وعيونهم من شدة الأهوال والأحداث .

ج – دنو الشمس وشدة الحر والتعرق والعطش .

وفي هذا اليوم العسير تدنو الشمس من رؤوس الخلائق ، فيشتد الحر والعطش ، ويفرقون بالعرق على قدر أعمالهم في الدنيا ، ولذلك يختلف حال الناس في مكثهم في الموقف واستشعارهم طوله ، فمنهم من يكون بالعراء ، ومنهم من يكون في ظل الرحمن .

– عن المقداد بن الأسود – رضي الله عنه – قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : تُدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل – زاد الترمذي أو اثنين – قال : فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق ، فمنهم من يكون إلى كعبيه ، ومنهم من يكون إلى ركبتيه ، ومنهم من يكون إلى حَقْويه [2] ، ومنهم من يلجمه العرق إلجامًا ، وأشار النبي ﷺ بيده إلى فيه [أخرجه مسلم والترمذي] .

وعند الترمذي قال : فتصهرهم الشمس ، فيكونون في العرق كقدر أعمالهم .

– وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال : يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب في الأرض عرقهم سبعين ذراعًا ، وإنه يُلجمهم حتى يبلغ آذانهم [أخرجه الشيخان] .

وعن نافع أن ابن عمر – رضي الله عنهما – تلا : ﴿ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [3] . قال : يقوم أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه . [أخرجه الشيخان ورواه الترمذي مرفوعًا وموقوفًا] .

– وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : سبعة يظلهم الله

(1) الفرقان /34 . (2) الحَقْو : مشد الإزار عند الخصر . (3) المطففين /4-6 .

في ظلة ، يوم لا ظل إلا ظله ، إمام عادل ، وشاب نشأ في عبادة اللّه ، ورجل قلبه معلق بالمسجد ، إذا خرج منه حتى يعود إليه ، ورجلان تحابا في اللّه ، فاجتمعا على ذلك وافترقا عليه ، ورجل ذكر اللّه خاليًا ففاضت عيناه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال : إني أخاف اللّه رب العالمين ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه . [متفق عليه] [1] .

الحساب والحكم بين العباد :

يشفع النبي محمد ﷺ في أهل المحشر ، فتقبل شفاعته ، ويبدأ فصل القضاء ، فتنشر الصحف ، ويظهر المستور ، ويُفتضح المكنون ، فتسودّ وجوه وتبيض وجوه .

ويتجلى اللّه سبحانه للحكم بين العباد ، فتضيء أرض المحشر بنوره .

- قال سبحانه : ﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ - أي أحضرت صحائف الأعمال للحساب - ﴿ وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ ﴾ - ليسألهم ربهم عما أجابتهم به أممهم ، ويشهدوا عليهم ، وجيء أيضًا بالحفظة على أعمال العباد من خير أو شر ، ليشهدوا على الناس بأعمالهم - ﴿ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [الزمر / 69] .

ويحاسب اللّه سبحانه الناس جميعًا معا ، فلا يشغله محاسبة أحد عن أحد ، حتى إن كل واحد يرى أنه المحاسَب وحده .

- قال تعالى : ﴿ وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف / 47-49] .

صفة الحساب :

وتختلف صفة الحساب من شخص لآخر ؛ فمنه اليسير ومنه العسير ، ومنه السِرّي مع العتاب والجهري الفاضح ، وهناك التوبيخ والعدل والفضل . ويظهر عنوان ذلك لدى استلام صحف الأعمال ، فالسعيد يؤتى كتابه من أمامه بيمينه ، والشقي الهالك يؤتاه بشماله من خلفه .

(1) أخرجه الشيخان وأحمد والترمذي والنسائي عن أبي هريرة ، ومسلم ومالك والترمذي عنه وعن أبي سعيد ، رضي اللّه عنهما .

- قال تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴾ [الحاقة / 18 - 29] .

- وقال سبحانه : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴾ [الانشقاق / 7 - 15] .

- عن عائشة - رضي الله عنها - أن النبي ﷺ قال : من نوقش الحساب عذب [1] ، فقلت : أليس الله تعالى يقول : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴾ فقال : إنما ذلك العرض ، وليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك [أخرجه الشيخان وأبو داود والترمذي] .

- وعن ابن عمر - رضي الله عنه - قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : يُدنى المؤمنُ من ربه حتى يضع عليه كنفه [2] ، فيقرره بذنوبه : تعرفُ ذنب كذا وكذا ؟ فيقول : أعرف ربي أعرف - مرتين - فيقول : سترتُها عليك في الدنيا ، وأغفرها لك اليوم . ثم تطوى صحيفة حسناته ، وأما الآخرون - أي الكفار أو المنافقون - فينادى بهم على رؤوس الخلائق ؛ هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ، ألا لعنة الله على الظالمين [أخرجه الشيخان] .

القصاص وأخذ الحقوق :

- عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء [أخرجه الشيخان والترمذي والنسائي] .

وللنسائي : أول ما يحاسب عليه العبد الصلاة ، وأول ما يقضى بين الناس في الدماء .

- وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : من كانت عنده مظلمة لأخيه من عِرْض أو شيء منه ، فليتحلله منه اليوم ، من قبل ألا يكون دينار ولا

---

(1) المناقشة في الحساب : تدقيقه وتحقيقه والاستقصاء فيه .

(2) كنف الإنسان : ظله وجانبه ، والمراد القرب والدنو .

درهم ، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته ، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه ، فحمل عليه [أخرجه الشيخان] .

- وعنه - رضي اللّه عنه - قال : قال رسول اللّه ﷺ يومًا : أتدرون من المفلس ؟ قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع . قال : إن المفلس من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتي قد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه ، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ، ثم يطرح في النار [أخرجه مسلم والترمذي] .

- وعنه - رضي اللّه عنه - أن رسول اللّه ﷺ قال : لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة ، حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء [أخرجه مسلم والترمذي] .

الميزان والصراط ثم الجنة أو النار :

وبعد الحساب يكون الوزن والميزان ، يحضر الناس ، وبيد كل واحد صحيفته ليأخذ ما يستحقه من رحمة اللّه .

- قال تعالى : ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ ﴾ [الأنبياء / 47] .

وفي هذا اليوم لا يقبل ممن مات على الكفر توبة ولا فدية .

- قال تعالى : ﴿ يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَـٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴾ [المعارج / 11-14] .

- وقال سبحانه ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَـٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ [عبس / 34-37] .

وبعد أخذ الحقوق والميزان ، يتقدم المؤمنون إلى ربهم وفدًا في كرامة وسرور ، تتلقاهم الملائكة ، ويساق المجرمون إلى النار كقطعان البهائم وهم عطاش .

- قال جل جلاله : ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَـٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴾ [مريم / 85-86] .

الفصل الثالث

اليوم الآخر وأهواله

تعريفه :

اليوم لغة : الوقت مطلقًا ، ويطلق على الوقت من طلوع الفجر إلى غروب الشمس ، فيقال : صمت يوم الخميس ، كما يطلق على مجموع الليل والنهار ، وربما عبروا عن الشدة باليوم [1] .

أما الآخر - بكسر الخاء - فهو الذي يكون بعد الأول ، وهو صفة على وزن فاعل ، تقول : جاء آخرًا ، أي أخيرًا ، ومؤنثه الآخرة [2] .

واصطلاحًا : هو اليوم الذي يبعث الله فيه الخلائق للحساب والجزاء ، وتكون فيه الشدائد . وسمي آخرًا ؛ لأنه آخِر أيام الدنيا ، فلا يوم بعده ، أو لأنه آخر العهد بالأرض ، أو لأنه متصل بآخر أيام الدنيا [3] .

من أسمائه :

ذُكر اليوم الآخر في القرآن الكريم كثيرًا بأسماء متنوعة ، لكل منها دلالتها الخاصة ، فهو يوم البعث ؛ لأن اللّه سبحانه يبعث فيه من في القبور ، وهو يوم الحشر ويوم الجمع ، لأن اللّه سبحانه يجمع فيه الأولين والآخرين في صعيد واحد ، وهو يوم التناد ، حيث ينادي المجرمون بالدليل والثبور ، وينادي بعض الناس بعضًا من هول الموقف ، وهو يوم الدين ويوم الفصل ويوم الحساب والجزاء ، لأن اللّه سبحانه يحاسب الناس فيه ويفصل بينهم ، وهو يوم الوعيد ويوم الحسرة ، لأن الكافر يرى ما وعد به ، فيتحسر ويندم ، وهو يوم التغابن ، حيث يظهر فيه غبن الكافر وخسارته بتركه الإيمان ، وغبن كل مؤمن بتقصيره في الإحسان ، وهو يوم الخروج ويوم الخلود ، حيث يخرج الناس من قبورهم فيحاسبون ، ثم يساق الكفار إلى النار فيخلدون فيها ، ويذهب المحسنون الذين عملوا

---

(1) والفرق بين النهار واليوم ، أن النهار اسم للضياء الظاهر لحصول الشمس ، وليس اسمًا للوقت ، واليوم اسم لمقدار من الأوقات ، يكون فيه هذا السنا . ولهذا يضاف النهار إلى اليوم فيقال : سرت نهار يوم الجمعة . ولا يقال للغلس والسحر نهارًا حتى يستضيء الجو [الفروق للعسكري ص 226] .

(2) أما الآخَر - بفتح الخاء - فهو أحد الشيئين ، ومؤنثه الأخرى .

(3) وربما أطلق على قيام الساعة وموت الناس بنفخة الصعق ؛ لأنه آخر أيام الدنيا من حيث الحياة .

بالطاعات إلى الجنة فيخلدون فيها .

اضطراب الأكوان :

ثمة أهوال وأحوال واضطرابات عظيمة تحدث يوم القيامة في الأرض والسموات ، فالأرض تتبدل تبدلات متعددة ، فالتبدل الأول يكون بالصفات عند النفخة الأولى ، وهو ما يحدث من تسجير للبحار ، بأن تصير نارًا ، ونسف للجبال ، بأن تندك ، فتكون كالصوف المندوف ، ثم تصبح هباء منبثًّا ، ثم تحدث فيها تبدلات أخرى على أنحاء شتى ، فتصبح كالبساط الواحد لا معلم فيها من جبال أو وديان أو أنهار أو غير ذلك .

وهذا كله مقدمة لتبدل الذات ، فتكون جديدة على صفة يعلمها اللّه سبحانه ، وهذا يكون بعد انتهاء الحساب ، والناس قبل الصراط .

أما السماء وما فيها من مجرات ، فتضطرب ، فيجمع الشمس والقمر وغير ذلك سوية ، ثم تطوى سبع السموات طيًّا ، فتعود كتلة واحدة .

ومما ذكره اللّه سبحانه وتعالى لنا عن ذلك في القرآن الكريم ما يلي :

1 - قال تعالى : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ [سورة إبراهيم / 48] .

أي يوم تبدل هذه الأرض بأرض أخرى بيضاء نقية كالفضة ، وكذلك تبدل السموات بغيرها ، وتخرج الخلائق من قبورها أحياء ظاهرين للقاء الواحد القهار .

2 - وقال سبحانه : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴾ [طه / 105 - 108] .

أي ويسألك الناس عن حال الجبال يوم القيامة ، فقل لهم : إن ربي يزيلها عن أماكنها ، ثم يرسل عليها الرياح ، فيجعلها هباء منثورًا ، فيترك الأرض حينئذ ملساء مستوية لابناء فيها ولا نبات ، ولا يرى الناظر إليها من استوائها ميلًا ولا ارتفاعًا ولا انخفاضًا . وفي ذلك اليوم العصيب يتبع الناس صوت الداعي الذي يدعوهم إلى مواقف القيامة في أرض المحشر ، لا محيد عن ذلك ، وسكتت أصوات الخلائق هيبة من الرحمن ، فلا تسمع إلا صوتًا خفيًّا .

3 - وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ [الأنبياء / 104] .

أي اذكر يوم نطوي السماء طيًّا ، كما تطوى الصحيفة على ما كتب فيها ، ونبعث فيه الخلائق على الهيئة التي خلقناهم عليها أول مرة ، كما ولدتهم أمهاتهم ، ذلك وعد الله الذي لا يتخلف .

4 - قال سبحانه : ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾ [النمل / 87 - 88] .

أي واذكر يوم ينفخ إسرافيل في الصور ، فلا يبقى أحد في السموات والأرض إلا خاف ، إلا من شاء الله لهم عدم الخوف . وكل الأموات الذين أحيوا أتوا ربهم صاغرين مطيعين ، وترى الجبال ، تظنها واقفة مستقرة ، وهي تسير سيرًا حثيثًا كسير السحاب الذي تسيره الرياح ، وهذا من صنع الله البديع الذي أحكم كل شيء خلقه .

5 - وقال تعالى : ﴿ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴾ [الرحمن / 37] .

أي فإذا انصدعت السماء وتفطرت يوم القيامة ، فكانت مثل الورد الأحمر ، أو مثل الجلد الأحمر من الحرارة ، فبأي آيات ربكم تكذبون أيها الجن والإنس ؟

6 - وقال سبحانه : ﴿ إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴾ [الواقعة / 1 - 6] .

أي إذا قامت القيامة ، وليس لقيامها أحد يكذب بها ، لأن كل نفس تؤمن حينئذ ، وهي خافضة لأعداء الله في النار ، رافعة لأوليائه في الجنة ، ويكون ذلك إذا حركت الجبال تحريكًا شديدًا ، وفُتتت تفتيتًا دقيقًا ، فصارت غبارًا متطايرًا في الجو ، ذرته الرياح .

7 - وقال تعالى : ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴾ [الحاقة / 13 - 16] .

أي فإذا نفخ إسرافيل في الصور نفخة واحدة لهلاك العالم وخراب الدنيا ، ورفعت الأرض والجبال عن أماكنها ، فضرب بعضها ببعض حتى تندق وتتفتت وتصير كثيبًا مهيلًا ، ففي ذلك الحين قامت القيامة الكبرى ، وانصدعت السماء ، فهي يومئذ ضعيفة

مسترخية ، ليس فيها تماسك ولا صلابة .

8 - وقال سبحانه : ﴿ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ۝ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴾ [المعارج / 8-9] .

أي يوم تكون السماء كحثالة الزيت أو كالرصاص المذاب ، فهي سائلة غير متماسكة ، وتكون الجبال متناثرة متطايرة كالصوف المنفوش إذا طيرته الريح .

9 - وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴾ . ﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ۝ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ۚ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ﴾ [المزمل / 14 و 17-18] .

أي يوم تضطرب الأرض والجبال وتتزلزل حتى تصير الجبال تلًّا من الرمل سائلًا متناثرًا بعد أن كانت صلبة جامدة .. السماء متشققة ومتصدعة من هول ذلك اليوم .

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : لتقمِصَنَّ بكم قِماص البكر . يعني الأرض . [أخرجه البزار . قال الهيثمي : ورجاله ثقات] .

وعن جرير بن عبد الله - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : أول الأرض خرابًا يسراها ثم يمناها . [أخرجه ابن عساكر في التاريخ ورواه الطبراني وأبو نعيم والديلمي] (1) .

10 - وقال سبحانه : ﴿ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ۝ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ۝ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۝ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ۝ كَلَّا لَا وَزَرَ ۝ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴾ [القيامة / 7-12] .

أي تكون القيامة إذا زاغ البصر وتحير من شدة الأهوال ، وذهب نور القمر فأظلم ، وجمع بينه وبين الشمس ، يقول الفاجر الكافر وقتها ، أين المهرب من العذاب ؟ إلى الله وحده مرجع الخلائق ومستقرها .

11 - وقال تعالى : ﴿ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ۝ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ۝ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴾ [المرسلات / 8-10] .

أي إن الذي توعدون به لواقع ، ووقوع ذلك إذا طمست النجوم وذهب ضياؤها ، وتصدعت السماء وتشققت ، وتطايرت الجبال وتناثرت ، فأصبحت هباء تذروه الرياح .

---

(1) رمز السيوطي لحسنه [الفيض 82/3] .

12 - وقال سبحانه : ﴿ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَـٰتًا ۝ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ۝ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ۝ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴾ [النبأ 17 - 20] .

أي إن يوم الفصل بين الخلق ، وهو يوم القيامة ، كان وقتًا وميعادًا محددًا للأولين والآخرين ، يوم ينفخ الملك في الصور إيذانًا بالبعث فتأتون أممًا ، كل أمة مع إمامها . وفتحت السماء ، فكانت ذات أبواب كثيرة لنزول الملائكة ، ونسفت الجبال بعد ثبوتها ، فكانت كالسراب .

13 - وقال تعالى : ﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾ [التكوير / 1 - 6] .

أي إذا الشمس لُفت وذهب ضوؤها ، وإذا النجوم تناثرت وتساقطت من مواضعها ، وإذا الجبال حركت من أماكنها وسيرت في الهواء حتى صارت كالهباء المنبث ، وإذا النوق الحوامل تركت هملًا ، مع أنها من كرائم الأموال عند العرب ، وإذا الوحوش جمعت واختلطت ؛ ليقتص الله من بعضها لبعض ، وإذا البحار تأججت وصارت نيرانًا تضطرب .. علمت كل نفس ما قدمت من خير أو شر .

- عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : الشمس والقمر يكوران يوم القيامة . [أخرجه البخاري والبزار] .

14 - وقال سبحانه : ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴾ [الانفطار / 1 - 5] .

أي إذا السماء انشقت واختل نظامها ، وإذا النجوم تساقطت وتناثرت ، وإذا البحار امتلأت وفاضت ، فانفجرت وسالت مياهها وطفت ، وإذا القبور قُلبت وبعث من كان فيها من الموتى ، حينئذ تعلم كل نفس ما قدمت من خير أو شر .

15 - وقال تعالى : ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ۝ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۝ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴾ [الانشقاق / 1 - 5] .

أي إذا السماء تصدعت وتشققت يوم القيامة مؤذنة بخراب الكون ، وأطاعت أمر ربها وانقادت لحكمه ، وحق لها أن تنقاد لأمره ، وإذا الأرض بسطت وزادت سعةً بإزالة الجبال ، وقذفت ما في جوفها من الأموات وتخلت عنهم ، وانقادت لأمر ربها

فيما أمرها به ، وحق لها أن تنقاد لأمره .

16 - وقال سبحانه : ﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ۝ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴾ [الفجر / 21-23] .

ارتدعوا أيها الغافلون ، فأمامكم أهوال عظيمة ، وذلك حين تزلزل الأرض وتُحرك تحريكًا متتابعًا حتى ينهدم كل بناء عليها وينعدم ، وجاء ربك لفصل القضاء بين العباد ، وجاءت الملائكة صفوفًا صفوفًا ، وأحضرت جهنم ليراها المجرمون ، يومئذ يتعظ الكافر ويريد أن يتوب ، لكن من أين له الاتعاظ والتوبة ، وقد فات الأوان .

17 - وقال تعالى : ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴾ [الزلزلة / 1-5] .

أي إذا حركت الأرض تحريكًا عنيفًا ، وأخرجت ما في بطنها من موتى ، وتساءل الإنسان فزعًا : ما الذي حدث للأرض ؟ يوم القيامة تخبر الأرض بما عمل عليها كل إنسان من خير أو شر . وذلك الإخبار بأمر الله لها بذلك وإقدارها على النطق .

18 - وقال سبحانه : ﴿ ٱلْقَارِعَةُ ۝ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴾ [القارعة / 1-5] .

أي الساعة أو القيامة التي تقرع قلوب الناس بأهوالها ، في ذلك اليوم يخرج الناس من قبورهم فزعين ، كأنهم فراش منتشر من كثرتهم وحركتهم ، وتكون الجبال كالصوف المنتشر المتطاير عند الندف . فإذا أثّرت القارعة في الجبال العظيمة ، فكيف حال الإنسان الضعيف ؛ وهو المقصود بالتكليف والحساب [1] ؟

ما يقوله العلم الحديث عن الكوارث الكونية :

سبق القرآن الكريم العلم في الإشارة إلى ظواهر وحقائق علمية تحدث في نهاية الكون كما سلف ، وفي عصرنا هذا أيد العلماء ما ذكره القرآن الكريم من أسس ، وتوصلوا إلى بعض التفصيلات التي أشار إليها . ومن ذلك ما يلي :

---

(1) عن صفوة التفاسير للصابوني والتفسير الميسر في أماكن الآيات .

1 - الأرض :

قال العلماء : أهل الأرض أشبه شيء بركاب سفينة فضاء ، سقفها هو الغلاف الهوائي ، وقد أمسكته الأرض بقبضة جاذبيتها ، فلم تسمح له بالتسرب إلى خِضَمّ الفضاء المترامي الأطراف ، فهو باق حولها يؤدي المنافع لأهل الأرض .

وقالوا : الأجرام السماوية تسبح من حول الشمس ، وتتعادل معها قوى الجاذبية المتبادلة ، وقوى الطرد المركزية الناجمة عن حركة الدوران ، وعندما تقترب الأرض من مسارات بعض تلك الأجرام مثل النيازك أو الشهب ، يهوي بعضها إلى الأرض متأثرًا بجاذبيتها ، غير أن الغلاف الجوي يحمينا بأمر الله ، فتتفتت النيازك ، أو تحرق الشهب في مشارفه العليا ، فلا تصل إلينا إلا فيما ندر . قال تعالى : ﴿ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحج / 65] [1] .

وأفاد علماء الفلك في مقر وكالة الفضاء الأمريكية ناسا في واشنطن أن الظواهر التي كشفها تلسكوب هابل الفضائي عن تطور النجوم تدفع إلى الاعتقاد بأن النجوم عندما تقترب من نهايتها تخضع لتأثير أجرام أخرى لا يمكن رؤيتها ، وأظهرت الصور نوعًا من الأجسام المتوهجة ، يشبه بعضها نوافير المياه ، وبعضها الآخر فراشاتٍ أو دخانًا متموجًا ، وبعضها بشكل أسطوانات تتمدد في محيط النجوم ، ينبعث منها غاز من نقطتين متناسقتين ، مقارنة مع الوسط . وأفاد العلماء أن هذه الظاهرة ربما تشير إلى نجم آخر يستقطب بقوة النجمة التي شارفت على الانتهاء ، ويجعلها تستدير على ذاتها قبل أن يبتلعها [2] .

وقد أصدر البروفيسور فرانك كلوز أستاذ الفيزياء بجامعتي لندن وتينسي كتابًا عنوانه (النهاية : الكوارث الطبيعية وأثرها في مسار الكون) [3] أوضح فيه أن هناك مذنبات وكويكبات اصطدمت بالكواكب الأخرى ، وأن اصطدام الأرض بمذنب أو نيزك أو كوكب ، أمر محتمل في المستقبل القريب ، بل قد حدث مثل هذا من قبل ، ففي صباح 30 حزيران ، عام 1908 سقطت كرة هائلة من النيران على وادي نهر (تنجوسكا) فدمرت الحياة تمامًا فيه ، وتفحمت غابات مساحتها 700 ميل مربع ، كما يوجد في

(1) عن كتاب الله والكون لمحمد جمال الدين ص 299 و 304-305 .

(2) عن جريدة الشرق الأوسط العدد 6961 ، 1418/8/19 هـ 19 كانون الأول 1997 م .

(3) وقد ترجمه الدكتور مصطفى فهمي . عن مجلة زهرة الخليج .

الأرض آثار ارتطام على شكل حفرٍ هائلة ، ففي إيروزونا بأمريكا الشمالية ، وفي جنوب غرب إفريقية حفرتان ظاهرتان . ويحتمل أن يكون ذلك ناتجًا عن انفجار رأس أحد المذنبات . ففي أعماق الفضاء مذنبات كثيرة تتجه نحو الأرض ، كما أن هناك حطام مذنبات تدور حول الشمس ، بحيث تقطع الأرض مداراتها في أوقات حددها بعض العلماء . والمذنبات التي في المجموعة الشمسية تعد بالبلايين ، والتي حول الأرض كثيرة جدًّا كأسماك المحيط . ففي عام 1910 م مرت الأرض بذيل مذنب هالي ، ثم عاد عام 1986 م في دورة قدرها 76 سنة ، وسوف يعود عام 2027 ، ونرجو ألا يصطدم برأسه ، لأنه سيتحطم بطاقة تعادل نصف مليون زلزال ، شدة كل واحد منها 9 درجات بمقياس ريختر ، مما يؤدي إلى تدمير الحياة تمامًا . ولا يزال خطر هذه النيازك والكويكبات والمذنبات قائمًا ، ومن شبه المؤكد أن يصطدم أحدها بالأرض ذات يوم .

والكارثة إذا حلت ، ولم تكن برأس أحد المذنبات الكبيرة ، سوف تشمل مساحات واسعة وبلادًا متباعدة من الأرض ، بعضها يكون في الليل ، وبعضها يكون في النهار ، كما قال سبحانه ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارًا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [يونس / 24] أي كذلك يأتي الفناء على ما تتباهون به من دنياكم وما فيها من زخارف ، فيفنيها الله ويهلكها [1] .

2 - البحار :

يتنبأ العلماء بأن الأمطار في يوم ما ستصبح غزيرة جدًّا ، وعندها تمتد المحيطات إلى الداخل . كما قال تعالى : ﴿ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ ﴾ [الانفطار / 3] [2] .

ويتنبؤون بأن درجة حرارة الأرض سوف ترتفع من تأثير تطورات الشمس إلى حوالى 300 درجة ، وعندئذ تتحلل المياه ، وتشتعل مكوناتها ، لأنها تحتوي على الهيدرجين والأكسجين . كما قال تعالى : ﴿ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ ﴾ [التكوير / 6] [3] .

3 - ابتلاع الشمس للأرض وسائر جيرانها :

ذكر البروفيسور فرانك كلوز في كتابه أن الشمس ستتحول إلى عملاق أحمر اللون ،

(1) مجلة زهرة الخليج . (2) الإنسان بين العلم والدين ص 255 .

(3) مجلة زهرة الخليج .

يترتب عليه اختفاء الأرض وعطارد والزهرة والقمر وسائر جيرانها في باطنها . وهذا بمثابة نهاية للشمس ، فإنها بعد أن تلتهم مجموعتها ، تنكمش لتصبح قزمًا ميتًا [1] .

وأفاد علماء الفلك أن مراقبة تطور النجوم عبر تلسكوب هابل ، ربما تعطي فكرة عن طريقة ابتلاع الشمس للأرض يومًا ما ؛ فقد أوضح بروس باليك من جامعة واشنطن أن الشمس تتطور ، فتتمدد عبر إخراج الغاز ، وقد يصل قطرها يومًا ما إلى أكثر مما هو عليه الآن بـ 200 مرة ، وستغطي بالتالي أكثر من 30٪ من السماء بالنسبة لسكان الأرض . وذكر هوارد بوند من مؤسسة العلوم لتلسكوب بالتمور الفضائي أن الحرارة التي ستبعثها الشمس بعد خمسة مليارات سنة ، ستكون قوية جدًا ، بحيث تحرق كل شيء على الأرض ، وسيتبخر الغلاف الجوي ، وستبتلع الأرض التي قد تَلْتَفّ حول ما تبقى من الشمس [2] .

قال سبحانه : ﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ وتكور الشمس يعني علميًا تحولها من كرة متوسطة الحجم كما هي الآن ، إلى كرة أصغر أو أكبر ، وبذلك يتغير انحناء سطحها الكروي . والعلم يؤكد هذين التكويرين عند شيخوخة الشمس ووفاتها ؛ فالشمس منذ مليارات السنين تفقد من كتلتها كل ثانية 4,6 مليون طن لحصول الطاقة ، وعندما ينفد الهيدرجين الذي في باطنها كله ، فإن مركزها لن يستطيع مقاومة المناطق الخارجية التي تضغط للداخل فتتقلص ، أي تتكور للداخل ، وآنئذ تتحول طاقة الداخل الجاذبة إلى حرارة تؤدي إلى قذف القشرة الخارجية إلى الفضاء المحيط ، وعندئذ يتحول غلافها الخارجي إلى كرة أكبر ، أي تتكور للخارج ، فتصبح كرة كبيرة تشبه العملاق الأحمر ، حيث يتغير لونها من الأصفر إلى الأحمر ، وتنتفخ وتبتلع جيرانها في باطن غلافها الأحمر الذي يغطي الأفق بلون وردي فاتح . قال سبحانه : ﴿ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴾ . وقال تعالى : ﴿ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ۝ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ۝ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴾ [3] .

وصفوة القول : إن الشمس ستلفظ أنفاسها الأخيرة ؛ لأن منابعها الحرارية الهائلة ستنفد ، لكنها قبل ذلك سيكون توهجها أكثر تأثيرًا على الأرض بسبب الاقتراب الذي يحصل بينهما ، فيصبح سطح الأرض ساخنًا حتى الغليان . والله أعلم .

---

(1) مجلة زهرة الخليج .

(2) جريدة الشرق الأوسط العدد 6961 ، 1418/8/19 ، 1997/12/19 .

(3) مجلة زهرة الخليج .

الشمس تبتلع الأرض بعد خمسة مليارات سنة

واشنطن - ا.ف.ب : أفاد علماء الفلك أن مراقبة تطور النجوم عبر تلسكوب هابل الفضائي قد يؤدي إلى إعادة النظر في بعض النظريات المعتمدة حاليا وإعطاء فكرة عن طريقة « ابتلاع » الشمس للأرض يوما ما ربما . فالظواهر التي كشفها هابل تدفع إلى إعادة التفكير في تطوير النجوم والكواكب . ويفيد علماء الفلك في مقر وكالة الفضاء الأمريكية (ناسا) في واشنطن أن هذه الظواهر تدفع إلى الاعتقاد أن النجوم عندما تقترب من نهايتها تخضع لتأثير أجرام أخرى لا يمكننا أن نراها مثل كواكب ونجوم قزمة وأظهرت الصور نوعا من الأجسام المتوهجة يشبه بعضها نوافير مياه وبعضها الآخر فراشات أو دخانا متموجا يخرج من محركات الصواريخ .

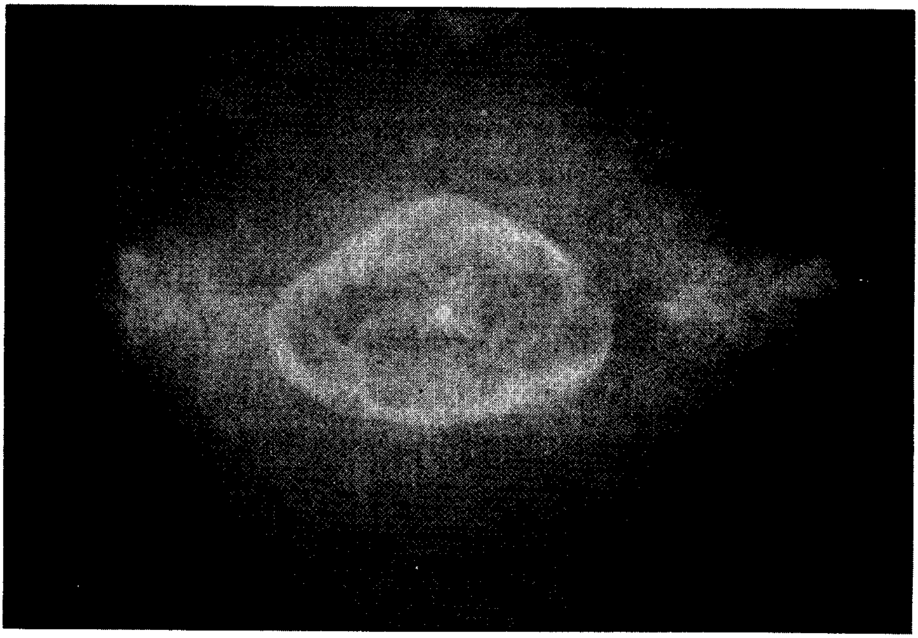
وأظهرت الصور أيضا أن أجساما بشكل إسطوانات تتمدد في محيط النجوم ينبعث منها غاز من نقطتين متناسقتين مقارنة مع الوسط ، ويفيد العلماء أن هذه الظاهرة تشير ربما إلى أن نجما آخر يستقطب بقوة النجمة التي شارفت على نهايتها ويجعلها تستدير على ذاتها قبل أن يبتلعها .

وقال هوارد بوند من مؤسسة العلوم لتلسكوب بالتيمور الفضائي (ماريلاند) « عندما شاهدنا هذه الصور للمرة الأولى علمنا أن علينا إعادة النظر في أفكارنا القديمة والبسيطة حول تطور النجوم » .

وأوضح بروس باليك من جامعة واشنطن أن « الألعاب النارية هذه تعطي فكرة عن المرحلة الأخيرة من حياة الشمس » . والشمس هي نجمة تتطور أيضًا . تتمدد عبر إخراج الغاز ، وقد يصل قطرها يوما ما إلى أكثر بـ 200 مرة مما هو عليه حاليا وستغطي بالتالي أكثر من 30 في المائة من السماء بالنسبة لسكان الأرض . وأوضح هوارد بوند أن الحرارة التي ستبعثها الشمس بعد خمسة مليارات سنة ستكون قوية جدًّا بحيث قد تحرق كل شيء على الأرض وسيتبخر الغلاف الجوي . وستبتلع الأرض التي قد تلتف حول ما تبقى من الشمس [1] .

---

(1) جريدة الشرق الأوسط العدد : 6961 ، 1418/8/19 هـ ، 1997/12/19 م .



صورة لسديم كوني يشبه العين البشرية التقطها مرصد « هابل » الفضائي ، والسديم هو غاز لكتلة نجمية يشكل نصف حجمها (أ .ف .ب) .

اختلاف العلماء في وقت زلزلة الساعة :

قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ [الحج / 1 - 2] .

أي يا أيها الناس احذروا عقاب الله ، إن ما يحدث عند قيام الساعة من أهوال وحركة شديدة للأرض ، تتصدع منها جوانبها ، أمر عظيم ، لا يُقدَّر قدْره ، ولا يُبلغ كنهُه . يوم ترون قيام الساعة تغفل الوالدة عن رضيعها الذي ألقمته ثديها لما نزل بها من الفزع والكرب ، وتسقط الحامل حملها من هول ما ترى ، وتغيب عقول الناس ، فهم كالسكارى من شدة الدهشة والخوف ، وليسوا بسكارى من الخمر ، ولكن أهوال الساعة وشدائدها أفقدتهم عقولَهم وإدراكهم (1) .

واختلف العلماء في وقت حدوث هذه الزلزلة وسائر الأهوال ؛ أهي بين يدي الساعة بعد نفخة الفزع ؟ أم بعد موت الخلائق وقبل قيامهم من قبورهم ؟ أم بعد قيامهم منها يوم حشرهم إلى عرصات القيامة ؟

أ - ذهب جماعة إلى أنها تحدث في آخر عمر الدنيا ، أي بعد نفخة الفزع (2) . واحتجوا بما يلي :

1 - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : إن الله لما فرغ من خلق السموات والأرض ، خلق الصُّور فأعطاه إسرافيل ، فهو واضعه على فيه شاخص ببصره إلى العرش - وفي رواية : إلى السماء - ينتظر متى يؤمر . قال أبو هريرة - رضي الله عنه - : يا رسول الله ، وما الصور ؟ قال : قرن . قال : فكيف هو ؟ قال : قرن عظيم ينفخ فيه ثلاث نفخات : الأولى نفخة الفزع ، والثانية نفخة الصعق ، والثالثة نفخة القيام لرب العالمين ، يأمر الله إسرافيل بالنفخة الأولى ، فيقول : انفخ نفخة الفزع ، فيفزع أهل السماوات وأهل الأرض إلا من شاء الله ، ويأمره فيمدها ويطولها ولا يفتر ، وهي التي يقول الله تعالى : ﴿ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴾ ،

---

(1) صفوة التفاسير 280/2 ، التفسير الميسر ص 332 .

(2) ذكر ابن جرير وابن أبي حاتم عن إبراهيم عن علقمة أنه قال : قبل الساعة . وعن عامر الشعبي أنه قال : هذا في الدنيا قبل يوم القيامة .

فتسير الجبال ، فتكون ترابًا ، وترج الأرض بأهلها رجًا ، وهي التي يقول الله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴾ ، فتكون الأرض كالسفينة الموبقة في البحر ، تضربها الأمواج ، تكفؤها بأهلها ، وكالقنديل المعلق بالعرش ، تُرجحه الأرواح ، فيميد الناس على ظهرها ، فتذهل المراضع ، وتضع الحوامل ، ويشيب الولدان ، وتطير الشياطين هاربة حتى تأتي الأقطار ، فتلقاها الملائكة ، فتضرب وجوهها فترجع ، ويولي الناس مدبرين ، ينادي بعضهم بعضًا ، وهي التي يقول الله تعالى : ﴿ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ ، فبينما هم على ذلك ، إذ انصدعت الأرض من قطر إلى قطر ، ورأوا أمرًا عظيمًا ، فأخذهم لذلك من الكرب ما الله أعلم به ، ثم نظروا إلى السماء ، فإذا هي كالمهل ، ثم خسف شمسها وقمرها ، وانتثرت نجومها ، ثم كشطت عنهم . قال رسول الله ﷺ : والأموات لا يعلمون بشيء من ذلك . قال أبو هريرة – رضي الله عنه – : فمن استثنى حين يقول : ﴿ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ قال : أولئك الشهداء ، وإنما يصل الفزع إلى الأحياء ، أولئك أحياء عند ربهم يرزقون ، ووقاهم الله شر ذلك اليوم وآمنهم ، وهو عذاب الله يبعثه على شرار خلقه ، وهو الذي يقول الله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ [أخرجه الطبراني وابن أبي حاتم وابن جرير وغيرهم] (1) .

فدل على أن هذه الزلزلة تحدث قبل يوم القيامة ، وأضيفت إلى الساعة لقربها منها ، كما يقال : أشراط الساعة ، ونحو ذلك .

2 – إن بعد القيام من القبور ، لا تحمل الإناث ، حتى تضع حملها من الفزع ، ولا ترضع المراضع ، حتى تذهل عما أرضعت (2) .

(1) وقد أشار ابن جرير إلى ضعفه فقال : في إسناده نظر . وذكر الحافظ في الفتح 317/11 : بعض الأحاديث عن القرن والملك الذي ينتظر الأمر ثم قال : وفي أسانيد كل منها مقال . ثم قال : وللحاكم بسند حسن عن يزيد بن الأصم عن أبي هريرة ورفعه : إن طرف صاحب الصور منذ وكل به مستعد ، ينظر نحو العرش مخافة أن يؤمر قبل أن يرتد إليه طرفه ، كأنه عينيه كوكبان دُريّان .

(2) أضواء البيان 9/5 – 10 ، مختصر ابن كثير 527/2 ، النهاية 141/1 .

ب – وذهبت جماعة ثانية إلى أنها تتبع نفخة الصعق . واحتجوا بما يلي :

1 – قال تعالى : ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ۝١٣ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ۝١٤ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١٥ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ۝١٦ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَآ ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ۝١٧ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾ [الحاقة /13 – 18] .

أي فإذا نفخ الملك في الصور نفخة واحدة ، وهي الأولى التي يكون عندها خراب العالم ، ورفعت الأرض والجبال عن أمكانها ، فضرب بعضها ببعض ، ودكتا دكة واحدة ، ففي ذلك الحين قامت القيامة ، وانصدعت السماء ، فهي يومئذ ضعيفة مسترخية .

فأكدها بأنها واحدة . وقال ابن عباس : هي النفخة الأولى التي يحصل عندها خراب الدنيا [1] .

2 – حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – السابق : يقبض الله تعالى الأرض ، ويطوي السماء بيمينه ، ثم يقول : أنا الملك ، أين ملوك الأرض [متفق عليه واللفظ للبخاري] .

3 – حديث ابن عمر – رضي الله عنه – السابق أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية ذات يوم على المنبر ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ ورسول الله ﷺ يقول هكذا بيده يحركها ، يقبل بها ويدبر ، يمجد الرب نفسه : أنا الجبار ، أنا المتكبر ، أنا الملك ، أنا العزيز ، أنا الكريم ، فرجف برسول الله ﷺ المنبر ، حتى قلنا : ليخرن به [أخرجه مسلم وأحمد والنسائي] .

وهذا إنما يكون بعد نفخة الصعق .

جـ – وذهب آخرون إلى أنها كائنة يوم القيامة بعد البعث والنشور [2] . واحتجوا بما يلي :

---

(1) صفوة التفاسير 436/3 ، التفسير الميسر ص 567 .

(2) قال الربيع : هي النفخة الأخيرة . واختاره ابن جرير . وانظر مختصر ابن كثير 543/3 .

1 – عن عمران بن حصين – رضي الله عنه – قال : أنزلت على النبي ﷺ هذه الآية ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ .. وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ وهو في سفر ، فقال : أتدرون أي يوم ذاك ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : ذاك يوم يقول الله لآدم : ابعث بعث النار : قال : يا رب ، وما بعث النار ؟ قال : تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار ، وواحد إلى الجنة ، فأنشأ المسلمون يبكون ، فقال رسول الله ﷺ – : قاربوا وسددوا ، فإنه لم تكن نبوة قط إلا كان بين يديها جاهلية ، قال : فتؤخذ العدة من الجاهلية ، فإن تمت وإلا كملت من المنافقين ، وما مثلكم ومثل الأمم إلا كمثل الرقْمة في ذراع الدابة ، أو كالشامة في جنب البعير ، ثم قال : إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة فكبروا ، ثم قال : إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة فكبروا ، ثم قال : إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة فكبروا . قال : ولا أدري ، أقال الثلثين أم لا [أخرجه أحمد والترمذي ، وقال حسن صحيح] .

2 – عن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – قال : قال النبي ﷺ : يقول الله تعالى يوم القيامة : يا آدم ، فيقول : لبيك وسعديك . فينادي بصوت : إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثًا إلى النار ، قال : يا رب ، وما بعث النار ؟ قال : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون ، فحينئذ تضع الحامل حملها ، ويشيب الوليد ﴿ وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ ، فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم – زاد بعض الرواة : قالوا : يا رسول الله ، أينا ذلك الرجل – فقال النبي ﷺ : من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعون ، ومنكم واحد ، ثم أنتم في الناس كالشعرة السوداء في جنب الثور الأبيض ، أو كالشعرة البيضاء في جنب الثور الأسود ، وإني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة ، فكبرنا ، ثم قال : ثلث أهل الجنة ، فكبرنا ، ثم قال : شطر أهل الجنة ، فكبرنا [أخرجه الشيخان والنسائي ، واللفظ للبخاري] .

ففي الحديثين تصريح بأن الوقت الذي تضع فيه كل ذات حمل حملها هو يوم القيامة ، بعد البعث من القبور ، وليس في آخر الدنيا . وهو نص في محل النزاع (1) .

3 – حديث عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – السابق : .. فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع .. ثم ينفخ في الصور ، فلا يسمعه أحد إلا

(1) أضواء البيان 9/5 – 10 ، مختصر ابن كثير 527/2 – 528 .

أصغى ليتا ورفع ليتًا ، فأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله ، قال : فيصعق ويصعق الناس ، قال : ثم يرسل - أو قال ينزل - الله مطرًا كأنه الطل - أو الظل ، نعمان يشك - فينبت منه أجساد الناس ، ثم ينفخ فيه أخرى ، فإذا هم قيام ينظرون ، ثم يقال : يا أيها الناس هلموا إلى ربكم ، ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴾ ، ثم يقال : أخرجوا بعث النار ، فيقال : من كم ؟ فيقال : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين . قال : فذاك ﴿ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴾ ، وذلك ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴾ [أخرجه مسلم] .

فذكر نفختين ، نفخة الصعق ، ونفخة الفزع الأكبر ، وذكر أن ذلك اليوم هو الذي يشيب فيه الولدان .

موازنة :

ذكر ابن كثير أن الآية التي احتجت بها الجماعة الثانية إنما تدل على نفخة الفزع الأولى ، وأكدها هنا بأنها واحدة ؛ لأن أمر الله لا يُخالف . ولهذا قال ﴿ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴾ أي فمدت من الأديم ، وتبدلت الأرض غير الأرض ، فيومئذ قامت القيامة [1] .

ورأت الفئة الثالثة أن ما ذكروه من الأحاديث نص في محل النزاع . وأجابوا عما أبدته الجماعة الأولى عن وجود الحامل والمرضع من وجهين :

الأول ما ذكره بعض أهل العلم من أن من ماتت حاملًا تبعث حاملًا ، فتضع حملها من شدة الهول والفزع ، ومن ماتت مرضعة ، بعثت مرضعة كذلك .

لكن هذا يحتاج إلى دليل .

الثاني أن ذلك كناية عن شدة الهول ، كقوله تعالى : ﴿ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴾ ، ومثل ذلك من أساليب اللغة المعروفة [2] .

ومن أمعن النظر في الآيات التي تتحدث عن النفخ في الصور واضطراب الكون ونحو ذلك ، ودقق في الأدلة التي احتجت بها كل جماعة وجد أن هذه الأمور لا

---

(1) ابن كثير 543/3 ، غير أنه قال في النهاية 143/1 عن انشقاق السماء وتناثر نجومها وخسف شمسها وقمرها : « والظاهر أن هذا إنما يكون بعد نفخة الصعق ، والله أعلم » .

(2) أضواء البيان 10/5 .

تكون دفعة واحدة ، بل في مراحل متعددة ، فللأرض تبدلات ، والتبدل الأول يكون بالصفات عند النفخة الأولى ، وهو ما يحدث من تسجير للبحار ونسف للجبال وغير ذلك ، ثم تحدث فيها تبدلات أخرى على أنحاء شتى كما سلف ، وهذا كله مقدمة لتبدل التراث ، فتكون على صفة جديدة يعلمها الله سبحانه ، وهذا يكون بعد الحساب والناس قبل الصراط والله أعلم .

أهم المصادر والمراجع

1 - مختصر تفسير ابن كثير للشيخ محمد علي الصابوني
الطبعة السابعة عام 1402 - 1981 ، دار القرآن الكريم بيروت

2 - صفوة التفاسير للشيخ محمد علي الصابوني
الطبعة الرابعة عام 1402 - 1981 ، دار القرآن الكريم بيروت .

3 - جامع الأصول من حديث الرسول لابن الأثير
تحقيق وتعليق عبد القادر الأرناؤوط

4 - فيض القدير شرح الجامع الصغير لمحمد عبد الرؤوف المناوي
الطبعة الثانية عام 1391 - 1972 ، دار الفكر للطباعة والنشر .

5 - فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني
طبعة المطبعة السلفية .

6 - النهاية في الفتن والملاحم للإمام أبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي .
الطبعة الأولى عام 1408 - 1988 ، دار الكتب العلمية بيروت .

7 - التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ، لشمس الدين محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري القرطبي ، الطبعة الأولى عام 1405 - 1985 ، دار الكتب العلمية بيروت .

8 - كتاب الفتن للحافظ أبي عبد الله نعيم بن حماد المروزي ، تحقيق سمير أمين الزهيري ، الطبعة الأولى عام 1412 - 1991 ، مكتبة التوحيد القاهرة .

9 - صحيح أشراط الساعة ووصف ليوم البعث وأهوال يوم القيامة ، لمصطفى أبو النصر الشلبي ، الطبعة الأولى عام 1413 - 1992 مكتبة السوادي جدة .

10 - أشراط الساعة ، ليوسف بن عبد الله بن يوسف الوابل
الطبعة الثالثة 1411 - 1991 ، دار ابن الجوزي الدمام

11 - جامع الأخبار والأقوال في المسيح الدجال ، لمحمد عبد الرزاق عيد الرعود
طبع عام 1985 ، شركة الأصدقاء للطباعة والتجارة

12 - ثلاثة ينتظرهم العالم : عيسى ، الدجال ، المهدي ، لعبد اللطيف عاشور . مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع القاهرة .

13 - عمر أمة الإسلام وقرب ظهور المهدي عليه السلام ، لأمين محمد جمال . الطبعة الرابعة عام 1417 - 1997 ، مكتبة المجلد العربي بالقاهرة .

14 - الأساس في السنة ، لسعيد حوى
الطبعة الثانية عام 1992 ، دار السلام القاهرة .

15 - المسيح عيسى ، لمصطفى عبد القادر عطا ، مكتبة التراث الإسلامي القاهرة .

16 - المسيح الدجال وأسرار الساعة للعلامة السفاريني
الطبعة الثانية ، مكتبة التراث الإسلامي القاهرة .

17 - القدس بين الوعد الحق والوعد المفترى لسفر بن عبد الرحمن
الطبعة الأولى عام 1414 مكتبة السنة .

18 - المسيح الدجال قراءة سياسية في أصول الديانات الكبرى لسعيد أيوب
دار الاعتصام بالقاهرة

19 - المسيح في الإسلام ومحاورة مع قسيس حول ألوهية المسيح لأحمد ديدات . ترجمه إلى العربية علي الجوهري ، دار الفضيلة للنشر والتوزيع .

20 - إظهار الحق للشيخ رحمة الله الهندي
طبعة إحياء التراث الإسلامي بقطر عام 1400 - 1980 .

21 - الكتاب المقدس مع الحواشي طبعة عام 1983 منشورات دار الشرق .

22 - العهد الجديد الصادر عن دار الكتاب المقدس في العالم العربي عام 1980 .

23 - هذه عقائدنا ج . كلايد تارنر المنشورات المعمدانية عام 1972 .

24 - من هو المسيح ، تفسير إنجيل مرقس الصادر عن نداء الرجا .

25 - المخلص ، سيرة يسوع المسيح وتعاليمه الصادر عن اتحاد جمعيات الكتاب المقدس في العالم العربي .

26 - أقنوم الحق الفريد ، نظرة على عقيدتي التثليث والتجسد لرأفت عماري .

27 - ملامح الألوهية لرأفت عماري الطبعة الأولى عام 1986 م .

28 - تنقيح الأبحاث للملل الثلاث اليهودية والمسيحية والإسلام لسعد بن منصور ابن كمونة اليهودي . تقديم الدكتور عبد العظيم المطفي ، طبعة دار الأنصار

المحتوى

القسم الأول

الأمارات الصغرى

القسم الثاني

الأمارات الكبرى

القسم الثالث

قيام الساعة

تعريف بالكتاب

يتناول هذا الكتاب بالبحث والدراسة والتحقيق موضوعًا مهمًا تناولته جميع الشرائع السماوية ألا وهو موضوع قيام الساعة وما يحيط به من فتن وملاحم ، كخروج الدابة ، وطلوع الشمس من مغربها ، وغيرها من الفتن .

وقد جاء كتابنا هذا ليتناول ذلك الموضوع بشكل علمي مختلف ؛ حيث عقد دراسة مقارنة بين ما جاء في كتب العهدين القديم والحديث وبين ما جاء في القرآن والسنة النبوية الصحيحة مع عرض وجهة نظر كل ملة من الملل من المصادر والمراجع المعتمدة ، مع إجراء موازنة ومقارنة علمية توضح الإجابة الصحيحة لكل ما يجوب في خلد الإنسان عن هذا الموضوع .

وقد تناول الكتاب بالبحث والتحليل تفنيد أباطيل ومزاعم أهل الكتاب في تنبؤاتهم بموعد نهاية العالم وتاريخ عودة السيد المسيح وما يتعلق بالمسيح الدجال وكيف تكون المواجهة بينه وبين المسيح المنتظر ، وكيف ينتظر اليهود والنصارى والمسلمون المسيح المنتظر الذي سوف يأتي في آخر الزمان ليدمر أعداء الله ويعلي كلمته ، ويوضح الكتاب اتفاق المسلمين والنصارى على أن هذا الرجل هو المسيح ابن مريم . ولكنهم يختلفون في موعد نزوله وكيفية هذا النزول . فيوضح الكتاب بما لا يدع مجالاً للشك عدم صحة كلام أهل الكتاب وتنبؤاتهم ، ومدى صدق ووضوح ما جاء به القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة .

الناشر
دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع
القاهرة - مصر ١٢٠ شارع الأزهر ص ب ١٦١ الغورية
هاتف : ٥٩٣٢٨٢٠ - ٢٧٤١٥٧٨ - ٢٧٠٤٢٨٠ (٢٠٢)
فاكس ٢٧٤١٧٥٠ (٢٠٢)